شُبْهَةُ نِسْبَةِ الإِبَاضِيَّةِ إِلَى الخَوَارِجِ

تأليف

البَشير مِنْعِي محمد

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ للناشر

جميع الحقوق محفوظة ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه
في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من
الأشكال دون أخذ إذن خطي من الناشر

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٩هـ/٢٠١٨م

رقم الإيداع ٢٠١٨/٥٦٣٩

مَكْتَبَةُ الضَّامِرِيِّ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيع

ص. ب ٢ الرَّمْزُ الْبَرِيدِيُّ ١٢١

t.k.ldhamri@gmail.com

السّيب – سَلْطَنَةُ عُمَانَ

شُبْهَةُ نِسْبَةِ الإِبَاضِيَّةِ إِلَى الخَوَارِجِ

تَأْلِيفُ

البَشير مِسْعِي محمد

مَكْتَبَةُ الضَّامِرِيِّ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

ص. ب ٢ الرَّمْزُ الْبَرِيدِيُّ ١٢١

الهاتف:٠٠٩٦٨٩٤٤٧٣٩٦٦

t.k.ldhamri@gmail.com

السّيب – سَلْطَنَةُ عُمَانَ

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأَنْعَام: ٤٨، ٤٩].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

[النساء: ١٣].

وقَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النِّسَاء: ١٤]

إهداءٌ

إلى جنَّتِي في الحياةِ.. إلَى المَرأَةِ التي علَّمَتني مَا لم تُعَلِّمنِي إيَّاهُ الجَامعاتُ.. أُمِّي الحَبيبةِ...

إلى الرَّجُلِ الذي أَدينُ لهُ بِالحَياةِ مَرّتَيْنِ.. إلَى مَصدَرِ قُوَّتِي وشُموخِي.. أَبِي العَزيزِ...

إلَى التِي صَبَرَتْ عَلَيَّ شُهُورًا طِوَالاً كُنتُ فِيهَا مُعْتَكِفًا عَلَى البَحْثِ والدِّراسةِ، فَتَحَمَّلَتْ هَجْرَ اللَّيَالِي ومُدافَعَةَ الأيَّامِ فِي غُرَّةِ حياتِنَا الزَّوجِيَّةِ.. إلى شريكةِ حياتي.. وأمِّ أولادي.. زَوجَتي الغَاليةِ أسماءَ...

إلَى قُرَّةِ عَيني.. ومنبعِ عِزِّي وفَخْرِي.. ابنِي الغَالي.. أيمن

إلى مَنْ أُكِنُّ لهمْ كلَّ الحبِّ والاحترامِ إخوتِي وأخواتِي... أسامةَ، آمنةَ، سهلةَ، سهيلٍ

إلى كُلِّ مَنْ سَقَطَ لأَجْلِ الجزائرِ لتعيشَ حُرَّةً أَبيَّةً..

أُهديكُمْ هذا العملَ...

البَشير مِسْعِي محمد

تقديمٌ بقلمِ سعادةِ الشيخِ أحمدَ بنِ سعودٍ السيابيِّ

أمينِ عامِّ مكتبِ الإفتاءِ/سلطنة عُمان

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُ للهِ، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنَا محمدٍ رسولِ اللهِ، وعلى آلهِ وصحبِهِ ومَنْ والاهُ، أمَّا بَعْدُ؛ فإنَّ موضوعَ الخوارجِ والإباضيةِ موضوعٌ قديمٌ بِقِدَمِ وجودِ الفِرَقِ الإسلاميةِ الناشئةِ نتيجةَ الفتنةِ الكبرَى، ألاَ وَهِيَ الفتنةُ بينَ الصحابةِ على عَهْدِ الخليفتَيْنِ عثمانَ بنِ عفّانَ وعليِّ بنِ أبي طالبٍ، وبعدَهُمَا معاويةُ بنُ أبي سفيانَ وابنُهُ يزيدُ.

فهناكَ تكونَتِ الفرقُ الإسلاميةُ عبرَ تيّاراتِهَا الثلاثةِ: الشيعةِ القائلِينَ بأحقيةِ أهلِ البيتِ النبويِّ بالخلافةِ، وأهلِ السنةِ القائلينَ بأحقيةِ قريشٍ القبيلةِ بالخلافةِ، والإباضيةِ ومعهمُ الخوارجُ القائلينَ بشوريةِ الخلافةِ أوْ ديمقراطيةِ الحُكْمِ.

ونظرًا لانتصارِ النظريةِ القرشيةِ في الحكمِ؛ عَمِلَتِ السلطةُ الأمويةُ بِفَرْعَيْهَا السفيانيِّ والمروانيِّ على تكريسِ مفهومِ الخارجيةِ على كلِّ مَنْ خرجَ عليها أوْ لمْ يخضعْ لسلطانِهَا، ووضعَتِ الرواياتِ الحديثيةَ الدالةَ على تكريسِ ذلكَ المفهومِ كالروايةِ القائلةِ: "**الْأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ**" وَغَيْرَهَا منَ الرواياتِ؛ دونَ الأَخْذِ في الاعتبارِ معنَى ودلالةَ الآيةِ الكريمةِ: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ {البقرة/١٢٤}، وقولَ اللهِ لنبيِّهِ نوحٍ عليهِ السلامُ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾، ودونَ الأخذِ في الاعتبارِ بالأحاديثِ الواردةِ في شوريةِ الحكمِ، وبمرورِ الزمنِ وَمُضِيِّ الوقتِ تَبَيَّنَ أنَّ نظريةَ شورى الحكمِ أوْ ديمقراطيتِهِ التي نَادَى بها الإباضيةُ منذُ أولِ الأمرِ اسْتِلْهَامًا لِمَبَادِئِ الإسلامِ قُرْآنًا وَسُنَّةً وَوَاقِعًا عَمَلِيًّا هيَ الأنسبُ لقيادةِ الأمةِ، ولذلكَ تواضعَ عليها الناسُ مسلمونَ وغيرُهُم؛ لِيَتَفَيَّأَ الجميعُ ظلالَ العدالةِ والمساواةِ والمشاركةِ؛ لأنَّ حَصْرَ الحُكْمِ في بيتٍ أوْ قبيلةٍ فيهِ منَ العناءِ والمشقةِ على الأمةِ ما فيهِ.

وشيءٌ جميلٌ جدًّا أنْ يجعلَ الأستاذُ/ البشيرُ مسعى محمد عنوانَ كتابِهِ "شُبْهَةُ نِسْبَةِ الْإِبَاضِيَّةِ إِلَى الْخَوَارِجِ"، حيثُ إنَّ الأمرَ شبهةٌ وليسَ حقيقةً، والشبهةُ مِن حَقِّهَا أنْ تُفَنَّدَ بالصوابِ، وَتُدْحَضَ بالحُجَّةِ، وتُزَالَ بالحقيقةِ.

وذلكَ أنَّ الإباضيةَ لا يَجْمَعُهُمْ معَ الخوارجِ إلاَّ إنكارُ التحكيمِ الذي حدثَ بينَ عليٍّ ومعاويةَ، وهوَ موقفٌ يَسْرِي الحقُّ في جنباتِهِ، وَتَظْهَرُ الحُجَّةُ مِنْ ثَنَايَاهُ.

وأَذْكُرُ أنهُ دارَ بَيْنِي وبينَ أحدِ العلماءِ المفكرينَ حوارٌ حولَ خطأِ التحكيمِ، فقالَ لي: إنهُ منَ الصعبِ أنْ نُخَطِّئَ الإمامَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ، فَقُلْتُ لَهُ: لاَ بُدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ التحكيمُ صوابًا أوْ خطأً، فما الذي تَخْتَارُهُ؟ أهوَ الصوابُ أمِ الخطأُ؟ فتوقَّفَ عنِ الإجابةِ، فقلتُ لهُ: إنْ كانَ التحكيمُ صوابًا فليسَ منْ حقِّ الإمامِ عليٍّ نَقْضُهُ والمطالبةُ بالخلافةِ بعدَ القبولِ والرضَا، وَإِنْ كانَ خطأً فقدْ وقعَ الإمامُ في الخطأِ، ولاَ مجالَ للعواطفِ في أحكامِ الإسلامِ.

على أنَّ الإباضيةَ اكْتَوَوْا بِنَارِ تُهْمَةِ الخارجيةِ، وَشَكَّلَتْ تلكَ التهمةُ حاجزًا نَفْسِيًّا لدَى مُخَالِفِيهِمْ، فَبِمُجَرَّدِ أنْ يَعْرِفَكَ أنَّكَ إباضيٌّ تَجِدْهُ يَفِرُّ مِنْكَ فِرَارَهُ مِنَ الأسدِ!

وللإنصافِ نقولُ: إنهُ في السنواتِ الأخيرةِ خفّتْ حدَّةُ ذلكَ، وبدأَ ينكسرُ الحاجزُ النفسيُّ شيئًا فشيئًا، ولكنـَّهُ لمْ يكنْ بالصورةِ الكافيةِ، ولعلَّ الأمرَ يأخذُ وقتًا، وعسَى أنْ يكونَ ذلكَ قريبًا.

على أنَّ الإباضيةَ همُ الذينَ قضَوْا على الخوارجِ مَشْرقًا ومَغْربًا بعدَ أنِ ارْتَعَدَتْ فرائصُ الآخرينَ منهُمْ، على حدِّ المَثَلِ القائلِ: "**لاَ يفلُّ الحديدَ إلاَّ الحديدُ**"، فالأمرُ كما عبَّرَ عنهُ الشاعرُ المفلقُ عمرانُ بنُ حطّانَ مخاطبًا الحجاجَ بنَ يوسفَ الثقفيَّ:

أســـــدٌ عليَّ وفي الحـــــروبِ نعامـــــةٌ

صـــفراءُ تفـــرقُ مِـــن صـــفيرِ الصـــافرِ

هـــلاَّ بـــرزتَ إلى غزالـــةٍ في الـــوغَى

أمْ كانَ قَلْبُـــكَ في جنـــاحَيْ طـــائرِ

وعلى كلِّ حالٍ؛ فإنَّ كتابَ "**شُبْهَة نِسْبَةِ الْإِبَاضِيَّةِ إِلَى الْخَوَارِجِ**" لمؤلفِهِ الأستاذِ الباحثِ /البشيرِ مِسْعِي محمد؛ جاءَ ليعالجَ المشكلةَ، ويُزِيلَ الشبهةَ بسياقٍ تاريخيٍّ صحيحٍ سَرْدًا وَقَرَائِنَ، دَفْعًا للشبهةِ، وإيضاحًا للحُجَّةِ، وإثباتًا للصِّحَّةِ.

ونسألُ اللهَ أنْ ينفعَ بهِ، ويتحققَ الهدفُ المقصودُ بهِ ومنهُ.

وهوَ حَسْبُنا ونِعْمَ الوكيلُ.

وصلَّى اللهُ على سَيِّدِنَا محمدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ،،

أحمد بن سعود السيابي
مسقط ١ ربيع الأول ١٤٣٨هـ
٢٠ نوفمبر ٢٠١٧م

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمدُ للهِ الذي أَنْزَل علَى عبْدِه الكتابَ ولمْ يجعلْ لهُ عِوجًا، هوَ وَحْدَهُ عليهِ أَتَوَكَّلُ وَبهِ أَسْتعينُ، وأُصَلِّي وأُسَلِّمُ علَى المبعوثِ رحمةً للعالمينَ محمّدِ بنِ عبدِ اللهِ عليهِ أفضلُ الصّلواتِ وأزْكى التّسليمِ، أَرْسلَهُ ربُّهُ بالهُدَى ودِينِ الحقِّ لِيُظْهِرَهُ علَى الدِّينِ كلِّهِ ولوْ كَرِهَ المشركونَ. أمَّا بَعْدُ:

١ - مجالُ الْبَحْثِ

إنَّ مجالَ البحثِ وحُدودُه يَتَمَثَّلاَنِ في الحديثِ عنِ الإباضيَّةِ وعلاقتِهم بالخوارجِ وَمَوْقِفِهِمْ مِنْهُمْ، وأيضًا التّعريفِ بالخوارجِ ونشأتِهم وذِكْرِ فِرَقِهِمْ.

٢ - أسبابُ اختيارِ البحثِ

هناكَ أسبابٌ كثيرةٌ دَعَتْنِي لاختيارِ هذا الموضوعِ أهمُّهَا:

أ ــ أسبابٌ ذاتيّةٌ

بِحُكْمِ أنَّ الإباضيّةَ يسكنونَ في مدينةِ غرداية، وهذهِ المدينةُ لا تَبْعُدُ عنْ مَدِينَتِنَا وَادِي سُوف، فكُنَّا نَلْتَقِي معَ الإباضيّةِ في الأسواقِ للبيعِ أوِ الشّراءِ، وكذلكَ دَرَسَ معِي في الجامعةِ طُلاّبٌ مِنْ بَنِي مِيزَابَ يَنْتَسِبُونَ إلى الفِكرِ

الإباضيِّ، وكانتْ علاقتِي بهمْ سَطْحِيَّةً، فَأَرَدْتُ الْغَوْصَ فيهمْ مِنَ الدّاخلِ، وفَهْمَ هذا الفِكرِ أكثرَ وبِصفةٍ أدقَّ، فَدَعَانِي هذا الفُضولُ لدراسةِ هذا الموضوعِ.

ب ــ أسبابٌ موضوعيَّةٌ

مِنْ خلالِ تَعَامُلِي في المجتمعِ، وكذَا عَلاقتِي بالطّلبةِ في الجامعةِ؛ رأيتُ أنَّ الكثيرَ مِنَ النّاسِ يُلحِقونَ اسمَ الإباضيّةِ بالخوارجِ، في حينِ أنَّ هناكَ مَنْ يَرَى أنَّ هذهِ التّسميةَ أُطلِقتْ عليهمْ ظُلمًا وعُدوانًا، ولهذَا أرادَ الباحثُ توضيحَ بعضِ المفاهيمِ.

٣ - إشكاليّةُ البحثِ

إنَّ المسلمينَ قدْ تَفَرَّعُوا إلى مذاهبَ في الاعتقادِ والفقهِ والسّياسةِ، وهذا الاختلافُ لمْ يَتَناولْ لُبَّ الدّينِ، ولمْ يكنْ الاختلافُ في وَحْدانيةِ اللهِ ﷻ وشهادةِ أنَّ محمّدًا رسولُ اللهِ ﷺ، ولاَ في أُصُولِ الفرائضِ كالصّلواتِ الخَمْسِ والزّكاةِ والصّومِ والحجِّ، وبِعِبارةٍ عامّةٍ لمْ يكنْ في رُكنٍ مِنْ أركانِ الإسلامِ، ولاَ في أَمْرٍ عُلِمَ مِنَ الدِّينِ بِالضّرورةِ كتحريمِ الخمرِ والخنزيرِ، وإنّما الاختلافُ في أمورٍ لا تَمَسُّ الأركانَ والأمورَ العامّةَ.

ومِنْ بينِ المذاهبِ التي نحنُ بِصَددِ الحديثِ عنها: "الإباضيَّةُ"، والتّي كانتْ إحدَى الطوائفِ التي انْتَقَدَتْ سياسةَ الأمويِّينَ، لذلكَ أُطلِقتْ عليهمْ كلمةُ "الخَوَارِجِ".

وقدِ اخْتَلَفَ المؤرخونَ وأصحابُ المقالاتِ في تعريفِ الخوارجِ، فأكثرُهُم أَطْلَقَها علَى الطّائفةِ التي أنْكَرَتْ تحكيمَ الحَكَمَيْنِ، وَاعْتَزَلَتْ جيشَ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ - بعدَ التحكيمِ؛ لأنّهُمْ في نَظَرِ هؤلاءِ نَقَضُوا بيعةً في أعناقِهِم، وخَرَجُوا عنْ إمامةٍ مشروعةٍ.

ومِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ أنَّ المؤرخينَ لم يَتَّفِقُوا علَى تعريفٍ معيّنٍ لِكلمةِ الخوارجِ، فنَجِدُ الخَلْطَ بينَ المعنَى السّياسيِّ لهذهِ الكلمةِ والمعنَى الدّينيِّ واضحًا في كُتب التّاريخِ والعقائدِ والفِرقِ والمقالاتِ.

ومِنْ هذا المنطلقِ أُسِيئَ فَهْمُ وَاسْتِعْمَالُ كلمةِ الخوارجِ مِنْ قِبَلِ الكُتّابِ قديمًا وحديثًا؛ إذْ أَخرجَها الكثيرُ منهمْ عنْ معناهَا الحقيقيِّ، وَوَصَفُوا بها أُنَاسًا لَيْسُوا بخوارجَ، ومِنْ هذا وذاكَ جاءتْ هذهِ الدّراسةُ والتي هيَ بِعُنْوَانِ:

"شُبْهَةُ نِسْبَةِ الإِبَاضِيَّةِ إِلَى الخَوَارِجِ"

والتّي تَطْرَحُ الإشكاليّةَ الآتيةَ: هلِ الإباضيّةُ خوارجَ؟

وَتَنْدَرِجُ تحتَ هذهِ الإشكاليّةِ عددٌ مِنَ التساؤلاتِ مِنْ بَيْنِهَا:

- مَنْ هُمُ الخوارجُ؟
- مَنْ همُ الإباضيّةُ؟
- ما عَلاقةُ الإباضيّةِ بالخوارجِ؟

- ما رأيُ الإباضيّةِ في الخوارجِ؟

- ما موقفُ الإباضيّةِ مِنَ الخوارجِ؟

- ما هوَ الفَرْقُ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ؟

٤ - أهميّةُ البحثِ

إنَّ الدَّارسَ المهتمَّ بالمذهبِ الإباضيِّ يَرَى اتساعَ الهُوّةِ بينَ الفِكرِ الإباضيِّ والفِكرِ الخارجيِّ، ففي بيانِ بُعْدِ الإباضيّةِ عنِ الخوارجِ يكونُ ذلكَ سبيلاً للتقريبِ بينَ المذاهبِ الإسلاميّةِ، وفكِّ فجوةِ الخلافِ فيمَا بَيْنَهَا، وإزالةِ الغموضِ واللَّبْسِ عنْ كثيرٍ مِنَ الأمورِ.

٥ - أهدافُ البحثِ

يَسعَى الباحثُ مِنْ خِلالِ هذا البحثِ إلى تحقيقِ جملةٍ مِنَ الأهدافِ، أهمُّها:

أ - إماطةُ اللِّثامِ عَنْ هذهِ التُّهْمةِ التِّي أُلصِقتْ بالإباضيّةِ.

ب - إظهارُ الصُّورةِ الصَّحيحةِ لهذهِ الفِرْقَةِ.

ج - تَصْحيحُ بعضِ الأفكارِ والمفاهيمِ التي زُرِعَتْ في أذهانِ الكثيرِ.

د - إزالةُ اللَّبْسِ وتوضيحُ بعضِ الحقائقِ التي غابتْ عنْ كثيرٍ مِنْ دَارِسِي الأديانِ والفِرَقِ.

٦ - مَنْهَجُ الْبَحْثِ

إنَّ المنهجَ العِلميَّ الذي نَسْتَضِيءُ بهِ في مسارِ هذا البحثِ هُوَ المنهجُ التّاريخيُّ، والمنهجُ الوصفيُّ، والمنهجُ التّحليليُّ، فقدْ قُمتُ بدراسةِ الخوارجِ، وعلاقةِ الإباضيّةِ بهمْ، وبيانِ مَوْقِفِهِمْ منهمْ، وهذا بَعْدَ التّعريفِ بالإباضيّةِ ونشأتِهِم وتأسيسِهِم، كمَا اعْتَمَدْتُ المنهجَ الاستقرائيَّ مِنْ خِلالِ محاولةِ استقراءِ النّصوصِ التّي تَدْفَعُ هذهِ الشُّبهةَ عنِ الإباضيّةِ.

٧ - نَقْدُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ

بالنّسبةِ للمصادرِ والمراجعِ التي لها علاقةٌ مباشرةٌ بموضوعِ بحثِي فلَمْ أقفْ علَى رسالةِ ماجستير أوْ رسالةِ دكتوراه، ولكنْ وَقَفْتُ علَى بعضِ الكُتُبِ المطبوعةِ، والتّي في أَصْلِهَا كانتْ رسائلَ جامعيّةً، سَأَذْكُرُ بَعْضَهَا بشيءٍ مِنَ النّقدِ:

أ - بوحجّام، محمّد: توضيحُ مكانةِ الإباضيّةِ مِنَ الخوارجِ، مكتبةُ الضّامريِّ للنّشرِ والتّوزيعِ، السِّيب، سلْطَنَة عُمانَ، ط٢، ١٩٩٣هـ/١٤١٤م.

فقدْ تحدّثَ الكاتبُ عنْ موقِفِ الإباضيّةِ مِنَ الخوارجِ، وأسبابِ إدْمَاجِهِم في هؤلاءِ الخوارجِ، وذَكَرَ بعضَ الفُروقَاتِ بينَهُم، ولكنَّ الظّاهرَ مِنْ خلالِ الْكِتَابِ أنَّ الكاتبَ لمْ يُورِدْ آراءَ وأدلّةَ المؤرّخينَ القُدماءِ أوِ المعاصرينَ الذينَ

أَكَّدُوا أَنَّ الإباضيّةَ خوارجُ، حتّى يتّضحَ للقارئِ ولوْ بشيءٍ يَسِيرٍ أسبابَ عدِّ المؤرخينَ هذهِ الفِرقةَ مِنَ الخوارجِ.

ب - محمّد طلاي، إبراهيم: الإباضيّةُ لَيْسُوا مِنَ الخوارجِ، د د، د ط، الذِّكْرَى الأَلْفِيَّةُ لِتَأْسِيسِ مدينةِ العطفِ، ميزاب، ولاية غرْدَاية، ٢٨– ١٩٩٦/١٢/٣١م.

الْكِتَابُ عبارةٌ عنْ محاضرةٍ للذِّكْرَى الألفيّةِ لتأسيسِ مدينةِ العطْفِ، بغردايةَ، وقدْ تَحَدَّثَ الكاتبُ عنِ الخوارجِ ومبادئِهم، وتساءَلَ عنْ صِلةِ الإباضيّةِ بالخوارجِ، وهلْ هُمْ مِنَ الخوارجِ؟ وقدْ وَصَلَ في النّهايةِ بعدَ تحليلٍ وشرحٍ أنَّ الإباضيّةَ لَيْسُوا مِنَ الخوارجِ، ولكنَّ الذي يُؤْخَذُ على الكاتبِ أنّهُ لمْ يعتمدْ علَى كُتَّابِ المقالاتِ والمؤرّخِينَ حتَّى في حَدِيثِهِ عنِ الخوارجِ، فلوْ زَاوَجَ بينَ المصادرِ الإباضيّةِ وغيرِ الإباضيّةِ في الموضوعِ لكانَ أجملَ وأوسعَ وأكثرَ تأثيرًا وفهمًا للقارئِ.

ج - أطفيّش، أبو إسحاق إبراهيم: الفَرْقُ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ، مكتبةُ الضامريِّ للنشرِ والتوزيعِ، سلْطَنَةُ عُمانَ، د ط، د ت.

طَبْعًا الشيخُ أطفيّشُ يُعْتَبَرُ عالِمًا مِنْ عُلماءِ الإباضيّةِ وَمَرْجِعَهُمْ، وَتَحَدَّثَ في كِتابِهِ عنْ أسبابِ إدماجِ الإباضيّةِ ضِمْنَ فِرَقِ الخوارجِ، ومَوْقِفِهِمْ مِنهُمْ، وذَكَرَ أنَّ الإباضيّةَ لَيْسُوا مِنَ الخوارجِ، ولكنَّهُ في دراستِهِ لَمْ يَذْكُرْ أدِلّةَ المؤرّخينَ وَبَعْضَ أقوالِهِم التّي تُثبِتُ أنَّ الإباضيّةَ مِنَ الخوارجِ.

د - آل عبدِ اللّطيفِ، عبدُ العزيز بنُ محمّدٍ: الإباضيّةُ وهلْ هُمْ خَوَارجُ؟ المديريّةُ العامةُ للمطبوعاتِ بوزارةِ الإعلامِ، تبوك، ط١، ١٤١٢م.

تَحَدَّثَ الكاتبُ في مُؤَلَّفِهِ عنِ الإباضيّةِ وأَدْرَجَهُم ضِمْنَ فِرَقِ الخوارجِ، وذلكَ بالاعتمادِ علَى كُتُبِ المقالاتِ والمؤرِّخِينَ الْقُدَامَى والمعاصِرِينَ فقط الذينَ اعْتَبَرُوا الإباضيّةَ فِرقةً مِنْ فِرَقِ الخوارجِ، والذي يُؤْخَذُ علَى الكاتبِ ويُحْسَبُ عليهِ أنّهُ اعتمدَ علَى كُتَّابِ المقالاتِ فقطْ في حُكْمِهِ علَى الإباضيّةِ، ولمْ يَعْتَمِدْ علَى المصادرِ الإباضيّةِ، فَلَوْ ذَكَرَ آراءَ المؤرّخينَ وآراءَ علماءِ الإباضيّةِ في القضيّةِ لكانَ أوضحَ للقارئِ في الحُكْمِ علَى هذهِ الفِرْقَةِ بإِدْراجِهَا ضِمْنَ فِرَقِ الخوارجِ أوْ تَبْرِئَتِهَا منها.

هـ - النّجّار، عامر: الإباضيّةُ وَمَدَى صِلَتِهَا بالخوارجِ، دارُ المعارفِ، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

تَحَدَّثَ الكاتبُ عنِ الخوارجِ ونَشْأَتِهِم وَفِرَقِهِم، وَتَحَدَّثَ أيضًا عنِ الإباضيّةِ وظُرُوفِ نشأتِهَا، وذَكَرَ بعضَ المواقفِ للإباضيّةِ مِنَ الخوارجِ، ووَصَلَ في النّهايةِ إلى أنَّ الإباضيّةَ لا يَتَّفِقُونَ معَ الخوارجِ إلّا في مسألةِ التّحْكِيمِ، فكيفَ نَعْتَبِرُهُمْ خوارجَ؟ وَلَكِنْ لوْ ذكرَ في هذهِ الدراسةِ بالذّاتِ رُدُودَ عُلَمَاءِ الإباضيّةِ علَى الخوارجِ بِشَكْلٍ أَوْسَعَ وَأَشْمَلَ لكانتْ دراستُهُ أكثرَ تأثيرًا مِمَّا هيَ عليهِ الآنَ.

٨ - خُطَّةُ الْبَحْثِ

اعْتَمَدْتُ عَلَى خُطَّةٍ رَأَيْتُ أَنَّهَا الأَصْلَحُ لِمِثْلِ هذهِ المواضيعِ، فَقَسَّمْتُهَا إلى مقدّمةٍ وثلاثةِ فصولٍ وخاتمةٍ، كما ذَيَّلْتُ البحثَ بفهارسَ.

وقدْ خَصَّصْتُ الفصلَ الأوّلَ للحديثِ عنِ الفِكرِ الخارجيِّ النّشأةِ والتّطوّرِ، وقسّمتُهُ إلى أربعةِ مباحثَ، أَشَرْتُ في المبحثِ الأوّلِ لبدايةِ ظُهورِ مصطلحِ الخوارجِ، وفي المبحثِ الثّاني عرّفْتُ بالخوارجِ، وَفَصَّلْتُ في المبحثِ الثّالثِ نشأةَ الخوارجِ وأسبابَ خروجِهِم، والمبحثَ الأخيرَ خَصَّصْتُهُ للحديثِ عنْ تَسمياتِ الخوارجِ وفِرَقِهِم.

كَمَا تَطَرَّقْتُ في الفصلِ الثّاني للحديثِ عنِ المدرسةِ الإباضيّةِ وتطوّرِهَا، وقسّمتُهُ أيضًا إلى أربعةِ مباحثَ، عرَضْتُ في المبحثِ الأوّلِ نشأةَ الإباضيّةِ وظروفَ ظهورِهَا، وَبَيَّنْتُ في المبحثِ الثّاني نِسْبةَ الإباضيّةِ وتأسيسَهَا، وَعَرَّجْتُ في المبحثِ الثّالثِ عنْ أهمِّ الآراءِ العقديةِ عندَ الإباضيّةِ، وفي المبحثِ الأخيرِ كانَ الحديثُ عنْ أماكنِ تواجدِ الإباضيّةِ.

أمّا الفصلُ الأخيرُ فكانَ بعنوانِ جدليّةِ العلاقةِ بين الإباضيّةِ والخوارجِ، وقسّمتُهُ بِدَوْرِهِ إلى خمسةِ مباحثَ، افتَتَحْتُ المبحثَ الأوّلَ بالحديثِ عنْ إدراجِ المؤرّخينَ فِرقَةَ الإباضيّةِ ضِمْنَ فِرَقِ الخوارجِ، وذكرتُ في المبحثِ الثّاني أسبابَ عدِّ الإباضيّةِ مِنْ فِرَقِ الخوارجِ، وطرحْتُ في المبحثِ الثّالثِ موقِفَ الإباضيّةِ مِنَ الخوارجِ، وفي المبحثِ الرّابعِ ذَكَرْتُ رُدُودَ علماءِ الإباضيّةِ على كُتّابِ

المقالاتِ والفِرَقِ، أمَّا المبحثُ الأخيرُ فكانَ الحديثُ فيهِ عنْ براءةِ الإباضيّةِ مِنَ الفِكْرِ الخارجيِّ، وَخَتَمْتُ بَحْثِي بِخَاتِمَةٍ حَوَتْ أهمَّ النتائجِ وفهارِسَ.

٩ - صُعُوبَاتُ الْبَحْثِ

كمَا هوَ الحالُ في كلِّ بحثٍ أكاديميٍّ، فَهُوَ لَا يَخْلُوا مِنْ صُعُوباتٍ وعَراقيلَ، ومِنْ بينِ هذهِ الصُّعُوباتِ:

أ - صعوبةُ التّنقلِ للوصولِ إلى المصادرِ الإباضيّةِ خاصّةً، لِكَوْنِهَا غيرَ متوفرةٍ بكثرةٍ في المكتباتِ العامّةِ.

ب - تَزَامُنُ فترةِ بَحْثِي معَ العُطلةِ الصَّيْفيّةِ ممَّا أَعَاقَ اتِّصَالِي بالمكتباتِ الجامعيّةِ.

١٠ - الشُّكْرُ وَالتَّقْدِيرُ

الشُّكْرُ تُرْجُمَانُ النِّيّةِ ولِسانُ الطّويّةِ وحَبْلُ الإخلاصِ.. وَأَحَقُّ مَنْ يُشْكَرُ في هذا المقامِ هوَ اللهُ الواحدُ المَنَّانُ الذّي وَفَّقَنِي بِتَوْفِيقِهِ وَأَمَدَّنِي بِعوْنِهِ، فلَهُ الشُّكْرُ أوّلاً وأخيرًا..

وَأَتَقَدَّمُ بِأَسْمَى عباراتِ الشُّكْرِ والاحترامِ إلى مَنْ مَدَّ لي يدَ العوْنِ، وذَلَّلَ لي الصِّعابَ التّي وَاجَهَتْ سَيْرَ بَحْثِي أُسْتَاذِي المُشْرِفَ الدّكتورَ: "علي العشّي"، الذّي

تَبَنَّى هذا العَملَ بالرِّعايةِ والإشرافِ، فَأَحَاطَهُ بالمُساعدةِ الصَادقةِ والتَشجيعِ المُتواصلِ، فَجَزَاهُ اللهُ عنِّي خيرَ الجزاءِ.

وَأُوَجِّهُ شُكْرِي لمكتبةِ عمّي سعيد ومكتبةِ أبي إسحاقَ أطفيَّش غرْدَايَة بالجزائرِ علَى ما قَدَّمُوهُ لِي، فَلَهمْ منّي كُلُّ التَحيَّةِ والتَقديرِ. وهلْ جزاءُ الإحسانِ إلاَّ الإحسان..

وَلاَ أَدَّعِي أَنَّنِي أَتَيْتُ بالجديدِ، ولكنْ هيَ دراسةٌ كَحَجَرِ أَسَاسٍ يُمْكِنُ للباحثينَ أنْ يَبْنُوا عليها أبحاثًا أوسعَ وأشملَ، فما كانَ في دراستِي مِنْ توفيقٍ فمِنَ اللهِ الواحدِ الأحدِ المنّانِ، وما كانَ فيها مِنْ تقصيرٍ أوْ سهوٍ أوْ نسيانٍ فمِنْ نفسِي الأمّارةِ بالسوءِ والشّيطانِ.

وَصَلَّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ علَى رسولِكَ النّبيِّ الكريمِ، وعلَى آلِهِ وأصحابِهِ أجمعينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

الْفَصْلُ الأَوَّلُ: الْفِكْرُ الْخَارِجِيُّ - النَّشْأَةُ وَالتَّطَوُّرُ

تَمْهِيدٌ

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: التَّعْرِيفُ بِالْخَوَارِجِ

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: نَشْأَةُ الْخَوَارِجِ وَأَسْبَابُ خُرُوجِهِمْ

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: تَسْمِيَاتُ الْخَوَارِجِ وَأَلْقَابُهُمْ

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: فِرَقُ الْخَوَارِجِ

تَمْهِيدٌ:

إنَّ أهلَ الباطلِ يُحَاوِلُونَ بشتَّى الطُّرُقِ والوسائلِ صَرْفَ النَّاسِ عامَّةً، وأصحابَ الدّعواتِ الصّادقةِ خاصّةً، عنْ فَهْمِ حقيقةِ دِينِهِمْ، وَيُرِيدُونَ مِنْهُمْ أنْ يُكوِّنُوا صُورًا باهتةً لهذا الدّينِ، فالظّالمونَ في كلِّ عصرٍ يُشِنُّونَ حملاتٍ إعلاميّةً مسعورةً علَى أولياءِ الرَّحْمَنِ، ويقصدونَ مِنْ وراءِ ذلكَ تحقيقَ أهدافِهِم.

وقدْ كُتِبَ علَى الأمّةِ الإسلاميّةِ - في كثيرٍ مِنْ أدوارِ التّاريخِ - أنْ تَنْقَسِمَ إلى طوائفَ دينيّةٍ مختلفةٍ بعضَ الاختلافِ، وقدِ انْجَرَفَتْ في تيّارٍ سياسيٍّ منحرفٍ عنْ نَهْجِ الإسلامِ، لكنَّ الأمّةَ المسلمةَ الكبرَى لمْ تزلْ ولنْ تزالَ تؤدِّي رسالتَهَا؛ والمؤمنونَ لاَ يزالونَ يُحافظونَ علَى هذهِ الرسالةِ الخالدةِ بتقديسٍ واعتزازٍ.

إنَّ الكوارثَ الحاضرةَ والنّكباتِ المتواليةَ على المسلمينَ جعلتْ كلَّ حُرٍّ يَسْتَخْدِمُ فِكْرَهُ في الفحصِ عنْ وسائلِ التخلّصِ، ويتمنّى أنْ يلتفَّ المسلمونَ حولَ بعضِهِمْ بعض، وتجتمعَ كَلِمَتُهُمْ وَيَحْصلَ الاحترامُ والتأييدُ فيما بَيْنَهُم[1].

[1] - صالح بن داود يوسف بافولولو: من لا يعرف الإباضيّة، تقديم: الشيخ محمد أيوب صدقي، إبراهيم بكير بحّاز، دار نزهة الألباب، مطبعة الواحات غرداية، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٦٩.

وَعَدَمُ فَهْمِ كثيرٍ مِنَ النّصوصِ مِنْ طَرَفِ البعضِ أدَّى بِهِمْ إلى الحَيْدِ عن الطّريقِ القويمِ، وهذا ما نراهُ بأعيُنِنَا في هذا الزّمانِ، مِنَ انحرافاتٍ كُلُّهَا ناتجةٌ عنْ سوءٍ في الفهمِ، أوْ ربّما تَعَصُّبٍ لِفِكرةٍ، وَقَدْ عَانَى المسلمونَ مِنَ اختلافٍ في فَهْمِ بعضِ النّصوصِ، مِمّا أدّى إلى تفرُّقِهِم، وذلكَ قَبْلَ قُرونٍ مِنَ الزّمانِ.

الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ: ظُهُورُ مُصْطَلَحِ الْخَوَارِجِ

الْمَطْلَبُ الْأَوَّلُ: فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ

وهوَ ما يُطلَقُ عليهِ الخروجُ العقديُّ عِنْدَمَا أَعْلَنَ ذُو الخَوَيْصرةِ اعْتِرَاضَهُ علَى حُكمِ النّبيِّ ﷺ، فأصْلُ الخوارجِ نَبَتَ في عهدِهِ ﷺ نفسِهِ، ومِنْ ثَمَّ فهوَ سابقٌ للثّورةِ علَى الخليفةِ عثمانَ بنِ عفانَ (٣٥هـ/٦٥٦)، وعلَى معركةِ الجملِ (٣٦هـ/٦٥٧) وَمَا لَحَقَهُمَا مِنْ فِتَنٍ، فمُصطلحُ الخروجِ بدأتْ جذورُهُ في عهدِ النّبيِّ ﷺ، "فعنْ أبي سعيدٍ قالَ: بينَمَا النبيُّ ﷺ يُقَسِّمُ جاءَ عبدُ اللهِ بنُ ذي الخُوَيصرةِ التّميميُّ فقالَ: اِعْدِلْ يا رسولَ اللهِ. فقالَ: **وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟** قالَ عمرُ بنُ الخطابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ. قالَ: **دعْهُ؛ فإنَّ لهُ أصحابًا يحقرُ أَحَدُكُمْ صلاتَهُ معَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي قَذَذِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نَضِيِّهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرثَ وَالدَّمَ، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ - أَوْ قَالَ:**

ثَدْيَيْهِ - مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ"[1].

وعنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ قالَ: "بعثَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ اليمنِ بِذُهَيْبَةٍ في أديمٍ مقروظٍ[2] لمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قالَ: فَقَسَّمَهَا بينَ أربعةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بنِ بَدْرٍ، وَأَقْرَعَ بنِ حَابِسٍ، وزيْدِ الخيْلِ، وَالرَّابعُ إمّا عَلْقَمَةُ، وإمّا عَامرُ بنُ الطُّفَيْلِ. فقالَ رجلٌ منْ أَصْحَابِهِ: كنَّا نحنُ أحقَّ بهذَا منْ هؤلاءِ. فبلغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ فقالَ: "أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟ قالَ: فقامَ رجلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الجبهةِ،كثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإزارِ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، اتَّقِ اللهَ. قالَ: وَيْلَكَ! أَوَ لَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ؟ قالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ. قالَ خالدُ بنُ الوليدِ: يا رسولَ اللهِ، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قالَ: لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي. فقالَ خالدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يقولُ بلسانِهِ ما ليسَ في قلبِهِ. قالَ رسولُ اللهِ

---

[1]- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار الكُتب العلميّة، بيروت، لبنان،ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، كتاب: إستتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب رقم (٧): باب من ترك قتال الخوارج للتآلف ولئلاّ يَنفرَ الناس عنه، حديث رقم: ٦٩٣٣، ج١٣، ص٢٤٨ – ٢٤٩.

[2]- المقروظ المدموغ بالقرض، وفي نسخة لم تحصل أيّ تميّز.

ـــــ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي (ت٥٩٧هـ): تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ، ص٨٨.

ﷺ: إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أَنْقُبَ قلوبَ النّاسِ ولاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ. قالَ: ثُمَّ نظرَ إليهِ وهوَ مُقَفٍّ فقالَ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ[1] هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطبًا لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ. وَأَظُنُّهُ قَالَ: لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ"[2].

فَبِقدْرِ استطاعتِي وَتَتَبُّعِي لِبدايةِ ظهورِ هذا المصطلحِ وجدتُ أنَّهُ قدْ بدأَ معَ سلَفِ الخوارجِ الأوَّلِ ذِي الخويصرةِ، الذّي حَكَمَ عليهِ النّبيُّ ﷺ بالخروجِ، وقالَ فيهِ: "يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا الرَّجُلِ.." فمِنْ هنا ظهرَ مصطلحُ الخروجِ، وإلاَّ فإنَّ هذا المصطلحَ لمْ يُطْلَقْ بهذا المعنَى قبلَ هذهِ الحادثةِ.

---

[1] - الضئضئ وهو بضادَيْن معجمتَيْن مكسورتيْن وآخره مهموز، وهو أصل الشيْء وروى بالمهمَلَتيْن.

- ابن الجوزي: تلبيس إبليس، مصدر سابق، ص٨٨.

[2] - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب المغازي، باب رقم ٦٢: باب بعثُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجّة الوداع، حديث رقم ٤٣٥١، ج٩، ص٥٨.

- محيي الدّين أبي زكريّا يحي بن شرف النّووي: صحيح مُسلم بشرح النّووي، تحقيق: أبو صهيب محمّد بن سامح، دار ابن الجوزي، جمهوريّة مصر العربيّة، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، كتاب الزكاة، باب رقم: ٤٨، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم: (١٠٦٤ / ١٤٤)، المجلد: الرابع، ج٧، ص ١٤٦ – ١٤٧.

المطلبُ الثَّانِي: في عهدِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ

وهوَ ما يُطلَقُ عليهِ الخروجُ السّياسيُّ في زمنِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ إِثْرَ حَادثةِ التّحكيمِ، فقدْ خَرجتْ طائفةٌ مِنْ جيشِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ تَرْفَعُ شِعارَ إِنِ الحُكْمُ إلاَّ للهِ، ثمَّ عَسْكَرُوا في منطقةٍ تُسَمَّى "حرُورَاءَ" في نواحِي الكوفةِ مُكَفِّرِينَ بذلكَ كلَّ مَنْ أَسْهَمَ في التّحكيمِ أَوْ رَضِيَ بِهِ[1].

ولفظُ الخوارجِ ذو شهرةٍ واسعةٍ تُكثِرُ مِنْ استعمالِهِ كُتُبُ التّاريخِ والفِرَقِ القديمةِ والحديثةِ، ويتردّدُ هذا المصطلحُ فيها بِوَفرةٍ عندَ إيرادِ الأحداثِ المبتدئةِ مِنْ رفعِ المصاحفِ في صِفّين، وَرَغْمَ أنّهُ أُسقِطَ علَى فترةٍ متقدِّمةٍ مِنَ التّاريخِ الإسلاميِّ إلاَّ أنَّ بداياتِ ظهورِهِ - باعتبارِه مصطلحًا - متأخرةٌ عن تلكَ الفترةِ. ويبدُو أنَّ هذا أمرٌ طبيعيٌّ في عامّةِ المصطلحاتِ المتعلّقةِ بالآراءِ والتيّاراتِ والفِرَقِ والمذاهبِ[2].

وَيَفْتَقِرُ مُصطلحُ الخوارجِ عن إعطاءِ تاريخٍ يكشفُ عنْ بدءِ نشأتِهِ دونَ الالتفاتِ إلى الفَترةِ أوِ الجماعةِ التّي أُطلقَ عليها، وقدْ تتبّعتُ بِقدرِ استطاعتِي تاريخَ الطّبريِّ لِكونِهِ مِنْ أهَمِّ المصادرِ التّي أفاضتْ في الحديثِ عنْ هذا

---

[1] ـــــ علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفِرق الإسلاميّة، الرّؤى والمرجعيّات، مطبعة تونس، قرطاج، تونس، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص١٢٦ ـــ ١٢٧.

[2] ـــــ ناصر بن سليمان بن سعيد السّابعي: الخوارج والحقيقة الغائبة، دار المنتظر، بيروت، لبنان، د ط، ٢٠٠٠م/١٤٢٠هـ ص١٤١.

الموضوعِ، وذلكَ مِنْ فترةِ التحكيمِ إلى فترةِ خُروجِ الأزارقةِ، فَلَمْ أَعْثُرْ علَى لفظِ الخوارجِ إلاَّ في النصوصِ الآتيةِ:

ففي سنةِ سبعٍ وثلاثينَ يقولُ الطَبريُّ:

ولمَّا خرجتِ الخوارجُ منَ الكوفةِ أتَى عليًّا أصحابُهُ وشيعتُهُ فبايعُوهُ، وقالُوا: نحنُ أولياءُ مَنْ واليْتَ، وأعداءُ مَنْ عاديْتَ، فشرطَ لهُمْ فيهمْ سُنَّةَ رسولِ اللهِ ﷺ، فجاءَهُ ربيعةُ بنُ أبي شدّادٍ الخثعميُّ أحدُ الذينَ انْضَمُّوا إلى أهلِ النهروانِ - وكانَ قدْ شهدَ معهُ الجملَ وصفِّينَ، ومعهُ رايةُ خثعمَ - فقالَ لهُ: بايِعْ علَى كتابِ اللهِ وسنّةِ رسولِ اللهِ ﷺ. فقالَ ربيعةُ: علَى سُنَّةِ أبي بكرٍ وعمرَ ﷺ. قالَ لهُ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: وَيْلَكَ! لوْ أنَّ أبا بكرٍ وعمرَ ﷺ عَمِلاَ بِغَيْرِ كتابِ اللهِ وسنّةِ رسولِ اللهِ ﷺ لمْ يَكُونَا علَى شيءٍ مِنَ الحقِّ. فَبَايَعَهُ، فنظرَ إليهِ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وقالَ: " أَمَا واللهِ لكأنِّي بكَ وقدْ نفرْتَ معَ هذهِ الخوارجِ فقُتِلْتَ، وكأنِّي بكَ وقدْ وطِئتْكَ الخيلُ بحوافرِهَا". فقُتلَ يومَ النهرِ معَ خوارجِ البصرةِ[1].

وقالَ أبو مخْنَفٍ عنْ عطاءِ بنِ عجلانَ، عنْ حُميدِ بنِ هلالٍ: "إنَّ الخارجةَ التي أَقْبَلَتْ مِنَ البصرةِ جاءتْ حتَّى دَنَتْ مِنْ إخوانِهَا بالنهرِ، فَخَرجتْ عصابةٌ منهمْ، فإذَا همْ برجلٍ يَسُوقُ بامرأةٍ علَى حمارٍ، فعَبَرُوا إليهِ، فَدَعَوْهُ فَتَهَدَّدُوهُ

[1] ـــــ الطَبري، أبو جعفر محمّد بن جرير(٢٢٤/٣١٠هـ): تاريخ الطَبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٣، ص١١٦.

وَأَفْزَعُوهُ، وقالُوا لهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قالَ: أنا عبدُ اللهِ بنُ خبّابٍ صاحبُ رسولِ اللهِ ﷺ، ثمَّ أَهْوَى إلَى ثوبِهِ يتناولُهُ مِنَ الأرضِ - وكانَ سقَطَ عنهُ لمَّا أَفْزَعُوهُ - فقالُوا لهُ: أَفْزَعْنَاكَ؟ قالَ: نعمْ، قالُوا لهُ: لاَ رَوْعَ عَلَيْكَ"[1].

وقالَ أبو مريمَ: وكانَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ يُحَدِّثُنَا قبلَ ذلكَ "أنَّ قومًا يَخْرُجُونَ مِنَ الإسلامِ يَمْرُقُونَ مِنَ الدّينِ كما يمرُقُ السّهمُ مِنَ الرّميةِ، علامتُهُم رجلٌ مُخدجُ اليدِ. قالَ: وسمعتُ ذلكَ منهُ مِرارًا كثيرةً، قالَ: وسَمعَهُ نافعٌ "المخدجُ" أيضًا، حتَّى رَأَيْتُهُ يَتكَرَّرُهُ طعامَهُ مِنْ كثرةِ ما سَمِعَهُ، يقولُ: وكانَ نافعٌ مَعَنَا يُصَلِّي في المسجدِ بالنّهارِ ويَبيتُ فيهِ باللّيلِ، وقدْ كنتُ كسوتُه بُرْنُسًا، فلقيتُهُ مِنَ الغدِ، فَسَأَلْتُهُ: هلْ كانَ خرجَ معَ النّاسِ الّذينَ خرَجوا إلى حروراءَ؟ فقالَ: خرجتُ أُرِيدُهُمْ حتَّى إذا بلغتُ إلى بني سعدٍ، لَقِيَنِي صبيانٌ فَنَزَعُوا سلاحِي، وَتَلَعَّبُوا بِي، فرجعتُ حتّى إذا كانَ الحوْلُ أوْ نحوه خرَجَ أهلُ النّهرِ؟.... وسارتِ المعركةُ، ثمَّ أمرَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أصحابَهُ أنْ يَلْتَمِسُوا المخدَجَ، فَالْتَمَسُوهُ، فقالَ بعضُهُم: ما نجدُهُ، حتّى قالَ بعضُهُم: لا، ما هوَ فيهم. ثمَّ إنَّهُ جاءَ رجلٌ فبشَّرَهُ وقالَ: يا أميرَ المؤمنينَ، قدْ وجدنَاهُ تحتَ قَتيلَيْنِ في ساقِيَةٍ. فقالَ: اقْطَعُوا يدَهُ المُخدجَةَ، وَأْتُونِي بها، فَلَمَّا أُتِيَ بها أخذَهَا ثمَّ رَفَعَهَا، وقالَ: واللهِ ما كَذَبْتُ ولاَ كُذِّبْتُ"[2].

---

[1] ـــــ المصدر نفسه، ج٣، ص١١٩.

[2] ـــــ الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير(٢٢٤/٣١٠هـ): تاريخ الطّبري، تاريخ الأمم والملوك، مصدر سابق، ج٣، ص١٢٥.

ولمَّا دخلتْ سنةُ ثمانٍ وثلاثينَ؛ يقولُ الطّبريُّ: فلمَّا انقضَى أمرُ الحكومةِ كتبَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ إلى مالكِ بنِ الحارثِ بنِ الأشترِ، وهوَ يومئذٍ بنَصيبيْنِ: أمَّا بَعْدُ: "فإنَّكَ مِمَّنِ اسْتَظْهَرْتُهُ علَى إقامةِ الدّينِ، وَأقمعُ بهِ نخوةَ الأثيمِ، وأشُدُّ بهِ الثّغرَ المخُوفَ. وكنتُ ولّيتُ محمّدَ بنَ أبي بكرٍ مصرَ، فخرَجتْ عليهِ بها خوارجُ، وهوَ غلامٌ حَدَثٌ لَيْسَ بذِي تجربةٍ للحربِ، ولا بمجرّبٍ للأشياءِ.."[1].

ومِنْ هنا يَتَبَيَّنُ حسبَ رأيِي أنَّ مُصطلحَ الخوارجِ كمُصطلحٍ ظَهَرَ في فترةِ التّحكيمِ، ومعَ ظهورِ الأزارقةِ، وذلكَ في فترةِ الصّراعِ السّياسيِّ بينَهُم وبينَ عبدِ اللهِ بنِ الزّبيرِ عامَ أربعةٍ وستّينَ مِنَ الهجرةِ[2].

وأيضًا فإنَّ استعمالَ الأزارقةِ أنفسِهِم هذا المصطلحَ إنَّمَا كانَ في الفترةِ المذكورةِ، وممَّا وَرَدَ مِنْ ذلكَ قولُ قطريِّ بنِ الفُجَاءةِ المازنيِّ لأبِي خالدٍ القنّانيِّ، وكانَ مِنْ قَعْدِ الخوارجِ، وقدْ بايَعَهُ أصحابُهُ عامَ ثمانيةٍ وستّينَ مِنَ الهجرةِ:

أَبَـــا خَـــالدِ يَـــا نفـــرِ فلسْـــتَ بخـــالدِ

ومَـــا جعـــلَ الـــرّحمنُ عـــذرًا لقاعـــدِ

---

[1] ـــــ المصدر نفسه، ج٣، ص١٢٧.

[2] ـــــ المصدر نفسه، ج٣، ص٤٠٠.

أتـــــزْعُمُ أنَّ الخـــــارجيَّ علَى الْهُـــــدَى

وأنـــــتَ مُقِـــــيمُ لـــــصٍّ وَجَاجِـــــدِ

وأمَّا قولُ عيسَى بنِ فاتكٍ الخطيِّ في أبي بلالٍ مرداسٍ وأصحابِهِ وقدْ قُتِلُوا سنةَ ستينَ مِنَ الهجرةِ:

أَأَلْفَـــا مـــؤمنٍ فيمـــا زَعَمْـــتُم

وَيَهْـــزِمُهُمْ بِآســـك أَرْبَعُونَـــا

كَـــذبتُمْ لَـــيْسَ ذاكَ كَمَـــا زَعَمْـــتُمْ

وَلَكِـــنَّ الْخَـــوَارِجَ مُؤْمِنُونَـــا

المطلبُ الثّالثُ: تَرَادُفُ مُصْطَلَحَيِ الْخَوَارِجِ وَالْحَرُورِيَّةِ

في بعضِ الأحيانِ نَجِدُ أنَّ مصطلحَ الخوارجِ تزامَنَ معَ مصطلحِ الحروريّةِ، وبَقِيَ رديفًا لهُ عندَ المؤرِّخِينَ وَغَيْرِهِمْ.

وما يَدُلُّ علَى أنَّ لفظَ "الخوارجِ" هوَ رديفُ لفظِ "الحروريّةِ" قولُ ابنِ منظورٍ في تعريفِهِ للخوارجِ إذْ يقولُ: و"الخوارجُ": الحروريّةُ؛ والخارجيّةُ طائفةٌ منهمْ، لَزِمَهُمْ هذا الاسمُ لخروجِهِم عنِ النّاسِ. و"الخوارجُ" قومٌ مِنْ أهلِ الأهواءِ لهمْ مقالةٌ علَى حِدَةٍ[1].

يقولُ الطّبريُّ: قالَ أبو مخْنَفٍ عنْ أبي الصَّلْتِ التّيميِّ: إنَّ عليًّا كَتَبَ إلى سعدِ بنِ مسعودٍ الثّقفيِّ وهوَ عاملُهُ علَى المدائنِ: "أمَّا بعدُ؛ فإنّي قدْ بعثْتُ إليكَ زيادَ بنَ خصفَةَ فأشخِصْ معهُ مَنْ قِبَلَكَ مِنْ مقاتلةِ أهلِ الكوفةِ، وعَجِّلْ ذلكَ إنْ شاءَ اللهُ، ولاَ قوّةَ إلاَّ باللهِ".

قالَ: وبَلَغَ عليًّا أنَّ النّاسَ يقولونُ: لوْ سارَ بِنَا إلى هذهِ الحروريّةِ فَبَدَأْنَا بهمْ، فَإِذَا فَرَغْنَا منهمْ وجّهْنَا مَنْ وَجّهْنَا ذلكَ إلى المُحِلِّينَ! فقامَ في النّاسِ، فحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليهِ ثمَّ قالَ: "أمَّا بعدُ؛ فإنّهُ قدْ بلَغني قولُكُمْ: لوْ أنَّ أميرَ المؤمنينَ سارَ بنا إلى هذهِ الخارجةِ التي خرجَتْ عليهِ فَبَدَأْنَا بِهِمْ، فإذا فَرَغْنَا منهمْ وَجَّهْنَا إلى

---

[1] ـــــ ابن منظور الإفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم:(ت٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٦، ٢٠٠٨م، ج٥، باب الخاء،، ج٥، ص٤٠.

المُحِلِّينَ؛ وإنَّ غيرَ هذهِ الخارجةِ أهَمُّ إلينَا مِنْهُمْ، فدَعُوا ذِكْرَهُم، وَسِيرُوا إلى قومٍ يقاتلونَكُم كيْمَا يكونُوا جَبَّارِينَ مُلُوكًا، وَيَتَّخِذُوا عبادَ اللهِ خَوَلاً"[1].

وكانَ سَبَبُ تسميةِ الخوارجِ بالحروريَّةِ: أنَّ عليًّا لمَّا ناظرَهُم بعدَ مناظرةِ ابنِ عبّاسٍ رحمهُ اللهُ إيّاهُمْ، فكانَ مِمَّا قالَ لهمْ: "ألاَ تَعْلَمُونَ أنَّ هؤلاءِ القومَ لمَّا رَفَعُوا المصاحفَ قلتُ لكمْ: إنَّ هذهِ مكيدةٌ وَوهنٌ، وأنَّهُم لوْ قصدُوا إلى حُكمِ المصاحفِ لمْ يأتوني ثمَّ سألوني التَحكيمَ، أَفَعَلِمْتُمْ أنَّهُ كانَ منكمْ أحدٌ أَكْرَهَ لذلكَ مِنّي؟ قالوا: اللّهمَّ نَعَمْ، قالَ: فهلْ علمْتُم أنَّكُم استكرهتموني علَى ذلكَ حتّى أجبْتكمْ إليهِ، فاشترطتُ أنَّ حُكْمَهُمَا نافذٌ ما حكَمَا بِحُكمِ اللهِ ﷻ، فإنْ خالفَاهُ فأنَا وأنتمْ مِنْ ذلك برآءُ، أو أنتمْ تعلَمون أنَّ حُكْمَ اللهِ لاَ يعدونِي؟ قالُوا: اللّهمَّ نَعَم.." فرجعَ معهُ منهمْ ألفانِ مِنْ حروراءَ، ثمَّ قالَ: أنتمُ الحروريَّةُ، لاجتماعِكُم بحروراءَ".

"والنّسبُ إلى مثلِ "حرُوراءَ" "حرُورائِيٌّ" فَاعْلَمْ، وكذلكَ كُلُّ ما كانَ في آخرِهِ ألفُ التّأنيثِ الممدودةِ، ولكنَّهُ نَسَبٌ إلى البلدِ بحذفِ الزّوائدِ، فقيلَ "الحرُوريُّ"[2].

ويقولُ الأشعريُّ: "وللخوارجِ ألقابٌ، فمِن ألقابِهِم الوصفُ لهمْ بأنَّهُم خوارجُ، ومِنْ ألقابِهِم: "الحروريَّةُ"، ومِنْ ألقابِهِم "الشُّرَاةُ" ومِنْ ألقابِهِم

---

[1] ـــــ الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير(٢٢٤/٣١٠هـ): مصدر سابق، ج٣، ص١١٨.

[2] ـــــ المبرّد، الإمام أبو العبّاس: أخبار الخوارج مِن كتاب الكامل في اللغة والأدب والنّحو والتّصريف، مصدر سابق، ص١٧ ـــ ١٨.

"الحراريّةُ"، والسّببُ الذي لهُ سُمُّوا "خوارج" خُرُوجُهُم علَى عليٍّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، والذّي سُمُّوا لهُ حروريّة نُزُولُهُمْ بحروراءَ في أَوّلِ أمرِهِم"[1].

وما يدلُّ أكثرَ علَى أنَّ لفظَ "الخوارجِ" رَدِيفُ لَفْظِ "الحروريّةِ" نصُّ للمُبرّدِ فيقولُ: "فأقامَ المهلّبُ أربعينَ يومًا يجبِي الخراجَ بكورِ دجلةَ، والخوارجُ بنهرِ تيرِي، والزّبيرُ بنُ عليٍّ منفردٌ بعَسكرِهِ عنْ عسكرِ ابنِ الماجوزِ، فَقَضَى المهلّبُ التّجارَ وأعطَى أصحابَهُ، فأسرعَ إليهِ النّاسُ رَغبةً في مجاهدةِ الخوارجِ، ولمَا في الغنائمِ وللتّجاراتِ، فكانَ فيمَنْ أتاهُ محمّدُ بنُ واسعٍ الأزديُّ وعبدُ اللهِ بنُ رباحٍ ومعاويةُ بنُ قُرّةَ المزنيُّ، وكانَ يقولُ - يعنِي معاويةَ: "لوْ جاءَ الدّيلمُ مِنْ هاهنا والحروريّةُ مِنْ هاهنا، لحاربْتُ الحروريّةَ". وأبو عمرانَ الجونيُّ كانَ يقولُ: كانَ كعبٌ يقولُ: "قتيلُ الحروريّةِ يَفْضُلُ قتيلَ غيرِهِمْ بعشَرةِ أنوارٍ"[2].

---

[1] ـــــ الأشعري، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ): مقالات الإسلاميّين واختلاف المُصلّين، تحقيق: هلموت ريتر، دار فرانز شتايتر بقيسبادن، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٨٩٠م، ص١٢٩.

[2] ـــــ المبرّد، الإمام أبو العبّاس: أخبار الخوارج مِن كتاب الكامل في اللغة والأدب والنّحو والتّصريف، مصدر سابق، ص١٠١ ـــــ ١٠٢.

المبحثُ الثّاني: التعريفُ بالخوارجِ

المطلبُ الأولُ: تعريفُ الخوارجِ والخروجِ لغةً

الخوارجُ جَمْعُ خَارِجٍ، وخارجيٌّ اسمٌ مشتقٌّ مِنَ الخروجِ. وقبلَ أنْ نتناولَ بالتّعريفِ مدلولَ هذا الاسمِ في تاريخِ الفِرقِ الإسلاميّةِ فإنّنا سنحاولُ أنْ نتعرّفَ على أصلِهِ الاشتقاقيِّ كما هوَ عندَ علماءِ اللّغةِ، وذلكَ لِمَا بينَ المعنيَيْنِ الاصطلاحيِّ واللّغويِّ مِنْ تَرَابُطٍ.

يقولُ الجوهريُّ في الصِّحَاحِ: "خَرَجَ" خروجًا ومَخْرجًا، وقدْ يكونُ المخرَجُ موضعَ الخُروجِ. يُقالُ: خَرَجَ مَخْرجًا حسنًا، وهذا مَخرجُهُ، وأمَّا الْمُخرجُ فقدْ يكونُ مصدرَ قولِكَ: أَخْرَجَهُ، والمفعولَ بهِ واسمَ المكانِ، فتقولُ: أَخْرِجْنِي مُخرجَ صدقٍ، وهذا مُخرَجُه؛ لأنَّ الفِعلَ إذا جاوَزَ الثلاثةَ فالميمُ منهُ مضمومةٌ، مثلُ: دَحْرَجَ وهذا مُدَحْرَجُنَا، فشبهُ مُخْرَجٌ بيناتُ الأربعةِ. والاستخراجُ كالاستنباطِ.

والخَرْجُ والخَرَاجُ، الإِتَاوَةُ، ويُجْمَعُ علَى أَخْراجٍ، وأخَارِيجَ وأَخْرِجَةٍ.والخَرْجُ: اسمُ موضعٍ باليمامةِ.

والخَرْجُ: السَّحابُ أوّلَ ما يَنْشَأُ، يُقالُ خَرَجَ لهُ خَرْجٌ حَسَنٌ، والخَرْجُ خلافُ الدّخلِ. وخَرَّجَهُ في الأدبِ فتخَرَّجَ، وهوَ خِرِّيجُ فُلانٍ علَى فِعِّيلٍ بالتّشديدِ، مثالُ: عِنِّينٌ بِمَعْنَى مَفْعُولٍ[1].

ويُقالُ: ناقةٌ مُخْتَرِجَةٌ، إذا خَرَجَتْ عنْ خِلْقَةِ الجَمَلِ. والخَرُوجُ: النَّاقةُ تَخْرُجُ مِنَ الإبلِ، تَبْرُكُ ناحيةً؛ وهوَ مِنَ الخُرُوجِ. والخَرِيجُ فيما يُقالُ: لُعبةٌ لِفِتيانِ العربِ، يُقالُ فيها: خَراجِ خَراجِ. قالَ الهذليُّ:

أَرِقْتُ لهُ ذاتَ العِشاءِ كأنّهُ مخاريقُ يُدْعَى بَيْنَهُنَّ خَرِيجُ[2]

والخُروجُ فَرسٌ يَطُولُ عُنقُهُ فَيَغْتَالُ بِعُنُقِهِ كلَّ عِنانٍ جُعِلَ في لِجَامِهِ، وناقةٌ تبرُكُ ناحيةً في الإبلِ[1].

---

[1] ـــــ الجوهري، إسماعيل بن حمّاد(ت٣٨٥هـ): الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، د د، طُبِع على نفقة: حسن عبّاس الشّربتلي، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج١، ص٣٠٩.

ـــــ ابن فارس، بن زكريّا أبو الحسن أحمد(ت٣٩٥هـ): مُعجم مقاييس اللّغة، تحقيق وضبط: عبد السّلام محمّد هارون، دار إحياء الكُتُب العربيّة، عيسى الباي الحلبي وشُركاؤه، ط١، ١٣٦٦هـ، ج٢، ص١٧٥ـــ ١٧٦.

ـــــ الفيروزآباذي، مجد الدّين(ت٨١٠هـ): القاموس المُحيط، مؤسّسة فنّ الطّباعة، مصر، د ط، د ت، ج١، ص١٨٤.

[2] ـــــ ابن فارس، بن زكريّا أبو الحسن أحمد: مُعجم مقاييس اللّغة، مصدر سابق، ج٢، ص١٧٦.

وَ"الخُروجُ" نقيضُ الدّخولِ، والمَخْرَجُ: مَوْضِعُ الخُروجِ، يُقالُ: خَرَجَ مَخْرَجًا حَسَنًا، وهذا مَخْرَجُهُ، والمُخارَجَةُ: المُناهدةُ بالأصابعِ، وَ"الخُرُوجُ" في قولِهِ تعالى يومَ الخُروجِ: أيْ يومَ يَخْرُجُ النّاسُ مِنَ الأجداثِ. وقالَ أبو عبيدةَ: يومُ الخُروجِ مِنْ أسماءِ يومِ القيامةِ. وَ"استُخْرِجَتْ" الأرضُ: أُصْلِحَتْ للزراعةِ أوِ الغِراسةِ.

وَ"الخُروجُ": خُرُوجُ الأديبِ والسّائِقِ ونحوِهِمَا يُخَرِّجُ فَيَخْرُجُ. وَخَرَجَتْ خوارجُ فلانٍ: إذا ظهرَتْ نجابَتُهُ، وَتَوَجَّهَ لإبرامِ الأمورِ وإحكامِهَا[1].

وَ(خَرَجَ) خروجًا، نَقِيضُ دَخَلَ دخولاً، و(مَخْرجًا) بالفتحِ مصدرٌ أَيْضًا، فهوَ خارجٌ وخَروجٌ، وخَرّاجٌ، وقدْ أَخْرَجَهُ، وَخَرَجَ بهِ. (والمخرجُ أيضًا: مَوْضِعُهُ) أيِ الخُروج، يُقالُ: خَرَجَ مخْرجًا حسنًا، وهذَا مخْرَجُهُ ويكونُ مكانًا وَزَمَانًا[2].

وَ"خَرَجَ" خروجًا: بَرَزَ مِنْ مقرِّهِ أوْ حالِهِ وانفَصَلَ. ويُقالُ: خرجتِ السّماءُ: أَصحَتْ وانقَشعَ عنها الغَيْمُ. وَخَرَجَتْ خوارجُ فلانٍ: ظهرتْ نجابتُهُ. وخرجَ مِنَ

---

[1] ـــــ الفيروزآباذي، مجد الدّين: القاموس المُحيط، مصدر سابق، ج١، ص١٨٥.

[2] ـــــ ابن منظور الإفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم:(ت٧١١هـ): لسان العرب، مصدر سابق، ج٥، باب الخاء، ص٣٩.

[3] - محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: نواف الجرّاح، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠١١م، لفظ: خرج، ص٦٠٩.

- الرازي، أبو بكر بن عبد القادر (ت٦٦٦ هـ): مختار الصّحاح، د د، ط١، ١٩٦٧م، لفظ: خرج، ص١٧١.

الأمرِ أوِ الشدّةِ: خَلصَ منهُ. وَخَرَجَ منْ دَيْنِهِ: قضاهُ. وَخَرَجَ على السلطانِ: تمرّدَ وثارَ. وَخَرَجَ في العلمِ أوِ الصّناعةِ: نَبَغَ فيهِمَا. والسّحابُ: اتَّسَعَ وانبَسَطَ. وبهِ: أَخْرَجَهُ. فهوَ خارجٌ، وَخَرَّاجٌ[1].

وَ"خَرَجَ" خروجًا ومخرجًا منْ مَوْضِعِهِ: بَرَزَ، وبهِ: أَخْرَجَهُ، وعليهِ: بَرَزَ لِقِتَالِهِ، وإلى فلانٍ منْ دَيْنِهِ: قَضَاهُ إيّاهُ، وفي العلمِ: نَبَغَ الرعيّةُ على الملكِ: تَمَرَّدَتْ عليهِ، وعنِ الطّريقِ: حادَ، وعَنِ الخطِّ: حادَ عنهُ (يقالُ ذلكَ للقطارِ)، "لاَ يَخْرُجُ عنْ": لاَ يَتَخَطَّى كذَا، يَبْقَى ضِمْنَ حدودِ كَذَا[2].

وَ(خَرَجَ) يخرُجُ اخْرُجْ خُرُوجًا الشّيْءُ: ظَهَرَ مِنْ مكانِهِ منَ الشّدّةِ: تخلَّصَ منها، والخُرُوجُ: هوَ الظهورُ[3].

وَ(خَرَجَ) يخرجُ خُرُوجًا: بَرَزَ، وخرجَ في العِلمِ: نبغَ وتخرَّجَ في الشِّعرِ، وَ(خَرَجَ علَى الأميرِ) خَلَعَ طاعَتَهُ، والخارجيُّ ضدُّ الدّاخليِّ[1].

---

[1] - إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد: المعجم الوسيط، مَجمع اللغة العربية، مطابع دار المعارف بمصر، ط ٢، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ج١، ص ٢٢٤.

[2] - المُنجِد الأبجدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط ٨، ١٩٨٦م، ص٤٠٣.

[3] - المفتاح، قاموس عربي أبجدي مبسّط، مع ملاحق في النحو والصرف، إنجاز شركة دار الأمّة، برج الكيفان، الجزائر، طبعة جديدة، دط، ١٩٩٦م، ص١٢١.

والخارجيُّ: الذّي يسودُ بِنفسِهِ مِنْ غيرِ أنْ يكونَ لهُ قديمٌ. وبَنُو الخارجيّةِ قومٌ مِنَ العَربِ، النِّسبةُ إليهمْ خارجيٌّ. وقولُهُم: "أَسْرَعُ مِنْ نِكاحِ أُمِّ خارجَةٍ"، هيَ امرأةٌ مِنْ بَجيلةَ وَلَدَتْ كثيرًا مِنْ قبائلِ العَربِ، كانوا يَقُولُونَ لهَا: خِطْبٌ، فتقولُ: نِكْحٌ.

وخارجَةُ ابنُها، ولاَ يُعلَمُ مِمَّنْ هوَ، ويُقالُ: هوَ خارجَةُ بنُ بكرِ بنِ يَشكرَ.. والخَرَجُ بالتّحريكِ: لَوْنَانِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ، ويُقالُ: كَبْشٌ أخْرَجُ. وظَلِيمٌ أَخْرَجُ: بَيِّنُ الخَرَجِ.

وتَخريجُ الرّاعيةِ المُرتعَ: أنْ تأكُلَ بعْضَهُ وتَتْرُكَ بعضًا، وأرضٌ مُخَرَّجَةٌ؛ أيْ: نَبْتُهَا في مكانٍ دونَ مَكانٍ، وَعَامٌ فيهِ تَخريجٌ؛ أيْ: خصبٌ وجَدْبٌ[2].

---

[1]- محمّد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، الرابع عشر ـــــ العشرين، دار الفكر، بيروت، د ط، د ت، لفظ خرج، ج٣، ص٦٩٠.

[2] ـــــ الجوهري، إسماعيل بن حمّاد: الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، مصدر سابق، ج١، ص٣١٠.

ـــــ ابن فارس، بن زكريّا أبو الحسن أحمد: مُعجم مقاييس اللّغة، مصدر سابق، ج٢، ص١٧٦.

ـــــ الفيروزآباذي، مجد الدّين: القاموس المُحيط، مصدر سابق، ج١، ص١٨٥.

وَ"الخارجيُّ": الذّي يخرُجُ ويشْرفُ بنفسِهِ مِنْ غيرِ أنْ يكونَ لهُ قديمٌ؛ و"الخارجيّةُ": خَيْلٌ لا عِرْقَ لها في الجوْدةِ فَتُخَرّجُ سَوَابِقَ، وهيَ معَ ذلكَ جِيادٌ. وقيلَ "الخارجيُّ": كلُّ ما فَاقَ جِنْسَهُ وَنَظَائِرَهُ[1].

والخوارجُ مِنْ أهلِ الأهواءِ لهمْ مقالةٌ علَى حِدةٍ سُمُّوا بِهِ لِخُروجِهِمْ علَى النّاسِ[2].

و"الخارِجُ": الظاهرُ مِنْ كلِّ شيءٍ: نَقِيضُ الدّاخلِ "في الخارِجِ": خَارِجِ البلادِ، في الغُربةِ، و"إلى الخارِجِ": إلى الغربةِ، إلى بلادٍ بعيدةٍ، "خَارِجًا": نقيضُ في الداخلِ[3].

و"الخارِجُ" مِنْ كلِّ شيءٍ: ظَاهِرُهُ. وَالْمَحْسُوسُ.

و"الخارجيُّ": مَنْ فاقَ جِنسَهُ ونظائرَهُ، ومَنْ سادَ وليسَ لهُ أصلٌ في ذلكَ. ويُقالُ: فرسٌ خارجيٌّ: لا عِرقَ لهُ في الجَوْدَةِ وهوَ معَ ذلكَ مِنَ الجيادِ. خَارِجِيَّةٌ،

---

[1] ـــــ ابن منظور الإفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم: مصدر سابق، ج٥، ٣٩.

[2] ـــــ الفيروزآباذي، مجد الدّين: القاموس المُحيط، مصدر سابق، ج١، ص١٨٥.

[3] - المُنجِد الأبجدي، مصدر سابق، ص٣٩٤.

وَرَجُلٌ خَرَجَ على سلطانٍ أوْ رَأْيٍ. وأَحَدُ الْخَوَارِجِ. ووزارةُ الخارجيّةِ: ولايةٌ تُشْرِفُ على أمورِ البلدِ المتّصلةِ بالبلادِ الخارجةِ عنهُ[1].

و"الخارجيُّ" نَقِيضُ الداخليِّ: مَنْ يَسُودُ بنفسِهِ مِنْ غيرِ أنْ يكونَ لهُ قِدَمٌ في السّيادةِ، أوْ يكونُ شجاعًا وهوَ ابنُ جَبَانٍ، مَنْ خَالَفَ السّلطانَ والجماعةَ، مَنِ اعْتَقَدَ بِمَذْهَبِ الْخَوَارِجِ، "تِلْمِيذٌ خارجيٌّ": هوَ الذِي لاَ يأكلُ ولا ينامُ في المدرسةِ[2].

وَ"الخوارجُ": الحروريّةُ؛ والخارجيّةُ طائفةٌ منهمْ لَزِمَهُمْ هذا الاسمُ لخروجِهِم عنِ النّاسِ. و"الخوارجُ" قومٌ مِنْ أهلِ الأهواءِ لهمْ مقالةٌ علَى حِدَةٍ[3].

وقدْ وردَ الخروجُ في القرآنِ الكريمِ بمعنَى الجهادِ، فقالَ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾[4]، وكذلكَ قولُهُ ﷻ: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾[5].

---

[1] - إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد: المعجم الوسيط، مصدر سابق، ص ٢٢٤.

[2] - المُنجِد الأبجدي، مصدر سابق، ص ٣٩٤.

[3] ـــــ ابن منظور الإفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم: مصدر سابق، ج٥، ص٤٠.

[4] - سورة التوبة، الآية: ٤٦.

[5] - سورة التوبة، الآية: ٨٣.

و(الخروجُ): (في عِلْمِ القافيةِ): حرفُ مدٍّ يَلِي هاءَ الوصلِ في القافيةِ المطلقةِ. ويومُ الخُروجِ: يومُ البعثِ، ويومُ العيدِ. وفي حديثِ سُوَيْدٍ: "دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ في يَوْمِ الخُرُوجِ، فَإِذَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَاثُورٌ عَلَيْهِ خُبْزُ السَّمْرَاءِ وَصَحِيفَةٌ فِيهَا خطيفَةٌ"[1].

وَيُقَابِلُ الخارِجِينَ للجهادِ ما ذَكَرَ اللهُ منَ الْمُخَلَّفِينَ في قولِهِ تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾[2]، وَالْخَالِفِينَ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴾[3]، وَالْخَوَالِفِ في قولِهِ ﷻ: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾[4].

ووَرَدَ في الحديثِ: (الْخَارِجُ بِمَعْنَى الْمُجَاهِدِ)، فمِمَّا أخرجَهُ مسلمٌ وأبو داودَ عنْ أبي سعيدٍ الخدريِّ:

"أَيُّكُمْ خَلَفَ الْخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الْخَارِجِ"[5].

---

[1] - إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد: المعجم الوسيط، مصدر سابق، ص٢٢٥.

[2] - سورة التوبة، الآية: ٨١.

[3] - سورة التوبة، الآية: ٨٣.

[4] - سورة التوبة، الآية: ٨٧.

[5] - محيي الدين أبي زكريّا يحي بن شرف النّووي (ت ٦٧٦هـ): صحيح مُسلم بشرح النّووي، تحقيق: أبو صهيب محمّد بن سامح، دار بن الجوزي، جمهوريّة مصر العربيّة، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، كتاب الإمارة، باب رقم ٣٨، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله

ووردَ بمعنَى الهجرةِ كمَا في قولِهِ ﷻ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1].

و(الخوارجُ) فِرْقَةٌ منَ الفِرَقِ الإسلاميّةِ خَرَجُوا على الإمامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وخالَفُوا رأيَهُ. ويُطْلَقُ علَى مَنْ خَرَجَ علَى الخلفاءِ ونحوِهِم[2].

يأتِي لفظُ الخروجِ في اللّغةِ لعدّةِ معانٍ: منهَا أنّهُ يأتي بمعنَى يومِ القيامةِ، قالَ أبو عبيدةَ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾[3]، "الخروجُ اسمٌ منْ أسماءِ يومِ القيامةِ". ويأتي بمعنَى البعثِ يومَ القيامةِ كقولِهِﷻ: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[4].

ويأتِي بمعنى الإصحاءِ. فيقالُ: خَرَجتِ السّماءُ خروجًا إذا أَصْحَتْ بعدَ إغامتِهَا، كما قالَ همّيانٌ يصفُ الإبلَ ووُرُودَهَا:

فَصبحتْ جَابِية صَهَارِجًا تَحْسَبُهَا لَوْنَ السماءِ خَارِجًا

بمركوب وغيره وخلافته في أهله بخير، حديث رقم: (١٨٩٦ / ١٣٨)، المجلّد: السابع، ج١٣، ص٣٥.

[1] - سورة النساء، الآية: ١٠٠.

[2] - إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، عطية الصوالحي، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط: مصدر سابق، ٢٢٥.

[3] - سورة ق، الآية: ٤٢.

[4] - سورة القمر، الآية: ٧.

يريدُ مصحيًا، ويُطْلَقُ الخروجُ علَى ظهورِ النَّجابةِ والتوجُّهِ لإبرامِ الأمورِ وإحكامِهَا، قالَ اللّيثُ: الخروجُ: خروجُ الأديبِ والسابقِ ونحوِ ذلك، يُخَرَّجُ فَيَخْرُجُ، وَخَرَجَتْ خَوَارِجُ فُلانٍ؛ إِذَا ظَهَرَتْ نجابتُهُ وتوجَّهَ لإبرامِ الأمورِ وإحكامِهَا.

وعَلاقةُ هذهِ المعاني اللغويةِ بالمعنَى الاصطلاحيِّ للخروجِ والخوارجِ ما فيها مِن معانِي الظهورِ والبروزِ ومجاوزةِ الحدِّ، ولكنَّ التعلّقَ القريبَ والواضحَ إنّما هوَ لتفسيرِ الخروجِ في اللغةِ بالخروجِ للحربِ والجهادِ في سبيلِ اللهِ والتفوّقِ على الأقرانِ، وَتَفْسِيرِ الخارجِ أوِ المجاهدِ في سبيلِ اللهِ[1].

ومِنْ خلالِ هذهِ التّعاريفِ يتّضحُ لنا أنَّ الخروجَ يأتي بمعنَى ظهورِ النّجابةِ، والبعثِ يومَ القيامةِ، والإصحاءِ، والنّبوغِ، ويومِ العيدِ، وأنَّ الخوارجَ تأتِي بمعنَى البروزاتِ في البناءِ، والخارجيُّ هوَ مُكْتَسِبُ الشَّرَفِ بنفسِهِ.

[1] - غالب بن علي عواجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقادية وموقف الإسلام منها، د د، د ت، ص٢١.

المطلبُ الثاني: تعريفُ الخوارجِ اصْطِلاَحًا

قَلَّما يوجدُ مَنْ وَضعَ حدًّا للفظِ الخوارجِ يمكنُ مِنْ خلالِهِ تصنيفُ فِكْرٍ مُعَيَّنٍ علَى أنَّهُ خارجيٌّ. وَسَبَبُ الإشكاليّةِ في هذا الأمرِ الرّبطُ الحاصلُ بينَ الخوارجِ - باعتبارِهِم فِرقةً - وبينَ الأحاديثِ المحمولةِ عليهمْ؛ لأنَّ الصّفاتِ والخصائصَ التي تُسردُ كميزاتٍ للخوارجِ غيرُ محصورةٍ فيهمْ، بلْ نَجِدُ مِنْ غَيْرِهِمْ مَنْ يَتّصفُ بها أوْ بِبَعْضِهَا، وهذا ما أفضَى إلى عدمِ الانضباطِ فيما يَصْدُقُ عليهِ هذا الاصطلاحُ[1].

أوّلاً: تعريفُ الخوارجِ في نَظَرِ غيرِ الإباضيّةِ

أُطْلِقُ اسمُ الخوارجِ علَى أولئِكَ النّفرِ الذين خَرجُوا على عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَرَفَعُوا شعارًا لهمْ "لاَ حُكْمَ إلاَّ لِلهِ"، وذلكَ عَقِبَ معركةِ (صفّينَ)[2].

---

[1] - ناصر بن سليمان بن سعيد السّابعي: الخوارج والحقيقة الغائبة، مصدر سابق، ص١٥٢.

[2] - صفّين: بِكسرتين وتشديد الفاء، وهو موضعٌ بِقُرب الرّقّة علَى شاطئ الفرات مِن الجانب الغَربي بين الرّقة وبالس،وكانت وقعة صفّين بين عليّ كرم الله وجهه ومعاوية في سنة ٣٧هـ في غرّة صفر، واختلف في عدّة أصحاب كلّ واحد مِن الفريقين، فقيل: كان معاوية في مائة وعشرين ألفاً، وكان عليّ في تسعين ألفاً، وقيل كان عايّ في مائة وعشرين ألفاً، ومعاوية في تسعين ألفاً،وهذا أصحّ، وقُتِل في الحرب بينهما سبعون ألفاً، منهممِن أصحاب عليّ خمسة وعشرون ألفاً، ومِن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً، وقُتِل مع عاليّ خمسة وعشون

وقدِ اختلفَ العلماءُ في تعريفِهِم للخوارجِ على أقوالٍ، أَشْهَرُهَا تعريفُ الشهرستانيِّ بقولِهِ: "كُلُّ مَنْ خرجَ على الإمامِ الحقِّ الذِي اتَّفَقَتِ الجماعةُ عليهِ يسمَّى خَارِجِيًّا، سواءً كانَ الخروجُ في أيّامِ الصّحابةِ على الأئمةِ الرّاشدينَ، أوْ كانَ بَعْدَهُمْ على التّابعينَ بإحسانٍ والأئمّةِ في كلِّ زمانٍ"[1].

ومِنْهُمْ مَنْ عَرَّفَهُمْ تعريفًا سياسيًّا عامًّا اعْتَبَرَ الخروجَ علَى الإمامِ المتَّفَقِ علَى إمامتِهِ الشّرعيةِ خروجًا في أيِّ زمنٍ كانَ[2].

أمَّا الأشعريُّ فقدْ قالَ عنهمْ: "والسّببُ الذي لهُ سُمُّوا خوارجَ خُرُوجُهُمْ علَى عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، والذي لهُ سُمُّوا مُحَكِّمَةً إِنْكَارُهُمُ الحَكَمَيْنِ

صحابياً بدرياً، وكانت مدّة المقام بصفّين مائة يوم وعشرة أيّام، وكانت الوقائع تسعين وقعة؛ وقد أكثرتْ الشّعراء مِن وصف صفّين في أشعارهم، فمِن ذلك قول كعب بن جُعَيل يرثي عُبيد الله بن عمر بن الخطّاب وقد قُتل بصفّين:

ألا إنّما تبكي العُيون لفارِس ... بصفّن أجلتْ خيلُه وهو واقفُ

ـــــ الحموي الرّومي البغدادي، شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦ه): مُعجم البُلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠ه/١٩٩٠م، ج٣، ص٤٧١.

[1] - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨ه): الملل والنّحل، مؤسسة الحلبي، د ط، د ت، ج١، ص١١٤.

[2] - غالب بن عليّ عواجي: فِرَقٌ معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنّشر والتسويق، جدّة، ط٤، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ج١، ص٢٢٧.

وَقَوْلُهُمْ: لاَ حُكْمَ إلاَّ للهِ، والذي سُمُّوا لهُ حَرُورِيَّة[1] نُزُولُهُمْ بِحَرُوراءَ[2] في أَوَّلِ أَمْرِهِمْ"[1].

---

[1] - الحَرُوْرِيّة: منسوب في قول النّابغة الجعدي حيث قال:

أيا دار سلمى بالحروريّة أسلمي إلى جانب الصمّان فالمتثلم

أقامت به البُرْدين ثمّ تذكّرت منازلها، بين الدّخول فجرثم

ـــــــ الحموي الرّومي البغدادي، شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله: مُعجم البُلدان، مصدر سابق، ج٢، ص٢٨٣.

وقيل الحَرُورِيّة: نسبةً إلى حروراء وهو المكان الذي تجمّع فيه المحكّمة بعد خروجهم عن الإمام عليّ ﷺ.

- محمّد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، تقديم: الشيخ أحمد بن حمد الخليلي، دار ناصر للنّشر والتوزيع، الجزائر، ط٥، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ٤٦.

[2] - حَرُوْراء: بِفتحتين وسكون الواو، وراء أخرى، وألف ممدودة، يجوز أن يكون مشتقّاً مِن الرّيح الحرور، وهي الحارّة، وهي بالليل كالسّموم بالنّهار، كأنّه أُنّث نظراً إلى أنّه بقعة، قيل: هي قرية بظاهر الكوفة، وقيل: موضع علَى ميلين منها نزل الخوارجالذين خالفوا عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه فنُسبوا إليها، وقال ابن الأنباري: حَروراءُ كورة، وقال أبو منصور: الحرورية منسوبون إلى موضع بظاهر الكوفة نسبت إليه الحرورية من الخوارج، وبها كان أوّل تحكيمهم واجتماعهم حين خالفوا عليه، قال: ورأيت بالدّهناء رملة وعِثة يُقال لها رملة حروراء.

ـــــــ الحموي الرّومي البغدادي، شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله: مُعجم البُلدان، مصدر سابق، ج٢، ص٢٨٣.

وقيل أيضاً: هي قرية بالعراق قريبة من الكوفة.

ويقولُ ابنُ حزمٍ علَى ذلكَ بأنَّ اسمَ الخارجيِّ يَلْحَقُ كُلَّ مَنْ أشبهَ الخارجينَ على الإمامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَشَارَكَهُمْ في آرائِهِمْ، فقالَ: "ومَنْ وَافَقَ الْخَوَارِجَ مِنْ إنكارِ التحكيمِ، وتكفيرِ أصحابِ الكبائرِ، والقولِ بالخروجِ على أئمةِ الجورِ، وأنَّ أصحابَ الكبائرِ مُخَلَّدُونَ في النارِ، وأنَّ الإمامةَ جائزةٌ في غيرِ قريشٍ؛ فهوَ خارجيٌّ، وإنْ خَالَفَهُمْ فيما عَدَا ذلكَ ممَّا اخْتَلَفَ فيهِ المسلمونَ وخالَفَهُم فيما ذَكَرْنَا فَلَيْسَ خَارِجِيًّا"[2]. فهوَ بذلكَ يتفقُ معَ تعريفِ الشهرستانيِّ لَهُمْ.

وهناكَ مَنْ أطلقَ لفظَ الخوارجِ علَى مَنْ قَتَلُوا عثمانَ بنَ عفانَ بعدَ أنْ حَاصَرُوهُ في دَارِهِ.

وللجَمْعِ بينَ التعريفَيْنِ فإنَّ أصلَ التسميةِ إنَّمَا أُطْلِقَتْ على هؤلاءِ الخارجينَ على عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، والذينَ قَاتَلَهُمْ في النهروانِ[3]،

ـــــ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغداي (ت٥٩٧هـ): تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ، ص٨٩.

[1] - أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، (ت٣٢٤هـ): مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلين، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ج١، ص١١٢.

[2] - أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، الظاهري(ت٤٥٦هـ): الفصل في الملل والأهواء والنحل، د د، د ط، د ت،ج٢، ص١١٣.

[3] - النهروان: ويُطلق عليه نِهرْوان، وهو أكثر ما يجري علَى الألسنة بِكسر النون، وهي ثلاثة نهروانات: الأعلَى والأوسط والأسفل، وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط مِن الجانب

ومِنَ الْمُمْكِنِ إطلاقُها علَى كلِّ مَنْ يخرجُ علَى الإمامِ الشرعيِّ بغيرِ وجهِ حَقٍّ، لاَ غصبًا للدِّينِ، ولاَ دَفْعًا لظلمِ وُلاَةِ الأمرِ وَجورِهِمْ[1].

يقولُ ابنُ حَجَرٍ العسقلانيُّ: "أمَّا الخوارجُ فهمْ جمعُ خارجةٍ؛ أيْ: طائفةٍ، وهمْ قومٌ مُبْتَدِعُونَ سُمُّوا بذلكَ لخروجِهِم عنِ الدِّينِ وخروجِهِم عنْ خيارِ المسلمينَ"[2].

وقدْ سُمِّيَ الخوارجُ بهذا الاسمِ بسببِ خروجِهِم مِنَ الكوفةِ إلى النَّهروانِ، وأمَّا القولُ بأنَّهُم إنَّمَا سُمُّوا بذلكَ لخروجِهِم عنِ الدِّينِ أوْ عنِ الأمَّةِ، فَيَبْدُو أنَّهُ جاءَ متأخِّرًا عنْ ذلكَ، وَهَذَا الرأيُ يُمْكِنُ استخلاصُهُ مِنْ أغلبِ المصادرِ التَّاريخيةِ التِّي تتحدَّثُ عنْ خُروجِ الخوارجِ مِنَ الكوفةِ إلى حروراءَ أوْ مِنَ الكوفةِ إلى النَّهروانِ، بعدَ معركةِ صفينَ المشهورةِ، والدَّليلُ على ذلكَ

الشرقي حدّها الأعلى متّصل ببغداد وفيها عدّة بلاد متوسّطة، منها: إسكاف وجرجرايا والصّافية ودير قُنّى وغير ذلك، وكان بها وقعة لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ مع الخوارج مشهورة.

ـــــ الحموي الرّومي البغدادي، شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله: مُعجم البُلدان، مصدر سابق، ج٥، ص٣٧٥.

[1] - علي بن العجمي العشي: مباحث في الفرق الإسلامية، الرؤى والمرجعيات، مطبعة تونس، قرطاج، تونس، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م ص١١٨ - ١١٩.

[2] - أحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ): فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، ج١٣، ص٢٤٢.

أنَّ الإمامَ عليًّا ﷺ لمْ يُسَمِّ الخوارجَ بالكفرِ أوْ بِالْمُرُوقِ عنِ الإيمانِ، ولمَّا سُئِلَ عَنْهُمْ أَجَابَ: "بلْ مِنَ الْكُفْرِ فَرُّوا"، وَنَفَى عنهمُ النّفاقَ؛ لأنَّهُم يَذْكُرُونَ اللهَ كثيرًا، وإنّما قَصَدُوا الحقَّ فَأَخْطَأُوهُ[1].

فهؤلاءِ الذينَ قَتَلَهُمْ أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، لمَّا حَصلتِ الفُرقةُ بينَ أهلِ العراقِ والشّامِ وكانُوا يُسَمَّوْنَ بِالْحروريةِ[2].

يقولُ الدّكتورُ ناصرُ بنُ عبدِ الكريمِ العقل في تعريفِهِ للخوارجِ: "همُ الذينَ يُكَفِّرُونَ بِالْمَعَاصِي، وَيَخْرُجُونَ على أئمّةِ المسلمينَ وجماعتِهِم". ويقولُ أيضًا: إنَّ اسمَ الخوارجِ يشملُ كلَّ مَنْ أخذَ بأصولِهِم وسَلَكَ سَبِيلَهُم، كجماعاتِ التّكفيرِ والهجرةِ في هذا العصرِ ونحوِهِم، وعلى هذا فإنَّ الخوارجَ قدْ يخرجونَ في كلِّ زمانٍ وَسَيَظْهَرُونَ في آخرِ الزّمانِ، وكما أَخْبَرَ النبيُّ ﷺ عن الخوارجِ الأوّلينَ فقدْ أخبرَ ﷺ كذلكَ عنِ المتأخرينَ وأنَّهُمْ يَخْرُجُونَ في آخرِ الزّمانِ[3]، فعنْ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قالَ: إذَا حَدَّثْتُكُمْ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ حديثًا فواللهِ لأنْ أَخِرَّ منَ السّماءِ أَحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أكذبَ عليهِ، وإذا حَدَّثْتُكُم

---

[1] - عمار طالبي: آراء الخوارج الكلامية، مصدر سابق، ج١، ص١٨.

[2] - ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الرّاعي والرّعية، دار الزّهراء للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ١٩٩٠م، ص١٣٥.

[3] - ناصر بن عبد الكريم العقل: الخوارج، مناهجهم وأصولهم وسماتهم ـــــ قديما وحديثا ـــــ وموقف السلف منهم، دار القاسم، طبعة جديدة، د ت، ص١٩.

فيما بيني وبينَكُم فإنَّ الحربَ خُدْعَةٌ، وإنِّي سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: "سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ منَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1].

والخوارجُ - كمَا في كتابِ الجامعِ الفريدِ - كَفَّرُوا الصحابةَ ﷺ بما جَرَى بينَهُم منَ القتالِ: كما جَرَى في وقعةِ الجملِ بالبصرةِ بينَ عليٍّ وطلحةَ والزبيرِ وعائشةَ، وكما جَرَى بينَ عليٍّ ومعاويةَ في صفينَ، وتلكَ الذّنوبُ لاَ يُكَفِّرُ فَاعِلُهَا، والصحابةُ ﷺ لهمْ حَسَنَاتٌ عظيمةٌ ماحيةٌ: إيمانٌ، وهجرةٌ، وجهادٌ[2].

---

[1] - أحمد بن حجر العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب استتابة المرتدّين والمعاندين وقتالهم، باب رقم (٦): باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجّة عليهم، حديث رقم: ٦٩٣٠، ج١٣، ص٢٤٢.

- محيي الدّين أبي زكريّا يحي بن شرف النّووي: صحيح مُسلم بشرح النّووي، مصدر سابق، كتاب الزكاة، باب رقم: ٤٩، باب التحريض على قتل الخوارج، حديث رقم: (١٠٦٦ / ١٥٤)، المجلّد الرابع، ج٧، ص١٥٤.

[2] - مجموعة من الباحثين: الجامع الفريد، يحتوي على كُتب ورسائل لأئمّة الدّعوة الإسلامية، طُبع على نفقة محمد بن إبراهيم النّعمان، دار الأصفهاني للطباعة، جدّة، د ط، ١٣٩٣هـ، ص٥٦٩ – ٥٧٠.

وفي كتابِ الولاءِ والبراءِ في الإسلامِ يقولُ صاحبُهُ: أمَّا الخوارجُ فهمُ الذينَ قالَ فيهمْ إمامُ السنّةِ الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ: "هُمُ الذينَ مَرَقُوا مِنَ الدِّينِ، وَفَارَقُوا المِلَّةَ، وَشَرَدُوا عنِ الإسلامِ، وَشَذُّوا عنِ الجماعةِ فَضَلُّوا السبيلَ والهدَى، وَخَرَجُوا على السلطانِ، وَسَلُّوا السيفَ على الأمّةِ، وَاسْتَحَلُّوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، وَعَادُوا مَنْ خَالَفَهُمْ إلاَّ مَنْ قالَ بِقَوْلِهِمْ. وكانَ على مِثْلِ قولِهِمْ وَرَأْيِهِمْ، وَثَبَتَ مَعَهُمْ في بيتِ ضلالتِهِم، وهمْ يَشْتمُونَ أصحابَ محمدٍ ﷺ وأصهارَهُ وأختانَهُ، وَيَتَبَرَّأُونَ مِنْهُمْ، وَيَرْمُونَهُمْ بِالكفرِ والعظائمِ، ويَرَوْنَ خِلافَهُم في شرائعِ الإسلامِ.."[1]

وَيَتَّفِقُ عَدَدٌ وافرٌ مِنَ الباحثينَ علَى أنَّ الخوارجَ هم "الذينَ خَرَجُوا عنْ عليٍّ في حروراءَ والنهروانِ ومَنِ انْتَمَى إليهمْ فيما بَعْدُ، وهذا هوَ أشهرُ ما يوجدُ في تعريفِ الخوارجِ، وهوَ كمَا لاَ يخفَى تعريفٌ خاصٌّ، أوْ بالأَحْرَى تَعْرِيفٌ فِرَقِيٌّ تاريخيٌّ، وَيُفْهَمُ مِنْ ضَمِّ أهلِ النّهروانِ معَ مَنْ أُطلِقَ عليهمُ الخوارجُ - كالأزارقةِ والنجداتِ وغيرِهِمْ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ إلى أهلِ النّهروانِ - في نسقٍ واحدٍ أنَّ الجامعَ بينَهُم أَمْرَانِ، الخروجُ على الأئمّةِ، وَتَكْفِيرُ المخالفِينَ ومُرْتَكِبِي الكبيرةِ[2].

---

[1] - محمد بن سعيد القحطاني: مِن مفاهيم عقيدة السلف الصالح، الولاء والبراء في الإسلام، تقديم: عبد الرزاق عفيفي، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط٧، ١٤١٧هـ، ص٢٥٣.

[2] - ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي: الخوارج والحقيقة الغائبة، مصدر سابق، ص١٥٣.

يقولُ الدكتورُ أورهانُ آتش في كتابِهِ "الْإِبَاضِيَّةُ مِنْ مَصَادِرِهَا": إذَا مَا نَظَرْنَا إلى التّعريفاتِ الاصطلاحيةِ المتعلّقةِ بالخوارجِ؛ فإنّنا سنجدُ ثلاثةَ تعريفاتٍ مختلفةٍ:

- التّعريفُ التّاريخيُّ: يُعَرِّفُهُمْ بأنَّهُم: "مَنْ تَمَرَّدُوا (خَرَجُوا) علَى الإمامِ عليٍّ في صفينَ"، دونَ اعتبارِ الآراءِ الدّينيةِ والسّياسيةِ. وَالْمَيْزَةُ الْمُعْتَبَرَةُ في التّعريفِ التّاريخيِّ هيَ تاريخُ تأسيسِ الخوارجِ[1].

- التّعريفُ التّعْمِيمِيُّ: هوَ تعريفٌ يَعْتَبِرُ كُلَّ مَنْ خَرَجَ على حكومةٍ مركزيّةٍ خوارجَ، بِغَضِّ النظرِ عنْ أفكارِهِم، ويَنْسبُهُم إلى الْمُحَكِّمَةِ الأَوَّلِينَ الذينَ خَرَجُوا عنِ الإمامِ عليٍّ ﷺ بِسَبَبِ التّحكيمِ. هذا التعريفُ الذِي جاءَ بهِ الشّهرستانيُّ مُنْقَطِعٌ عنْ سياقِهِ التّاريخيِّ وَمُجَرَّدٌ مِنَ الأفكارِ الدّينيةِ والسّياسيةِ، وبالتّالي فَهُوَ مَفْتُوحٌ على النَّقْدِ بكلِّ المستوياتِ.

- التّعريفُ الدينيُّ: اسْتُعْمِلَ هذا التّعريفُ بِشَكْلَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ:

---

[1] - أورهان آتش: الإباضيّة من مصادرها، بحث في النّشأة والمفاهيم، والعلاقات، والواقع اليوم، تقديم: محمد بابا عمي، المناهج، مؤسّسة علمية تُعنَى بالتكوين والبحث العلمي، ط١، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المذاهب، تمّت المناقشة بتاريخ: ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٧، جامعة أولوداغ، العلوم الإسلاميّة الأساسيّة، فرع: تاريخ المذاهب بورصا، تركيا، ص٤٩.

أ - الْمُحَكِّمَةُ الذينَ انْفَصَلُوا عنْ سَيِّدِنَا عليٍّ بِسَبَبِ قبولِهِ للتّحكيمِ، وَالذينَ أَصَرُّوا على الرّجوعِ للقرآنِ والسنّةِ في مُنَاظَرَاتِهِم معَ المنافسينَ. وهذا التّعريفُ الدينيُّ خاصٌّ بالذينَ يُرَكِّزُونَ على العَزْمِ والثباتِ الذي يُبْدِيهِ الْمُحَكِّمَةُ على استعمالِ النّصوصِ الدّينيةِ.

ب - التّعريفُ الذي اسْتَعْمَلَهُ الْإِبَاضِيُّونَ للتعريفِ بالأزارقةِ، يَعْتَبِرُ الإباضيّونَ أنَّ الخوارجَ ظَهَرُوا في زَمَنِ التّابعينَ وَتَابِعِيِّ التّابعينَ، وَقَادَةُ هذهِ الطّائفةِ همُ ابنُ الأزرقِ، وَنجدةُ بنُ عامرٍ الحروريُّ الحنفيُّ، وعبدُ اللهِ ابنُ صفّارٍ. وهؤلاءِ همُ السّببُ في تَسْمِيَتِهِم بالخوارجِ، حيثُ فَسَّرُوا آياتِ اللهِ ﷻ بشكلٍ خاطئٍ، وَاعْتَبَرُوا أنَّ مَنِ ارْتَكَبَ إِحْدَى الكبائرِ مُشْرِكٌ، وَبِذَلِكَ فقدِ ابْتَعَدُوا عنِ الحقِّ. ويُورِدُ الشّيخُ أطفيشُ أنّهُ عِنْدَمَا وصلَ خَبَرُهُمْ هذا إلى صاحبِ المسندِ الرّبيعِ بنِ حبيبٍ، قالَ فيهِمْ: "طَالَمَا لمْ تَتَحَوَّلْ كَلِمَاتُهُمْ إلى فِعْلٍ سَأَدْعُوهُمْ إلى الحقِّ، فَإِذَا مَا أَصَرُّوا على كَلَامِهِمْ، وَلَمْ يَقِفُوا عندَ حدِّ الكلامِ، بلْ لَجَأُوا لِلْعُنْفِ، يَكُونُونَ قدْ حَمَلُوا وِزْرَ أَخْطَائِهِمْ، وَبِسَبَبِ تَحَوُّلِ كَلَامِهِمْ إِلَى أفعالٍ سَنَحْكُمُ عَلَيْهِمْ بِمَا حَكَمَ اللهُ[1].

[1] - أورهان آتش: الإباضيّة من مصادرها، مصدر سابق، ص٥٠.

وَيَبْدُو أَنَّ كلمةَ الخوارجِ لمْ تَقْتَصِرْ في أحيانٍ أُخْرَى علَى الخارجينَ علَى الإمامِ الحقِّ، بلْ "أَصْبَحَتْ معَ التوسّعِ في الاستعمالِ تُطْلَقُ على مَنْ يَنْتَزِي علَى السُّلطانِ أوْ يَثورُ علَى الدّولةِ"[1].

والذي يَتَبَادَرُ مِنْ خِلالِ ما مضَى - حَسْبَمَا يَرَى ناصرُ بنُ سليمانَ بنِ سعيدٍ السّابعيُّ - أنَّ لمصطلحِ الخوارجِ أيضًا ثلاثَ وِجْهَاتٍ:

الأولى: الوِجْهَةُ اللّغويةُ المتمثّلةُ في النّفاذِ أوِ البُروزِ والظُّهورِ، وهيَ التي يُسْتَوْحَى منها العَلاقةُ بينَ الخوارجِ وبينَ الخروجِ اللّغويِّ الذي يَتَّسِقُ معَ معنَى الخوارجِ عندَ ابنِ حَجَرٍ، وهذا يَسْتَدْعِي شَيْئًا مِنَ التّفصيلِ، وذلكَ باحتمالِ الخروجِ معانِيَ ثلاثةً:

- الخروجُ عنْ جماعةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَبِمَعْنًى آخَرَ: الانفصالُ.

- الخروجُ على جَمَاعَةٍ، وَدَلاَلَتُهُ أَوْفَقُ بِالانقلابِ - بالتعبيرِ المعاصرِ - أوْ مُحَاوَلَتِهِ.

- الخروجُ في سبيلِ اللهِ؛ أيِ الجهادُ.

وَبِضَرْبِ الأمثلةِ مِنَ الواقعِ التّاريخيِّ تَتَّضِحُ الدّقةُ في التّفريقِ بينَ هذهِ المعانِي الثلاثةِ:

---

[1] - ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي: الخوارج والحقيقة الغائبة، مصدر سابق، ص١٥٤.

أمَّا المعنَى الأوَّلُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ خروجِ أهلِ النّهروانِ مِنَ الكوفةِ عنِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَخُرُوجِ أبي بلالٍ مرداسٍ التّميميِّ وأصحابِهِ.

وأمَّا المعنَى الثّاني فَمِثَالُهُ خروجُ أهلِ صفينَ منْ بلادِ الشّامِ، وذلكَ واضحٌ مِنَ الزّحفِ العسكريِّ الذي جَرَى بينَ الفريقَيْنِ[1].

وأمَّا المعنَى الثّالثُ فَيُمَثِّلُهُ سَرَايَا وَبُعُوثُ وغزواتُ المجاهدينَ في سبيلِ اللهِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وهوَ المرادُ بقولِهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾[2]، فإنَّ هذا الخروجَ بملاحظةِ المعنَى الوضعيِّ يُعَدُّ لُغَوِيًّا.

الثّانيةُ: الْوِجْهَةُ التّارِيخِيَّةُ، والمرادُ بها التّقسيمُ الفِرَقِيُّ للأمّةِ الإسلاميّةِ، فإنَّ مصطلحَ الخوارجِ - كما هوَ معروفٌ - قَسِيمٌ لكلٍّ مِنْ أَهْلِ السنّةِ والشّيعةِ، بِغَضِّ النّظرِ عنِ الجانبِ اللّغويِّ والجانبِ الشّرعيِّ.

الثّالثةُ: الوِجْهَةُ الدِّينِيَّةُ، وهيَ المرتبطةُ بالحُكْمِ الشرعيِّ. وعلَى هذهِ الوجهةِ تُحْمَلُ سائرُ النّظراتِ التي تُبَلْوِرُ معنَى الخوارجِ؛ لأنّها مستفادةٌ منْ نصٍّ شرعيٍّ، واللّائقُ بهذهِ الوجهةِ - كمَا يَتَبَادَرُ - المعنَى الأوّلُ والأشهرُ للخوارجِ وتعريفُ الشهرستانيِّ، فإنَّ هذَيْنِ التعريفَيْنِ أَعْطَيَا صِفةً دينيّةً لهذا الاصطلاحِ. غيرَ أنَّ الفارقَ بينَهُمَا أنَّ الأوّلَ أضافَ قضيّةَ التّكفيرِ. وهذانِ

[1] - المصدر نفسه، ص١٥٥.

[2] - سورة التوبة، الآية: ٤٦.

التعريفانِ يَتَجَلَّى منهُمَا حُكْمٌ سَلْبِيٌّ علَى الخوارجِ مُنْطلِقٌ مِنْ فَهْمِ النَصِّ الشَرعيِّ - سواءً حديثُ المروقِ وأحاديثُ الأمرِ بِلُزُومِ الجماعةِ - بأنَّ المرادَ منهُ هذانِ المعنيانِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا[1].

غيرَ أنَّنا يَنْبَغِي ألاَّ نَغْفلَ عنْ أنَّ للخوارجِ نظرةً مختلفةً تمامًا عنْ هذهِ النَظرةِ معَ كونِها تَحْمِلُ طابعًا شرعيًّا أيضًا، وهيَ نظرةُ مَنْ أَطْلَقَ عليهِم الخوارجَ إلى هذا الاصطلاحِ، حيثُ تُصَرِّحُ عباراتُهُم بارتضاءِ هذا الإطلاقِ، وفيما مَضَى مِنْ نَصِّ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ ومِنْ أَشْعَارِ الأزارقةِ يَتَّضِحُ أَنَّهَا تُجِلُّ هذا المعنَى. وَالافْتِخَارُ والمديحُ الواضحانِ منْ تلكَ النَصوصِ بُرْهَانٌ علَى صحَةِ القولِ؛ لأنَّ لفظَ الخوارجِ لا يُشْعِرُ في أصلِ معناهُ وابتداءِ أَمْرِهِ بشيءٍ مِنَ الصِّلةِ بينَهُ وبينَ الاصطلاحِ الذي يَحْمِلُ حُكْمًا سَلْبِيًّا[2].

يقولُ واط[3] عنْ كلمةِ الخوارجِ: "مِنَ المحتملِ أنْ يكونَ هذا المصطلحُ وُضِعَ منْ قِبَلِ مُؤَرِّخِي المذاهبِ بعدَ اليمانِ بنِ رباب، كقوالبَ في حالاتٍ مُعَيَّنَةٍ، وَانْتَشَرَ بشكلٍ واسعٍ"، وَيَصِفُ المعانيَ المحتملةَ التي حُمِلَتْ لهذا المصطلحِ عَبْرَ التاريخِ كمَا يَلِي:

---

[1] - ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي: الخوارج والحقيقة الغائبة، مصدر سابق، ص١٥٥.

[2] - المصدر نفسه، ص١٥٦.

[3] - لم أعثر على ترجمته.

أ ـ الخوارجُ: الشّخصُ أوِ الأشخاصُ الذينَ انْفَصَلُوا عنْ جيشِ سَيِّدِنَا عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ. وهذا التعريفُ موافقٌ للتّعاريفِ الموجودةِ في كُتُبِ المقالاتِ السنّيةِ، بالإضافةِ إلى أنّهُ لاَ يَقْتَصِرُ علَى المجموعاتِ فحسْب، بلْ يَشْمَلُ الأفرادَ الذينَ تَرَكُوا سيّدَنا عليًّا أيضًا. هذهِ المقاربةُ ملائمةٌ لِفَهْمِ الذينَ يُعَرِّفُونَ الخوارجَ علَى أنَّهُمُ الحركةُ التي بَدَأَهَا الخارجونَ عنِ التّحكيمِ في معركةِ صفينَ.

ب ـ الخوارجُ حَسَبَ الآيةِ المائةِ منْ سورةِ النّساءِ: همُ المؤمنونَ الذينَ يَهْجُرُونَ الكفّارَ وَيَقْطَعُونَ كلَّ صلةٍ لهُمْ بهمْ ويُهاجِرُونَ إلى اللهِ ورسولِهِ. أمّا المعنَى الذي مُنِحَ لِمُصْطَلَحِ الخوارجِ فَيَنْطَبِقُ بشكلٍ أكبرَ علَى الأزارقةِ الذينَ اعْتَبَرُوا كلَّ مَنْ خَالَفَهُمُ الرَّأْيَ كَافِرًا أوْ مُشْرِكًا.

ج ـ أُولَئِكَ الثَّائِرُونَ الذينَ خَرَجُوا علَى الإمامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، (الْعَوْدَةُ إِلَى جِذْرِ الْكَلِمَةِ - خَرَجَ عَلَيَّ).

د ـ الذينَ خَرَجُوا للجهادِ وَشَارَكُوا فيهِ فِعليًّا، بِعَكْسِ القَعَدَةِ[1]. هاتانِ الفِئَتَانِ؛ أيِّ الفئةُ القاعدةُ وتلكَ الخارجةُ متضادّتانِ، حَسَبَ قولِهِ ﷻ: ﴿ فَإِن

[1] - القَعَدَة: اسم أطلقه الخوارج على الإباضيّة لأنهم في تصوُّرهم قعدوا عن الجهاد ضدَّ الحكّام الامويّين.

- محمّد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٣٣.

رَجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾[1]. وهذَا المعنَى الذي أُعْطِيَ للخوارجِ يُحتَملُ أنْ يكونَ تعريفًا يُرَكِّزُ على الانقسامِ الكبيرِ الأوّلِ في الْمُحَكِّمَةِ. وكذلكَ علَى طريقةِ الجهادِ التي يُفَضِّلُهَا هؤلاءِ، وَخُصُوصًا الإباضيِّينَ والأزارِقَةَ[2].

وكذلك لقَبُ القَعَدة هو مصطلحٌ أطلقَه نافع بن الأزرق ورجاله على الباقين في البصرة باعتبارهم تقاعسوا وقعَدوا عن الجهاد في سبيل الله، ولسان حالهم يقول: أنتم جبناء فضّلتم القُعود على الجهاد في سبيل الله.!

- أورهان آتش: الإباضية من مصادرها، بحث في النشأة والمفاهيم، والعلاقات، والواقع اليوم، مصدر سابق، ص٤٣.

ـــــ ويُعرِّفهم الأشعري بقوله: القَعدة: جمع قاعدة وهم قوم يرون تزيين التحكيم وفيها قال أبو نواس:

فكأنّي وما أزيّن منهـــا قعديّ يزيّن التحكيمـــا

والقَعَد محركة جمع قاعد وفي الأساس للزمخشري: القعدة قوم من الخوارج قعدوا عن نصرة علي ــ كرم الله وجهه ــ ومقاتلته وهم يرون التحكيم حقًا.

- أبو الحسن بن أبي موسى بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين، مصدر سابق، ج١، ص٨٤.

[1] - سورة التوبة، الآية: ٨٣.

[2] - أورهان آتش: الإباضية من مصادرها، بحث في النشأة والمفاهيم، والعلاقات، والواقع اليوم، مصدر سابق، ص٨٤.

مِنَ المعروفِ أنَّ الأزارقةَ اعْتَبَرُوا كلَّ مَنْ يُخَالِفُهُمْ في الرَّأيِ مُشركًا، وَتَرَكُوا البصرةَ، وَدَعَوْا مَنْ بَقِيَ هناكَ للانضمامِ إليهمْ، وأَطْلَقَ ابنُ الأزرقِ على أبِي بلالٍ وَمُؤَيِّدِيهِ الذينَ لمْ يَنْضَمُّوا إليهِ اسمَ القَعَدَةِ (الْقَاعِدِينَ) تَحْقِيرًا لِشَأْنِهِمْ. هَذَا المعنَى المُعْطَى للخوارجِ أكثرُ خصوصيّةً مِنَ الأوّلِ؛ لأنَّهُ في التّعريفِ الآخرِ يَتِمُّ تحديدُ الأزارقةِ مقارنةً بجميعِ المسلمينَ، أمَّا في التّعريفِ فَتَتَحَدَّدُ فِرقةُ الأزارقةِ مقابلَ فِرقةِ الإباضيّةِ[1].

ثانيًا: تعريفُ الخوارجِ في نَظَرِ الإباضيّةِ

وَرَدَتْ كلمةُ (الخوارجِ) لأوّلِ مرّةٍ في المُراسلاتِ والخُطَبِ المتحدّثةِ عمَّا وَقَعَ بينَ الإمامِ عليٍّ وبينَ الجماعةِ الذينَ انْشَقُّوا عنهُ بعدَ قُبولِهِ التّحكيمَ في موقعةِ صفينَ سنةَ ٣٧ هـ، وَعُرِفُوا بَعْدَهَا أَيْضًا بِالمحكِّمَةِ، وَالْحَرُورِيِّينَ، وَالْمَارِقَةِ، وأهلِ النهروانِ، غيرَ أنَّ كلمةَ (خَوَارِج) كانتْ أَظْهَرَ وأيْسَرَ، ولاَ سِيَّمَا في العصرِ الأمويِّ الذي كَثُرَ فيهِ خروجُ الجماعاتِ الغاضبةِ الثّائرةِ علَى الأمويِّينَ وَسِيَاسَتِهِمُ الجائرةِ، وعلَى الرَّغْمِ مِنْ أنَّ اسْتِخْدَامَهَا في السّنواتِ الأولَى (٣٧– ٤٠هـ) كانَ يُرادُ بها الخروجُ السياسيُّ أوِ الخروجُ عنْ طاعةِ الإمامِ، فإنَّ هذا الاستخدامَ ما لَبثَ أنْ تَطَوَّرَ عندَ كُتَّابِ المقالاتِ بعامّةٍ وَمُؤَرِّخِي السُّلطةِ الأمويةِ بخاصّةٍ لِيُصْبِحَ لهُ مدلولٌ دينيٌّ وهوَ الخروجُ عنِ

[1] – أورهان آتش: الإباضيّة من مصادرها، مصدر سابق، ص٨٥.

السُّنَّةِ والجماعةِ، كمَا اسْتُخْدِمَتْ كلمةُ (خوارِج) أوْ (الخوارِجُ الْمُسْلِمُونَ) عندَ الإباضيةِ أوِ الشُّرَاةِ، وهمْ يَعْنُونَ بهَا الخروجَ في سبيلِ اللهِ جِهَادًا وثورةً على الظُّلْمِ، مِصْدَاقًا لقولِهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[1]، فنَجِدُ الإمامَ أبَا بلالٍ مرداسَ بنَ حُدَيْرٍ إمامَ الشّراةِ يقولُ لِأَتْبَاعِهِ: "إنَّكَ تَخْرُجُ جِهَادًا في سبيلِ اللهِ وَابْتِغَاءِ مرضاتِهِ، لاَ تُرِيدُ شيئًا مِنْ أغراضِ الدّنيا، ولاَ لكَ في الدّنيا حَاجَةٌ، ولاَ لكَ إليها رَجْعَةٌ..."[2].

وَيُعَرِّفُهُمُ الشّيخُ أبو إسحاقَ أطفيشُ بقولِهِ: "الخوارجُ طوائفُ مِنَ النّاسِ في زَمَنِ التّابعينَ وتابعِي التّابعينَ، رُؤُوسُهُمْ: نافعُ بنُ الأزرقِ، ونجدةُ بنُ عامرٍ، وعبدُ اللهِ بنُ الصفّارِ ومَنْ شَايَعَهُمْ. وسُمُّوا خوارجَ؛ لأنّهم خَرَجُوا عنِ الحقِّ وعنِ الأمّةِ بالحُكْمِ علَى مُرْتَكِبِ الذّنبِ بالشّركِ، فَاسْتَحَلُّوا ما حَرَّمَ اللهُ مِنَ الدّماءِ والأموالِ بالمعصيةِ مُتَأَوِّلِينَ قولَهُ ﷻ: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[3]، فَزَعَمُوا أنَّ معنَى الآيةِ: وإنْ أَطَعْتُمُوهُمْ في أكلِ الْمَيْتَةِ. فَأَخْطَأُوا في تَأْوِيلِهِمْ، والحقُّ أنَّ معنَى الآيةِ: وإنْ أَطَعْتُمُوهُمْ في استحلالِ الميتةِ. والاستحلالُ لِمَا حَرَّمَ اللهُ شِرْكٌ، وحينَ أَخْطَأُوا في التّأويلِ لمْ يَقْتَصِرُوا علَى مجرّدِ القولِ بلْ تجاوزُوهُ إلى

---

[1] - سورة التوبة، الآية ٤٦.

[2] - محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٤٦.

[3] - سورة الأنعام، الآية، ١٢١.

الفِعلِ، فحَكَموا علَى مرتكبِ المعصيةِ بالشّركِ، فَاسْتَحَلُّوا دماءَ المسلمينَ وَأَمْوَالَهُم بالمعصيةِ، فَاسْتَعْرَضُوا النّساءَ والأطفالَ والشّيوخَ.

وقدْ قالَ الإمامُ الحافظُ الحُجَّةُ الرّبيعُ بنُ حبيبِ بنِ عمرٍو البصريُّ الفراهيديُّ الإباضيُّ صَاحِبُ الْمُسْنَدِ الصّحيحِ - رحمَهُ اللهُ - حينَ بَلَغَ إليهِ أَمْرُهُمْ يقولُ: "دَعُوهُمْ حتّى يَتَجَاوَزُوا القولَ إلى الفعلِ، فإنْ بَقَوْا علَى قَوْلِهِمْ فَخَطَأُهُمْ مَحْمُولٌ عليهمْ، وإنْ تَجَاوَزُوهُ إلى الفِعلِ حَكَمْنَا عليهمْ حُكْمَ اللهِ"[1].

فلمَّا ظهرتْ بِدْعَتُهُمْ طَرَدَهُم أَصْحَابُنَا مِنْ مَجَالِسِهِمْ وطارَدُوهُمْ في كلِّ صوبٍ مُعْلِنِينَ البراءةَ منهمْ، فلمَّا تَجَاوَزُوا القولَ إلى الفعلِ أَعْلَنُوا الحُكْمَ بِكُفْرِهِمْ؛ لأنَّ الكُفرَ في استحلالِ ما حَرَّمَ اللهُ نصٌّ قَطْعِيٌّ في كتابِ اللهِ، وقدِ اسْتَشْرَى فِعْلُهُمْ يومَئذٍ فَاشْتَدُّوا علَى أهلِ التوحيدِ بِفِتْنَتِهِمْ فَسَلُّوا السُّيُوفَ علَى الرِّقابِ بِغَيْرِ ما أَنْزَلَ اللهُ، فَعَظُمَتْ مِحْنَتُهُمْ، فكانتْ بَلاءً عظيمًا[2].

---

[1] - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد اطفيش(ت١٣٨٥هـ/١٩٦٥م): الفرق بين الإباضية والخوارج، مكتبة الضّامري للنّشر والتّوزيع، السّيب، سلطنة عمان، د ط، د ت، ص٥.

- علي يحي معمر: الإباضية بين الفِرق الإسلامية، عند كتّاب المقالات في القديم والحديث، جمعية التراث القرارة، غرداية، الجزائر، ط٣، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، ص٦١٠ – ٦١١.

[2] - أبو إسحاق إبراهيم بن محمد اطفيش: الفرق بين الإباضية والخوارج، مصدر سابق، ص٦.

وأَوضَحَ قائلاً: "إنَّ لَفْظَ الخوارجِ الذي طَنْطَنَ بهِ الكاتبونَ وَلاَكَهُ الْمُنْتَقِدُونَ؛ جَمْعُ خارجةٍ؛ أيْ طائفةٍ خارجةٍ، يُطْلَقُ على الطّوائفِ الخارجةِ إلى الجهادِ، أوِ الخارجةِ عنِ الإمامِ الجائرِ، فتكونُ مَدْحًا وَثَنَاءً، وعلَى الخارجةِ عنِ الحقِّ أوِ الإمامِ المقسِطِ، فتكونُ ذمًّا وَضَلالاً[1].

وَيُوجَدُ مَنْ يَرَى أنَّ مصطلحَ الخوارجِ يُقْصَدُ بهِ الخروجُ علَى أيِّ إمامٍ، سواءً بَايَعَهُ المسلمونَ كلُّهُم أوْ بايعَتْه طائفةٌ معيّنةٌ، بِمَعْنَى أنَّهُ رَدِيفُ كلمةِ الانشقاقِ وعدمِ الطّاعةِ للحاكِمِ[2].

يقولُ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ في تعريفِهِ للخوارجِ: "هُمْ أصحابُ عثمانَ الذينَ أَنْكَرُوا عليهِ ما أحدثَ مِنْ بِدعتِهِ وفارَقُوهُ.... وهُمْ أصحابُ الزّبيرِ وطلحةَ حينَ نَكَثَا، وأصحابُ معاويةَ حينَ بَغَى، وهُمْ أصحابُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ حينَ بَدَّلَ حُكْمَ اللهِ، فَهُمْ فَارَقُوا هؤلاءِ كُلَّهُمْ وَأَبَوْا أنْ يُقِرُّوا بِحُكْمِ البَشَرِ دونَ حُكمِ اللهِ، وكانوا يَتَوَلَّوْنَ في دِينِهِمْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ وأبَا بكرٍ وعمرَ ﷺ، وَيَدْعُونَ إلى سَبِيلِهِمْ، فَهَذَا خَبرُ الخوارجِ، نُشْهِدُ اللهَ أنَّا لِمَنْ عَادَاهُمْ

---

[1] - صالح بن داود يوسف بافولولو: من لا يعرف الإباضية، مصدر سابق، ص٧٠.

[2] - مصطفى بن محمد بن إدريسو: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، تقديم: وينتن مصطفى بن النّاصر، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عُمان، د ط، ٢٠١٣م، ص٥٨.

أَعْدَاءٌ، وإنّا لِمَنْ وَالَاهُمْ أَوْلِيَاءُ (...) بِأَلْسِنَتِنَا وَقُلُوبِنَا (...) غَيْرَ أَنَّا نَبْرَأُ مِنَ ابنِ الأزرقِ وَصَنِيعِهِ وَأَتْبَاعِهِ"[1].

ويقولُ زاهرُ بنُ سعودِ بنِ سيفٍ السّيابيُّ في تعريفِهِ للخوارجِ في نظرِ الإباضيةِ: "هُمْ قومٌ مَرَقُوا مِنَ الدّينِ وَاسْتَحَلُّوا دماءَ المسلمينَ وأموالَهُم، وَسَبْيَ نسائِهِم وأطفالِهِم، وَأَقْرَبُ الفِرَقِ إلى هذا المعنَى هُمُ الأزارقةُ والنّجداتُ والصّفريةُ[2].

وَيُعَرِّفُ الإباضيّةُ الخوارجَ بأنّهُم الذّينَ يحْكُمونَ علَى مُخَالِفِيهِمْ بالشّركِ، وَيُبِيحُونَ الخُروجَ علَى الإمامِ بالسّلاحِ مِنْ غيرِ مبرّرٍ مشروعٍ، ولاَ تَحَسُّبٍ

---

[1] - عدّون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش، (١٢٣٦-١٣٣٢هـ / ١٨١٨-١٩١٤م)، مكتبة الضّامري للنشر والتوزيع، السيّب، سلطنة عمان، ط٢، ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص٩٣.

- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي: الجواهر المنتقاة، د د، د ط، د ت، ص١٦٤ – ١٦٥.

- رسالة عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان، نسخة مصوّرة من مخطوط في مكتبة الشيخ ناصر بن راشد الخروصي، عُمان، ص ٢٧٢ – ٢٧٣.

- سرحان بن سعيد الأزوكي: كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمّة، تحقيق: حسن محمد عبد الله التّابودة، دار البارودي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م، ٥٩٨.

[2] - زاهر بن سعود بن سيف السيّابي: الخوارج، الامتداد الفكري بين الأزارقة والوهابية، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيّب، سلطنة عمان، ط١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م، ص٢٢.

لِلْعَوَاقِبِ، وَيَعْتَبِرُ الإباضيّةُ مَنْ يقومُ بمثلِ هذا الفِعلِ خارجًا عنِ الدّينِ؛ كَمَا كانَ شَأْنُ الأزارقةِ في عهدِ الأمويّينَ[1].

وَنَجِدُ تَعْرِيفًا آخرَ للخوارجِ: "الخوارجُ همْ فِرقةٌ إسلاميةٌ يَرَوْنَ في سيرةِ الخليفتَيْنِ عثمانَ وعليٍّ ومَنْ بَعْدَهُمَا مِنْ أمراءِ المؤمنينَ وَوُلاَةِ أمورِهِم مَا لاَ يَرَاهُ عامّةُ المسلمينَ، وَيَزْعُمُونَ أنّها مخالفةٌ للدّينِ، وَيُخْرِجُونَهُمْ مِنَ الجماعةِ، وَيُؤَلِّبُونَ النّاسَ عليهم، فَاضْطُرَّ أُولُو الأمرِ إلى قِتَالِهِمْ خشيَةَ اضطرابِ الأمنِ وانتشارِ الفسادِ، ولذلكَ أُطلِقَ عليهم اسمُ (الخوارجِ)[2].

ويَجْدُرُ بنَا أنْ نُشِيرَ إلى أنَّ المصادرَ الإباضيةَ الأُولَى في بعضِ الأحيانِ تَنسُبُ الإباضيةَ إلى الخوارجِ، علَى أساسِ أنّهُ بمعنَى الخروجِ في سبيلِ اللهِ، مِنْ قولِهِ ﷻ: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾[3]، وليسَ بمعنَى الخروجِ علَى الإمامِ عليٍّ، ولاَ بِمَعْنَى إخراجِ المسلمينَ مِنَ الإسلامِ وَنَعْتِهِمْ بالشّركِ، وذَلِكَ بدليلِ أنَّ هذه المصادرَ نَفْسَهَا تَعْتَبِرُ أنَّ كُلَّ مَنْ خَرجَ علَى أيِّ إمامٍ بدايةً مِنْ مُعَارِضِي عليٍّ في وقعةِ الجملِ؛ يَصدُقُ عليهِ مصطلحُ الخروجِ، ثمَّ

---

[1] - مجموعة مِن الباحثين: معجم مصطلحات الإباضيّة، وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، سلطنة عُمان، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج١، أ – ش، ص٣٣٢.

[2] - قاسم بلحاج عيسى: صفحات من تاريخ جربة، د د، د ط، د ت، ص٧٣.

[3] - سورة التوبة، الآية:٤٦.

إنَّهَا تُورِدُ كذلكَ نصوصَ ورواياتِ المناقشةِ والبراءةِ ومحاربةِ الخوارجِ المتطرّفينَ منْ أتباعِ الأزارقةِ والنّجداتِ[1].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[1] - ابن إدريسو مصطفى بن محمد: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٥٩.

المبحثُ الثالثُ: نشأةُ الخوارجِ وأسبابُ خروجِهم

المطلبُ الأولُ: نشأةُ الخوارجِ

هلْ يرجعُ أصلُ الخوارجِ وبذورُها الأولَى إلى عهدِ النبيِّ ﷺ، أَمْ أنَّ الخارجيّةَ بِدعةٌ نشأتْ إثرَ الفتنةِ الكبرَى والانشقاقِ الأعظمِ في الإسلامِ فِتْنَةِ (صفينَ)؟.

إذَا رَجعْنَا إلى كُتُبِ الحديثِ الموثوقِ بها، وإلى كُتُبِ المقالاتِ الإسلاميّة، وإلى كُتُبِ التاريخِ؛ فإنّنا نَرَى أنَّ النّزعةَ الخارجيةَ وأنّ أصلَ الخوارجِ نَبَتَ في عَهْدِ النّبيِّ ﷺ نفسِهِ، وَمِنْ ثَمَّ فهوَ سابقٌ للثورةِ على الخليفةِ عثمانَ بنِ عفانَ (٣٥هـ/٦٥٦)، وعلى مَعْرَكَتَيِ الجملِ (٣٦هـ/٦٥٧) وما لَحِقَهُمَا منْ فِتَنٍ، وَغَيْرُ خافٍ أنَّ النبيَّ محمدًا عليهِ السلامُ رسولٌ وإمامٌ في آنٍ واحدٍ، وأنّهُ كانَ يتولَّى شؤونَ المسلمينَ الدّينيةَ والسياسيّةَ والماليّةَ والحربيّةَ، وإذا كانَ معنَى الخروجِ هوَ الإنكارَ على الإمامِ العدلِ والاعتراضَ عليهِ، فإنَّ هذا المعنَى حَدَثَ لصاحبِ الرسالةِ الإسلاميّةِ والقائدِ الأعلى للمسلمينَ[1]، ففي صحيحِ البخاريِّ (١٦٤- ٢٥٦هـ) "عنْ أبي سعيدٍ قالَ: بَيْنَمَا النبيُّ ﷺ يُقَسِّمُ جاءَ عبدُ اللهِ بنُ ذي الخُوَيصرةِ التميميُّ فقالَ: اعْدِلْ يَا رسولَ اللهِ. فقالَ: **وَيْلَكَ! مَنْ يَعْدِلُ إِذَا**

---

[1] - عمّار طالبي: آراءُ الخوارجِ الكلامية، الموجز لأبي عمّار عبد الكافي الإباضي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج١، ص٣٥ – ٣٦.

لَمْ أَعْدِلْ؟! قالَ عمرُ بنُ الخطابِ: دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ. قالَ: دَعْهُ؛ فَإِنَّ لهُ أَصْحَابًا يحقرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاَتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ فِي قذَذِهِ فلاَ يُوجَدُ فيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إلى نَصْلِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَلاَ يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ فِي نضيِّهِ فلاَ يوجدُ فيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرثَ والدَمَ، آيتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَى يَدَيْهِ - أَوْ قَالَ ثَدْيَيْهِ - مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ قَالَ: مِثْلُ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ. يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ منَ النّاسِ"[1].

يَذْهَبُ الشهرستانيُّ إلى أنَّ نشأةَ الخوارجِ أوِ النّزعةَ الخارجيّةَ قائمةٌ على أساسٍ عَقْلِيٍّ، وهوَ القولُ بالتّحسينِ والتّقبيحِ العقليَّيْنِ، ذلكَ أنَّ الخارجيَّ الأوّلَ حَكَّمَ هَوَاهُ، وَعَقْلَهُ، وَأَعْرَضَ عنِ النّصِّ، الذي هوَ فِعْلُ النّبيِّ ﷺ، فإذَا عُدَّ مَنْ خَرَجَ على الإمامِ عليٍّ خارجيًّا، فَمَنْ أَنْكَرَ على الرّسولِ أَوْلَى بأنْ يُوسَمَ بِتُهْمَةِ الخارجيّةِ[2].

---

[1] - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب: إستتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب رقم (٧): باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلاّ يَنفرَ الناس عنه، حديث رقم: ٦٩٣٣، ج١٢، ص٢٤٨ – ٢٤٩.

[2] - عمّار طالبي: آراءُ الخوارج الكلاميّة، الموجز لأبي عمّار عبد الكافي الإباضي، مصدر سابق، ص ٤٢ – ٤٣.

نَجِدُ كذلكَ أَبَا الْفَرَجِ بنَ الجوزيَّ (ت٥٩٧هـ) في ذِكْرِ تَلْبِيسِ إبليسَ على الخوارجِ يقولُ: "إنَّ أوَّلَ الخوارجِ وَأَقْبَحَهُمْ حالةً ذُو الخويصرةِ[1]، حَدَّثَنَا قُتيبةُ، حَدَّثَنَا عبدُ الواحدِ عنْ عُمارةَ بنِ القعقاعِ بنْ شُبرمةَ، حَدَّثَنَا عبدُ الرحمنِ بنُ أبي نُعمٍ قالَ: سمعتُ أبا سعيدٍ الخدريَّ يقولُ: "بَعَثَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ منَ اليمنِ بذُهَيْبَةٍ في أَدِيمٍ مقروظٍ لمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قالَ: فَقَسَّمَهَا بينَ أربعةِ نَفَرٍ: بينَ عُيَيْنَةَ بنِ بدرٍ، وأقرعَ بنِ حابسٍ، وزيدِ الخيلِ، والرَّابعُ إمَّا علقمةُ وإمَّا عامرُ بنُ الطُّفَيلِ. فقالَ رَجُلٌ منْ أَصْحَابِهِ: كنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بهذا مِنْ هؤلاءِ. فَبَلَغَ ذلكَ النبيَّ ﷺ فقالَ: **"أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟** قَالَ: فَقَامَ رجلٌ غائرُ العَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الوَجنتَيْنِ، نَاشِزُ الجبهةِ، كثُّ اللحيةِ، محلوقُ الرَّأسِ، مُشمَّرُ الإزارِ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، اتَّقِ اللهَ. قالَ: **وَيْلَكَ! أَوَ لَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ؟** قالَ: ثُمَّ وَلَّى الرجلُ. قالَ خالدُ بنُ الوليدِ: يا رسولَ اللهِ، أَلاَ أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قالَ: **لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي**. فقالَ خالدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ. قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: **إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أَنْقُبَ قُلُوبَ النَّاسِ وَلاَ أَشُقَّ بُطُونَهُمْ**. قالَ: ثمَّ نظرَ إليهِ وهوَ مُقَفٍّ فقالَ: **إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطبًا لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ**

[1] - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغداي: تلبيس إبليس، مصدر سابق، ص٨٨.

يَمْرُقُونَ مِنَ الدّينِ كمَا يَمرُقُ السّهمُ مِنَ الرّميّةِ. وَأَظُنُّهُ قَالَ: لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ"[1].

وَيُكْمِلُ ابنُ الجوزيِّ حَدِيثَهُ فيقولُ: هذا الرجلُ يُقالُ لهُ ذو الخويصرةِ التّميميُّ، وفي لفظٍ أنّهُ قالَ لهُ: اعْدِلْ. فَقَالَ: "وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ"[2]؟! فهذا أوّلُ خارجيٍّ خَرَجَ في الإسلامِ، وآفتُهُ أنّهُ رَضِيَ برَأْيِ نَفْسِهِ، وَلَوْ وَقَفَ لَعَلِمَ أنّهُ لا رَأْيَ فوقَ رأيِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأتْبَاعُ هذا الرجلِ همُ الذين قَاتَلُوا عليَّ بنَ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وذلكَ أنّهُ لمَّا طالتِ الحربُ بينَ معاويةَ وعليٍّ رفعَ أصحابُ معاويةَ المصاحفَ وَدَعَوْا أصحابَ عليٍّ إلى ما فيهَا، وقالُوا: تَبْعَثُونَ مِنْكُمْ رَجُلاً وَنَبْعَثُ مِنَّا رَجُلاً. ثمَّ نَأْخُذُ عليهما أنْ يَعْمَلاَ بمَا في كتابِ اللهِ ﷻ. فقالَ النّاسُ: قدْ رَضِينَا، فَبَعَثُوا عَمْرَو بنَ

---

[1] - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب المغازي، باب رقم ٦٢: باب بعثُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجّة الوداع، حديث رقم ٤٣٥١، ج٩، ص٥٨.

- محي الدّين أبي زكريّا يحي بن شرف النّووي: صحيح مُسلم بشرح النّووي، مصدر سابق، كتاب الزكاة، باب رقم: ٤٨، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم: (١٠٦٤ / ١٤٤)، المجلد: الرابع، ج٧، ص ١٤٦ – ١٤٧.

[2] - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب: إستتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب رقم (٧): باب من ترك قتال الخوارج للتألّف ولئلاّ يَنفرَ الناس عنه، حديث رقم ٦٩٣٣، ج١٣، ص٢٤٨ – ٢٤٩.

العاصِ، فقالَ أصحابُ عليٍّ: ابْعَثْ أَبَا مُوسَى. فَقَالَ عليٌّ: لاَ أَرَى أنْ أُوَلِّيَ أَبَا مُوسَى، هذا ابنُ عبّاسٍ. قالوا: لاَ نُرِيدُ رجلاً منكَ. فبعثَ أبَا موسَى وَأَخَّرَ القضاءَ إلى رمضانَ، فقالَ عروةُ بنُ أُذَيْنَةَ: تُحَكِّمُونَ في أَمْرِ اللهِ الرجالَ، لاَ حُكْمَ إلاَّ للهِ، وَرَجَعَ عليٌّ منْ صفينَ، فدخلَ الكوفةَ ولمْ تدخلْ معهُ الخوارجُ، فَأَتَوْا حروراءَ، فَنَزَلَ بها مِنْهُمْ اثنَا عَشَرَ أَلْفًا، وَقَالُوا: لاَ حُكْمَ إلاَّ لِلهِ. وكانَ ذلكَ أوّلَ ظُهُورِهِمْ، وَنَادَى مُنَادِيهِمْ أنَّ أميرَ القتالِ شبيبُ بنُ رِبْعِيٍّ التّميميُّ، وأميرَ الصّلاةِ عبدُ اللهِ بنُ الكوا اليشكريُّ. وكانتِ الخوارجُ تَتَعَبَّدُ إلاَّ أنَّ اعتقادَهُم أنَّهُم أَعْلَمُ مِنْ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وهذا مَرَضٌ صَعْبٌ[1].

يقولُ الشهرستانيُّ: لَمَّا جَرَى الأمرُ على خلافِ ما رَضِيَ بهِ عليٌّ في بعْثِ عبدِ اللهِ بنِ عبّاسٍ، فَلَمَّا لمْ يَرْضَ بذلكَ خَرَجَتِ الخوارجُ عليهِ وقالوا: لِمَ حَكَّمْتَ الرّجالَ؟ لاَ حُكْمَ إلاَّ للهِ[2].

ومِنَ العلماءِ مَنْ يَرَى بأنَّ نشأةَ الخوارجِ بدأتْ بالخروجِ على عثمانَ بإحداثِهِم الفتنةَ التي أدَّتْ إلى قتلِهِ ظُلمًا وعُدوانًا، وَسُمِّيَتْ تلكَ الفتنةُ التي أحدَثُوهَا بالفتنةِ الأُولى[1].

---

[1] - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي: تلبيس إبليس، المصدر السابق، ص٨٩.

[2] - أبو الفتح عبد الكريم، الشهرستاني: الملل والنّحل، مصدر سابق، ص١٥٦.

يقولُ الدكتورُ عامرٌ النّجارُ: إنّهُ مِنَ المعروفِ أنَّ فِرقةَ الخوارجِ نشأتْ - في أرجحِ الآراءِ - بسببِ التّحكيمِ في الخلافِ بينَ الإمامِ عليٍّ ومعاويةَ في موقعِ صفّينَ، لَمَّا طَلَبَ معاويةُ وأصحابُهُ في صفّينَ (سنة٣٧هـ) مِنَ الإمامِ عليٍّ أنْ يَتَحَاكَمَ الفريقانِ إلى القرآنِ الكريمِ، تَرَدَّدَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ في قبولِ وجهةِ نظرِهِمْ لِمَعْرِفَتِهِ بِدَهَاءِ معاويةَ وعَمْرِو بنِ العاصِ صاحبِ فكرةِ رَفْعِ المصاحفِ والتّحاكمِ إلى القرآنِ الكريمِ، لكنَّ بَعْضَ أصحابِ عليٍّ حَثُّوهُ عَلَى قبولِ فِكرةِ التحاكمِ إلى القرآنِ الكريمِ، فَقَبِلَ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَرَضَخَ لِلرَّأْيِ حتَّى لاَ يُؤَدِّيَ رفضُهُ إلى افتراقِ جماعتِهِ[٢].

وقدْ بَدَأَتِ الفُرقَةُ تَدُبُّ بينَ المسلمينَ حينَ اقترحَ معاويةُ بنُ أبي سفيانَ على عليِّ بنِ أبي طالبٍ إبّانَ وقعةِ صفّينَ ٣٧هـ/٦٥٧م، أنْ يَحْتَكِمَا إلى حَكَمَيْنِ[٣] يَعْتَمِدَانِ في حُكْمِهِمَا على كتابِ اللهِ حَسْمًا للخلافِ الذي أدَّى إلى مَقْتَلِ

---

[١] - عليّ محمّد محمّد الصّلاّبي: أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، شخصيته وعصره، دار بن كثير للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص٥٨٤.

[٢] - عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، دار المعارف، ط١، ١٩٩٣م، ص٤١.
- عامر النجّار: في مذاهب الإسلاميين، الخوارج – الإباضيّة – الشيعة، دار المعارف، دط، دت، ص٤٠.

[٣] ـــــ لكن حسب رأيي أنّ الفُرقة بدأتْ بين المسلمين بِمقبل عثمان ﷺ ثمّ بمعركة الجمل ثمّ زادت في وقعة صفين.

عثمانَ، فَلَمَّا قَبِلَ عليٌّ التحكيمَ وكانَ مِنْ أَمْرِهِ ما كانَ مِنْ خِداعِ عَمْرِو بنِ العاصِ لأبي موسَى الأشعريِّ، قالَ بعضُ المتمرّدينَ وكانَ مُعْظَمُهُمْ مِنْ قبيلةِ تميمٍ: لاَ حُكْمَ إِلاَّ للهِ. فَلَمَّا سَمِعَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ذلكَ قالَ قولتَهُ المشهورةَ: "كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ، وَإِنَّمَا مَذْهَبُهُمْ أَلاَّ يَكُونَ أَمِيرٌ، وَلاَ بُدَّ مِنْ أَمِيرٍ، بَرًّا كانَ أَوْ فَاجِرًا".

ثمَّ تَجَمَّعَ هؤلاءِ الخارجونَ وَاتَّجَهُوا نحوَ حروراءَ غيرَ بعيدٍ عنِ الكوفةِ، فَتَابَعَهُمْ عليٌّ يَبْغِي صَلاَحَهُمْ، وَوَقَفَ بَيْنَهُم وَخَاطَبَهُم مُتَوَكِّئًا على قوسِهِ قائلاً: "أَنْشُدُكُمُ اللهَ هلْ عَلِمْتُمْ أَحَدًا كانَ أكرهَ للحكومةِ منِّي؟ قَالُوا: اللّٰهُمَّ لاَ. قالَ: أَفَعَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ أَكْرَهْتُمُونِي عَلَيْهَا حَتَّى قَبِلْتُهَا؟ قالُوا: اللّٰهُمَّ نعمْ. قالَ: فَعَلاَمَ خَالَفْتُمُونِي وَنَابَذْتُمُونِي؟ قَالُوا: إِنَّا أَتَيْنَا ذَنْبًا عَظِيمًا فَتُبْنَا إلى اللهِ مِنْهُ"[1].

وَعَادُوا معَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ إلى الكوفةِ، ثمَّ ما لَبِثُوا أنْ عَاوَدَتْهُمْ فِكْرَةُ الخروجِ ظنًّا منهمْ أنَّ عليًّا قدْ رجعَ عنِ الحكومةِ، فَأَرْسَلَ إليهم ابنَ عبّاسٍ لِكَيْ يَتَفَادَى المسلمونَ الفتنةَ، وَلَكِنَّهُمْ أَصَرُّوا على مَوْقِفِهِمْ مِنْ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ

[1] - مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، دط، دت، ص١٢١.

وَجْهَهُ، وَأَجْمَعُوا البيعةَ لواحدٍ مِنْ بَيْنِهِمْ اسْمُهُ "عبدُ اللهِ بنُ وهبٍ الرَّاسبيُّ"[1]، وقدْ عُرِفُوا "بالحروريةِ" نِسْبَةً إلى "حَرُورَاءَ" أوّلِ بلدةٍ خَرَجُوا إليها، كمَا عُرِفُوا "بِالْمُحَكِّمَةِ"؛ لأنَّهُم قالوا: "لاَ حُكْمَ إِلاَّ للهِ".

خرجَ كثيرٌ مِنْ أنصارِ عليٍّ وَانْضَمُّوا إليهمْ، وَأَطْلَقُوا على أَنْفُسَهُمْ اسْمَ "الشُّراةِ"، أيِ الذينَ يَشْرُونَ أنفسَهُم ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ، وَلَكِنَّهُمْ لمْ يَلْتَزِمُوا

---

[1] - تقول المصادر الإباضيّة: أنّ عبد الله بن وهب الراسبي هو صحابي جليل، يُطلق عليه ذو الثفنات لكثرة عبادته، وقد انتخبه أصحابه في حروراء بالإجماع خليفة للإمام عليّ ﷺ بعد أنْ قَبِلَ مهزلة التّحكيم لرَأْي رآه.

- محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٣١.

ولكنّ عند تَتَبُّعي واطّلاعي بقدر استطاعتي للمصادر التّاريخيّة المُعتَمَدة في تَرَاجُم الصّحابة،لم أجد عبد الله بن وهب الرّاسبي مُدْرجاً ضِمن قائمة الصّحابة، ولم أجد صحابيًا بهذا الاسم.

ـــــ انظر: ابن عبد البّر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عليّ محمّد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، الفُجالة، القاهرة، د ط، دت، ج٣، باب: عبد الله، ص٨٦٥ ـــــ ١٠٠٤.

ـــــ انظر: ابن الأثير، بن الحسن عليّ بن محمّد الجزريّ عزّ الدّين(٥٥٥/٦٣٠هـ): أُسُد الغابة في معرفة الصّحابة، تحقيق: محمّد إبراهيم البنا، محمّد أحمد عاشور، محمّد عبد الوهاب فايد، دار الشّعب، د ط، د ت، ج٣، باب العين، ص١٠٩ ـــــ ٤١٨.

ـــــ انظر: العسقلاني، أحمد بن عليّ بن حجر(٧٧٣/٨٥٢هـ): الإصابة في تمييز الصّحابة، تحقيق: عليّ محمّد البجاوي، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الفُجالة، القاهرة، د ط، د ت، ج٤، باب العين، ص٣ ـــــ ٢٨١.

جَادَّةَ الصَوابِ في تصرّفاتِهِم وأقوالِهِم، وَلَجَأُوا إلى بعضِ الآراءِ المتطرّفةِ والأعمالِ القاسيةِ، فَطَعَنُوا في عليٍّ وأحقّيتِه بالخِلافةِ، وَطَعَنُوا في مَسْلَكِ عثمانَ، وَحَكَمُوا بالكُفرِ والارتدادِ على كلِّ مَنْ لاَ يُجَارِيهِمْ في التَّهَجُّمِ على عثمانَ وعليِّ بنِ أبي طالبٍ.

ومِنْ أَمْثِلَةِ أَعْمَالِهِمُ الإرهابيّةِ أنَّهُم قَابَلُوا مُسْلِمًا وَنَصْرَانِيًّا، فَقَتَلُوا المسلمَ وَأَوْصَوْا بالنصرانيِّ خَيْرًا، وَقَالُوا: احْفَظُوا ذمّةَ نبيِّكُم، وهيَ مغالطةٌ صريحةٌ؛ لأنَّ الأقومَ أنْ يَحْفَظُوا على كلٍّ مِنَ الرَّجُلَيْنِ رُوحَهُ وَدَمَهُ، وَسَلامةُ المسلمِ في الدرجةِ الأُولَى ثُمَّ سلامةُ الذِّمِّيِّ[1].

كانَ موقفُ عليٍّ منهمْ أوّلَ الأمرِ ألاَّ يُحَارِبَهُمْ حتّى يَبْدَؤُوهُ بالحَرْبِ، فَلَمَّا عَمَدُوا إلى استعمالِ العنفِ وقَتَلُوا عبدَ للهِ بنَ خبّابٍ وفي عُنُقِهِ المصحفُ ومعهُ امرأتُهُ بعدَ حوارٍ طويلٍ جَرَى بينَهُ وبينَهُمْ يَفِيضُ بالحِكمةِ مِنْ جانبِ ابنِ خبّابٍ وبالْغِلْظَةِ مِنْ جانِبِهِمْ، وَلَمَّا رَكِبُوا رُؤُوسَهُمْ ولَمْ يُحَاوِلُوا أنْ يَسْتَجِيبُوا لدعوةِ عليٍّ، خَرَجَ إليهمْ في يومِ النَهروانِ وأوقعَ بهمْ وَقَتَلَ مِنْهُمْ عَدَدًا كبيرًا، وفي هذهِ الموقعةِ قُتِلَ زَعِيمُهُمُ ابنُ وهبٍ.

---

[1] ـــــ مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، دط، دت، ص١٢٢.

وقدْ كانَ بِمكنَةِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أنْ يَقْضِيَ على الخوارجِ قضاءًا مبرمًا، وَلَكِنَّهُمْ ما لَبِثُوا أنْ تَرَبَّصُوا بِهِ، وَأَرْسَلُوا إليهِ وَاحِدًا مِنْهُمْ هوَ عبدُ الرحمنِ بنُ ملجمٍ المراديُّ فَقَتَلَهُ في المسجدِ[1].

وقدْ ذكرَ البغداديُّ في حديثِهِ عنِ الخوارجِ: "يُقالُ للخوارجِ مُحَكِّمَة وشُرَاة، وَاخْتَلَفُوا في أوّلِ مَنْ تَشَرَّى منهمْ، فَقِيلَ عُرْوَةُ بنُ حديرٍ أخو مرادسٍ الخارجيِّ، وَقِيلَ: أَوَّلُهُمْ يزيدُ بنُ عاصمٍ المحاذيُّ، وقيلَ رجلٌ منْ ربيعَةَ منْ بني يَشْكرَ كانَ معَ عليٍّ بصفينَ، فَلَمَّا رَأَى اتّفاقَ الفَريقَيْنِ على الحَكَمَيْنِ اسْتَوَى على فرسِهِ وحَمَلَ على أصحابِ معاويةَ وقَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلاً وحَمَلَ على أصحابِ عليٍّ وَقَتَلَ مِنْهُمْ رَجُلاً، ثمّ نَادَى بأَعْلَى صوتِهِ أَلاَ إنّي قدْ خَلَعْتُ عليًّا ومعاويةَ، وبرِئْتُ منْ حُكْمِهِمَا، ثمَّ قاتلَ أصحابَ عليٍّ حتى قَتَلَهُ قومٌ منْ همَذَانَ، ثُمَّ إنَّ الخوارجَ بعدَ رجوعِ عليٍّ منْ صفّينَ إلى الكوفةِ انْحَازُوا إلى حَرُورَاءَ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ اثنَا عَشَرَ أَلْفًا.

وَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ الْخَوَارِجُ "حَرُورِيَّة"، وَزَعِيمُهُمْ يَوْمَئِذٍ عبدُ اللهِ بنُ كوا وشبثُ بنُ رِبْعِيٍّ[2].

---

[1] - المصدر نفسه، ص١٢٢.

[2] - عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت٤٢٩هـ): الفرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، ص٥٦ – ٥٧.

وقدْ رُوِيَ أنَّ الأشعثَ بنَ قيسٍ مَرَّ علَى ملأٍ مِنْ بَنِي تميمٍ فقرأَ عليهمُ الكتابَ، فقامَ إليهِ عروةُ ابنُ أُذَيْنَةَ وهيَ أُمُّهُ، وهوَ عروةُ بنُ جريرِ بنِ بني ربيعةَ بنِ حنظلةَ، وهوَ أخُو أبي بلالٍ مِرْدَاسِ بنِ جريرٍ، فقالَ: أَتُحَكِّمُونَ في دِينِ اللهِ الرجالَ؟ ثمَّ ضَرَبَ بسيفِهِ عَجُزَ دابَّةِ الأشعثِ بنِ قيسٍ، فَغَضِبَ الأشعثُ وقومُهُ، وجاءَ الأحنفُ بنُ قيسٍ وجماعةٌ مِنْ رؤسائِهِمْ يَعتذِرُونَ إلى الأشعثِ بنِ قيسٍ منْ ذلكَ، قالَ الهيثمُ بنُ عديٍّ: وَالخوارجُ يَزْعُمُونَ أنَّ أوَّلَ مَنْ حَكَّمَ عبدُ اللهِ بنُ وهبٍ الرَّاسبيُّ. قُلْتُ: والصَّحيحُ الأوَّلُ، وقدْ أَخَذَ هذهِ الكلمةَ مِنْ هذا الرجلِ طوائفُ مِنْ أصحابِ عليٍّ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَقَالُوا: لاَ حُكْمَ إلاَّ للهِ، فَسُمُّوا الْمُحَكِّمِيَّةَ، وَتَفَرَّقَ الناسُ إلى بِلاَدِهِمْ مِنْ صِفِّينَ[1].

وقدْ أَرْسَلَ عليٌّ أبَا موسَى الأشعريَّ على أنْ يَحْكُمَ بكتابِ اللهِ، وَلَمَّا جَرَى الأمرُ على خِلافِ الحقِّ، رَفَضَ عليٌّ قَبُولَ حُكْمِ الحكَمَيْنِ، فَخَرَجَ

- طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (ت٤٧١هـ): التبصير في الدين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفِرَق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٤٦.

- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني بن الأثير، (ت٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، عُنِيَ بمراجعة أصوله والتعليق عليه: نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، دت، ج٣، ص١٦٥.

[1] - عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠٠-٧٧٤هـ) البداية والنهاية، مكتبة الصفا، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج٧، ص٢٢٦.

عليهِ بعضُ أصحابِهِ وقالُوا: لِمَاذَا حَكَّمْتَ الرِّجَالَ؟ لاَ حُكْمَ إِلاَّ للهِ. فَقَالَ الإمامُ عليٌّ: كلمةُ حَقٍّ يُرَادُ بهَا بَاطِلٌ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ لاَ إِمَارَةَ وَلاَ بُدَّ مِنْ إِمَارَةٍ بَرَّةٍ، أَوْ فَاجِرَةٍ. ثُمَّ انْحَازُوا إلى "حَرُورَاءَ" وَأَعْلَنُوا بذلكَ خُرُوجَهُم على "عليٍّ" و"معاويةَ" و"الحكمَيْنِ" وكلِّ مَنْ رَضِيَ بالتَّحْكِيمِ. فَكَانُوا هُمْ جماعةَ الخوارجِ الأُولى[1].

فَالْخَوَارِجُ حِزْبٌ سِيَاسِيٌّ دِينِيٌّ، قامَ في وجهِ السلطةِ القائمةِ مِنْ أجلِ الدّينِ كما فَهِمُوهُ، وهمْ لاَ يَعُدُّونَ أَنْفُسَهُم خارجينَ عنِ الدّينِ، بلْ خَارِجِينَ مِنْ أجلِ الدّينِ، ومِنْ أجلِ إقامةِ شرعِ اللهِ، غيرَ مُبَالِينَ بما يُحْدِثُهُ ذلكَ الخُروجُ مِنْ فُرقةٍ وانقسامٍ وأحداثٍ داميةٍ، وهمْ مُجَاهِرُونَ بِدَعْوَتِهِمْ مُتَمَسِّكُونَ بدعوةِ "الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ"، غيرَ مُبَالِينَ بمَا يُؤَدِّي إليهِ تَطْبِيقُ هذا المبدأِ مِنْ قتلِ المخالفِينَ سِرًّا أَوْ عَلَنًا، ولقدْ تَشَبَّثُوا بهذا المبدأِ وَتَطْبِيقِهِ حتَّى أَصْبَحَ علامةً مِنْ علاماتِهِم[2].

---

[1] - عامر النجّار: في مذاهب الإسلاميين، الخوارج ـــــ الإباضيّة ـــــ الشيعة، مصدر سابق، ص٤٠.

[2] - محمد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، دار الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمّان، ط١، ٢٠١١م، ص٤٥.

- عبد الفتّاح المغربي، الفِرَق الكلاميّة الإسلاميّة، مدخل ودراسة، دار التوفيق، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٧٥.

وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ بأنَّ الخوارجَ أوّلُ حِزْبٍ سياسيٍّ يَتَكَوَّنُ في تاريخِ الإسلامِ، وَتَبْرُزُ شخصيَّتُهُ على مسرحِ الحوادثِ واضحةً محدّدةً، وَتَتَقَرَّرُ عقائدُهُ ونظريّاتُهُ في مبادئَ متميّزةٍ جليّةٍ، وَيَتَبَلْوَرُ لهُ نظامٌ، ومِنْ تلكَ اللحظةِ التي نَشَأَ فيها هذا الحزبُ يُمْكِنُ تَتَبُّعُ حَيَاتِهِ في أدوارٍ مختلفةٍ، وَأَطْوَارٍ متعاقبةٍ، وهيَ سلسلةٌ تُمْسِكُ حَلَقَاتُهَا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ مُمْتَدَّةٌ طَوالَ عصورِ التاريخِ.

وهذهِ الفِرقةُ أشدُّ الفِرَقِ الإسلاميّةِ دفاعًا عنْ مَذْهَبِهَا، وحماسةً لآرائِهَا، وأشدُّ الفِرَقِ تهوّرًا واندفاعًا، وهمْ في دفاعِهِم وتهوُّرِهِمْ مُتَمَسِّكُونَ بألفاظٍ قدْ أَخَذُوا بظواهرِهَا، وَظَنُّوا هذهِ الظواهرَ دينًا مقدّسًا لاَ يَحيدُ عنهُ مؤمنٌ، اسْتَرْعَتْ أَلْبَابُهُمْ كلمةَ (لاَ حُكْمَ إِلاَّ للهِ) فَاتَّخَذُوهَا دِينًا يُنَادُونَ بهِ، فَكَانُوا كُلَّمَا رَأَوْا عليًّا يَتَكَلَّمُ قَذَفُوهُ بهذهِ الكلمةِ، وَاسْتَهْوَتْهُمْ أَيْضًا فكرةُ (الْبَرَاءَةِ) مِنْ سَيِّدِنَا عثمانَ بنِ عفّانَ والإمامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ والحُكّامِ الظالِمِينَ مِنْ بنِي أُميّةَ حتَّى احْتَلَّتْ أَفْهَامَهُمْ، وَاسْتَوْلَتْ على مَدَارِكِهِمُ استيلاءً تامًّا، وَسَدَّتْ عليهم كلَّ طريقٍ يَتَّجِهُ بِهِمْ للوصولِ إلى الحقِّ، أوْ يَنْفذُونَ منهُ إلى معانِي الكلماتِ التي يُرَدِّدُونَهَا، بلْ إلى معانِي حقائقِ الدّينِ ذَاتِهَا، فمَنْ تَبَرَّأَ منْ عثمانَ وعليٍّ ومعاويةَ وطلحةَ والزبيرِ والحكّامِ الظالمينَ مِنْ بنِي أميّةَ سَلَكُوهُ في

جَمْعِهِمْ، وَأَضَافُوا اسْمَهُ إلى أَسْمَائِهِمْ، وَتَسَامَحُوا معهُ في مبادئَ أُخْرَى مِنْ مَبَادِئِهِمْ[1].

وقدِ ارْتَبَطَ ظُهُورُ مَذْهَبِ الخوارجِ وانتشارُهُ في بلادِ المغربِ الإسلاميِّ بِعَامِلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: التطوّرُ السياسيُّ الذي حَدَث للخوارجِ في المشرقِ الإسلاميِّ، وفي أواخرِ القرنِ الأوّلِ الهجريِّ بعدَ فَشَلِ ثَوَرَاتِهِمْ وَاضْطِرَارِهِمْ إلى اتّباعِ أسلوبِ الدّعوةِ والتنظيمِ السّياسيِّ واختيارِ أطرافِ العالمِ الإسلاميِّ ميدانًا لِنَشَاطِهِمْ بَعْدَ أنْ تَعَرَّضُوا للمطاردةِ والاضطهادِ.

وَثَانِيهِمَا: ملائمةُ الأحوالِ السياسيّةِ والاجتماعيّةِ في بلادِ المغربِ في أواخرِ القرنِ الأولِ الهجريِّ وأوائلِ القرنِ الثاني لِتَقَبُّلِ هذا المذهبِ وانتشارِهِ.

وَلَيْسَ مِنْ شكٍّ في أنَّ ما لَحِقَ بالخوارجِ مِنْ فَشَلٍ في المشرقِ يُعْزَى إلى أسبابٍ عدّةٍ، منها تَطَرُّفُ عَقَائِدِهِمْ، وَقُصُورُ فِكْرِهِمُ السّياسيِّ الظاهرِ مِنَ الثوراتِ التي قَامُوا بها طوالَ العصرِ الأمويِّ، ثمَّ يَقَظَةُ الخِلافةِ وَرِجَالِهَا في مُناهضةِ هذهِ الثوراتِ ومواجهتِهَا في سرعةٍ وحزمٍ[2].

---

[1] - محمد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، المصدر السابق، ص٤٦.

[2] - محمد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، المصدر السابق، ص٤٧.

- محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م، ص٢٥.

وَنَشَأَتِ الخوارجُ نشأةً سياسيّةً، وَظَلُّوا رَغْمَ اختلافِهِم في المكانِ الذي يُعْلِنُونَ منهُ الخروجَ، وفي الزّمانِ الذي يَتِمُّ فيهِ الخروجُ، وفي التّباينِ إزاءَ بعضِ المسائلِ الفكريّةِ بينَ تيّاراتِهِم؛ ظَلُّوا أوفياءَ وَمُجْمِعِينَ على القضايَا السياسيّةِ التي اسْتَدْعَتْ نشأةَ فِرْقَتِهِمْ وَأَعْطَتْ هذهِ الفِرقةَ ما يُمَيِّزُهَا عنْ سِوَاهَا مِنْ فِرَقِ الإسلامِ[1].

وفي خِتامِ نشأةِ الخوارجِ نجدُ في كتابِ "فِرَقٌ مُعَاصِرَةٌ تَنْتَسِبُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَبَيَانُ مَوْقِفِ الْإِسْلَامِ مِنْهَا" لِلدكتورِ: غالبِ بنِ عليّ عوَاجِي، أنّهُ يذكرُ اخْتِلَافَ الْمُؤَرِّخِينَ في نشأةِ الخوارجِ باختصارٍ فيقولُ:

اخْتَلَفَ المؤرخونَ وعلماءُ الفِرَقِ في تحديدِ بَدْءِ نشأتِهِم فيمَا يَلِي:

١ - أنَّهُم نَشَأُوا في عهدِ النبيِّ ﷺ.

٢ - أنَّهُم نَشَأُوا في عهدِ عثمانَ.

٣ - أنَّهُم نَشَأُوا في عهدِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، حينَ خَرَجَ عليهِ طلحةُ والزبيرُ، كمَا يَزْعُمُ بَعْضُ علماءِ الإباضيّةِ - حَسَبَ قَوْلِهِ.

٤ - أَوْ حِينَ خَرَجَ الخوارجُ مِنَ الْمُحَكِّمَةِ عنْ جَيْشِهِ كمَا هوَ الرَاجحُ.

---

[1] - اللواء حسن صادق: جذور الفتنة في الفِرق الإسلاميّة منذ عهد الرسول حتى اغتيال السّادات، مكتبة مدبولي، القاهرة، دط، دت، ص١٨٨.

٥ - أَنَّهُمْ ظَهَرُوا فِي عَهْدِ نافعِ بنِ الأزرقِ ابتداءً منْ سنةِ ٦٤هـ[1].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[1] - غالب بن عليّ عواجي: فِرَقٌ معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، مصدر سابق، ج١، ص٢٣٢.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: أَسْبَابُ خُرُوجِ الْخَوَارِجِ

إنَّ الفتنةَ التي تَأَجَّجَ سَعِيرُهَا بينَ المسلمينَ والتي شَتَّتَتِ الشَّملَ، وَصَدَعَتِ الوحدةَ، وَجَعَلَتْهُمْ شِيَعًا وَأَحْزَابًا مُتَنَافِرَةً، وَفِرَقًا مُتعاديةً، يُكَفِّرُ بعضُها الآخرَ، لاَ ترجعُ إلى سببٍ واحدٍ، أوْ عاملٍ بسيطٍ، وإنّما تُرَدَّ إلى عواملَ متشابكةٍ معقّدةٍ، مِنها ما يعودُ إلى أسبابٍ اجتماعيّةٍ تكوَّنَتْ داخلَ المجتمعِ الإسلاميِّ نفسِهِ، عنْ طريقِ نُمُوِّهِ وتَعَقُّدِ علاقاتِهِ الاجتماعيّةِ، ومنها ما يرجعُ إلى أسبابٍ اقتصاديّةٍ، لِمَا تَجَمَّعَ لَدَيْهِمْ مِنَ الثرواتِ التي أَوْجَدَتْ بينَهُم علاقاتٍ جديدةً، نَتَجَ عنها لَوْنٌ مِنْ ألوانِ الصّراعِ والتّنافسِ على حصولِ المالِ مِنْ بعضِ الذينَ اسْتَهْوَتْهُمُ الدّنيا، ومنها ما يُرَدُّ إلى مؤامراتٍ سرّيةٍ غنّوصيةٍ[1]، هَدَفُهَا تخريبُ المجتمعِ الإسلاميِّ مِنْ داخلِهِ، وَتَقْوِيضُهُ مِنْ

---

[1] ـــــ يُعرِّفها فرح السّواح في كتابه: الوجه الآخر للمسيح فيقول: "الغنّوصية مذهب فضفاض لا يقوم علَى إيديولوجيا دينيّة متحجّرة، أو دوغما مذهبيّة، وقد بدأتْ بواكيره في الظّهور مع مطالع القرن الأول الميلادي بتأثير مِن الفلسفة الأفلاطونية الوسيطة، والتّعاليم الهرمزية المنسوبة إلى شخصيّة غير تاريخيّة وإلى هرمز المثلّث العظمة. وهذه التّعاليم الهرمزيّة مبثوثة في ثماني عشر رسالة تمثّل نوعامِن الغنّوصية المبكّرة، صاغها علَى ما يَبْدُو عدد مِن المؤلّفين الذين ينتمون إلى أخويّة روحيّة تشبه في تنظيمها جماعة إخوان الصفا".

ـــــ السواح، فراس: طريق إخوان الصفا، المدخل إلى الغنّوصية الإسلاميّة، منشورات دار علاء الدين، د ط، د ت، ص٢٧.

ويقول أيضا: "جاءت تسمية الغنّوصية gnostisem مِن الكلمة اليونانيّة gnosis التي تعني المعرفة الحدسيّة الباطنيّة، أو العرفان بمصطلح التّصوف الإسلامي، والعارفون هم الغنّوصيون gnostics الذين يتواصلون مِن خلال بصيرتهم الدّاخلية بالحقيقة الكلية، أما خصومهم فهم غير العارفين agnostics الذين وقفوا عند ظاهر التّعاليم الدّينية ولم ينفذوا إلى باطنها، فإذا كان الخلاص عند اليهود يتأتّى عن طريق الالتزام بالشّريعة، وعند المسيحيّين القويمين من خلال الإيمان بيسوع المسيح، فإنّ الخلاص عند الغنّوصي يتأتّى عن طريف فعاليّة روحانيّة داخليّة تقود إلى معرفة النّفس، ومعرفة النّفس تقود إلى معرفة الطّبيعة الإنسانيّة، ومصير الإنسان، وفي أعماق مستوياتها تقود إلى معرفة الله، ذوقاً وكشفًا وإلهامًا، عند ذلك يمكن تحرير الرّوح الحبيسة في إطار الجسد المادي والعالم المادّي الأوسع، لتعود إلى العام النّوراني الذي صدرت عنه، يقول المعلّم الغنّوصي "ثيودوتُش": "إن الغنّوصي هو الذي يتوصّل إلى فهم مَن نحن، وما الذي صرنا إليه، وأين كنّا، وإلى أين نسعى، ومِن ماذا علينا أن نتخلّص، ما هو الميلاد، وما هو الميلاد الثاني"

ـــــ السواح، فراس، الوجه الآخر للمسيح، موقف يسوع مِن اليهود واليهوديّة وإله العهد القديم، ومقدمّة في المسيحيّة الغنوصيّة، دار علاء الدين للنّشر والتّوزيع والتّرجمة، سوريّة، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م، ص٦٦.

"والغنوصية مِن الكلمة اليونانيّة "جنوصيص gnosis"، ومعناها: "علم" أو "معرفة" أو "حكمة" أو "عرفان". وتُستخدَم الكلمة الأخيرة في المعجم العربي للإشارة للغنّوصيّة. والغنّوصيّة حركة فلسفيّة وتعاليم دينيّة متنافرة، أخذتْ شكل أنساق أسطوريّة جميلة في غاية التّنوّع وعدم التّجانس، انتشرت في الشّرق الأدنى القديم في القرنين الثّاني والثّالث بعد الميلاد. ورغم عدم تجانس أساطيرها وتعاليمها وأفكارها، بل تنافرها، فيمكن القول بأنّ كلّ الأنساق الغنّوصيّة تدور في إطار الحلوليّة الكمونيّة. وتنطلق الحلوليّة الغنّوصيّة

أساسِهِ، فَعمدَتْ إلى أصولِ العقيدةِ، وَحَاوَلَتْ أنْ تُدخِلَ فيها عناصرَ فلسفيّةً غُنَوصيّةً غريبةً تُفْنِيهَا مِنْ دَاخِلِهَا، عنْ طريقِ الصّراعِ الفِكريِّ الفلسفيِّ الخفيِّ[1].

فقدْ قُوبِلَ الإسلامُ في نشأتِهِ الأولى بمعارضاتٍ شديدةٍ وتيّاراتٍ جارفةٍ للقضاءِ عليهِ منذُ بُزوغِ فجرِهِ مِنْ قِبَلِ العناصرِ الدينيّةِ والشّعوبيةِ المناوِئةِ لهُ، ولكنْ باءَتْ تلكَ المحاولاتُ بالفشلِ، ولكنَّ أعداءَ الإسلامِ - وقدْ فَشَلُوا - لاَ يُمْكِنُ أنْ يَقِرَّ لهمْ قرارٌ أوْ تَفُوتَهُمْ فرصةٌ مِنَ الفُرَصِ التي تحدثُ عندَ غفلةِ المسلمينَ، لاَ يُمْكِنُ أنْ يَفُوتَهُمْ ذلكَ دُونَ أنْ يُحَاوِلُوا الفتَّ في عَضُدِهِ بأيِّ سلاحٍ كانَ حسيًّا أوْ معنويًّا، ولهذا فقدْ حَدَثَتْ فِتَنٌ كثيرةٌ بسببِ تلكَ المؤامراتِ الخفيّةِ مِنْ تلكَ العناصرِ.

عادةً مِن رؤية إثنينيّة ازدواجيّة صارمة ترى أنّ هناك إلهيْن وليس إلهاً واحداً: إلهاً خفيّاً خيِّراً (إله العهد الجديد) وإلهاً ظاهراً شرّيراً (إله العهد القديم)".

المسيري، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرفق بملحق للمصطلحات والمفاهيم، دار الشروق، د ط، د ت، ص٤٧٠

[1] - عمار طالبي: آراء الخوارج الكلاميّة، مصدر سابق، ج١، ص٤٧.

وما حُدُوثُ تلكَ الفتنةِ الهوجاءِ التي حيَّرَتِ الألبابَ ذوي النُّهَى والتي رَاحَ ضَحِيَّتَهَا آلافُ المسلمينَ بينَ عليٍّ ومعاويةٍ فمِنْ بَعْدِهِمَا إلى يَوْمِنَا هذا إلاَّ جُزْءٌ مِنْ تلكَ المؤامراتِ البعيدةِ[1].

وفي البحثِ عنِ الأسبابِ والعواملِ التي أدَّتْ إلى ظهورِ حركةِ الخوارجِ يختلفُ المفكّرونَ في تحديدِ هذا السببِ أوْ ذاكَ، وفي تحديدِ مدَى فعاليّةِ بعضِ الأسبابِ؛ فسوفَ نَعْرِضُ فيمَا يلي أهمَّ الأسبابِ التي يَضَعُهَا المفكّرونَ أمامَ ظاهرةِ حركةِ الخوارجِ، ومِنْ تلكَ الأسبابِ ما يَلِي:

أوّلاً: النّزاعُ حولَ الخلافةِ

وَنَقْصِدُ بذلكَ وقوعَ النزاعِ المسلّحِ بينَ المسلمينَ حولَ الخِلافةِ مِنْ جهةٍ، ونزاعَ الخوارجِ معَ غيرِهِم في طريقةِ توليةِ الخليفةِ وشروطِ قيامِهِ بمهمّتِهِ مِن جهةٍ أخرى، فمِن حيثُ وقوعُ النزاعِ بينَ المسلمينَ حولَ الخِلافةِ فإنَّ هناكَ مِنَ الباحثينَ مَنْ يَعْتَبِرُ الخوارجَ كالشّيعةِ حزبًا سياسيًّا ظَهَرَ في فَجْرِ الإسلامِ، وأَنَّ ظهورَهُم يَرْجِعُ أوّلاً وبالذّاتِ إلى الخِلافِ حولَ الإمامةِ العظمَى[2].

---

[1] - غالب بن عليّ عوّاجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقاديّة وموقف الإسلام منها، مصدر سابق، ص٩٩.

[2] - المصدر نفسه، ص١٠٠.

وربَّمَا يكونُ هذا هوَ أقوَى الأسبابِ في خُرُوجِهِمْ، فالخوارجُ لهمْ نظرةٌ خاصّةٌ في الإمامِ معقّدةٌ وشديدةٌ، والحكّامُ القائمونَ في نَظَرِهِمْ لاَ يَسْتَحِقُّونَ الخِلافةَ، لِعَدَمِ تَوَفُّرِ شُرُوطِ الخوارجِ القاسيةِ فِيهِمْ، أَضِفْ إلى هَذَا عَدَمَ الاستقرارِ السّياسيِّ الذي شَجَّعَهُمْ على الخروجِ، وإلى الحَسَدِ الذي كانَ كامِنًا في نُفُوسِهِمْ ضدَّ قُرَيْشٍ، إضافةً إلى أنَّهُم فَسَّرُوا الخِلافَ بينَ عليٍّ ومعاويةَ بأنَّهُ نزاعٌ حولَ الخِلافةِ، ومِنْ هنَا اسْتَسْهَلُوا الخروجَ على عليٍّ ومعاويةَ مِنْ بَعْدِهِ[1].

يقولُ الدكتورُ عبدُ الحليمِ محمُود: "إذَا كانَ السببُ في ظهورِ الشّيعةِ والخوارجِ هوَ الاختلافَ على الإمامةِ، فإنَّ السّببَ في ظهورِ هذهِ الفِرَقِ - يُشِيرُ إلى الْمُشَبِّهَةِ والمعتزلةِ...الخ - هوَ البحثُ والجدلُ في العقيدةِ الدّينيّةِ"[2].

والواقعُ أنَّ خِلافَ المسلمينَ حولَ الإمامةِ العُظمَى بعدَ مَقتلِ عثمانَ بنِ عفانَ لمْ يكنْ سببًا في نشأةِ الخوارجِ والشّيعةِ وَحْدَهُمْ، بلْ كانَ سببًا قريبًا أوْ بعيدًا في نشأةِ فِرَقٍ أُخْرَى كَالْمُرْجِئَةِ والقدريةِ...الخ. لكنَّ أَثَرَهُ في نشأةِ الشّيعةِ والخوارجِ آكَدُ وَأَظْهَرُ.

---

[1] - غالب بن عليّ عواجي: فِرَقٌ معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، مصدر سابق، ج١، ص٢٣٨.

[2] - غالب بن عليّ عوّاجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقاديّة وموقف الإسلام منها، مصدر سابق، ص١٠٠.

فقدْ كانَ الخوارجُ - قَبْلَ خروجِهِم علَى الإمامِ عليٍّ - يُكَوِّنُونَ جزءًا كبيرًا مِنْ جيشِهِ في حَرْبِهِ ضدَّ معاويةَ، وأدَّتْ قضيَّةُ التَّحكيمِ إلى خروجِهِم على عليٍّ ومعاويةَ جميعًا، ولولاَ هذا الخِلافُ الواقعُ بينَ المسلمينَ حولَ الإمامةِ لَمَا كانَ هناكَ لتلكَ العواملِ الأخرى التي دَفَعَتْ بالخوارجِ إلى الخروجِ فَاعِلِيَّتُهَا المؤثرةُ في ظهورِ الخوارجِ، على نَحْوِ ما سارَ إليهِ أَمْرُهُم فِيمَا بَعْدُ. فلوِ اسْتَقَرَّتِ الأمورُ للإمامِ عليٍّ لَسَارَ في النَّاسِ بِسِيرَةِ النَّبيِّ ﷺ والخليفتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَمَا كَانَتْ هناكَ مُبَرِّرَاتٌ لهذا الخروجِ الذي انْتَهَى بالأمرِ إلى أنْ يُصْبِحَ صِراعًا مسلَّحًا معَ الدَّولةِ الإسلاميَّةِ في عُهُودِهَا[1].

وهناكَ جانبٌ آخرُ مِنْ جوانبِ النِّزاعِ حولَ الخِلافةِ التي دفعتْ بالخوارجِ إلى الخُروجِ علَى بَنِي أميَّةَ وبَنِي العبَّاسِ، وهوَ رَأْيُهُمْ في طريقةِ اختيارِ الخليفةِ وشروطِ صحَّةِ خلافتِهِ وكيفيَّةِ قيامِهِ بأمرِ الخِلافةِ، وكانَ مِنْ أكبرِ الدَّوافعِ التي تَدْفَعُهُمْ إلى الخروجِ تلكَ الطريقةِ التي كانَ يَتِمُّ بها اختيارُ الخلفاءِ الأمويِّينَ والعباسيِّينَ عنْ طريقِ الوراثةِ، وهيَ طريقةٌ تُخَالِفُ ما يَرَاهُ الخوارجُ مِنْ ضرورةِ اختيارِ الخليفةِ ممَّنْ يَصْلُحُ للحُكمِ عنْ طريقِ الانتخابِ الحُرِّ بينَ المسلمينَ[2].

---

[1] - المصدر نفسه، ص ١٠١.

[2] - المصدر نفسه، ص ١٠٢.

وهكذا كانَ نزاعُ المسلمينَ حولَ الخِلافةِ ودخولُ الخوارجِ طَرَفًا في هذَا النّزاعِ، وما كانَ لهمْ في موضوعِ الخِلافةِ مِنْ رَأْيٍ؛ كانَ كلُّ ذلكَ مِنْ أوّلِ عواملِ خُرُوجِهِمْ على الإمامِ عليّ، ومَنْ جاءَ بعدَهُ مِنَ الخلفاءِ، إلى جانبِ أنَّ هذا النّزاعَ أَوْجَدَ عامِلاً مباشرًا فَجَّرَ ثورةَ الخروجِ علَى الإمامِ عليٍّ وهوَ التّحكيمُ.

ثانيًا: قضيّةُ التّحكيمِ

لقدْ وَقَعَ التّحكيمُ في معركةِ صفينَ، وذلكَ حينَمَا رَضِيَ عليٌّ مُكْرَهًا بالتّحكيمِ، وَبِتَحْكِيمِ أبي موسَى الأشعريِّ أَيْضًا وعَمْرِو بنِ العاصِ في هذهِ القضيّةِ، ومعَ ذلكَ فقدْ نَقِمَ عليهِ الخوارجُ قبولَهُ لهُ وجعلُوهُ مِنْ أسبابِ خروجِهِمْ عنْ طاعتِهِ، ثمَّ زَادَتْ نِقْمَتُهُم عليهِ حِينَمَا ظهرتِ النتيجةُ في غيرِ صالحِهِ، وَنَسُوا أَنَّهُمْ همُ الذينَ أَرْغَمُوهُ علَى قبولِهِ، ولهذا فَقَدْ رَفَضُوا الدخولَ تحتَ خِلافتِهِ، بلْ خرجُوا عليهِ.

وَاعْتِبَارُ التّحكيمِ سببًا مباشرًا في خروجِ الخوارجِ علَى الإمامِ عليٍّ هوَ ما يَذْهَبُ إليهِ عامّةُ علماءِ الفِرَقِ والمؤرّخينَ[1].

[1] - غالب بن عليّ عوّاجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقاديّة وموقف الإسلام منها، مصدر سابق، ص ١٠٣.

وهناكَ مَنْ يُقَلِّلُ مِنْ شأنِ هذهِ القضيّةِ كعاملٍ في ظهورِ الخوارجِ، ولاَ شَكَّ أنَّ هذَا خطأٌ، فقدْ كانَ التّحكيمُ مِنَ الأسبابِ القويّةِ في ظُهُورِهِمْ[1].

وقدْ ردَّ بعضُ العلماءِ وَشَنَّعَ علَى مَنْ يقولُ مِنَ المؤرّخينَ وكُتَّابِ الفِرَقِ بِأَنَّهُ كان في قضيّةِ التّحكيمِ خِداعٌ ومَكرٌ، كالقاضِي ابنِ العربيِّ في كتابِهِ العَواصِمُ مِنَ القَواصِمِ، حيثُ فَصَّلَ القولَ في هذا الأمرِ[2].

وَلَكِنَّنَا نَجِدُ الدكتورَ عبدَ الرّحمنِ بدويّ يُقَلِّلُ مِنْ قيمةِ كونِ التّحكيمِ سببًا مُباشِرًا في خروجِ الخوارجِ فيقولُ: "بَيْدَ أنَّ هذا السببَ المباشرَ هوَ أَوْهَى الأسبابِ، فإنَّ نزعةَ الخروجِ كانتْ كاملةً في النّفوسِ بِسَبَبِ ما آلَ إليهِ أمرُ الخِلافةِ علَى عهدِ عثمانَ وما انْتَهَى إليهِ أمْرُ الجماعةِ الإسلاميّةِ بعدَ مَقْتَلِهِ، مِنْ تَفَرُّقِ الأمّةِ إلى فريقَيْنِ مُتعارضَيْنِ مُتحاربَيْنِ.

والواقعُ أنَّ التّحكيمَ ليسَ هوَ أَوْهَى الأسبابِ كمَا قالَ، بلْ هوَ السببُ الذي فَجَّرَ الموقِفَ وَشَطَرَ جَيْشَ الإمامِ عليٍّ شَطْرَيْنِ كبيرَيْنِ مؤيّدِينَ لهُ وَخَارِجِينَ عليهِ، وما كانَ الموقفُ ليكونَ علَى الصّورةِ التي كانَ عليها بدونِ هذا السببِ، فَلَوْ فَرَضْنَا أنَّ الإمامَ عليًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ لمْ يَقْبَلِ التّحكيمَ وانْتَصَرَ بجيشِهِ علَى جيشِ معاويةَ وَتَمَّتْ لهُ السّيطرةُ علَى جميعِ الأمصارِ الإسلاميّةِ، لوْ

---

[1] -- غالب بن عليّ عواجي: فِرَقٌ معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، مصدر سابق، ج١، ص ٢٣٨.

[2] -- المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٩.

فَرَضْنَا ذلكَ فإنَّهُ مِنَ الْمُسْتَبْعَدِ أنْ تقومَ حركةُ الخوارجِ علَى نحوِ ما قامتْ عليهِ إذا استقرَّتِ الأوضاعُ للإمامِ عليٍّ على هذا النحوِ.

أمَّا نزعةُ الخُروجِ التي كانتْ كامِنةً بينَ الناسِ فمَا كانَ لَهَا أنْ تُحْدِثَ نَتَائِجَهَا الكبيرةَ بدونِ أسبابٍ قويّةٍ تَدْعُو إلى تلكَ النتائجِ، ربَّمَا كانتْ هذهِ النّزعةُ تُؤَدِّي إلى نَقْدِ بعضِ الأوضاعِ والتذمُّرِ منهَا والرّغبةِ في إصلاحِها - وهوَ شأنُ المحكومِينَ دائمًا معَ حُكَّامِهِمْ - وَلَكِنَّهَا لاَ تُؤَدِّي إلى الخروجِ بالمعنَى الحقيقيِّ إلاّ إذا كانتْ هناكَ أسبابٌ مباشرةٌ قويّةٌ تدفعُ النّاسَ إليهِ بمَا في نفوسِهِم مِنَ استعدادٍ سابقٍ له[1].

ثالثًا: جَوْرُ الْحُكَّامِ وَظُهُورُ المنكراتِ بينَ النّاسِ

هكذَا كانَ الخوارجُ يُرَدِّدُونَ في خُطَبِهِمْ وَمَقَالَاتِهِمْ أنَّ الحُكّامَ ظَلَمَةٌ والمنكراتِ فاشيةٌ، والواقعُ أنَّهُم حِينَمَا فَعَلُوا خَرَّجُوا أضعافَ ما كانَ مَوْجُودًا مِنَ المظالمِ والمنكراتِ، حِينَمَا رَأَوْا أنَّ قِتالَ المخالفِينَ لهمْ قُربَةٌ للهِ تعالَى، وأنَّ الأئمّةَ ابتداءً مِنَ الإمامِ عليٍّ - معَ عدْلِهِ وفضْلِهِ - ثمَّ حُكّامِ الأمويّينَ وَالعباسيّينَ - كُلَّهُمْ ظَلَمَةٌ في نَظَرِهِمْ دونَ تَحَرٍّ أوْ تَحْقِيقٍ، معَ أنَّ إقامةَ العدلِ

[1] - غالب بن عليّ عوّاجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقاديّة وموقف الإسلام منها، مصدر سابق، ص١٠٥.

والنَّهْيَ عنِ المنكراتِ يَتِمُّ بغيرِ تلكَ الطريقةِ التي سَارُوا عليها في استحلالِ دماءِ مُخَالِفِيهِمْ حُكَّامًا وَمَحْكُومِينَ[1].

وأنَّهُم كانوا يَقُولُونَ عنْ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُم إِنَّمَا خَرَجُوا لهذا السّببِ حتّى يُقِيمُوا العدلَ وَيَأْمُرُوا بالمعروفِ وَيَنْهَوْا عنِ المنكرِ ويَعُودُوا بالنّاسِ إلى رَبِّهِمْ وإلى دِينِهِمْ، وَلَقَدْ كانَ هذا المعنَى مِنْ أوّلِ المعاني التي يَسْتَغِلُّ بها زعماءُ الخوارجِ فَيُحَرِّكُونَ عَامَّتَهُم للخُروجِ وحَمْلِ السِّلاحِ وَيَسْتَثِيرُونَهُمْ لِتَحْقِيقِ تلكَ الغايةِ[2].

وهذا ما ذَكَرَهُ الطّبريُّ في تاريخِهِ إِذْ يَقُولُ: "قالَ أبُو مخنفٍ عنْ عبدِ الملكِ بنِ أبي حرّةَ: إنَّ عليًّا لَمَّا بَعَثَ أَبَا مُوسَى لإنفاذِ الحكومةِ؛ لَقِيَتِ الخوارجُ بعضُهَا بعضًا، فَاجْتَمَعُوا في مَنْزِلِ عبدِ اللهِ بنِ وهبٍ الرّاسبيِّ، فَحَمِدَ اللهَ عبدُ اللهِ بنُ وهبٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثمَّ قالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ فوَاللهِ مَا يَنْبَغِي لقومٍ يُؤْمِنُونَ بالرحمنِ، وَيُنِيبُونَ إلى حُكْمِ القرآنِ؛ أنْ تَكُونَ هذهِ الدُّنْيا التّي الرِّضَا بها والرُّكُونُ بها والإيثارُ إيَّاهَا عَنَاءً وَتَبَارًا؛ آثرَ عِنْدَهُمْ مِنَ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهْيِ عنِ المنكرِ والقولِ بالحقِّ، وإنَّ مَنْ وَضَرَ فإنَّهُ مَنْ يمُن ويضِرُّ في هذهِ

---

[1] - غالب بن عليّ عواجي: فِرَقٌ معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، مصدر سابق، ج١، ص٢٣٩.

[2] - غالب بن عليّ عوّاجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقاديّة وموقف الإسلام منها، مصدر سابق، ص١٠٦.

الدّنيا فإنَّ ثَوَابَهُ يَوْمَ القيامةِ رضوانُ اللهِ ﷻ والخلودُ في جنّاتِهِ، فَاخْرُجُوا بِنَا إِخْوَانَنَا مِنْ هذهِ القريةِ الظالمِ أَهْلُهَا إلى بعضِ كُورِ الجبالِ أوْ إلى بعضِ هذهِ المدائنِ، مُنْكِرِينَ لهذهِ البِدَعِ المظلّةِ".

فقالَ لهُ حرقوصُ بنُ زهيرٍ: "إنَّ المتاعَ في هذهِ الدّنيا قليلٌ، وإنَّ الفِراقَ لها وَشِيكٌ، فلاَ تَدْعُوَنَّكُمْ زِينَتُهَا وَبَهْجَتُهَا إلى الْمَقامِ بهَا، ولاَ تَلْفِتَنَّكُمْ عنْ طَلَبِ الحقِّ، وإنكارِ الظّلمِ، فإنَّ اللهَ معَ الذينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ"[1].

ولَمْ يكنِ الخوارجُ يَرَوْنَ أنَّ جورَ الخلفاءِ الأمويّينَ والعبّاسيّينَ وَظُهُورَ المعاصِي والمنكراتِ والمظالمِ في عُهودِهِم هوَ الذي حَرَّكَهُمْ للخروجِ، بلْ كانوا يَرَوْنَ أنَّ هذهِ الحالَ قدْ بدأَتْ منذُ عهدِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فهمْ يَعْتَبِرُونَ خِلافتَهُ غيرَ شرعيّةٍ وَأَنَّهُمْ يَتَطَلَّعُونَ إلى رجلٍ مِثلِ عمرَ في عَدْلِهِ وَحَزْمِهِ وَكَفَاءَتِهِ.

وَرَأْيُ الخوارجِ في عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ لاَ يَقِلُّ عنْ رَأْيِهِمْ في بقيّةِ الخلفاءِ مِنْ بَعْدِهِ، فهوَ عِنْدَهُمْ - كَمَا سَبَقَ - مُتَّهَمٌ بالكُفرِ والظُّلمِ ومجانبةِ الحقِّ، وأنَّ جِهادَهُ - بِزَعْمِهِمْ - قُربةٌ إلى اللهِ، وهذا هوَ الذي دَفَعَهُمْ كمَا يَقُولُونَ إلى

---

[1] - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت ٣١٠هـ): تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، ت ٣٦٩هـ)، دار التراث بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ، ج٥، ص٧٤.

الخروجِ عليهِ لِعَدَمِ استحقاقِهِ الخِلافةَ، وَلِمَا عليهِ أتباعُهُ مِنَ الضّلالِ بزَعْمِهِمْ[1].

والوَاقعُ أَنَّهُمْ مَا كانَ يَنْبَغِي لهمْ أنْ يَتَعَلَّلُوا بِمثلِ هذا السّببِ في خُروجِهم عليهِ؛ إذْ إنَّ استِرْقاقَ المسلمينَ في حُرُوبِهِم لِبَعْضِهِمْ لاَ يجوزُ مُطلقًا، فَمَا بَالُكَ بِنِسَائِهِمْ وَذَرَارِيِّهِمْ؟! فإذَا كانُوا قَدِ اسْتَحَلُّوا الخروجَ علَى الإمامِ عليٍّ - معَ عَدْلِهِ وفَضْلِهِ - فمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِهِ؟![2].

وقدْ أَخْبَرَ ﷺ بأنَّ الأُمراءَ سَيَكُونُ مِنْهُمْ تارةً الخيرُ وتارةً الشرُّ، ومعَ هذا فإنَّهُ لاَ يجوزُ الخروجُ عليهمْ، فعنِ ابنِ عمرَ ﷺ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: "**السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ**"[3].

---

[1] - غالب بن عليّ عوّاجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقادية وموقف الإسلام منها، مصدر سابق، ص١٠٧.

[2] - المصدر نفسه، ص ١٠٨.

[3] - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الجهاد والسير، باب رقم ١٠٧: باب السمع والطاعة للإمام، حديث رقم: ٢٩٥٥، ج٧، ص٩٥.

رَابِعًا: الْعَصَبِيَّةُ الْقَبَلِيَّةُ

كانَ للعصبيّةِ بينَ قبائلِ العربِ سلطانٌ قويٌّ قبلَ الإسلامِ، فَلَمَّا بَزَغَ نُورُهُ أَخْفَتَ صَوْتَهَا وَأَوْهَنَ قُوَّتَهَا فَسَكَنَتْ زَمَنًا، وَلَكِنَّهَا ظَهَرَتْ مِنْ جديدٍ شيئًا فشيئًا حتَّى اسْتُحْكِمَتْ في خلافةِ عثمانَ بنِ عفانَ وما بَعْدَهَا، فَقَدْ كادتِ العصبيّةُ أنْ تُطِلَّ بِرَأْسِهَا بعدَ وفاةِ الرَّسولِ ﷺ ومنذُ بِدءِ خِلافةِ أبي بكرٍ ﷺ؛ فقدْ أرادَ أبو سفيانَ أنْ يُحْيِيَهَا حَيْثُ أَثَارَهَا بينَ بَنِي هاشمٍ مُحرِّضًا لهمْ عَلَى عَدَمِ الرِّضا بخلافتِهِ، وهوَ ليسَ بِهَاشِمِيٍّ، وَجَعْلِهَا في عليٍّ، كمَا يُحَدِّثُنَا عنْ ذلكَ الطبريُّ - إنْ صَحَّتِ الرِّوايةُ - عنْ عوانةَ أنَّهُ قالَ: "لَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى بَيعةِ أبي بكرٍ أَقْبَلَ أبو سفيانَ وهوَ يقولُ: واللهِ إنِّي لأَرَى عَجاجةً لاَ يُطْفِئُهَا إلاَّ دمٌ، يَا آلَ عَبْدِ مَنَافٍ، فِيمَا أَبُو بكرٍ مِنْ أُمُورِكُمْ؟ أينَ الْمُسْتَضْعَفَانِ؟ أَيْنَ الأَذلاَّنِ عَلِيٌّ والعبَّاسُ؟ وقالَ: أَبَا حَسَنٍ ابْسُطْ يَدَكَ حَتَّى أُبَايِعَكَ، فَأَبَى عليٌّ عليهِ، فجَعَلَ يَتَمَثَّلُ بِشِعْرِ الْمُتَلَمِّسِ:

وَلَنْ يُقِيمَ على خَسْفٍ يُـرَادُ بِـهِ ... إلاَّ الأَذَلاَّنِ عيـرُ الْحَيِّ وَالْوَتَدُ

هَذَا على الْخسفِ مَعْكُوسٌ بِرُمَّتِهِ ... وَذَا يشجُّ فَـلاَ يَبْكِي لَـهُ أَحَدُ[1]

[1] - غالب بن عليّ عوّاجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، مصدر سابق، ص١١١.

فَزَجَرَهُ عليٌّ وقالَ: إنّكَ واللهِ ما أردْتَ بهذَا إلاَّ الفِتنةَ، وإنّكَ واللهِ طَالَمَا بَغَيْتَ بِالإسلامِ شَرًّا، لاَ حاجةَ لنا في نصيحتِكَ".

ومِنْ هذا يَتَبَيَّنُ موقفُ مِنْ مواقفِ العصبيّةِ البغيضةِ ظَهَرَ مُبكِّرًا، فلوْ أنَّ أبا سفيانَ وَجَدَ مَنْ يُصْغِي لكلامِهِ وَيَقْبَلُهُ؛ لَكَانَتْ شرورٌ وَفِتَنٌ لا تَنْطَفِئُ إلاَّ بالدّماءِ الجاريةِ كمَا أَرَادَهَا أبو سفيانَ حَسَبَ قَوْلِهِ.

لقدْ كانَ عليٌّ إذًا أَحَقَّ بالخلافةِ حَسَبَ قانونِ العصبيّةِ؛ ولهذا فَقَدِ اسْتَعْظَمَ والدُ أبي بكرٍ أبو قحافةَ حينَ سَمِعَ بتوليَةِ ابنِهِ خليفةً فقالَ:" أَوَرَضِيَتْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ وَبَنُو مَخْزُومٍ؟!"[1].

وفيمَا يَتَعَلَّقُ بِمَوْضُوعِنَا وهوَ استمرارُ ظهورِ العصبيّةِ في عهدِ الإمامِ عليٍّ وَمَدَى اعتبارِهَا كَسَبَبٍ مُحَرِّكًا لظهورِ الخوارجِ فيما يتعلّقُ بذلكَ؛ نَرَى أنَّ العصبيّةَ قدِ استمرَّتْ في هذا العهدِ بينَ القبائلِ، وأنّها كانتْ تَحْكُمُ تصرّفاتِ الخوارجِ معَ الإمامِ عليٍّ منذُ البدايةِ، فَيَرْوِي نصرُ بنُ مزاحمٍ المنقريُّ أنَّ أهلَ العراقِ وخصوصًا الأشعثَ الذي عَدَّهُ الشهرستانيُّ مِنَ الخوارجِ الذينَ خَرَجُوا علَى عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، مَنَعَهُمُ التّعصّبُ مِنْ قَبُولِ أيِّ مُضَرِيٍّ حَكَمًا مِنْ قِبَلِ الإمامِ عليٍّ، وَأَبَى إلاَّ أحدَ الْيَمَنِيِّينَ وهُوَ أبُو موسَى الأشعريُّ؛

---

[1] - المصدر نفسه، ص١١٢.

- عمار طالبي: آراء الخوارج الكلامية، مصدر سابق، ج١، ص٤٧.

فَيَذْكُرُ نَصْرٌ أَنَّ الأشعثَ قالَ لعليٍّ: "لاَ واللهِ لا يَحْكُمُ فيها مُضَرِيَّانِ حتّى تَقُومَ السّاعةُ، وَلَكِنِ اجْعَلْهُ رجلاً مِنْ أهلِ اليمنِ؛ إِذْ جَعَلُوا مِنْ مُضَرَ. فقَالَ عليٌّ: إِنِّي أخافُ أنْ يُخْدَعَ يَمَنِيُّكُمْ؛ فَإِنَّ عَمْرًا ليسَ مِنَ اللهِ في شيءٍ إِذَا كانَ لهُ في أَمْرٍ هَوًى. فقالَ الأشعثُ: واللهِ لأنْ يَحْكُمَا بِبَعْضِ ما نَكْرَهُ وَأَحَدُهُمَا مِنْ أهلِ اليمنِ أحبُّ إِلَيْنَا مِنْ أنْ يكونَ بعضُ ما نُحِبُّ في حُكْمِهِمَا وَهُمَا مُضَرِيَّانِ"[1].

وَيَجِبُ أنْ نُشِيرَ هُنَا إلى أنَّ الخوارجَ فيما بَعْدُ قَدِ انْمَحَتْ لَدَيْهِمُ العصبيّةُ القبليّةُ والإقليميّةُ، وَحَلَّتْ مَحلَّهَا العصبيّةُ للعقيدةِ والرَّأْيِ، كمَا وقعَ في حوادثَ عدّةٍ كانَ الخوارجُ مِنَ القبيلةِ يُحَارِبُونَ إخوانَهُمُ المخالفينَ لهمْ مِنْ نفسِ القبيلةِ حربًا لاَ هوادَةَ فيها، كمَا وقعَ لِبَنِي تميمٍ مِنْ مُحاربةِ إخوانِهِم مِنْ بَنِي تميمٍ أَيْضًا[2].

وَبِاختصارٍ نَسْتَطِيعُ أنْ نقولَ: إنَّ العصبيّةَ القبليّةَ ماتَتْ في زمنِ الرسولِ ﷺ وزَمَنِ أبي بكرٍ وعمرَ ﷺ، ثمَّ قامتْ في عهدِ عثمانَ وما بعدَهُ قويّةً شَرِسَةً، وكانتْ قبلَ الإسلامِ بينَ ربيعةَ - وأكثرُ الخوارجِ منْهُمْ - وَمُضَرَ قَوِيَّةً، وقدْ قالَ

---

[1] - غالب بن عليّ عوّاجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقادية وموقف الإسلام منها، مصدر سابق، ص١١٤.

[2] - المصدر نفسه، ص١١٧.

- عمار طالبي: آراء الخوارج الكلامية، مصدر سابق، ج١، ص٤٩.

المأمونُ في إجابتِهِ لرجلٍ مِنْ أهلِ الشّامِ طَلَبَ منهُ الرّفقَ بالخوارجِ: "وأمّا ربيعةُ فَسَاخِطَةٌ علَى اللهِ منذُ بَعْثِ نبيِّهِ مِنْ مُضَرَ، ولمْ يَخْرُجِ اثْنَانِ إلاَّ خَرَجَ أَحَدُهُمَا شَارِيًا"[1].

خامسًا: العاملُ الاقتصاديُّ

وَنَعْنِي بهَذَا العاملِ أنَّ الخوارجَ خَرَجُوا مَدْفوعِينَ - كما قِيلَ - بِنِقْمَتِهِمْ علَى ما ظَنُّوهُ جورًا في توزيعِ الفَيْءِ والغنائمِ، فَقَامُوا بما قَامُوا بهِ طلبًا للمالِ[2].

بالإضافةِ إلى عاملِ العصبيّةِ الجاهليّةِ التي انْبَعَثَتْ مِنْ مَرْقَدِهَا نَجِدُ هذَا العاملَ لهُ خطورتُهُ، ولذلكَ نجدُ أبَا عوانةَ يَعقوبَ بنَ إسحاقَ النّيسابوريَّ قدْ تَرْجَمَ في مسندِهِ للأحاديثِ التي وردتْ في الخوارجِ، وَقَرَّرَ أنَّ سَبَبَ خُرُوجِهِمْ كَانَ الأَثَرَةَ في القسمةِ، معَ ما فيها مِنَ الحِكمةِ التي خَفِيَتْ عنْهُمْ، وَهَذَا يَنْطَبِقُ علَى الخارجيِّ الأوّلِ أوْ أصلِ الخوارجِ، الذي عَارَضَ النبيَّ ﷺ، كمَا يَنْطَبِقُ علَى الخوارجِ الذينَ خَرَجُوا علَى عثمانَ، وعلَى الذينَ خَرَجُوا علَى عليٍّ

---

[1] - غالب بن عليّ عواجي: فِرَقٌ معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، مصدر سابق، ج١، ص٢٣٩.

[2] - غالب بن عليّ عوّاجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقادية وموقف الإسلام منها، مصدر سابق، ص١١٨.

أَيْضًا، فقدِ اتَّهَمُوا عثمانَ بأنَّهُ قَسَّمَ الأموالَ بينَ أقاربِهِ، وَخَصَّ بها ناسًا دونَ آخرينَ[1].

وقالَ الطّبريُّ في اتّهامِ الخوارجِ لعثمانَ: وكانتْ سببًا في الخروجِ عليهِ، وَتَنَادَى القومُ: أَبْصَرَ رجل مَنْ صَاحِبُهُ، وَتَنَادَوْا في الدّارِ: أَدْرِكُوا بيتَ المالِ لاَ تُسْبَقُوا إليهِ. وَسَمِعَ أصحابُ بيتِ المالِ أَصْوَاتَهُمْ، وَلَيْسَ فيهِ إلاَّ غِرَارَتَانِ، فَقَالُوا: النَّجَاء، فإنَّ القومَ إِنَّمَا يُحَاوِلُونَ الدُّنْيَا. فَهَرَبُوا وَأَتَوْا بَيْتَ المالِ فَانْتَهَبُوهُ[2].

وقدْ ردَّ الخليفةُ عثمانُ علَى مُتَّهِمِيهِ بقولِه: ومَا لي مِنْ بَعِيرٍ غيرَ رَاحِلَتَيْنِ، وَمَا لي ثاغيةٌ ولاَ راغيةٌ، وإنِّي قدْ وُلِّيتُ، وَإِنِّي أكثرُ العربِ بعيرًا وشاءً، فَمَا لِي اليومَ شاةٌ ولا بَعِيرٌ غيرَ بعيرَيْنِ لحَجِّي.

وقالَ أيضًا في ردِّهِ علَى اتهامَاتِهِمْ: إنِّي أَعطَيْتُ ابنَ أَبِي سرحٍ مَا أفاءَ اللهُ عليهِ، وإنِّي إِنَّمَا نَفَلْتُهُ خُمُسَ ما أفاءَ اللهُ عليهِ مِنَ الخُمسِ، فكانَ مائةَ ألفٍ، وقدْ أَنْفَذَ مثلَ ذلكَ أبو بكرٍ وعمرُ ﷺ، فَزَعَمَ الجُنْدُ أَنَّهُم يَكْرَهُونَ ذلكَ، فَرَدَدْتُهُ عَلَيْهِمْ، وَلَيْسَ ذاكَ لَهُمْ، أَكَذَاكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ. وإنِّي أُحِبُّ أهلَ بَيْتِي وَأُعْطِيهِمْ، فَأَمَّا حُبِّي فإنَّهُ لمْ يمْلِ مَعَهُمْ علَى جورٍ، بلْ أَحْمِلُ الحقوقَ عَلَيْهِمْ،

---

[1] - عمار طالبي: آراء الخوارج الكلامية، مصدر سابق، ج١، ص٥٢.

[2] - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت ٣١٠هـ): تاريخ الطبري، مصدر سابق، ج٤، ص٣٩١.

وَأَمَّا إِعْطَاؤُهُمْ فَإِنِّي ما أُعْطِيهِمْ مِنْ مَالِي، وَلاَ أَسْتَحِلُّ أموالَ المُسلمينَ لِنَفْسِي، ولاَ لأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ[1].

ثمَّ إنَّ الخوارجَ اتَّهَمُوا عثمانَ بأنَّهُ حمَى الأحماءَ، وَآثَرَ القُرْبَى، وَاسْتَعْمَلَ الْفَتى وَرَفَعَ الدِّرَّةَ، وَوَضَعَ السَّوْطَ، وَمَزَّقَ الْكِتَابَ، وَحَقَّرَ الْمُسْلِمَ، وَضَرَبَ مُنْكِري الجورِ، وَآوَى طريدَ الرَّسولِ ﷺ، وَضَرَبَ السَّابقينَ بِالْفَضْلِ، وَسَيَّرَهُمْ وَحَرَمَهُمْ ثُمَّ أخذَ فَيْءَ اللهِ الذي أَفاءَه عليهِم فَقَسَّمَهُ بينَ فُسَّاقِ قريشٍ، وَمُجَّانِ العربِ[2].

والواقعُ أنَّ النّقمةَ بِسَبَبِ تَقْسِيمِ الفَيْءِ بدأتْ حتّى منذِ عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ كمَا وقعَ مِنْ ذي الخُويصرةِ حيثُ اعْتَبَرَهَا الشهرستانيُّ وابنُ الجوزيِّ مِنْ عواملِ نشأةِ الخوارجِ، وأَنَّ خُرُوجَهُمْ يَبْتَدِئُ مِنْ هذا الوقتِ. وقدْ أَشَرْتُ إلى هذا سابقًا في مبحثِ النّشأةِ، وإنْ كانتْ مِنَ الوقائعِ اليوميّةِ التي تَجْرِي بها العادةُ بينَ النّاسِ لِمَا جُبِلَتْ عليهِ النفوسُ مِنْ حُبِّ المالِ والتَّطَلُّعِ إلى الإكثارِ منهَا[3].

---

[1] - المصدر نفسه، ج٤، ص٣٤٧.

[1] - المصدر نفسه، ج٥، ص٥٦٥- ٥٦٦.

[2] - غالب بن عليّ عوّاجي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقادية وموقف الإسلام منها، مصدر سابق، ص١١٨.

وهكذَا يَتَبَيَّنُ لنَا أنَّ للعاملِ الاقتصاديِّ أَثَرَهُ في الثورةِ علَى عثمانَ، فهلْ كَانَ الدّافعُ لِخُرُوجِ الخوارجِ علَى عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أيضًا هوَ العاملَ الاقتصاديَّ؟

فَنَقُولُ: إنَّ العاملَ الاقتصاديَّ كانَ مِنْ أسبابِ خرُوجِ الخوارجِ علَى الإمامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، ولكنَّهُ لمْ يكُنِ السّببَ الوحيدَ كمَا ظهرَ لنا منَ استعراضِ الأسبابِ الأُخْرَى. وَكَمَا أنَّ كلَّ ظاهرةٍ معقّدةٍ تَكْمُنُ وَرَاءَهَا أسبابٌ دينيّةٌ واجتماعيةٌ واقتصاديةٌ متشابكةٌ[1].

سادسًا: الحماسُ الدّينيُّ

يَرَى بعضُ العلماءِ أنَّ سببَ خروجِ الخوارجِ كانَ ردَّ فِعْلٍ لِتَمَسُّكِهِمُ الشّديدِ بالقُرْآنِ والسنّةِ، وهوَ ما ذَكَرَهُ عَمَّار طَالِبِي بقولِهِ: "فَالتَّقْوَى وَالتَّمَسُّكُ بالقرآنِ والسُّنَّةِ تَمَسُّكًا شديدًا مِنْ أسبابِ الخروجِ ودَوَاعِي الإنكارِ، إِنْكَارِ جميعِ الأوضاعِ مِنْ أَسَاسِهَا وَنَبْذِ الْفَرِيقَيْنِ الْمُتَقَاتِلَيْنِ جَمِيعًا، فَالتَّقْوَى والتَّمَسُّكُ بالعقيدةِ في أَصْلِهَا أدَّى بالخوارجِ إلى الثورةِ العنيفةِ على كلِّ شيءٍ".

وهوَ أيضًا رَأْيُ لفلهوزن حَيْثُ يَذْكُرُ أنَّ الباعثَ علَى خُروجِ الخوارجِ إنَّمَا كانَ ناتجًا عنْ تَقْوَى شديدةٍ ورغبةٍ في التّوبةِ الفعليّةِ مِنْ خَطَئِهِمْ في صفينَ حِينَ قَبِلُوا التّحكيمَ، وَلِهَذَا فَقَدْ طَالَبُوا الإمامَ عليًّا أنْ يتوبَ توبةً فعليّةً

[1] - المصدر نفسه، ص١٢١.

لِيَرْجعُوا إلى طاعتِهِ، بلْ يَرَى أنَّ التّشديدَ في مبادئِ الإسلامِ يُفْضِي بِهِمْ إلى أنْ يَتَجَاوَزُوا بِنَقْدِهِمْ إلى النبيِّ ﷺ نفسِهِ.

ويقولُ أحمدُ أمين: "وقدْ حَمَلَهُمْ شَدِيدُ إيمانِهِم أنْ يَنْتَهِزُوا كلَّ فرصةٍ للدَّعوةِ إلى مبادئِهِم جهرًا، وَيُرْسِلُوا الرُّسُلَ إلى خلفاءِ بَنِي أميّةَ يَدْعُونَهُمْ ولمْ يَضِنُّوا بأيِّ نوعٍ منْ أنواعِ التّضحيةِ[1].

وَيُضِيفُ أيضًا غالبُ بنُ عليّ عواجي كذلكَ أنَّ الحماسَ الدّينيَّ الذي مَدَحَهُمْ بهِ بعضُ المستشرقونَ كجولد زيهر حِينَمَا ذَكَرَ أنَّ تمسُّكَ الخوارجِ الشّديدَ بالقرآنِ أَدَّى بِهِمْ إلى الخروجِ علَى المجتمعِ. والمغالطةُ في قولِهِ هذا وَاضِحَةٌ، فَإِنَّ التمسُّكَ بالقرآنِ لاَ يُؤَدِّي إلى سَفْكِ الدّماءِ بغيرِ حَقٍّ[2].

وَهَذِهِ هيَ أهمُّ الأسبابِ التي عُرِضَتْ في تعليلِ خروجِ الخوارجِ علَى الإمامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وعلَى الخلفاءِ مِنْ بَعْدِهِ.

مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى نَجِدُ أنَّ الدكتورَ عليَّ العشيّ في كتابِهِ: مَبَاحِثُ في الفِرَقِ الإسلاميّةِ الرُّؤَى والْمَرْجِعِيَّاتُ، يُرجِعُ أسبابَ نشأةِ الخوارجِ إلى سَبَبَيْنِ: خُرُوجٍ عَقَدِيٍّ وَخُرُوجٍ سِيَاسِيٍّ.

---

[1] - المصدر نفسه، ص١٢١ - ١٢٢.

[2] - غالب بن عليّ عواجي: فِرَقٌ معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، مصدر سابق، ج١، ص٢٤٠.

أَوَّلاً: الخُروجُ الْعَقَدِيُّ

إذْ يقولُ الدكتورُ عليّ العشيّ: "في رَأْيِي يُمْكِنُ اعْتِبَارُ بدايةِ الخروجِ العقديِّ لهذهِ الفرقةِ منذُ عهدِ النبيِّ ﷺ، وذلكَ حينَ أَعْلَنَ سَلَفُ الخوارجِ ذُو الخويصرةِ اعتراضَهُ علَى حُكْمِ النبيِّ ﷺ، وذلكَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أرادَ تأليفَ قلوبِ بعضِ ساداتِ العربِ فَقَسَّمَ بَيْنَهُمْ مَالاً وَصَلَهُ منَ اليمنِ، وقدْ ذَكرَ أهلُ العلمِ أنَّهُمْ أربعةٌ همْ: عُيَيْنَةُ بنُ حصنٍ الفزاريُّ؛ كانَ يُلَقَّبُ بالأحمقِ المُطَاعِ حتَّى قَالُوا: كانَ يَسِيرُ وَرَاءَهُ أَلْفُ رُمْحٍ لاَ يَسْأَلُونَهُ إلى أَيْنَ يَسِيرُ، والثَّانِي هوَ الأقرعُ بنُ حابسٍ، والثَّالثُ هوَ عامرُ بنُ الطفيلِ، والرَّابعُ هوَ زيدُ الخيلِ (سَمَّاهُ الرَّسولُ ﷺ زَيْدَ الْخَيْرِ)"[1].

والحديثُ الذي رَوَاهُ أبو سعيدٍ الخدريُّ ﷺ في هذا الشَّأنِ تَطَرَّقْنَا إليهِ سَابِقًا في مبحثِ نشأةِ الخوارجِ، وذلكَ في الرَّجلِ الذي قالَ فيهِ النبيُّ ﷺ: "... **دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحقرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاَتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...**"[2].

وقدْ أَعْطَى النبيُّ ﷺ أوصافَ هؤلاءِ الخوارجِ، فعنْ أبي كثيرٍ مَوْلَى الأَنْصَارِ قالَ: كنتُ معَ سَيِّدي عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ حيثُ قُتِلَ أهلُ النَّهْرَوَانِ،

---

[1] - علي بن العجمي العشيّ: مباحث في الفرق والرّؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٢٠.

[2] - سبق تخريج الحديث، ص٣٤.

فكأنَّ الناسَ وَجَدُوا في أنفسَهُم مِنْ قَتْلِهِمْ، فقالَ عليٌّ: يا أيُّهَا النّاسُ، إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قدْ حَدَّثَنَا "بأَقْوَامٍ يَمْرقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لاَ يَرْجِعُونَ فيهِ أَبَدًا حَتَّى يَرْجِعَ السَّهْمُ عَلَى فُوقِهِ، وإنَّ آيةَ ذَلِكَ أنَّ فِيهِمْ رَجُلاً أَسْوَدَ مُخْدَجَ الْيَدِ إِحْدَى يَدَيْهِ كَثَدْيِ الْمَرْأَةِ لَهَا حَلَمَةٌ كَحَلَمَةِ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، حَوْلَهُ سَبْعُ هُلْبَاتٍ فَالْتَمِسُوهُ؛ فَإِنِّي أُرَاهُ فِيهِمْ". فَالْتَمَسُوهُ فَوَجَدُوهُ إلى شَفِيرِ النَّهرِ تحتَ القتلَى، فأَخْرَجُوهُ، فَكَبَّرَ عَلِيٌّ فقالَ: اللهُ أكبرُ! صَدَقَ اللهُ ورسولُهُ، وَإِنَّهُ لَمُتَقَلِّدٌ قَوْسًا لهُ عَرَبِيَّةً، فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ فَجَعَلَ يَطْعَنُ بِهَا في مُخْدَجَتِهِ ويقولُ: صَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَكَبَّرَ النّاسُ حينَ رأَوْهُ وَاسْتَبْشَرُوا، وَذَهَبَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَجِدُونَ[1].

وفي الحديثِ الذي يَرْوِيهِ أبو سعيدٍ الخدريُّ ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: "... آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ"[2] وبألفاظٍ تَحْتَاجُ مِنَّا إلى تَدَبُّرٍ وَنَظَرٍ وَتَدْقِيقٍ وَتَحْقِيقٍ فيها، وفيمَا نَرَاهُ اليومَ في سَاحَاتِنَا مِنْ أوصافِ جماعاتٍ وأفرادٍ يَتَبَنَّونَ

---

[1] - أبو عبد الله أحمد بن محمّد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ): مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، حديث رقم: ٦٧٢، ج٢، ص٩٥.

[2] - محي الدّين أبي زكريّا يحي بن شرف النّووي: صحيح مُسلم بشرح النّووي، مصدر سابق، كتاب الزكاة، باب رقم: ٤٨، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم (١٠٦٤ / ١٤٨)، المجلّد: الرابع، ج٧، ص١٤٨.

الفكرَ التكفيريَّ، تَكَادُ تَنْطَبِقُ عليهمْ بعضُ أوصافِ هذا الخارجيِّ الذي أَعلنَ الخروجَ علَى سيِّدِ الأوّلينَ والآخِرينَ رسولِ اللهِ ﷺ ممَّا يُؤَكِّدُ أنَّهُ السَلفُ بالنِّسبةِ لبعضِ الجماعاتِ التكفيريّةِ في هذا الزّمانِ[1]. فقدْ قالَ النبيُّ ﷺ في الرّجلِ الذي قالَ لهُ: يا رسولَ اللهِ، اتَّقِ اللهَ. قالَ: "**.... يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطبًا لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...**"[2].

ثانيًا: الخُروجُ السِّياسِيُّ

أمَّا الخُروجُ السِّياسيُّ فقدْ حدثَ في زمنِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ إِثْرَ حادثةِ التحكيمِ، فقدْ خَرجَتْ طائفةٌ مِنْ جيشِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ تَرفعُ آيةَ ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[3] شِعَارًا لَهُمْ ثُمَّ عَسْكَرُوا في منطقةٍ تُسَمَّى " حَرُورَاءَ" في نواحِي الكوفةِ مُكَفِّرِينَ بذلكَ كلَّ مَنْ أسْهَمَ في التحكيمِ أَوْ رَضِيَ بهِ.

وقدْ تناولَ الباقلاّنيُّ رَأْيَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ فِيمَنْ خَرَجَ عليهِ مُحْتَجِّينَ أنَّ سببَ خُرُوجِهِمْ تحْكِيمُهُ الرّجالَ في شأْنِ معاويةَ ومُعَسكرِهِ الذينَ وَصَمُوهُمْ بِالْكُفْرِ، فقَالَ: (وَرَوَى النَاسُ روايةً ظاهرةً أنَّ عليًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قامَ عندَ

---

[1] - علي بن العجمي العشيّ: مباحث في الفِرق الإسلاميّة، الرّوْى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٢٣.

[2] - سبق تخريج الحديث، ص٣٥.

[3] - سورة يوسف، الآية: ٦٧.

مُنْصَرِفِهِ مِنَ الشّامِ، وخُروجِ الخوارجِ عليهِ، وإنكارِهِمُ التّحكيمَ وإكْفَارِهِمْ معاويةَ وأهلَ الشّامِ والبصرةِ... فقالَ عندَ ذلكَ: إنَّا واللهِ ما قَاتَلْنَا أهلَ الشّامِ علَى ما تَوَهَّمَ هؤلاءِ الضُّلاَّلِ مِنَ التّكفيرِ والفِراقِ في الدِّينِ، وما قاتَلْنَاهُمْ إلاَّ لِنَرُدَّهُمْ إلى الجماعةِ، وَأَتَاكُمْ هذا مِنْهُمْ في الفرقةِ، وإنَّهم لَإخوانُنَا في الدِّينِ، قِبْلَتُنَا واحدةٌ، وَرَأْيُنَا أَنَّنَا علَى الحقِّ ودونَهُم، وإنِّي لعَلَى عهدٍ مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ أَمَرَنِي فيهِ بِقِتَالِ الباغينَ والنَّاكِثِينَ، وإنَّ الرّشادَ عِنْدِي أَنْ يَجْمَعَنَا اللهُ وإيَّاهُمْ، وَمَا لِهذا الأمرِ مِثلُ الرِّفقِ، عَسَى اللهُ أنْ يَجْمَعَ هذهِ الفُرقةَ إلى ما كانتْ عليهِ مِنَ الجماعةِ، فمَا كَرِهَ الصُّلْحَ مِنْ هؤلاءِ الضُّلاَّلِ إلاَّ مَنْ كانَ يَكْرَهُ الجهادَ للعدوِّ وَيَضنُّون بأنفسِهِم عنِ الحربِ وَيُرِيدُونَ الاعتداءَ علَى المسلمينَ)[1].

وقدْ أرسلَ إليهم عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ عبدَ اللهِ بنَ عباسٍ ﷺ لإقناعِهِم بالعودةِ إلى صُفوفِ المسلمينَ، وَيُورِدُ ابنُ الجوزِيِّ المُناظرةَ التّي تَمَّتْ بينَ ابنِ عبّاسٍ والخوارجِ في كِتَابِهِ تَلْبِيسُ *إبليسَ، فيقولُ: قالَ عبدُ اللهِ بنُ عبّاسٍ: إنَّهُ لمّا اعْتَزَلَتِ الخوارجُ دَخَلُوا دارًا وهُمْ ستّةُ آلافٍ، وَأَجْمَعُوا علَى أنْ يَخْرُجُوا علَى عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، فكانَ* لا يَزالُ يَجِيءُ إنسانٌ فيقولُ: يا أميرَ المؤمنينَ،

---

[1] - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني(ت٤٠٣هـ): التمهيد في الرّد على الملحدة المعطّلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، تحقيق: محمود محمد الخضيري، ومحمد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م، ص٢٣٨.

- علي بن العجمي العشيّ: مباحث في الفرق الإسلاميّة، الرّؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٢٦ – ١٢٧.

إنَّ القومَ خارجُونَ عليكَ. فيقولُ: دَعُوهُمْ، فإنّي لاَ أُقَاتِلُهُمْ حتّى يُقَاتِلُونِي، سَوْفَ يَفْعَلُونَ. فَلَمَّا كانَ ذاتَ يومٍ أَتَيْتُهُ قبلَ صلاةِ الظُّهْرِ فقلتُ لهُ: يا أميرَ المؤمنينَ، أَبْرِدْ بالصَلاةِ لَعَلِّي أدخلَ علَى هؤلاءِ القومِ فَأُكَلِّمَهُمْ. فقالَ: إنِّي أَخَافُ عليكَ. فقُلتُ: كَلاَّ، وكنتُ رجلاً حَسَنَ الخُلُقِ لاَ أُؤْذِي أَحَدًا، فَأْذَنْ لِي، فَلَبِسْتُ حُلَّةً مِنْ أَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الْيَمَنِ، وَتَرَجَّلْتُ عليهمْ نِصْفَ النّهارِ، فَدَخَلْتُ علَى قومٍ لمْ أَرَ قطُّ أشدَّ مِنْهُمُ اجْتِهَادًا. جِبَاهُهُمْ قَرِحَةٌ مِنَ السُّجودِ وَأَيْدِيهِمْ كأَنَّهَا ثفنُ[1] الإِبِلِ. وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ مُرحضةٌ مُشَمِّرِينَ مُسَهَّمَةٌ وُجُوهُهُمْ مِنَ السَّهَرِ، فَسَلَّمْتُ عليهمْ فقالُوا: مَرْحَبًا يا ابنَ عبّاسٍ، ما جاءَ بِكَ؟[2] فقُلتُ: أَتَيتُكُمْ مِنْ عندِ المهاجرينَ والأنصارِ ومِنْ عندِ صِهْرِ رسولِ اللهِ ﷺ وعليهمْ نَزلَ القرآنُ، وهُمْ أعلمُ بتأْوِيلِهِ مِنْكُمْ. فقالتْ طائفةٌ منهمْ: لَا تُخَاصِمُوا قُرَيشًا، فإنَّ اللهَ ﷻ يقولُ: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[3]. فقالَ اثْنَانِ أوْ ثلاثةٌ: لَنُكَلِّمَنَّهُ، فَقُلْتُ: هَاتُوا مَا نَقَمْتُمْ علَى صِهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَالمهاجرينَ والأنصارِ، وعليهِمْ نزَلَ القرآنُ وليسَ فِيكُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَهُمْ أعلمُ بتأويلِهِ. قَالُوا: ثلاثًا. قلتُ: هَاتُوا. قَالُوا: أَمَّا إِحْدَاهُنَّ فإنّهُ حَكَّمَ الرِّجالَ في أمرِ اللهِ.

---

[1] - الثّفن: جمع ثفنة رُكبة البعير وغيرها ممّا يحصل فيها غلظ من أثر البُرُوك.

ـــــ ابن الجوزي: تلبيس إبليس، مصدر سابق، ص٨٩.

[2] - ابن الجوزي: تلبيس إبليس، مصدر سابق، ص٨٩.

[3] - سورة الزخرف، الآية: ٥٨.

وقدْ قالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1]، فمَا شأنُ الرجالِ والحُكْمِ بعدَ قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ؟! فَقُلْتُ: هذهِ واحدةٌ، وَمَاذَا؟ قالوا: وأمَّا الثانيةُ فإنَّهُ قاتَلَ وَقَتَلَ ولمْ يَسْبِ وَلَمْ يَغْنَمْ، فَإِنْ كانُوا مُؤْمِنِينَ فَلِمَ حَلَّ لنا قِتَالُهُمْ وَقَتْلُهُمْ وَلَمْ يَحِلُّ لَنَا سَبْيُهُمْ؟ قُلْتُ: وَمَا الثَّالِثَةُ؟ قالُوا: فإنَّهُ مَحَا عنْ نفسِهِ أميرَ المؤمنينَ، فَإِنَّهُ إِنْ لمْ يكنْ أميرَ المؤمنينَ فإنَّهُ لأَميرُ الكافرينَ. قُلْتُ: هلْ عِنْدَكُمْ غَيْرُ هَذَا؟ قَالُوا: كَفَانَا هَذَا. قلتُ لهمْ: أمَّا قَوْلُكُمْ حَكَّمَ الرِّجالَ في أمرِ اللهِ، أَنَا أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ في كتابِ اللهِ ما يُنْقِضُ هَذَا. فإذَا نَقَضَ قولَكُم أَتَرْجِعُونَ؟ قالوا: نَعَمْ. قلتُ: فإنَّ اللهَ قدْ صَيَّرَ مِنْ حُكْمِهِ إلى الرجالِ في رُبْعِ دِرْهَمٍ ثَمَنِ أَرْنَبٍ، وَتلَى هذهِ الآيةَ، قالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾[2]، وفي المرأةِ وَزَوْجِهَا قَالَ ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[3]، فَنَشَدْتُكُمْ بِاللهِ هلْ تَعْلَمُونَ: حُكْمُ الرِّجالِ في إصلاحِ ذاتِ بَيْنِهِمْ وفِي حَقْنِ دمائِهِمْ أَفْضَلُ أمْ حُكْمُهُمْ في أرنبٍ وبُضْعِ امرأةٍ؟ فَأَيُّهُمَا

---

[1] - سورة يوسف، الآية: ٦٧.

[2] - سورة المائدة، الآية: ٩٥.

[3] - سورة النساء، الآية: ٣٥.

تَرَوْنَ أَفْضَلَ؟ قالُوا: بلْ هذهِ. قلتُ: خَرَجْتُ مِنْ هذهِ؟ قالُوا: نَعَم. قلتُ: وأمَّا قَوْلُكُمْ: قاتَلَ ولمْ يَسْبِ ولمْ يَغْنَمْ فَتَسْبُونَ أُمَّكُمْ عَائِشَةَ ﵂. فَوَاللهِ لَئِنْ قُلْتُمْ لَيْسَتْ بِأُمِّنَا لقدْ خَرَجْتُمْ مِنَ الإسلامِ. ووَاللهِ لَئِنْ قُلْتُمْ لَنَسْبِيَنَّهَا وَنَسْتَحِلَّ مِنْهَا ما نَسْتَحِلُّ مِنْ غَيْرِهَا لَقَدْ خَرَجْتُمْ مِنَ الإسلامِ. فَأَنْتُمْ بَيْنَ ضَلَالَتَيْنِ؛ لأَنَّ اللهَ ﷻ قالَ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[1]، أَخَرَجْتُ مِنْ هَذِهِ؟ قالُوا: نَعَمْ. قلتُ: وأمَّا قَوْلُكُمْ: مَحَا عنْ نَفْسِه أميرَ المؤمنينَ؛ فَأَنَا آتِيكُمْ بِمَنْ تَرْضَوْنَ، أَنَّ النبيَّ ﷺ يومَ الحديبيةِ صالَحَ المشركينَ أبا سفيانَ بنَ حربٍ وسهيلَ بنَ عمرٍو[2]. فقالَ لعليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: اكْتُبْ لهمْ كتابًا، فَكَتَبَ لهم عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: هذا ما اصْطَلَحَ عليهِ محمدٌ رسولُ اللهِ. فقالَ المشركونَ: واللهِ ما نَعْلَمُ أَنَكَ رسولُ اللهِ، ولوْ نَعْلَمُ أَنَّكَ رسولُ اللهِ ما قَاتَلْنَاكَ. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي رسولُ اللهِ، امْحُ يا عليُّ. اكْتُبْ: هذَا ما اصْطَلَحَ عليهِ محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ، فَوَاللهِ لرَسُولُ اللهِ خيرٌ مِنْ عليٍّ وقدْ مَحَا نَفْسَهُ. قالَ: فرَجعَ مِنْهُمْ أَلْفَانِ، وخَرَجَ سَائِرُهُمْ فَقُتِلُوا، فَعَنْ جُنْدُبٍ الأزديِّ قالَ: لَمَّا عَدَلْنَا إلى الخوارجِ وَنَحْنُ معَ عليِّ بنِ أبي

[1] - سورة الأحزاب، الآية: ٦.

[2] - ابن الجوزي: تلبيس إبليس، مصدر سابق، ص٩٠.

طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قالَ: فَانْتَهَيْنَا إلى مُعَسْكَرِهِمْ فَإِذَا لَهُمْ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَحلِ مِنْ قِراءةِ القرآنِ[1].

وبعدَ رجوعِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ مِنْ صفينَ إلى الكوفةِ انْحَازَ الخوارجُ إلى حروراءَ وهمْ يَوْمَئذٍ اثْنَا عَشَرَ ألفًا وَزَعِيمُهُمْ يومَئذٍ عبدُ اللهِ بنُ كواءَ وَشبثُ بنُ رِبْعِيٍّ، وقدْ تَطَرَّقْتُ إلى هذا الموضوعِ بالتفصيلِ في مبحثِ النّشأةِ.

وقدْ ذَكَرَ كُتَابُ الفِرَقِ والمقالاتِ أَنَّ ابنَ عبّاسٍ بعدَ أنْ أَلْزَمَهُمُ الحُجّةَ في محاورتِهِمْ معهُ ورجعَ سِتَّةَ آلافٍ مِنَ الخوارجِ إلى صفوفِ المُسلمينَ، وَذَكَرَ البغداديُّ أنَّ عليًا هوَ مَنْ حَاوَرَهُمْ، وأنهُ رَجعَ منهمْ يومئذٍ ثمانيةُ آلافٍ، وَأَصَرَّ أربعةُ آلافٍ علَى الخُروجِ علَى عليٍّ، فَقَاتَلَهُمْ عليٌّ ﷺ في معركةِ النّهروانِ[2].

وقدْ رَوَى البغداديُّ أنَّ حُرْقُوصَ بنَ زهيرٍ أحدَ قادةِ الخوارجِ بَرَزَ لقتالِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وهوَ يقولُ: (يَا ابنَ أبي طالبٍ، لاَ نُريدُ بِقِتالِكَ إلاَّ وَجهَ اللهِ والدارَ الآخرةَ، فقالَ لهُ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: بلْ مَثَلُكُمْ كمَا قالَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ

---

[1] - ابن الجوزي: تلبيس إبليس، مصدر سابق، ص٩١.

ـــــ المبرّد، أبو العبّاس: أخبار الخوارج مِن كتاب الكامل في اللغة والأدب والنّحو والتّصريف، مصدر سابق، ص٠٦.

[2] - علي بن العجمي العشيّ: مباحث في الفرق الإسلاميّة، الرّوْى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٣٥.

بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾[1]، مِنْهُمْ أَنْتَ وَرَبِّ الكعبةِ)[2].

وقدْ ظَلَّ الخوارجُ شوكةً وخنجرًا في خاصِرةِ المسلمينَ طيلةَ عقودٍ مِنَ الزَّمنِ ما يَنْتَهُونَ مِنْ حَرْبٍ حتَّى يَشنُّوا أُخرَى، ثمَّ كَثرتِ الاختلافاتُ فيما بَيْنَهُمْ وَكَفَّرَ بعضُهُم بعضًا وَانْقَسَمُوا إلى عِدَّةِ فِرَقٍ[3].

[1] - سورة الكهف، الآية: ١٠٣ – ١٠٤.

[2] - علي بن العجمي العشيّ: مباحث في الفرق الإسلاميّة، الرّؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٣٦.

- البغدادي: الفَرْق بين الفِرَق، مصدر سابق، ص٧٧.

[3] - علي بن العجمي العشيّ: مباحث في الفرق الإسلاميّة، الرّؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٣٦.

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: تَسْمِيَاتُ الْخَوَارِجِ وَفِرَقُهُمْ

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: تَسْمِيَاتُ الْخَوَارِجِ وَأَلْقَابُهُمْ

عُرِفَتِ الخوارجُ بأسماءٍ وألقابٍ عِدّةٍ قَبْلَ أنْ يَحلَّ الانقِسامُ بها، ومِنَ الألقابِ التِّي اشْتهرُوا بها نَذْكُرُ:

أَوَّلاً: المُحَكِّمَة

اسْتُمِدَّ هذا اللّقبُ في الأَساسِ مِنْ حادثةِ التَّحكيمِ، والذِي لَهُ سُمُّوا مُحَكِّمَةً، وإنْكارِهِم الحَكَمَيْنِ فَسُمُّوا مُحَكِّمَةً، وَقَوْلِهِمْ: لاَ حُكْمَ إلاَّ للهِ[1]، حَيْثُ رَفَعَ المُعارضونَ لهذا التَّحكيمِ شعارًا لَهُمْ، وَهَذَا يَعنِي أَنَّهُ مِنْ أَقْدَمِ الألقابِ التي أُطْلِقَتْ عَلَى الخوارجِ[2]، فَقَدْ رَوَى الطّبريُّ في ذلكَ أَنَّ الأشعثَ بنَ قَيْسٍ عندما نَجَحَ في عَقْدِ الصُّلحِ بينَ جيشِ عليٍّ وجيشِ معاويةَ، بَدَأَ يَقْرأُ كِتابَ الصُّلحِ علَى النَّاسِ ويَعْرِضُهُ عَلَيْهِمْ فَيَقْرَؤُونَهُ حتَى مرَّ بهِ علَى طائفةٍ مِنْ بَنِي تَميمٍ فِيهِم عُروةُ بنُ أديَّةَ، فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ، فقالَ عروةُ بنُ أديَّةَ: تُحَكِّمُونَ فِي أَمْرِ

---

[1] - أبو الحسن ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج٣، ص١٦٥.
- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مصدر سابق، ج١، ص١١٢.

[2] - أحمد معيطة: الاسلام الخوارجي، قراءة في الفكر والفن ونصوص مختارة، دار الحوار، د ط، د ت، ص٢١.

اللهِ ﷻ الرِّجالَ، لاَ حُكْمَ إلاَّ للهِ، وَسُمُّوا بذلكَ مُحَكِّمِيَّةً[1]، وَقَدْ وردَ عندَ كُتَّابِ الفِرَقِ والمقَالَاتِ أنَّ عليًّا رَدَّ علَى هذا الشِّعارِ بقولِهِ: نعمْ، إنِ الحُكْمُ إلّا للهِ، ولكنَّهَا كلمةُ حقٍّ أُرِيدَ بها باطلٌ، وفي بعضِ الرِّواياتِ أنَّ سَيِّدَنَا عليًّا خَرَجَ مُمْسِكًا بالمصحفِ يَضْرِبُهُ احْكُمْ بَيننَا احْكُمْ بَيْننَا. كيفَ يَحْكُمُ بَيْنَنَا إنْ لمْ يَكُنْ هناكَ رِجالٌ يَفْهَمُونَ حَلالَهُ وَحَرَامَهُ، ومُحْكَمَهُ ومُتشَابِهَهُ، وعامَّهُ وخَاصَّهُ، ومُطْلَقَهُ ومُقَيَّدَهُ[2]؟

وَهَذَا أَحَدُ شُعَرَائِهِمْ وهوَ الغيزارُ بنُ الأخنسِ الطّائيُّ عِنْدَمَا خَرَجَ يومَ النّهروانِ بينَ الصَّفَّيْنِ أَنْشَأَ يقولُ:

يُنَادُونَ لاَ لاَ حُكْمَ إلاَّ لِرَبِّنَا حَنَانَيْكَ فَاغْفِرْ حَوْبَنَا وَالْمَسَاوِيَا[3]

---

[1] - عماد الدّين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدّمشقي، البداية والنّهاية، مصدر سابق، ج٧، ص٢٢٦.

[2] - علي بن العجمي العشيّ: مباحث في الفرق الإسلاميّة، الرّؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٣٦.

[3] - إحسان عباس(ت١٤٢٤هـ): شعر الخوارج، دار الثّقافة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧٤م، ص٣٢.

ثانيًا: الحَرُورِيَّةُ

والذي سمُّوا لهُ حَرُورِيةً نُزُولُهُمْ بِحَرُورَاءَ في أوّلِ أَمْرِهِمْ[1]؛ لأنَّ الخوارجَ بَعْدَ رجوعِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ مِنْ صفّينَ إلى الكوفةِ انْحَازُوا إِلَى حَرُورَاءَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ الخوارجُ "حروريةً"[2]، وحروراءُ هيَ قريةٌ تقعُ بجوارِ الكوفةِ[3]، وربَّمَا كانَ هذا الاسمُ منْ أقدمِ الأسماءِ التي عُرِفَ بها الخوارجُ، ويعودُ إلى معركةِ (صفينَ) وَانْفِصَالِ الخوارجِ عنْ جيشِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وَوَاضِحٌ أنَّ هذا الاسمَ لاَ يَحْمِلُ في مَضْمُونِهِ أيَّةَ أفكارٍ أوْ عقائدَ يَتَمَيَّزُ بها الخوارجُ، فهوَ لاَ يعْدُو نسبةَ قومٍ إلى مكانٍ نَزَلُوا بهِ، لذلكَ لَمْ يكنِ الخوارجُ يَتَضَايَقُونَ مِنْ هذا اللقبِ[4]، إذْ يقولُ أحدُ شُعَرَائِهِمْ لامرأتِهِ حينَ أرادتْ أنْ تَنْفِرَ معَهُ:

---

[1] - أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مصدر سابق، ج١، ص١١٢.

[2] - عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي: الفرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية، مصدر سابق، ص٥٦ – ٥٧.

- طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفّر: التبصير في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفِرَق الهالكين، مصدر سابق، ص٤٦.

- أبو الحسن ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج٣، ص١٦٥.

[3] - محمد سالم عبيدات، تاريخ الفِرَق وعقائدها، دار الفرقان، د ط، د ت، ص٥٧.

[4] - أحمد معيطة: الاسلام الخوارجي، قراءة في الفكر والفن ونصوص مختارة، مصدر سابق، ص٢٠.

إنَّ الحروريةَ الْحريّ إذَا رَكبُوا لاَ يَسْتَطِيعُ لَهُم أَمْثَالُكِ الطَّلَبَا [1]

ثالثًا: الشُّرَاة

سُمُّوا شراةً، وَاخْتَلَفُوا في أوّلِ مَنْ تَشَرَّى مِنْهُمْ، فقيلَ عُرْوَةُ بنُ حُديرٍ أخو مِرْدَاسٍ، وقيلَ أوَّلُهُمْ يزيدُ بنُ عاصمٍ المحاذيُّ، وقيلَ رجلٌ منْ ربيعَةَ منْ بني يَشْكرَ كانَ معَ عليٍّ بصفينَ[2]، وهوَ مِنَ الألقابِ التي عُرِفُوا بها في بِدَايَتِهِمْ، فَمَفْهُومُ الشِّرايةِ والخُروجِ كانَ مِنَ الأُسسِ الرّئيسيّةِ التي قامَ عليها هذا الحِزبُ؛ لأنَّ الخوارجَ تقولُ: "شَرَيْنَا أنفُسَنَا في طاعةِ اللهِ". لذلكَ كانَ هذا اللّقبُ محبَّبًا إلى نُفوسِهِم لِمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ أُسُسِ عَقِيدَتِهِمْ وما يَرْتَبِطُ بهِ مِنَ الخُروجِ إنْكَارًا للظّلمِ[3]، وقدْ أَطْلَقُوا علَى أَنْفُسِهِمْ هذا الاسمَ بزَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ

---

[1] - إحسان عباس: شعر الخوارج، مصدر سابق، ص٢٣١.

[2] - عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي: الفرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية، مصدر سابق، ص٥٦ – ٥٧.

- طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفِرَق الهالكين، مصدر سابق، ص٤٦.

- أبو الحسن ابن الأثير: الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج٣، ص١٦٥.

[3] - أحمد معيطة: الاسلام الخوارجي، قراءة في الفكر والفن ونصوص مختارة، مصدر سابق، ص٢٠.

بَاعُوا أنفسَهُم للهِ[1]، وقدْ وَرَدَ عِندَ شُعَرائِهِمْ كَثِيرًا بهذهِ الصِّيغةِ كَمَا في قَوْلِ شَاعِرِهِمْ معدانَ بنِ مالكٍ الإياديِّ:

سَلامٌ علَى مَنْ بَايَعَ اللهَ شَارِيًا وَلَيْسَ عَلَى الْحِزْبِ الْمُقِيمِ سَلاَمُ[2]

رابعًا: الْخَوَارِجُ

والسَّبَبُ الذي لهُ سُمُّوا خوارجَ خُرُوجُهُم علَى عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ[3]، وهوَ مِنْ أَشْهَرِ أَلْقَابِهِمْ، وَأَكْثَرِهَا شُيُوعًا لدَى المؤرّخينَ والدّارسِينَ، وقدْ تَمَسَّكَ بهِ الخوارجُ وأعداؤُهُم علَى حدٍّ سواءَ؛ لأنَّ كُلاًّ مِنْهُمَا يُرِيدُ بهِ معنًى مُغَايِرًا لِمَا يُرِيدُهُ الآخَرُ[4]. فقدْ ذكرَ الشّهرستانيُّ أنَّ "كُلَّ مَنْ خَرجَ علَى الإمامِ الحقِّ الذي اتَّفَقَتِ الجماعةُ عليهِ يُسمَّى خارجيًّا، سواءٌ أَكَانَ الخُروجُ في أيّامِ الصّحابةِ علَى الأئِمّةِ الرّاشدينَ أوْ كانَ بَعدَهُمْ علَى التّابعينَ بِإِحْسَانٍ والأئِمّةِ

---

[1] - علي بن العجمي العشيّ: مباحث في الفرق الإسلاميّة، الرّوْى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٣٧.

[2] - إحسان عبّاس: شعر الخوارج، مصدر سابق، ص٣١.

[3] - أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مصدر سابق، ج١، ص١١٢.

[4] - أحمد معيطة: الاسلام الخوارجي، قراءة في الفكر والفن ونصوص مختارة، مصدر سابق، ص٢١.

في كلِّ زمانٍ"[1]. فقدْ كانَ الخَوارجُ يَرَوْنَ هذهِ التَّسميَةَ لَهَا معنًى يَتَوَافَقُ معَ عقيدَتِهِمْ وأفكارِهِمْ، مُسْتَشْهِدِينَ بقولِهِ ﷻ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[2]. وَيُشَبِّهُونَ هِجْرَتَهُمْ وَخُرُوجَهُمْ بِهِجْرَةِ رسولِ اللهِ ﷺ إلى المدينةِ، كمَا أنَّ معنَى الخروجِ يَرِدُ عندَ زُعَمائِهِمُ الأوائلِ، فَعِنْدَمَا اجْتَمَعَتِ الخوارجُ إلى عبدِ اللهِ بنِ وهبٍ الرَّاسبيِّ خَاطَبَهُمْ بقولِهِ: (مَعَاشِرَ إِخْوَانِي، إنَّ متاعَ الدُّنيا قليلٌ، وإنَّ فُرَاقَهَا وَشِيكٌ، فاخْرُجوا بِنَا مُنْكِرِينَ الحكومةَ)[3]. ويَذكُرُ أحدُ شُعَرَائِهِمْ وَاسْمُهُ عيسَى بنُ فاتكٍ الخطِّيُّ هذَا اللَّقبَ في شِعرِهِ حينَ يقولُ:

كَذَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُم ... وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَا[4]

---

[1] - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الملل و النحل، مصدر سابق، ج١، ص١١٤.

[2] - سورة النساء، الآية: ١٠٠.

[3] - أحمد معيطة: الاسلام الخوارجي، قراءة في الفكر والفن ونصوص مختارة، مصدر سابق، ص٢١.

[4] - إحسان عباس: شعر الخوارج، مصدر سابق، ص٤٥.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: فِرَقُ الْخَوَارِجِ

اسْتَمَرَّ الخوارجُ في معاركَ كبيرةٍ ضدَّ الدولةِ الأمويةِ انْتَصَرُوا في بَعْضِهَا وَانْهَزَمُوا فِي بَعْضِهَا الآخرِ، وانتَهَى بهمُ الأمرُ إلى أنْ تَمَزَّقُوا إلى عدّةِ فِرَقٍ يُكَفِّرُ بَعْضُهَا بعضًا، وَأَشْهَرُ فِرَقِهِمْ ثَلاَثَةٌ:

أَوّلاً: الأَزَارِقَةُ

وهُمْ أتباعُ أبي رَاشدٍ نَافعِ بنِ الأَزرقِ[1]، وكانَ نافعٌ كمَا يُذْكَرُ علَى قَدْرٍ كبيرٍ مِنَ الشَّجَاعةِ، وعلَى معرفةٍ بالقرآنِ ومقدرةٍ علَى الخطابةِ[2]، وكانَ علَى دِرَايةٍ

---

[1] - هو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي المكنّى بأبي راشد وهو من بني حنيفة، وكان قائداً شجاعاً قويّاً قاتل قوّاد عبد الله بن الزبير وعمّاله وقوّاد الأمويين وعمّالهم تسع عشرة سنة، (عامر النجار: في مذاهب الإسلاميين، الخوارج ــ الإباضية ــ الشيعة، مصدر سابق، ص ٥٣)، خرج بالبصرة أيّام عبد الله بن الزّبير، وفي سنة ١٦٥هـ اشتدّت شوكته فبعث إليه عبد الله بن الحارث مسلم بن عبس على رأس جيش كثيف فكانت بين الجمعين وقعة عظيمة قتل فيها أمير الجيشين: مسلم ونافع وكان ذلك في جمادي الآخرة. مات نافع بن الأزرق سنة ٦٥هـ.

- أبو الحسن بن أبي موسى بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين، مصدر سابق، ج١، ص٨٤.

. - الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١١٨.

[2] - أحمد محمد أحمد جلي: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، الخوارج والشيعة، د د، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ص٦٦.

بتفسيرِ القرآنِ، وأنَّهُ كانَ يُجَالِسُ ابنَ عبّاسٍ ويسألُهُ عنْ مفرداتِ القرآنِ الكريمِ[1]، وفِي إحدَى المرّاتِ أخذَ نافعٌ يسألُ ابنَ عباسٍ عنِ المفرداتِ اللُّغويةِ في القرآنِ الكريمِ حتّى مَلَّهُ ابنُ عبّاسٍ وضَجَرَ منهُ[2]، وقدْ شاركَ معَ بعضِ رُؤساءِ الخوارجِ حَرْبَ عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ ﷺ ضدَّ الأمويِّينَ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُبَايِعُوهُ، ثُمَّ قَرَّرُوا امتحانَهُ لمعرفةِ رَأْيِهِ، وَقَالُوا: إنْ بَرِئَ مِنْ عثمانَ وعليٍّ وَكَفَّرَ أَباهُ وطلحةَ بَايَعْنَاهُ، وَإِنْ كانتِ الأُخْرَى تَرَكْنَاهُ للأَمَوِيّينَ وانْشغَلْنَا بما يَجِبُ عَلَيْنَا، وَتَبَيَّنَ للخوارجِ بعدَ سؤالِ عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ ﷺ أنَّهُ يُخالِفُهُمُ الرَّأيَ، وأنَّهُ يتولَّى الصَّحابةَ ولَا يُكفِّرُهُمْ، فَتَفَرَّقُوا عنهُ وفَارَقُوهُ[3]، ومِنْ مَذْهَبِهِمْ أنَّ

---

[1] - علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفرق الإسلامية، الرؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٣٩.

[2] - محمد أحمد جلي: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، الخوارج والشيعة، مصدر سابق، ص٦٦ ـ ٦٧.

[3] - علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفرق الإسلامية، الرؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٤٠.

قَتْلَ مَنْ خَالَفَهُمْ جَائِزٌ[1]، ولمْ يَكُنْ للخَوارِجِ قَومٌ أكثرُ مِنْهُمْ عَدَدًا وَأَشَدُّ مِنْهُمْ شَوْكَةً[2].

وهُمُ الذينَ خَرَجُوا معَ نافعٍ مِنَ البَصرةِ إلى الأهوازِ، فَغَلَبُوا عليها وعلَى كُورِهَا وَمَا وَرَاءَهَا مِنْ بُلدانِ فارسَ وكرمانَ في أيّامِ عبدِ اللهِ بنِ الزّبيرِ، وقَتَلُوا عُمَّالَهُ بِهَذِهِ النّواحِي[3].

فَأَنْفَذَ إليهمْ عبدَ اللهِ بنَ الحارثِ بنِ نوفلٍ النوفليَّ بصَاحِبِ جَيْشِهِ مسلمِ بنِ عبيسِ بنِ كريزِ بنِ حبيبٍ، فَقَتَلَهُ الخوارجُ وَهَزَمُوا أصحابَهُ، فَأَخْرَجَ إليهمْ أَيْضًا عثمانَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ معمرٍ التميميَّ فَهَزَمُوهُ، فأَخْرجَ إليهمْ حارثةَ بنَ بدرٍ العتابيَّ في جيشٍ كثيفٍ فَهَزَمُوهُ، وَخَشِيَ أهلُ البَصرةِ علَى أنفسِهِم وبَلَدِهِمْ مِنَ الخوارجِ، فَأَخْرَجَ إليهمُ الْمُهَلَّبُ بنُ أبي صفرةَ، فَبَقِيَ في

---

[1] - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي الملقّب بفخر الدّين الرّازي (ت٦٠٦هـ): اعتقادات فِرق المسلمين والمشركين، تحقيق: سامي النشار، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص٤٦.

[2] - أبو المظفّر طاهر بن محمّد الأسفراييني: التبصير في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفرق الهالكين، مصدر سابق، ص٤٩.

[3] - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، مصدر سابق، ج١، ص١١٨ ــ ١٢٠.

- أبو المظفّر طاهر بن محمّد الأسفراييني: التبصير في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفرق الهالكين، مصدر سابق، ص٥٠ ــ ٥١.

حَرْبِ الأزارقةِ تِسْعَ عَشْرَةَ سنةً إلى أَنْ فَرغَ مِنْ أَمْرِهِمْ في أيَّامِ الحجَّاجِ. ومَاتَ نافعٌ قبلَ وقائعِ المهلّبِ معَ الأزارقةِ، وَبَايَعُوا بعدَهُ قَطَرِيَّ بنَ الفجاءةِ المازنيَّ وَسَمَّوْهُ أميرَ المؤمنينَ[1]، وقيلَ سَمَّوْهُ أميرَ الموتِ[2].

وَيَتَحَدَّثُ ابنُ حزمٍ عنِ الأزارقةِ فيقولُ: قالَ أبو محمّدٍ: وأصلُ أبي إسماعيلَ هذا مِنَ الأزارقةِ إلاَّ أنَّهُ غلَا عنْ سائرِ الأزارقةِ وزادَ عليهمْ، وقالتْ سائرُ الأزارقةِ وهُمْ أصحابُ نافعِ بنِ الأزرقِ بإبطالِ رَجْمِ مَنْ زَنَى وهوَ مُحْصنٌ، وَقَطْعُوا يدَ السارقِ مِنَ الْمَنْكبِ، وَأَوْجَبُوا علَى الحائضِ الصَلاةَ والصَيامَ في حَيْضِهَا، وقالَ بَعْضُهُمْ: لَا، وَلَكِنْ تَقْضِي الصَلاةَ إذا طَهُرَتْ كمَا تَقْضِي الصَيامَ، وبَرِئَتِ الأزارقةُ مِمَّنْ قَعَدَ عنِ الخُرُوجِ لِضُعْفٍ أَوْ غَيْرِهِ وَكَفَّرُوا مَنْ خَالَفَ هذا القولَ بعدَ مَوتِ أَوَّلِ مَنْ قالَ بهِ مِنْهُمْ[3].

---

[1] - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، مصدر سابق، ج١، ص١٢٠.

[2] - أبو المظفر طاهر بن محمّد الأسفراييني: التبصير في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفرق الهالكين، مصدر سابق، ص٥١.

[3] - أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦): الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت، ج٤، ص١٤٤.

ولَهُمْ مقالاتٌ فَارَقُوا بها الْمُحَكِّمَةَ الأُوَلَ وَسَائِرَ الخوارجِ[1]، وأوّلُ مَنْ أحدثَ الخِلافَ بينَ الخوارجِ هوَ نافعُ بنُ الأزرقِ الحنفيُّ[2]، والذي أَحْدَثَهُ: البراءةُ مِنَ القَعَدَةِ، وَالْمِحْنَةُ لِمَنْ قَصَدَ عَسْكَرَهُ، وَإِكْفَارُ مَنْ لَمْ يُهاجِرْ إليهِ. ويُقالُ إنَّ أوَّلَ مَنْ أحدثَ هذا القولَ عبدُ ربِّهِ الكبيرُ. ويقالُ: إنَّ المُبتدعَ لهذا القولِ رجلٌ كانَ يُقالُ لهُ عبدُ اللهِ بنُ الوضينِ. قَالوا: وَقدْ كانَ نافعٌ خَالَفَهُ في أوَّلِ أَمْرِهِ وَبَرِئَ منهُ، فَلمَّا ماتَ عبدُ اللهِ صارَ نافعٌ إلى قولِهِ وَزَعَمَ أنَّ الحقَّ كانَ في يَدِهِ ولمْ يُكَفِّرْ نَفْسَهُ بِخِلاَفِهِ إيَّاهُ حينَ خالَفَهُ ولَا أَكْفَرَ الذينَ خَالَفُوا عبدَ اللهِ قبْلَ موتِهِ وَأَكْفَرَ مَنْ يُخالِفُهُ فيمَا بَعْدَهُ. وَالأَزَارِقَةُ تَقُولُ أَنَّ كلَّ كبيرةٍ كُفْرٌ، وأنَّ الدَّارَ دَارُ كُفرٍ، يَعْنُونَ دَارَ مُخَالِفِيهِمْ، وأَنَّ كلَّ مُرْتَكِبِ مَعْصِيَةٍ كَبِيرَةٍ في النَّارِ خَالِدًا مُخَلَّدًا، وَيُكَفِّرُونَ عليًّا ﷺ في التَّحكيمِ، وَيُكَفِّرُونَ الحَكَمَيْنِ أبَا مُوسَى وعَمْرَو بنَ العاصِ، ويَرَوْنَ قَتْلَ الْأَطْفَالِ.

والأزارقةُ يرَوْنَ أنَّ أطفالَ المشركينَ في النَّارِ، وأنَّ حُكْمَهُمْ حُكْمُ آبائِهِمْ، وكذلكَ أطفالُ المؤمنينَ حُكْمُهُمْ حُكْمُ آبائِهِمْ، وزعمتِ الأزارقةُ أنَّ مَنْ قامَ

---

[1] ــ أبو المظفر طاهر بن محمّد الأسفراييني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفرق الهالكين، مصدر سابق، ص٥٠.

[2] ــ عامر النجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضية، الشيعة، مصدر سابق، ص٥٤.
- عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، دار المعارف، ط١، ١٩٩٣م، ص٩١.

في دارِ الكُفْرِ فَكَافِرٌ لاَ يَسَعُهُ إلاَّ الخُروجُ[1]، ويَرَوْنَ كذلكَ أنَّ التَّقيَّةَ غيرُ جَائِزَةٍ في قَوْلٍ ولَا عَمَلٍ.

ومِنْ مَبَادِئِهِمْ أَيْضًا أَنَّهُمْ كَفَّرُوا عَلِيًّا ﷺ[2]، وقالُوا: إنَّ اللهَ أنْزَلَ في شأنِهِ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴾[3] وَصَوَّبُوا عبدَ الرحمنِ بنَ ملجمٍ لَعَنَهُ اللهُ، وقالُوا: إنَّ اللهَ ﷻ أنزلَ في شأنِهِ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾[4]. وَاعْتَبَرُوا عبدَ الرحمنِ بنَ مُلجمٍ شَهِيدًا بَطَلاً[5].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[1] ــ أبو الحسن بن أبي موسى بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين، مصدر سابق، ج١، ص٨٥ ــ ٨٦.

ــ أبو المظفّر طاهر بن محمّد الأسفراييني: التبصير في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفرق الهالكين، مصدر سابق، ص٥٠.

[2] ــ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: الملل والنحل، مصدر سابق، ج١، ص١٢٠.

ــ عامر النجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضية، الشيعة، مصدر سابق، ص٥٦.

[3] ــ سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

[4] - سورة البقرة، الآية: ٢٠٧.

[5] - مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، مصدر سابق، ص١٣٣.

ثَانِيًا: النَّجَدَاتُ

وهُمْ أصحابُ نجدةَ بنِ عامرٍ الحنفيِّ[1]، وَقِيلَ عاصمٍ، وكانَ مِنْ حَالِهِ أنَّهُ لمَّا سَمَّى نافعُ بنُ الأزرقِ مَنْ كانَ قدِ امْتَنَعَ مِنْ نُصْرَتِهِ مُشْرِكًا[2]، وهمْ يَرَوْنَ أنَّ قَتْلَ مَنْ خَالَفَهُمْ وَاجِبٌ وأكثرُ الخوارج بنجستانَ علَى مقَالَتِه[3]. وكانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنَّهُ خَرَجَ مِنَ اليَمَامَةِ مَعَ عَسْكرِهِ يُرِيدُ اللُّحُوقَ بالأزارقةِ، فاسْتقبَلَهُ أبو فديكٍ[4] وعطيَّةُ بنُ الأسودِ الحنفيُّ[5] في الطَّائفةِ الذينَ خَالَفُوا نافعَ بنَ الأزرقِ،

---

[1] - نجدة بن عامر الحنفي: قتله أصحابه سنة ٦٩هـ.

- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، مصدر سابق،ج١، ص١٢٢.

[2] - أبو المظفّر طاهر بن محمّد الأسفراييني: التبصير في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفِرق الهالكين، مصدر سابق، ص٥٢.

[3] - أبو عبد الله محمد بن حسين التيمي الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مصدر سابق، ص٤٧.

[4] - زعيم الفديكيّة فيما بعد حين يخرج على نجدة ويقتُله.

- عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج ـ الإباضية ـ الشيعة، مصدر سابق، ص٥٨.

[5] - زعيم العطوية فيما بعد، وأبرز الخارجين على نجدة بعد ذلك.

- عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج ـ الإباضية ـ الشيعة، مصدر سابق، ص٥٨.

فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أَحْدَثَهُ نافعٌ مِنَ الخلافِ بِتَكْفِيرِ القَعَدَةِ عنهُ وسَائرِ الأحداثِ والبِدَعِ، فَخَرَجُوا عنهُ، وَبَايَعُوا نجدةَ وسَمَّوْهُ أميرَ المؤمنينَ[1].

يُقالُ إِنَّ أتباعَ نجدةَ كانُوا في الأصلِ باليمامةِ مَعَ أبي طالوتَ الخَارجيِّ وَلَكِنَّهُمْ تَرَكُوهُ، وَبَايَعُوا نجدةَ سنةَ ستٍّ وستّينَ، فعَظُمَ أَمْرُهُ وأَمْرُهُمْ، فَاسْتَوْلَى علَى البحرينِ وحضرموتَ واليَمنِ والطّائفِ[2].

وقالَ نجدةُ: إِنَّ الدِّينَ أَمْرَانِ:

أَحَدُهُمَا: معرفةُ اللهِ تعالَى، ومعرفةُ رُسُلِهِ، وَتَحْرِيمُ دماءِ المسلمينَ وتحريمُ غَصْبِ أموالِ المسلمينَ، والإقرارُ بما جاءَ منِ عندِ اللهِ تعالى جُمْلَةً. فهذَا واجبٌ معرفتُهُ علَى كُلِّ مُكَلَّفٍ.

والثَّاني: ما سِوَاهُ، فَالنَّاسُ مَعْذُورُونَ بِجَهَالَتِهِ حتَّى تَقُومَ عليهِ الحُجَّةُ في الحلالِ والحرامِ، فمَنِ استحلَّ بجِهادِهِ شيئًا محرَّمًا فهوَ معذورٌ، ومَنْ خَافَ

---

[1] - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، مصدر سابق، ج١، ص١٢٢ ـ ١٢٣.

- أبو الحسن بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مصدر سابق، ج١، ص٨٦.

- أبو المظفّر طاهر بن محمّد الأسفراييني: التبصير في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفِرق الهالكين، مصدر سابق، ص٥٢.

[2] - عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج ـ الإباضية ـ الشيعة، مصدر سابق، ص٥٨.

العَذَابَ علَى المُجتهِدِ المخطئِ قبْلَ الحُجَّةِ عليهِ فَهُوَ كافرٌ، ومَنْ بِدَعِهِ أنَّهُ تَوَلَّى أصحابَ الحدودِ مِنْ مُوافِقِيهِ وقالَ: لعلَّ اللهَ يُعَذِّبُهُمْ في نارٍ غيْرِ نارِ جَهَنَّمَ، ثمَّ يُدْخِلُهُمُ الجنَّةَ، وَزَعَمَ أنَّ النَارَ يَدْخُلُهَا مَنْ خالفَهُ فِي دينِهِ. ومِنْ ضلالتِهِ أنَّهُ أَسْقَطَ حدَّ الخمرِ، وَمِنْهَا أَيْضًا أنَّهُ قَالَ: مَنْ نظرَ نظرةً صغيرةً أوْ كذبَ كذبةً صغيرةً وَأَصَرَّ عليها فهوَ مُشْرِكٌ، ومَنْ زَنَى وسَرَقَ وشَرِبَ الخمرَ غيرَ مُصِرٍّ عليهِ فهوَ مُسلمٌ إذا كانَ مِنْ مُوافِقِيهِ علَى دِينِهِ[1].

وهذهِ مِنْ جُملةِ الأسبابِ التي عَلَيْهَا نَقِمَهَا عليهِ أتباعُهُ فيما بَعْدُ.

وقالَ قومٌ: إنَّهُ كانَ معذورًا فيما فَعَلَ، وقالوا لهُ: كانَ لكَ أنْ تَجْتَهِدَ ولمْ يَكُنْ لنَا أنْ نَسْتَتِيبَكَ، فَتُبْ عنْ توبَتِكَ، وَاخْتَلَفُوا عليهِ إلى أنْ قَتَلَهُ أبو فديكٍ، وَبَعَثَ عبدُ الملكِ بنُ مروانَ جُنْدًا إلى أبي فديكٍ فَقُتِلَ، وَكَفَى اللهُ المسلمينَ شَرَّهُمْ[2].

---

[1] - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، مصدر سابق، ج١، ص١٢٢.
- أبو الحسن بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مصدر سابق، ج١، ص٨٧.
- عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي: الفرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية، مصدر سابق، ص٦٨.

[2] - أبو المظفر طاهر بن محمّد الأسفراييني: التبصير في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفِرق الهالكين، مصدر سابق، ص٥٢ ـ ٥٣.

نُلاحِظُ أنَّ هناكَ فرقًا بينَ منهجِ الأزارقةِ والنَجداتِ في مسألةِ الاجتهادِ، فالأزارقةُ لاَ تَعتبرُ الاجتهادَ أصلاً في الأَحْكامِ، أمَّا النجداتُ فقدِ اهْتَمُّوا بالاجتهادِ أعظمَ الاهتمامِ، حتَّى أنَّهُ عِنْدَهُمْ أنَّ مَنِ اجْتَهَدَ في شيءٍ وأخطأَ فيهِ فهُوَ معذورٌ كما ذَكَرْنَا سَابِقًا، وأيضًا الأزارقةُ جَعَلُوا الإيمانَ قولاً وعملاً، بينَمَا النَجداتُ جَعَلُوا الدّينَ معرفةً وَإِقْرَارًا، ولقدْ أحدثَ النَجداتُ مبدأً لاَ يُوجَدُ عِنْدَ غَيْرِهِمْ مِنَ الخوارجِ وهوَ جوازُ التَقيةِ[1].

وَتُعَدُّ فِرقَةُ النَجداتِ أقلَّ غُلُوًّا مِنَ الأزارقةِ، وهمْ لاَ يُكفِّرُونَ أطفالَ المسلمينَ كَمَا ذَكَرْنَا سَابِقًا، وَيَبْدُو أنَّهَا المسألةُ التي اخْتَلَفَ فيها مَعَ نافعِ بنِ الأزرقِ، وفارَقَهُ لأَجْلِهَا.

اشْتهرتْ هذهِ الفِرْقَةُ بِلَقَبِ العاذريّةِ، وسَبَبُ هذهِ التَّسميةِ أنَّ نجدةَ بنَ عامرٍ الحنفيَّ أرسلَ ابنًا لهُ معَ جندٍ مِن عسكرِهِ إلى القَطيفِ، فَأَغَارُوا عليها، وَسَبَوْا منها النِّساءَ والذُّرّيةَ، وقَوَّمُوا النِّساءَ علَى أنفُسِهِمْ وَنَكَحُوهُنَّ قبْلَ إخراجِ الخُمُسِ مِنَ الغَنِيمةِ، وَقَالُوا: إنْ دَخَلَتِ النّساءُ في قِسْمِنَا فهوَ مُرَادُنَا، وإنْ زَادَتْ قِيمَتُهُنَّ علَى نَصِيبِنَا مِنَ الغنيمةِ غَرِمْنَا الزِّيادةَ مِنْ أموَالِنَا؛ فلمَّا رَجَعُوا إلى نجدةَ سَأَلُوهُ عمَّا فعلُوا مِنْ وَطْءِ النِّساءِ ومِنْ أكلِ طعامِ الغنيمةِ

- عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي: الفرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية، مصدر سابق، ص٦٩.

[1] - عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج ـ الإباضية ـ الشيعة، مصدر سابق، ص٥٩.

قَبْلَ إِخرَاجِ الخُمُسِ مِنها وقَبلَ قِسمةِ أَربعةِ أَخْماسِهَا بينَ الغَانِمينَ، فقالَ لهمْ: لمْ يكنْ لكمْ ذلكَ. فقالُوا: لمْ نَعْلَمْ أنَّ ذلكَ لَا يحلُّ لنَا، فَعَذَرَهُمْ بالجَهالةِ، فَلُقِّبُوا بِالْعَاذِرِيَّةِ[1].

وَمِنْ أَشْهَرِ أقوالِ النَّجداتِ قَوْلُهُمْ بِعَدَمِ ضَرُورةِ وُجُودِ دَولةٍ مسلمةٍ، وأَنَّهُ لاَ ضرورةَ لخليفةِ المُسلمينَ، بلْ قَالُوا: إِذَا تَنَاصَفَ النَّاسُ فيما بَيْنَهُمْ فَلاَ حاجةَ لأميرٍ؛ إِذْ يُورِدُ المسعوديُّ رأيَهُ فيقولُ: (يَرَوْنَ أَنَّهُ قَدْ يُسْتَغْنَى عنِ الإمامِ إذا تناصَفَ النَّاسُ فيما بَيْنَهُمْ). وَمَعَ رأيِهِمْ هذا فَقَدِ اخْتَارُوا أئِمَّةً لهمْ وتقاتَلُوا فيما بَيْنَهُمْ مِنْ أجلِ الظَّفرِ بالإمامةِ والقيادةِ[2].

ثالثًا: الصَّفْرِيَّةُ

هُمْ أتباعُ زيادِ بنِ الأصفر، وقيلَ: عبدِ اللهِ بنِ صفّارٍ، وقيلَ: نسبةً لِلمُهلبِ بنِ أبي صفرةَ، وَقِيلَ: لَزِمَتْهُمُ التَّسميةُ بِسَبَبِ الصُّفرةِ التي تَعْلُوا

---

[1] - علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفرق الإسلامية، الرؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٤٧ ـ ١٤٨.

- عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، مصدر سابق، ص٦٧ ـ ٦٨.

[2] - علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفرق الإسلامية، الرؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٥٠.

وُجُوهَهُمْ منَ العبادةِ والصَّومِ[1]. ويقالُ: إنَّ الصَّفريَّةَ نُسِبُوا إلى عُبَيْدَةَ، وكانَ مِمَّنْ خَالَفَ نجدةَ ورَجَعَ مِنَ اليَمامةِ[2].

وقدْ خَالفَ الصَّفريَّةُ الأزارقةَ والنَّجداتِ في أُمورٍ، مِنْهَا: أنَّهُمْ لمْ يُكَفِّرُوا القَعَدَةَ عنِ القِتالِ إذَا كَانُوا مُوَافِقِينَ في الدِّينِ والاعتقادِ، ولمْ يُسْقِطُوا الرَّجْمَ، ولمْ يَحْكُمُوا بقَتلِ أطفالِ المُشركينَ وَتَكْفِيرِهِم وتخليدِهِم في النَّارِ، وقالُوا: التَّقيَّةُ جَائزةٌ في القولِ دُونَ العملِ. وقالُوا: ما كانَ مِنَ الأعمالِ عليهِ حَدٌّ واقعٌ فلاَ يَتَعَدَّى بأهلِهِ الاسمَ الذي لَزِمَهُ بهِ الحدُّ كالزِّنا، والسَّرقةِ والقَذْفِ، فَيُسَمَّى زَانِيًا، سَارِقًا، قَاذِفًا؛ لاَ كَافِرًا مُشْرِكًا[3].

---

[1] - المصدر نفسه، ص١٥١.

- أحمد محمد أحمد جلي: دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، الخوارج والشيعة، مصدر سابق، ص٧٢.

[2] - أبو الحسن بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مصدر سابق، ج١، ص٩٤.

[3] - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، مصدر سابق، ج١، ص١٣٧.

- أبو الحسن بن إسماعيل الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، مصدر سابق، ج١، ص٩٥.

- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرّازي: اعتقادات فِرق المسلمين والمشركين، مصدر سابق، ص٥١.

- أبو المظفّر طاهر بن محمّد الأسفراييني: التبصير في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفِرق الهالكين، مصدر سابق، ص٥٤.

وقالتْ طائفةٌ مِنَ الصَّفريةِ إنَّ النَّبيَّ ﷺ إذا بُعِثَ فَفِي حينِ بَعْثِهِ في ذلكَ الوقتِ مِنْ ذلكَ اليَومِ لَزِمَ جميعَ أهلِ المشرقِ والمغربِ الإيمانُ بهِ وإنْ لمْ يَعْرِفُوا جميعَ ما جاءَ بهِ مِنَ الشَّرائعِ، فمَنْ مَاتَ مِنهمْ قَبلَ أنْ يَبلُغَهُ شيءٌ مِنْ ذلكَ ماتَ كافِرًا[1].

وكانُوا أَمْيَلَ إلَى المُسالمةِ مِنَ الأزارقةِ، كمَا كانُوا أقربَ إلى الاعتدالِ وأبْعَدَ عَنِ التَّطرُّفِ فِي أَحْكامِهِمْ[2].

يقولُ الدكتورُ محمود عبد الرّزاقِ: "إنَّ عقائدَ الصّفريةِ تُمثِّلُ تطورًا علميًّا مَلْحُوظًا في فِكْرِ الخوارجِ وعقائِدِهِمْ؛ إذْ تَجْنَحُ إلى التّخْفيفِ مِنْ غَلْوَاءِ التَّطرُّفِ الذي أَفْضَى بحركاتِهِم إلى الفَشَلِ مِنْ قَبْلُ[3].

وكُلُّ الصَّفريَةِ يقولونَ بِمُوَالاةِ عبدِ اللّهِ بنِ وهبٍ الرّاسبيِّ وَحرْقُوصِ بنِ زُهيرٍ وأتباعِهِمَا مِنَ المحكَّمةِ الأُولَى، وَيَقُولُونَ بإمامةِ أبي بلالٍ مرداسِ بنِ أديةَ، وبإمامةِ عمرانَ بنِ حطانَ بعدَ أبي بلالٍ.

- عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، مصدر سابق، ص٧٠.

[1] - أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنّحل، مصدر سابق،ج٤، ص١٤٥.

[2] - مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، مصدر سابق، ص١٣٤.

[3] - عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج ـ الإباضية ـ الشيعة، مصدر سابق، ص٦٢.

فأمَّا أبو بلالٍ مِرْدَاسٌ فإنَّهُ خرَجَ في أيَّامِ يزيدَ بنِ مُعاويةَ بناحيةِ البَصرةِ علَى عُبَيْدِ اللهِ بنِ زيادٍ فقُتِلَ، ثمَّ قُتِلَ أَخُوهُ عروةُ بنُ أديَّةَ[1].

يقولُ الدّكتورُ عليّ العشيّ: وقدْ وَجَدْتُ أنَّ الإباضيةَ يَتَوَلَّوْنَ كذلكَ المحكِّمةَ الأُولى أَهْلَ النَّهروانِ، وَمِنْهُمْ أبو بلالٍ مرداسُ بنُ أديةَ أوْ (ابنُ حُدَيْرٍ)[2].

فَلَمَّا قُتِلَ مِرداسٌ اتخذَتِ الصَّفريةُ عمرانَ بنَ حطَّانَ إمامًا، وهوَ الذي رَثَى مِرْدَاسًا بِقَصَائِدَ يَقُولُ في بَعْضِهَا:

أَنْكَرْتُ بَعْدَكَ ما قدْ كنتُ أَعْرِفُهُ ... مَا النَّاسُ بَعْدَكَ يا مِرْدَاسُ بالنَّاسِ

وكانَ عِمرانُ بنُ حِطّانَ هذا نَاسِكًا شاعرًا شديدًا في مذهبِ الصّفريّةِ، وبَلَغَ مِنْ عِدَائِهِ وحِقْدِهِ عَلَى عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ مَبْلَغَهُ، وعندَ البغداديِّ نَجِدُ لفظَةَ: وَبَلَغَ مِنْ خُبْثِهِ في عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ رثَى عبدَ الرحمنِ بنَ مُلْجِمٍ قاتِلَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وقالَ في الضَّربَةِ التي ضَرَبَهَا لعليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ:

---

[1] - علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفرق الإسلامية، الرؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٥١.

- عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، مصدر سابق، ص٧١.

[2] - علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفرق الإسلامية، الرؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٥٢.

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أرادَ بِهَا إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العرْشِ رِضْوَانَا

إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسِبُهُ أَوْفَى البريَّةِ عندَ اللهِ مِيزَانَا

وقدْ قالَ البغداديُّ ردًّا عليهِ:

يَا ضَرْبَةً مِنْ كفورٍ ما اسْتَفَادَ بها إلاَّ الجزاءَ بِمَا يُصْلِيهِ نِيرَانَا

إِنِّي لأَلعنُهُ دينًا وألعنُ مَن يَرْجُو لَهُ أَبَدًا عفوًا وغفرانَا

ذاتُ الشَّقيِّ لأشقَى النَّاسِ كُلِّهِمُ أَخَفّهمْ عندَ ربِّ النَّاسِ مِيزَانَا[1]

وقدْ تَمَكَّنَ الصَّفريَّةُ مِنْ إقامَةِ دولةٍ لهُمْ في المغربِ الأقصَى جنوب طنجةِ لكنْ بِفِعْلِ توالِي الحُروبِ بَيْنَهُمْ وبينَ الأمويِّينَ ثمَّ العبَّاسيِّينَ ثمَّ العبيدِيِّينَ الْفَاطمِيِّينَ انْدَثَرَتْ هذهِ الفِرقَةُ كذلكَ[2].

---

[1] - علي بن العجمي العتّي: مباحث في الفرق الإسلامية، الرؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٥٢.

- عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي: الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة النّاجية، مصدر سابق، ص٧٢.

- إحسان عباس: شعر الخوارج، مصدر سابق، ص١٤٧.

[2] - علي بن العجمي العتّي: مباحث في الفرق الإسلامية، الرؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٥٤.

الفصلُ الثّاني: المدرسةُ الإباضيّةُ وَتَطَوُّرُهَا

المبحثُ الأوّلُ: نشأةُ الإباضيّةِ

المبحثُ الثّاني: نسبةُ الإباضيّةِ وتأسيسُهَا

المبحثُ الثّالثُ: أهمُّ الآراءِ العقديّةِ عندَ الإباضيّةِ

المبحثُ الرّابعُ: أماكنُ تواجدِ الإباضيّةِ

المبحثُ الأوّلُ: نشأةُ الإباضيّةِ

تعودُ الإباضيّةُ في نشأتِهَا إلى الظُّروفِ السّياسيّةِ بالدّرجةِ الأولَى حِينَمَا اشْتَدَّتْ أَزْمَتُهَا في الثُّلُثَيْنِ الأخيرَيْنِ منَ القرنِ الأوّلِ للهجرةِ بالإضافةِ إلى الوضعِ الاجتماعيِّ المتناقضِ[1]، ممَّا تَوَلَّدَ عنْ ذلكَ اختلافُ أمّةِ محمدٍ ﷺ حولَ بعضِ القضايا في الفقهِ والسّياسةِ... وكانَ ذلكَ سببًا لاجتهادِ العلماءِ مِنَ الصّحابةِ والتّابعينَ، ومِنْ ثَمَّ تعدَّدَتْ وتباينَتْ الأفكارُ فَكَثُرَ الجدلُ والمناظراتُ بينَ العلماءِ، وبالتّالي ظهورُ عِلْمِ الكلامِ عندَ المسلمينَ، وَلَمَّا صارَ لكلِّ عالِمٍ أتباعُهُ وَشِيعَتُهُ تَحَزَّبَتِ الأمّةُ الإسلاميّةُ، وَصَارَتْ فِرَقًا ومذاهبَ، وَتَدَّعِي كلُّ فِرقةٍ أنَّ الحقَّ إلى جَانِبِهَا وأنَّ غَيْرَهَا على ضلالٍ، وأنَّهَا الوحيدةُ النّاجيةُ منْ بينِ الفِرَقِ التي أشارَ إليها الرسولُ ﷺ في حديثِ الافتراقِ[2]، فَبَادَرَ

---

[1] - ظهرت بوادر التّناقض الاجتماعي بتكوّن الطبقيّة عندما تراكمت رؤوس الأموال لدى الأعيان من قريش من ناحية واحتكار بني أميّة لمناصب السّلطة من ناحية أخرى وذلك في عهد ثالث الخلفاء عثمان بن عفان.

[2] - عبد القاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ-١٠٣٧م): الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨٢م، ص٤-٦.

الخوارجُ بتسميةِ أنفسِهِم أهلَ الحقِّ، وَكَانُوا أوّلَ فئةٍ زَعَمَتْ أنَّهَا على حَقٍّ وَمَا سِوَاهَا على ضَلاَلٍ[1].

وفي هذهِ الظّروفِ المتوتّرةِ لمْ يَكُنِ الصّراعُ الفكريُّ وحيدًا في إذكاءِ نارِ الفتنةِ، بلْ تَفَاقَمَ الوضعُ وتحوَّلَ الخلافُ مِنْ حربٍ كلاميّةٍ إلى صراعٍ مُسَلَّحٍ، وكانَ الخليفةُ الثّالثُ عثمانُ بنُ عفّانَ ﷺ أوّلَ ضحيّةٍ في هذا الصّراعِ، ثمَّ تَطَوَّرَتِ الأحداثُ بعدَ ذلكَ، وَاشْتَدَّ الخلافُ، وَتَقَاتَلَ المسلمونَ في معركةِ الجملِ (٣٦هـ-٦٥٧م) وفي وقعةِ صفّينَ (٣٧هـ-٦٥٨م) وما حَدَثَ بعدَهُمَا مِنْ فِتَنٍ وانقساماتٍ[2].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[1] - محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ-٩٢٢م): تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الحسينية، القاهرة، د ط، ١٣٣٦هـ، ج٥، ص٧٥.

- نقلا عن: عدّون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيّش (١٢٣٦-١٣٣٢هـ/١٨١٨-١٩١٤م)، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيّب، سلطنة عمان، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٢٨.

[2] - عدّون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢٩.

وأدَّتِ التطوراتُ السّريعةُ التي أعقَبَتْ مَقْتَلَ الخليفةِ رَئِيسِ الدّولةِ إلى نُشوبِ حربٍ أهليّةٍ بينَ المسلمينَ ذَهَبَ ضَحِيَّتَهَا آلافُ المسلمينَ، وَبَرَزَتْ علَى إِثْرِهَا الأحزابُ والفِرَقُ الإسلاميّةُ[1].

ولاَ يُمْكِنُ للدّارسِ الموضوعيِّ أنْ يَفْصِلَ نشأةَ الإباضيّةِ عنْ هذهِ الظّروفِ التي عَرَفَهَا المسلمونَ حُكّامًا وَمَحْكُومِينَ، وَهُمْ يَتَنَازَعُونَ حولَ السّلطةِ، وَلا سِيَّمَا بعدَ مقتلِ الخليفةِ الثالثِ عثمانَ بنِ عفّانَ سنةَ ٣٦هـ، فقدْ أَفْرَزَتْ تلكَ الظّروفُ انقساماتٍ خطيرةً في صُفوفِ المسلمينَ لمْ تَكُنْ معروفةً مِنْ قبْلُ، وَانْحَرَفَتْ بها عنْ مفهومِ الأمّةِ الإسلاميّةِ الواحدةِ الخيِّرَةِ التي أُخْرِجَتْ للنّاسِ، لِتُصْبِحَ فِرَقًا وَطَوَائِفَ وَأَحْزَابًا تَتَعَصَّبُ للعشيرةِ والقبيلةِ، وَتَرْكَنُ إلى الدّنيا وَشَهَوَاتِهَا[2]، وتلكَ أمورٌ معروفةٌ مشهورةٌ في كُتبِ التّاريخِ لا نَرْغَبُ في بسطِ القولِ فيها إلاّ بِقَدْرِ ما نَخْدمُ وما نُمَهِّدُ بهِ لموضوعِ بَحْثِنَا؛ وهوَ نشأةُ الإباضيّةِ، ولاَ خلافَ بينَ الباحِثِينَ في أنَّ النّشأةَ تَعُودُ بالدّرجةِ إلى النّزاعِ حَوْلَ إمامةِ المسلمينَ، ومَنْ يَسْتَحِقُّهَا؟ ومَا هِيَ شُرُوطُهَا؟ وفي ظلِّ نشأةِ الطوائفِ الحزبيّةِ الْمُنْطَلِقَةِ إلى الحُكْمِ والسّيادةِ راحَتْ كُلُّ طائفةٍ تُبَرِّرُ رَأْيَهَا وَمَوْقِفَهَا بالجدالِ أحيانًا. وبالسَّيْفِ أحيانًا، وكُلُّ

---

[1] - عوض محمد خليفات: النّظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضيّة في شمال افريقية في مرحلة الكتمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط١، ١٩٨٢م، ص١٣.

[2] - محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٣٠.

طائفةٍ تَرَى أنَّ الحقَّ إلى جَانِبِهَا، وأنَّ غَيْرَهَا على باطلٍ، وهكذا تَفَاقَمَ الوضعُ بينَ المسلمينَ إلى صراعٍ مُسَلَّحٍ ماتَ فيهِ خلقٌ كثيرٌ[1]. وعَرَفَ تاريخُ المسلمينَ معاركَ دمويّةً مثلَ معركةِ الجملِ بينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وأنصارِهِ مِنْ جهةٍ، وطلحةَ والزّبيرِ وعائشةَ رضي الله عنهم مِنْ جهةٍ أُخْرَى سنةَ ٣٦هـ، تَلِيهَا معركةُ صفّينَ بينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وأنصارِهِ مِنْ جهةٍ ومعاويةَ وعمرِو بنِ العاصِ رضي الله عنهم ومَنْ مَعَهُمَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى سنةَ ٣٧هـ، ثمَّ معركةُ النّهروانِ بينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وأنصارِهِ الذينَ بَقَوْا إلى جانبِهِ بعدَ التّحكيمِ في صفّينَ، وبينَ الذينَ انْشَقُّوا عنهُ مِنْ أنصارِ الأمسِ بعدَ أنِ اخْتَلَفُوا معهُ في قبولِ التّحكيمِ، وَرَأَوْهُ انْسِلاَخًا عنِ الخلافةِ وإمامةِ المسلمينَ لصالحِ معاويةَ والفئةِ الباغيةِ، فَانْحَازُوا إلى مكانٍ يُدْعَى "حَرُورَاءَ" قُرْبَ البصرةِ، وَانْتَخَبُوا إمامًا لهُمْ مِنَ الصّحابةِ يُدْعَى عبدَ اللهِ بنَ وَهْبٍ الرّاسبيَّ[2]، وَدَامَتِ المفاوضاتُ بينَ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ مِنْ جهةٍ والحروريينَ أوِ المحكِّمَةِ مِنْ جهةٍ شُهُورًا بَاءَتْ إلى الفشلِ الذَّرِيعِ، وَتَتَابَعَتِ الحوادثُ بصورةٍ متدهورةٍ لِتَنْتَهِيَ إلى مأساةٍ مُرَوِّعَةٍ تُعْرَفُ بمعركةِ النهروانِ في صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ ٣٨هـ[3].

---

[1] - المصدر نفسه، ص٣١.

[2] - تمّ ذكره والحديث عنه في الفصل الأوّل ص٣٧.

[3] - محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٣١.

وَلَمَّا بَدَأَتْ وَتِيرةُ الأحداثِ تَتَّجِهُ إلى التصعيدِ، وَتَعَسَّفَ بَنُو أميّةَ في ملاحقةِ المعارضينَ؛ اتّخذَ الإباضيّةُ مَسْلَكَ المطالبةِ السِّلْمِيَّةِ وَالقعودِ عنِ المصادمةِ والتَّحَدِّي، وَرَأَوْا أنَّ حَقْنَ دماءِ المسلمينَ وَاسْتِتْبَابَ الأَمنِ في الدَولةِ الإسلاميّةِ أَوْلَى مِنْ كلِّ شيءٍ، وَلذلكَ سُمِّيَتْ فِرْقَتُهُمْ بِالقَعَدَةِ، وهوَ لَقَبٌ أَطْلَقَهُ عليهمْ نَافِعُ بنُ الأزرقِ وَأَتْبَاعُهُ[1].

ويُمْكِنُنَا القولُ - نظرًا إلى النتائجِ التي تَمَخَّضَتْ عنها معركةُ النهروانِ - إنّها مِنْ أهمِّ المعاركِ دمويّةً وفظاعةً، فقدْ قُتِلَ في هذهِ المعركةِ مِنَ المحكّمةِ خَلْقٌ كثيرٌ مِنْ أفاضلِ الصّحابةِ وقُرَّاءِ القرآنِ، على رَأْسِهِمْ: عبدُ اللهِ بنُ وهبٍ الرّاسبيُّ، وحرقوصُ بنُ زهيرٍ السّعديُّ، وزيدُ بنُ حصنٍ، وغيرُهُم كثيرٌ، وقدْ رَفَعَ هؤلاءِ الآيةَ القرآنيّةَ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾[2]، لِذَا سُمُّوا بِالْمُحَكِّمَةِ أَوِ الشُّرَاةِ - كمَا عَرَفْنَا سابقًا - لقولِ اللهِ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[3].

---

[1] - سيف بن سالم الهادي: الإباضيّة والمالكيّة في الغرب الإسلامي، علاقة فكريّة وتاريخيّة، مختصر البسيوي ورسالة ابن أبي زيد نموذجاً، منشورات موقع بصيرة الإلكتروني، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، القسم الأوّل: الدّراسة، ص٥٧.

[2] - سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

[3] - سورة التوبة، الآية: ١١١.

فَعَبْدُ اللهِ بنُ وهبٍ الرَّاسبيُّ شخصيَّةٌ لها مشاركةٌ فعّالةٌ في فُتُوحِ العراقِ بقيادةِ سعدِ بنِ أبي وقّاصٍ[1]. لقدْ قالَ المبرّدُ عنهُ: "وكانَ عبدُ اللهِ بنُ وهبٍ ذَا رَأْيٍ وَفَهْمٍ وَلِسَانٍ وَشَجَاعَةٍ"[2]. وقدْ قُتِلَ هذا الصّحابيُّ رَحِمَهُ اللهُ في معركةِ النّهروانِ، في ٩ صفر ٣٨هـ بقيادةِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ[3].

ولمْ تَمْضِ فترةٌ حتى تأثَّرَتِ الْمُحَكِّمَةُ بِمَقْتَلِ الكثيرِ منهمْ في النّخيلةِ[4]، حيثُ قَتَلَ معاويةُ بتأييدِ الحسنِ بنِ عليٍّ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ، وهكذَا تَتَابَعَتِ الانهزاماتُ والمآسِي الْمُرَوِّعَةُ، مِمَّا كانَ لهُ شأنٌ كبيرٌ في توجيهِ الفكرِ الإسلاميِّ بعدَ ذلكَ، كَمَا أَدَّتْ هذهِ المآسِي إلى أنْ يَفْقِدَ الْمُحَكِّمَةُ الزعيمَ القائدَ الذي يَجْمَعُ كَلِمَتَهُمْ وَيُوَحِّدُ صُفُوفَهُمْ، وهكذَا أدَّتْ هذهِ الوقائعُ المتتاليةُ إلى أنْ يَنْقَسِمَ الْمُحَكِّمَةُ إلى قِسْمَيْنِ:

---

[1] - صحابي جليل عاصر الرّسول، وهو من العشرة المبشّرين بالجنّة.

[2] - بكير بن سعيد أعوشت: أضواء إسلاميّة على المعالم الإباضيّة، بيانها حقائقها تاريخها، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد غرداية، د ط، د ت، ص٩.

[3] - المصدر نفسه، ص١٠.

- بكير بن سعيد أعوشت: دراسات إسلاميّة في الأصول الإباضية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص١٩.

[4] - النُّخيلة: موقع قرب الكوفة على سمت الشام.

- السير والجوابات، ج١، ص١١٦. (نقلا عن: محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٣٢).

قِسْمٌ فَضَّلَ مراجعةَ النَفسِ والرجوعَ إلى السَّلْمِ، والتفكيرَ في استخدامِ أَسَالِيبَ أُخْرَى، ومِنْ هؤلاءِ زُرِعَتْ بِذْرَةُ الاتجاهِ المعتدلِ الذينَ همُ الإباضيَةُ.

وَقِسْمٌ آخَرُ فَضَّلُوا الاستمرارَ على المنهجِ نَفْسِهِ، مَنْهَجِ مواجهةِ السَّلطاتِ بالعنفِ، وَاحْتَكَمُوا إلى السَّيفِ انتقامًا لقتلاهُمْ، بَلِ ازْدَادُوا تَطَرُّفًا حينَ اعْتَبَرُوا كُلَّ مَنْ خَالَفَهُمْ عَدُوًّا لهمْ، بلْ هُوَ مُشْرِكٌ يُسْتَحَلُّ دَمُهُ وَمَالُهُ، وعنْ هذا المنهجِ تَبَلْوَرَتِ الأزارقةُ والنَجداتُ والصَفريةُ[1].

وكانَ على رأسِ الذينَ اخْتَارُوا العملَ في الْكِتْمَانِ وَتَحَوُّلِ الحركةِ مِنَ العلنيَةِ إلى السريَةِ أبو بلالٍ مرداسُ بنُ حُدَيْرٍ التميميُّ[2]، هذا التابعيُّ الجليلُ

---

[1] - محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٣٢.

[2] - مرداس بن حُدَيْر يُعرف بمرداس بن أديّة التميمي أبو بلال، (ت٦١هـ-٦٧٠م): هو أحد بني ربيع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، اشتهر بمرداس بن أديّة، وأديّة أمّه. وهو تابعيّ من أئمة المذهب الأائل، لازم الإمام جابر بن زيد وأخذ عنه، والتقى عدداً من الصحابة منهم ابن عباس وعائشة، وعبد الله بن وهب الراسي رضي الله عنه، وشارك في صفين فأنكر التحكيم، وكان مِن أهل النهروان، فنجا منها. أنشأ جماعة سريّة منظّمة، تتكوّن مِن أربعين شارياً منهم حريث السدوسي، وكهمس الصريمي. وعقد المجالس والمناظرات لإقناع النّاس بِوجهة نظره، فآثر السّلم علَى الحرب، كما أنكر علَى الخوارج تعرُّضهم للنّاس بالسيف، واستحلالهم لدماء الموحِّدين.

- مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مدخل إلى التاريخ والفكر الإباضي مِن خلال تراجم لأكثر مِن ألف عَلَم من أعلام المغرب الإسلامي منذ القرن الأوّل الهجري إلى العصر الحاضر، نشر جمعيّة التراث، القرارة ـــ غرداية ـــ

الذي اشْتُهِرَ بِوَرَعِهِ وَتَقْوَاهُ، كَمَا عُرِفَ بصلابتِهِ في الحقِّ والجهادِ ضدَّ جورِ الأمويِّينَ وَظُلْمِهِمْ، وَاتَّخَذَ هوَ وجماعتُهُ مدينةَ البصرةِ مقرًّا لهمْ، مُؤْثِرِينَ العملَ في سِرِّيَّةٍ تَامَّةٍ، دَاعِينَ إلى انتهاجِ الحوارِ والدّعوةِ إلى اللهِ بِالْحُسْنَى، وَمَا لَبِثَتْ هذهِ الجماعةُ أنْ تَعَزَّزَتْ بانضمامِ الإمامِ جابرِ بنِ زيدٍ إليهمْ، وهَكَذَا نَشَأَ تَيَّارٌ فِكْرِيٌّ وَعَقَدِيٌّ جَدِيدٌ سَيُعْرَفُ فيما بَعْدُ بالإباضيّةِ، وعُرِفُوا عندَ القسمِ الذي آثَرَ استعراضَ النّاسِ بالسَّيْفِ (بالقَعَدَةِ)؛ لأَنَّهُمْ في تَصَوُّرِهِمْ قَعَدُوا عنِ الجهادِ ضِدَّ الحُكّامِ الأمويِّينَ[1].

وَيَبْدُو أَنَّ أَبَا بلالٍ لَمْ يَكُنْ رَاضِيًا عَمَّا حَدَثَ مِنْ خلافٍ وفتنةٍ بينَ المسلمينَ عَقِبَ مَقْتَلِ عثمانَ بنِ عفانَ، وَرَأَى أَنَّ القتالَ بينَ أتباعِ العقيدةِ الإسلاميّةِ أَمْرٌ لاَ يَصِحُّ، فَانْسَحَبَ معَ نَفَرٍ مِنْ أصحابِهِ، وأقامَ معَ أبناءِ عُمومتِهِ مِنْ قبيلةِ تميمٍ الذينَ كانُوا يُشَكِّلُونَ جُزْءًا هامًّا مِنْ سكّانِ البصرةِ آنذَاكَ، وَكَانَ يَتَزَعَّمُ هذهِ القبيلةَ الأحنفُ بنُ قيسٍ السّعديُّ التميميُّ

الجزائر، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، قسم المغرب، ج٤، من حرف الفاء إلى حرف الياء، ص٨٦٠-٨٦١.

- ويُعتبر أبو بلال من زعماء الإباضيّة ومؤسّسي مذهبهم، لما عُرف عنه من جهاد في سبيل عقيدة أهل الدّعوة والاستقامة، ولِمَا اتّصف به من التّقوى والعلم والشّجاعة والاعتدال.

- محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٨٩.

[1]- محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٣٣.

(٥٨٧هـ/٦٨٦م) وَيَنْتَمِي إليها عددٌ كبيرٌ مِنْ أعظمِ الشّخصياتِ السّياسيّةِ والفكريّةِ[١].

وفي ظلِّ الحِمايةِ والتّرحابِ اللذَيْنِ لَقِيَهُمَا أبو بلالٍ وأصحابُهُ مِنَ الأحنفِ وقبيلتِهِ؛ أخذَ مِرداسٌ يَنْشُرُ آراءَهُ وأفكارَهُ مُؤْثِرًا طريقَ الإقناعِ والمناقشةِ علَى الحربِ والعُنفِ، وأنْكَرَ قتْلَ المُخالفينَ وَاسْتِعْرَاضَ النّاسِ علَى طريقةِ مُتَطَرِّفِي الخوارجِ[٢]، فقدْ نادَى بآراءٍ وأفكارٍ معتدلةٍ، وأمرَ أتباعَهُ أنْ يَخلُدوا إلى الهدوءِ، لكنْ دونَ استكانةٍ أوْ مُهادَنةٍ معَ الحكّامِ الأمويّينَ الذينَ وَصَفَهُمْ بالجبابرةِ[٣]. وَدَعَا أَتْبَاعَهُ بأنْ لاَ يُجَرِّدُوا سِلاَحًا ولاَ يُقَاتِلُوا أحدًا إلاَّ إذَا تَعَرَّضُوا للعدوانِ وَأُجْبِرُوا على القتالِ، وَبَلَغَ مِنْ حُسْنِ سِيرَتِهِ أنَّ عددًا مِنَ الفِرقِ والجماعاتِ الإسلاميّةِ فيما بعدُ كالشّيعةِ والمعتزلةِ ادَّعَتْ نِسْبَتَهُ إليها وَاعْتَبَرَتْهُ واحدًا مِنْ أبرزِ أَتْبَاعِهَا، وقدْ نَشَطَ مرداسٌ في البصرةِ لِنَشْرِ دعوتِهِ وأفكارِهِ، وكانَ يَعْقِدُ المجالسَ والمناظراتِ لإقناعِ النّاسِ بآرائِهِ، فانضَمَّ إليهِ عددٌ كبيرٌ مِنَ النّاسِ، وأخذَ عددُ أنصارِهِ يزدادُ وَيَتَعَاظَمُ حتَّى أَنَّهُمُ ابْتَنَوْا لهمْ

---

[١] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مكتبة الاستقامة، مسقط، عمان، ط٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص١٢.

[٢] - عوض محمد خليفات: الأصول التّاريخية للفِرْقة الإباضيّة، مؤسّسة الشيخ النّاصر للكتاب، غرداية، الجزائر، د ط، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م، ص٦.

[٣] - عوض محمد خليفات: النّظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضيّة في شمال إفريقية، مصدر سابق، ص١٤.

مَسْجِدًا خَاصًّا في البصرةِ[1]، وَلاَقَتْ دعوةُ أبي بلالٍ استجابةً كبيرةً جعلتْ عُبَيْدَ اللهِ بنَ زيادٍ والِيَ العراقِ الأمويَّ يَقُـولُ: "لَكلامُ هؤلاءِ (أبِي بلالٍ وأتباعِهِ) أَسْرَعُ إلى القلوبِ مِنَ النّارِ إلى اليَراعِ". انْضَمَّ إلى هذهِ المجموعةِ الفَقِيهُ العُمَانِيُّ المعروفُ جابرُ بنُ زيدٍ الأزديُّ[2] الذي لَمْ يَلْبَثْ أنْ أصبحَ رئيسَ الجماعةِ والمؤسِّسَ الحقيقيَّ للحركةِ التي عُرِفَتْ باسمِ (الإباضيَّةِ)، وَانْطَوَى الجميعُ تحتَ إِمْرَتِهِ بِمَا فيهم أبو بلالٍ نفسُهُ، ولكنَّ الجماعةَ آثَرَتْ أَلاَّ تُبِيحَ باسمِ جابرِ بنِ زيدٍ خَوْفًا عليهِ مِنْ بَطْشِ وُلاَةِ بني أميَّةَ[3].

ونتيجةً للاضطهادِ الذي تعرَّضَ لهُ القَعَدةُ في البصرةِ آثَرَ أبو بلالٍ الشّراءَ[4]، وَتَرَكَ المدينةَ مُرْتَحِلاً إلى مكانٍ آخرَ آمِلاً في أنْ يَأْمَنَ شرَّ ابنِ زيادٍ

---

[1] - عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٦.

[2] - سيأتي تعريفه فيما بعد وتفصيل دور جابر في وضع أسس الإباضيّة في مبحث التّأسيس والنّسبة.

[3] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص١٣.

[4] - الشّراء هو: مسلك من مسالك الدّين، ونوع من أنواع الإمامة عند الإباضيّة قديماً، وهو أن يبيع إنسان نفسه ابتغاء مرضاة الله تعالى لقوله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ

وَيَنْشُرَ آراءَهُ وَمَذْهَبَهُ بِحُرِّيَّةٍ أكثرَ، وفي مناطقَ لمْ تَصِلْ إليها دعوتُهُ مِنْ قَبْلُ. فَسَارَ معهُ نحوَ أربعينَ رجلاً مِنْ أتباعِهِ حتَّى نَزَلُوا آسكَ، وقدْ أَعْلَنَ مرداسٌ بأنَّهُ وأصحابَهُ لنْ يُخِيفُوا أحدًا أوْ يُجَرِّدُوا سَيْفًا وَلَنْ يُقَاتِلُوا إلاَّ مَنْ بَدَأَهُمْ بالعدوانِ، وعلى الرَّغْمِ مِنْ ذلكَ فقدْ خَشيَ ابنُ زيادٍ نشاطَهُ وانتشارَ دعوتِهِ، فَنَدَبَ إليهِ الجيوشَ، وأبادَهُ وأصحابَهُ في عامِ ٦١هـ[1].

وبعدَ استشهادِ أبي بلالٍ بثلاثةِ أعوامٍ (٦٤هـ) حَدَثَ انقسامٌ نهائيٌّ بينَ المحكّمةِ، فَمَالَ فريقٌ منهمْ إلى التطرّفِ كمَا عَرَفْنَا سَابِقًا، بَيْنَمَا حَبَّذَ فريقٌ آخرُ الاعتدالَ، وَانْتَهَى هذا الخلافُ إلى انشقاقٍ أَبَدِيٍّ بَرَزَ على أَثَرِهِ جماعةُ القَعَدةِ المعتدلةُ التي آثَرَتِ الهدوءَ والسَّيْرَ على نهجِ أبي بلالٍ في عدمِ

أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ }سورة التوبة، الآية:١١١. ويعني كذلك أن يشتري الإنسان نفسه من النّار، أو يشتري الجنّة بنفسه. واشتراء عمل تطوّعي بقصد مواجهة الظلم، لا على سبيل الوجوب والفرض، ولكن على سبيل الاستحباب. فهم باعوا أنفسهم لله تعالى وجاهدوا في سبيله، لا يخافون لومة لائم. ولابد أن تتوافر في الشّاري الشّروط الآتية: - أن يكون مسلماً مؤمناً بالله ورسوله – ورعاً في دينه – تقيّاً محبّاً للخير، حريصاً على مرضاة الله – متجنّباً للمعاصي والآثام – عنده من العلم ما يهتدي به في عبادة ربّه – أن يكون مقداماً بطلاً شجاعاً، لا يخاف الموت في سبيل الله.

- عوض محمد خليفات: الأصول التّاريخية للفِرْقة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢٤.

[1] - عوض محمد خليفات: الأصول التّاريخية للفِرْقة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢٤–٢٥.

استعراضِ النّاسِ وَمُهَاجَمَتِهِمْ إلاَّ دَفْعًا لعدوانٍ. وفي بدايةِ الرُّبْعِ الأخيرِ مِن القرنِ الأوّلِ الهجريِّ انْقَسَمَ القَعَدةُ إلى فِرْقَتَيْنِ: الصّفريةِ والإباضيّةِ[1].

فقدْ ظَهَرَ المذهبُ الإباضيُّ في القرنِ الأوّلِ الهجريِّ في البصرةِ، فهوَ مِنْ أقدمِ المذاهبِ الإسلاميّةِ على الإطلاقِ[2]. والتّسميةُ كمَا هوَ مشهورٌ عندَ المذهبِ جَاءَتْ مِنْ طَرَفِ الأمويِّينَ، وَنَسَبُوهُ إلى عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ، وهوَ تابعيٌّ عَاصَرَ معاويةَ، وَتُوُفِّيَ أواخرَ أيّامِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ، وَعِلَّةُ التّسميةِ تعودُ إلى المواقفِ الكلاميّةِ والجدليّةِ والسّياسيّةِ التي اشْتُهِرَ بها عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ في تلكَ الفترةِ[3].

إنَّهُ مِنَ المعروفِ أنَّ هذا المذهبَ مِنَ المذاهبِ الإسلاميّةِ الهامّةِ التّي سَبَقَتْ نَشْأَةَ غَيْرِهَا مِنَ المذاهبِ الأخرَى سُنِّيَّةً أَوْ شِيعِيَّةً، كمَا أنَّهُ لمْ يُعرَفْ بهذَا الاسمِ في المصادرِ الإباضيّةِ إلاَّ في الرُّبْعِ الأخيرِ مِنَ القرنِ الثّالثِ للهجرةِ، وقدْ قَبِلَ الإباضيّةُ هذا الاسمَ منذُ ذلكَ التّاريخِ؛ لأنَّهُ غَلَبَ عليهمْ

---

[1] - المصدر نفسه، ص٢٦.

[2] - أبو الربيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضيّة، مكتبة الاستقامة، عمان، مسقط، ط٢، د ت، ص١٩.

[3] - بكير بن سعيد أعوشت: دراسات إسلاميّة في الأصول الإباضيّة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٢٠.

- عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١٠م، ص٣٣.

بِمُرُورِ الزّمنِ، وَصَارَ عَلَمًا يَلْتَفُّونَ حولَهُ، ولمْ يَجِدُوا فيهِ ما يَحُطُّ مِنْ قُدْرَتِهِمْ أوْ يَنَالُ مِنْ كَرَامَتِهِمْ، وَإِنَّمَا كَانُوا يُطْلِقُونَ على أَنْفُسِهِمْ قبْلَ ذلكَ اسمَ جماعةِ المسلمينَ أوْ أهلِ الدّعوةِ أوْ أهلِ الاستقامةِ، وقدْ سَمَّاهُمْ أَعْدَاؤُهُمْ مِنَ الخوارجِ المُتَطَرِّفِينَ بِاسْمِ القَعَدَةِ احْتِقَارًا لَهُمْ؛ لأَنَّهُم طِبْقًا لِوِجْهَةِ نظرِ هؤلاءِ الخوارجِ قَعَدُوا عنِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ بِمُحَاربةِ الولاَةِ والحكَّامِ الظّالمينَ[1].

يقولُ محمّدُ عليّ دبّوز: "إنَّ الإباضيّةَ قدْ نَشَأُوا بِمُبَايَعَتِهِمْ لعبدِ اللهِ بنِ وهبٍ الرّاسبيِّ لِيَقْضُوا علَى المَلَكيّةِ وَيُحَافِظُواْ على الجمهوريةِ، وَبِاسْتِقْلَالِهِمْ عنِ الملوكِ ومُبَايَعَتِهِمْ للأئمّةِ، وَمُعَارَضَتِهِمْ للمَلَكيّةِ الأمويّةِ وَدَعْوَتِهِمْ إلى الجمهوريّةِ الإسلاميّةِ، وَالْتِزَامِ سيرةِ أبي بكرٍ وعُمَرَ ﷺ في العدلِ والدّيمقراطيةِ والمساواةِ، وَالتَّمَسُّكِ بالدِّينِ في كلِّ الأمورِ. وكانتْ هذهِ النّشأةُ في شوَّالَ سنةَ ٣٧هـ بعدَ خَلْعِ الحكَمَيْنِ للإمامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ في رمضانَ مِنْ تلكَ السَّنَةِ[2].

وإذَا عُدْنَا إلى ظهورِ الإباضيّةِ وتحديدِ تاريخِ نَشْأَتِهَا فَإِنَّنَا نَجِدُ المستشرقَ تادوز لويسكي يَذْكُرُ في دائرةِ المعارفِ - اعْتِمَادًا علَى الْمُؤَرِّخِينَ الْمُعَاصِرِينَ -

---

[1] - بكير بن سعيد أعوشت: الإباضية في مرآة علماء الإسلام قديماً وحديثاً، المطبعة العربية، نهج طالب أحمد، غرداية، د ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٣٥ – ٣٦.

[2] - محمّد عليّ دبّوز: تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ج٢، ص٣٩٨.

أنَّ ظهورَ الإباضيّةِ كانَ سنةَ ٦٥هـ/٦٨٤م عِنْدَمَا انْفَصَلَ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ[1] عنِ المتطرِّفِينَ الخوارجِ بمناسبةِ الموقفِ الذي يَجِبُ اتِّخَاذُهُ تجاهَ أهلِ التوحيدِ الآخرينَ"، لكنَّهُ يَسْتَبْعِدُ هذا التحديدَ لِيُؤَكِّدَ أنَّ جُذورَ الإباضيّةِ أقدمُ مِنْ ذلكَ، فهوَ يُلْحِقُ تاريخَ نشأتِهَا بظهورِ جماعةِ القَعَدةِ[2].

وبعدَ وفاةِ أبي بلالٍ انْتَقَلَتْ زعامةُ الفِرقةِ إلى عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ الذي انْفَصَلَ عنِ الخوارجِ سنةَ ٦٥هـ، ومَكَثَ بالبصرةِ معَ أصحابِهِ بعدَ خروجِ المتطرِّفِينَ منها.

ويَذْكُرُ هذهِ الحادثةَ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ نَفْسُهُ، وهكذَا بدأتِ الفترةُ الأُولَى مِنَ الإباضيّةِ التي يُمْكِنُ تَسْمِيَتُهَا بمرحلةِ الكتمانِ، فيكونُ إِذَنْ مكوثُ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ بالبصرةِ ومَنْ مَعَهُ مُؤَشِّرًا حَقِيقِيًّا لِتَبَلْوُرِ الآراءِ الإباضيّةِ وَتَمَيُّزِهَا عنْ غَيْرِهَا مِنَ المتطرفينَ الخوارجِ، ومِنْ ثَمَّ يمكنُ اعتبارُ هذهِ الحادثةِ مِنَ الناحيةِ التاريخيةِ سببًا مباشرًا لظهورِ فِرقةِ الإباضيّةِ.

إلاَّ أنَّهُ ينبغِي الإشارةُ إلى أنَّ التَّأسيسَ الحقيقيَّ للفرقةِ كانَ على يدِ الإمامِ جابرِ بنِ زيدٍ الأزديِّ العُمانيِّ الذي انْضَمَّ إلى جماعةِ أبي بلالٍ مرداسِ بنِ أديَةَ التَّميميِّ بعدَ مَجِيئِهِ إلى البصرةِ، فكانَ لانضمامِ جابرٍ إلى هذهِ الجماعةِ أثرٌ بالغٌ

---

[1] - سيأتي تعريفه فيما بعد في مبحث التأسيس والنّسبة.

[2] - عدون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٣٠.

في نشأةِ الإباضيّةِ وَتَحْدِيدِ معالمِ أفكارِهَا وَآرَائِهَا، وَلَعَلَّ أَهَمَّ شيءٍ يجعلُ الإمامَ جابرًا يَمِيلُ نحوَ جماعةِ أبي بلالٍ موقفُ هؤلاءِ مِنَ الأوضاعِ السائدةِ آنَذَاكَ، حَيْثُ يَرَوْنَ أَنَّ القتالَ بينَ أتباعِ العقيدةِ الإسلاميّةِ أمرٌ لا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ وَلاَ الدِّينُ[1].

سُمِّيَتِ الإباضيّةُ بهذا الاسمِ نسبةً إلى عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ الذي تَعْتَبِرُهُ المصادرُ غيرُ الإباضيّةِ مُؤَسِّسَ المذهبِ الإباضيِّ، أمَّا العلماءُ الإباضيّونَ فَيَنْسِبُونَ إلى عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ دَوْرًا ثَانَوِيًّا بالمقارنةِ معَ جابرِ بنِ زيدٍ الأزديِّ العُمانيِّ الذي يُعْتَبَرُ إِمَامَ أَهْلِ الدعوةِ وَمُؤَسِّسَ فِقْهِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ. وَيُجْمِعُ الْمُؤَرِّخُونَ وَالْمُفَكِّرُونَ الإباضيّونَ على أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ كانَ يَصْدُرُ في كلِّ أقوالِهِ وأفعالِهِ عنْ جابرِ بنِ زيدٍ[2].

وَيُؤَكِّدُ مُؤَرِّخُوا الإباضيّةِ أَنَّ الْمُنْعَرَجَ التّاريخيَّ الْمُهِمَّ الذي يُؤَرِّخُونَ بهِ للتحوُّلِ الجذريِّ في الفكرِ الإباضيِّ وفي مَسِيرَتِهِمُ التّاريخيةِ هوَ ما يُعرَفُ باجتماعِ الصّومَعةِ، وهوَ اجتماعٌ انْعَقَدَ في صومعةِ جامعِ البصرةِ في ليلةٍ مِن ليالِي سنةِ ٦٤هـ، حيثُ اجْتَمَعَ رؤوسُ الخوارجِ أمثالُ نافعِ بنِ الأزرقِ، ونجدةِ بنِ عامرٍ الحنفيِّ، وعبدِ اللهِ ابنِ الصفّارِ، وكانَ مَعَهُمْ في هذا الاجتماعِ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ، وكانَ الهدفُ منْ هذا الاجتماعِ الخروجَ على أهلِ البصرةِ

---

[1] - عدون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٣٢.

[2] - عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٩.

وَمُقَاتَلَتَهُمْ، فلمَّا جنَّ الليلُ سمعَ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ معَ جَمْعٍ مِنْ أتباعِهِ دَوِيَّ القُرَّاءِ، وَتَرْنِينَ الْمُؤَذِّنِينَ، وحنينَ الْمُسَبِّحِينَ، وأصواتَ الذّاكرينَ، فقالَ لأصحابِهِ: "أعَلَى هؤلاءِ أَخْرُجُ وهؤلاءِ أُقَاتِلُ؟!" فَفَارَقَ رؤوسَ الخوارجِ منذُ تلكَ الحادثةِ[1].

وقدْ تَمَكَّنَتِ الإباضيّةُ في فتراتٍ مِنْ تاريخِهَا مِنْ إنشاءِ دولةٍ لهمْ في بعضِ البلادِ، كمَا أُنْشِئَتْ دولةٌ في سلطنةِ عُمانَ مازالتْ إلى الآنَ، وتَنْتَشِرُ الإباضيّةُ اليومَ في سلطنةِ عُمانَ والجزائرِ وليبيَا وجزيرةِ جربةَ بتونسَ[2].

والمذهبُ الإباضيُّ ليسَ مذهبًا سِرِّيًّا، وَلَيْسَتْ أصولُهُ التي يَنْبَنِي عليها خافيةً أوْ مجهولةً، وليسَ أتباعُهُ مِمَّنْ يَسْتَتِرُونَ أوْ يَخْتَفُونَ، فهمْ لا يُقيمُونَ لغيرِ اللهِ وزنًا في هذا الوجودِ، ولاَ يَنْتَظِرُونَ عنْ أَعْمَالِهِمْ جزاءً مِنْ غيرِ اللهِ، وَلاَ يَتَّبِعُونَ في تَصَرُّفَاتِهِمْ غيرَ الحقِّ، فالمذهبُ الإباضيُّ يَسْتَمِدُّ قوّتَهُ مِنَ

---

[1] - فرحات بن علي الجعبيري: شخصيات إباضيّة، ص١٢. (نقلا عن علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفرق الإسلاميّة الرّؤى والمرجعيّات، مصدر سابق، ص١٥٩).

[2] - علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفرق الإسلامية الرؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٦٠.

الإسلامِ الذي اخْتَارَهُ الخالقُ ليكونَ دِينَ البشريّةِ جمعاءَ، كمَا جاءَ بهِ محمّدٌ ﷺ، لمْ يَنْحَرِفْ بهِ صراطُ اللهِ السَّوِيُّ غُلُوًّا وَلاَ تَفْرِيطًا[1].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[1] - علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، مراجعة: الحاج سليمان بن الحاج ابراهيم بابزبز، مكتبة الضّامري للنشر والتوزيع، السيّب، سلطنة عمان، ط٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، الحلقة الأولى، ص١٥.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: نِسْبَةُ الْإِبَاضِيَّةِ وَتَأْسِيسُهَا

قبلَ أنْ نَتَطَرَّقَ في الحديثِ عنْ نسبةِ الإباضيّةِ وَمُؤَسِّسِهَا لاَ بَأْسَ أنْ نُعَرِّجَ عنْ أصلِ التسميةِ وَدَلاَلَتِهَا.

يُحَدِّدُ الشيخُ محمدُ بنُ يوسفَ أطفيّشُ[1] الصّيغةَ الصّحيحةَ لتسميةِ أصحابِ جابرِ بنِ زيدٍ، فيقولُ: "الإباضيّةُ بِكَسْرِ الهمزةِ علَى أنَّهَا الأصحُّ"[1]

---

[1] - هو امحمّد بن يوسف بن عيسى اطفيّش الشهير بـ"قطب الأيمّة"، (و١٢٣٧هـ/١٨٢١م – ت: السبت ٢٥ ربيع الثّاني ١٣٣٢هـ/١٩١٤م)، وهو من عائلة شهيرة بالعلماء من بني يسجن، من عشيرة آل با محمّد، وُلد بغرداية لمّا انتقل إليها والده، وعاش ها طفولته الأولى، وفي الرّابعة من عمره توفّي والدُه، توسّمت فيه بوادر النّبوغ، ختم القرآن وحفظه وهو ابن ثمان سنين، ففتح اله مجال العلم، وسارع إلى دور العلماء وحلقات الدّروس بالمسجد. نشأ عصاميّا، لم يُسافر للدّراسة خارج موطنه، وجعل دأبه الحرص على اقتناء الكتب واستنساخها، فتجمّعت لديه مكتبة غنيّة، تعتبر فريدة عصرها بالنّظر إلى ظروف صاحبها، وما كاد يبلغ السّادسة عشرة، حتّى جلس للتدريس والتأليف، ولمّا بلغ العشرين أصبح عالمَ وادي ميزاب، ثمّ بلغ درجة الاجتهاد المطلق في كهولته، كما يذكر ذلك بنفسه في كتابه:"شامل الأصل والفرع". أنشأ القطب معهد للتدريس ببني يسجن، تخرّج فيه علماء ومصلحون ومجاهدون، له منهج في التّدريس يعتمد على استغلال الوقت، ولا يُدرّس في الليل إلاّ الغراء والنّجباء والمتفوّقين، لأنّه كان يخصّص الليل للتأليف والإجابة عن الرّسائل والاستفتاءات المتهاطلة عليه، ويستعمل اللسان البربري المحلّي كأداة للتدريس عند الاقتضاء، وبهذا المنهج في التّعليم، والسّعة في العلم انهال عليه الطّلبة من مختلف الأقطار الإسلاميّة، وقد شملت تآليفه مختلف فروع المعرفة، في المنقول والمعقول، من بينها: تيسير

إلاَّ أَنَّنَا نَجِدُ الأَباضيّةَ - بِفَتْحِ الهمزةِ - تُسْتَعْمَلُ عادةً في المشرقِ كمَا في المغربِ، وَقَدِ اسْتَعْمَلَهَا البراديُّ في كتابِهِ الجواهرِ المنتقاةِ[2].

هذا وهناكَ اختلافٌ في التلفُّظِ بالهمزةِ، ففي بعضِ البُلدانِ مثلِ عُمانَ علَى حدِّ ما رَوَى السّمائليُّ يَفْتَحُونَ همزةَ "إباض"، وعلى ذلكَ تُصْبِحُ التسميةُ والنسبةُ "الأَباضيّةَ"[3]. أمَّا في شَمَالِ إفريقيا فَيَكْسِرُونَ همزةَ كلمةِ إباضٍ، وعليهِ فَتُصْبِحُ النّسبةُ إليهَا "الإباضيَّة"[4].

التّفسير- همیان الزّاد إلى دار المیعاد- شرح عقیدة التّوحید، الرّد على الصّفریة والأزارقة- الرّسالة الشّافیة في بعض تواریخ وادي میزاب. وقد شهد له بالرسوخ في العلم علماء كثيرون: منهم الشّيخ محمّد عبده، والشيخ زيني دحلان، وبعض علماء الحجاز. ولقّبه الشّيخ نور الدّين السّالمي- مجدّد العلم بعُمان- بـ:"قطب الأيمّة". وتوفّي بمرض دام أسبوعاً، بعد أن قضى قرابة قرن في الجهاد العلميّ والإصلاح.

- مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضية، مصدر سابق، ج٤، من حرف الفاء إلى حرف الياء، ص٨٣٥-٨٤٨.

[1] - محمد بن يوسف اطفيش: الرسالة الشافية، غرداية، الجزائر، د ط، د ت، ص٤٩.

[2] - أبو القاسم البرادي: الجواهر المنتقاة في ما أخلّ به كتاب الطبقات، المطبعة الحجرية البارونية، القاهرة، د ط، د ت، ١٣٠٠هـ، ص١٢.

[3] - سالم بن حمّود بن شامس السمائلي: الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية في اليمن والحجاز، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، د ط، ١٩٨٠م، ص٣٥.

[4] - صابر طعيمة: الإباضية عقيدةً ومذهباً، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٤٤.

قالَ المصدرُ اليمانيُّ في هذا الصَددِ: وهمْ -أي الإباضيّة- يَنْتَسِبُونَ إلى عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ بِكَسْرِ الهمزةِ، وقدْ تُلْفَظُ بِفَتْحِهَا، فَلذلكَ سُمُّوا إباضيّة، قالَ: وهوَ المذهبُ الغالبُ في بلادِ عُمانَ، قالَ: ومنها امْتَدَّ إلى زنجبَار.[1] وَمَهْمَا يَكُنْ فالتّسميةُ بالإباضيةِ حادثةٌ أَطْلَقَهَا الأمويّونَ على أصحابِ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ نسبةً إلى أبيهِ إباضِ بنِ تميمِ اللاّتِ بنِ ثعلبةَ التميميّ.[2]

إنَّ أغلبَ مصادرِ المقالاتِ ومدوّناتِ الْمِلَلِ والنِّحَلِ إباضيّةٌ - سواءٌ كانتْ في مُعَالَجَتِهَا أَشْعَرِيَّةً أوِ اعْتِزَالِيَّةً أوْ سُنِّيَّةً سَلَفِيَّةً - تَكَادُ تُجْمِعُ على أنَّ نسبةَ التّسميةِ "إِبَاضِيٌّ وَإِبَاضِيَّةٌ" إلى عبدِ اللهِ بنِ إباضِ بنِ ثعلبةَ التميميّ منْ بني مُرّةَ بنِ عبيدِ بنِ رهطِ الأحنفِ بنِ قيسٍ، كانَ في زمانِ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ، وعاشَ إلى زمانِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ[3]، المتوفّى على أرجحِ الآراءِ سنةَ ٨٦هـ[4].

---

[1] - عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، دار المعرفة، لبنان، د ط، د ت، ص١٠٣.

- سالم بن حمود بن شامس السمائلي: الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية في اليمن والحجاز، مصدر سابق، ص٣٥.

[2] - عدّون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٣٤.

[3] - سالم بن حميد الحارثي: العقود الفضّية في أصول الإباضيّة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط، د ط، د ت، ص١٢١.

ولقدِ اضْطَرَبَ المؤرّخونَ في اسمِهِ وسيرتِهِ وتاريخِ وفاتِهِ حتى وصلَ الأمرُ بابنِ حزمٍ أنَهُ سألَ أتباعَهُ عنهُ في عصرِهِ (والمعروفُ أنَّ ابنَ حزمٍ تُوُفِّيَ سنةَ ٤٥٦هـ) فَلَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، فقالَ: ".....وإلى قولِ الثعالبةِ رجعَ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ، فَبَرِئَ مِنْهُ أَصْحَابُهُ، فَهُمْ لاَ يَعْرِفُونَهُ اليومَ، وَلَقَدْ سَأَلْنَا مَنْ هوَ مُقَدَّمُهُمْ في عِلْمِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ عَنْهُ؟ فَمَا عَرَفَهُ أحدٌ مِنْهُمْ..."[٢].

- عبد القادر البحراوي: عقيدة الإباضيّة في ميزان أهل السنّة، مكتبة النور، ط١، ١٤٠٨هـ، ص٩.
- أبو الفضل أبو القاسم بن ابراهيم البرادي (ت٨١٠م): دراسة في تاريخ الإباضيّة وعقيدتها مع رسالة في كتب الإباضيّة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب وأحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت، ص٦.
- خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٨٠م، ج٤، ص٦١.
- أحمد أمين: فجر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، ٢٠٠٦م، ص٢٦٠.
- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٦٥م، ج ٤، ص١٦٧.
- عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، مسقط، د ط، ١٩٧٨م، ص٧٥.

[١] - أبو الفضل البرادي: دراسة في تاريخ الإباضيّة وعقيدتها، مصدر سابق، ص٦.

[٢] - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، د ط، ١٩٨٥م، ج٥، ص٥٥.

إذْ يَرُدُّ عليهِ عليّ يَحْيَي مُعَمَّر فيقولُ: "ابنُ حزمٍ يَزْعُمُ أنّهُ سألَ مَنْ هوَ مُقَدَّمُهُمْ في عِلْمِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ فلمْ يَعْرِفُوا شيئًا عنِ ابنِ إباضٍ، فكيفَ عَلمَ أَنَّهُمْ يَبْرَؤُونَ منهُ؟ وهلْ يُعْقَلُ أنْ يَبْرَأَ ناسٌ مِنْ شخصٍ لاَ يَعْرِفُونَهُ ولاَ يَعْرِفُونَ عنهُ شيئًا؟!"[1].

ويَرَى البعضُ أنَّ نسبةَ الإباضيّةِ إلى أُباضٍ - بِضَمِّ الهمزةِ - وهيَ قريةٌ بالقُربِ مِنَ اليمامةِ، نَزَلَ بها نجدةُ بنُ عامرٍ[2].

بينَما يَرَى البعضُ الآخرُ أنَّ الإباضيّةَ تُنْتَسَبُ إلى إباضِ بنِ عمرٍو، بلْ لَقَدْ ذَهَبَ المقريزيُّ إلى القَوْلِ بأنَّ مُؤَسِّسَ الإباضيّةِ هوَ الحارثُ بنُ عمرٍو[3].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

- عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفرَق الإسلاميّة عند كتّاب المقالات في القديم والحديث، مراجعة: بكّير بن محمّد الشّيخ بالحاج، المطبعة العربيّة، نهج طالبي أحمد غرداية، نشر جمعيّة التّراث، القرارة – غرداية – الجزائر، ط٣، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص٥٧.

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥٨.

[2] - خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٨٠م، ج٤، ص٦٢.

- عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٧٥.

[3] - أبو العباس أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة دار صابر، بيروت، د ط، د ت، ج٢، ص٣٥٥.

ومَا ذَهَبَ إليهِ المقريزي هذَا مِنْ أنَّ الإباضيَةَ تُنسَبُ إلَى شخصٍ يُدْعَى "الحارثَ بنَ عمرٍو" لَيْسَ صَحِيحًا، فليسَ في طبقاتِ الإباضَةِ ولاَ كُتُبِ تَرَاجِمِهِمْ ما يَدُلُّ علَى صحَةِ النّسبِ إليهِ[1].

وَالْمُؤَرِّخُ الإباضيُّ الْمُعَاصِرُ (عَلِيّ يحيى معمَّرٍ) بعدَ أنْ يَضَعَ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ في قائمةِ التّابعينَ يقولُ: "عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ الذي تَنْتَسَبُ إليهِ الإباضيَةُ، تُوفِّيَ في أواخرِ أيّامِ عبدِ الملكِ، ونُسِبَ إليهِ المذهبُ؛ لأنَهُ كانَ أكثرَ ظهورًا في الْمَيْدَانِ السّياسيِّ عندَ الدّولةِ الأمويّةِ، والتّسميةُ منها"[2]، ويقولُ: "لَمْ يَزْعُمْ أَحَدٌ مِنَ الإباضَيةِ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ رجعَ إلى قولِ الخَوالبةِ، وَلاَ يوجدُ أحدٌ مِنَ الإباضيَةِ يَبرَأُ مِنهُ، فهمْ مُجْمِعُونَ علَى وِلايتِهِ، وَيَعْتَبِرُونَهُ مِنْ أئمّةِ المسلمينَ ومِنْ كِبارِ التّابعينَ"[3].

---

[1] - صابر طعيمة: الإباضيّة عقيدة ومذهباً، مصدر سابق، ص٤٤.

[2] - علي يحيى معمر: الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، مصدر سابق، ص ٧٢.

[3] - المصدر نفسه، ص٥٩.

المطلبُ الأوّلُ: عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ الزّعيمُ السّياسيُّ

الحقيقةُ أَنَّنَا إذا تَتَبَّعْنَا المصادرَ غيرَ الإباضيّةِ تتبُّعًا دقيقًا لوجدْنَا أنَّ أغلبَ هذهِ المصادرِ كالبغداديِّ[1]، والمبرّدِ[2]، وابنِ قُتَيْبَةَ، والإسفراييِنيِّ[3]، تَذْكُرُ أنَّ الإباضيّةَ يَنْتَسِبُونَ إلى عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ، وأنّهُ إمامُ هذهِ الطّائفةِ[4].

عُرِفَتِ الإباضيّةُ الفرقةُ المعتدلةُ التي رَفَضَتْ آراءَ ابنِ الأزرقِ، وآثَرَتِ القُعُودَ على قتالِ المسلمينَ، التي كانَ يَتَزَعَّمُهَا عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ، والتي أَقَامَتْ في البصرةِ[5]. ولاَ يَسْتَطِيعُ أحدٌ أنْ يَغْفلَ القولَ بأنَّ اسمَ الإباضيّةِ

---

[1] - عبد القادر بن طاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، ٢٠٠٥م، ص٨٢.

[2] - محمد بن يزيد المبرّد: الكامل في اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٩٩م، ج٣، ص٢٧٥.

[3] - أبو المظفر الإسفراييني: التّبصير في الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، ١٩٨٨م، ص٥٦.

[4] - عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ص١١٩.

[5] - محمد بن عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنّحل، مصدر سابق، ج١، ص١١١.
- أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٣، ص١٩٢.

مُشْتَقٌّ مِنَ اسمِ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ المردي بنِ بني عبيدِ بنِ مقاعسٍ التميميِّ[1].

ومَا نَعْلَمُهُ عنْ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ قليلٌ جدًّا، سواءٌ في المصادرِ الإباضيّةِ أمْ غيرِ الإباضيّةِ، وهوَ مِنْ بَنِي صريمِ بنِ الحارثِ بنِ مقاعسٍ منْ بني تميمٍ، إِحْدَى قبائلِ مُضَرَ الرّئيسيّةِ[2].

ولاَ نَعْرِفُ عنهُ إلاَّ معلوماتٍ يسيرةً لاَ تَكْفِي لتوضيحِ دَوْرِهِ في نشأةِ الحركةِ الإباضيّةِ وتطوُّرِهِ، ولاَ تَذْكُرُ المصادرُ المتوافرةُ على اخْتِلاَفِهَا وَتَنَوُّعِهَا شَيْئًا عنْ حياةِ ابنِ إباضٍ الأُولى، ولاَ عنْ مكانِ ولادتِهِ وتاريخِهَا، كما أنَّها تغْفلُ تمامًا ذِكْرَ أيَّةِ معلوماتٍ عنْ كيفيةِ انضمامِهِ للحركةِ، ولاَ يَرِدُ اسْمُهُ في المصادرِ قبلَ اشْتِرَاكِهِ في محاربةِ الجيشِ الشَّاميِّ بِجَانِبِ ابنِ الزّبيرِ عامَ ٦٣هـ[3].

---

[1] -أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني (ت حوالي ٦٧٠هـ): كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط٢، د ت، ج٣، ص٢١٤.

[2] - محمد بن حزم: جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، ٢٠٠٣م، ص٢٠٧.

- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ): العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٣، ص ٣٤٦-٣٤٧.

[3] - محمد بن يوسف اطفيّش: الرسالة الشافية، مصدر سابق، ص٤٥.

وهوَ عبدُ اللهِ بنُ إباضِ بنِ تيمِ اللاّتِ بنِ ثعلبةَ التميميُّ مِنْ بَنِي مُرَّةَ، وَهِيَ قبيلةٌ عربيّةٌ عراقيّةٌ أصيلةٌ انْحَدَرَتْ مِنَ الجزيرةِ العربيةِ، مِنْ قبيلةِ تميمٍ التّي كانَ لها دَوْرٌ هَامٌّ في الأحداثِ السّياسيّةِ في صَدْرِ الدّولةِ الأمويّةِ، وُلدَ في زمنِ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ (٤٠– ٦٠هـ). أمَّا وَفَاتُهُ فَقَدْ كَانَتْ في أواخرِ أيّامِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ المتوفَّى سنةَ ٨٦هـ[1].

نشأَ في مدينةِ البصرةِ، وعاصرَ فتنةَ افتراقِ المسلمينَ بعدَ صفّينَ، كانتْ لهُ مواقفُ حاسمةٌ مِنْ تلكَ الأحداثِ، فقدْ شَبَّ في زمانِ معاويةَ، وَأَدْرَكَ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ، يُعَدُّ مِنَ التّابعينَ، أَدْرَكَ كثيرًا مِنَ الصّحابةِ[2].

يَرَى كُلٌّ مِنَ المفكّرِ الإباضيِّ المعاصرِ محمدِ بنِ يوسفَ أطفيّشَ، وَالمُسْتَشْرِقِ الإيطاليِّ روبيناتشي (robinacci) أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ قدِ ارْتَحَلَ إلى البصرةِ مِنْ نجْدٍ، ولكنَّ الْعَالِمَيْنِ لاَ يَذْكُرَانِ متَى حَدَثَتْ هذهِ

- يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ الإباضيّة في المغرب الإسلامي، من القرن الثاني إلى القرن السابع الهجري، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد غرداية، د ط، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، ص٢٤.

[1] - بكير سعيد أعوشت: أضواء إسلاميّة على المعالم الإباضيّة، بيانها حقائقها تاريخها، مصدر سابق، ص١٢.

- يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ الإباضيّة في المغرب الإسلامي، مصدر سابق، ص٢٤.

[2] - مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج٣، من حرف السين إلى حرف الغين، ص٥٥١.

الرّحلةُ ومَا هيَ أسبابُهَا؟ وهَلِ ارتحلَ إلى البصرةِ مُنْفَرِدًا أمْ معَ مجموعةٍ مِنْ قبيلتِهِ التي اسْتَوْطَنَتِ البصرةَ بعدَ الفتحِ الإسلاميِّ؟[1] ومَا دُمْنَا لاَ نعرفُ بالضّبطِ تاريخَ ولادتِهِ ومكانَهَا، كمَا نَجْهَلُ تاريخَ وفاتِهِ أيضًا فمِنَ الصّعبِ أنْ نقطعَ بصحّةِ هذهِ المعلوماتِ ما لمْ تَظْهَرْ لنا مادّةٌ جديدةٌ تُلْقِي ضوءًا على هذا الموضوعِ، ومِنْ جهةٍ أُخْرَى فإنَّ المصادرَ الإباضيّةَ تَجْعَلُهُ مِنْ رجالِ الطّبقةِ الثّانيةِ مِنَ التّابعينَ، أيِ الذينَ مَاتُوا قبلَ عامِ ١٠٠هـ[2].

وَقَدِ اهْتَمَّ بالجوانبِ السّياسيّةِ والكلاميّةِ والعسكريّةِ والتّنظيمِ والتّخطيطِ لتكوينِ دولةٍ إسلاميّةٍ مُعْتَمِدَةٍ على الكتابِ والسنّةِ وسيرةِ الخلفاءِ الرّاشدينَ، وفِي دَارِهِ كانتْ تُعْقَدُ هذهِ الحلقاتُ مِنْ طَرَفِ تلاميذِ جابرِ ابنِ زيدٍ وَأَنْصَارِهِمْ، وَقَدْ جاءَ في الطّبقاتِ ما يَلِي: "كانَ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ إمامَ أهلِ الطّريقِ وجامعَ الكلمةِ لَمَّا وَقَعَ التّفريقُ، فهوَ العُمدةُ في الاعتقاداتِ وَالْمُبَيِّنُ

---

[1] - محمد بن يوسف اطفيّش: الرسالة الشافية، مصدر سابق، ص٤٥.

[2] - عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٧٦.

- عامر النجار: في مذاهب الإسلاميّين الخوارج الإباضيّة الشيعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، ٢٠٠٥م، ص٢٣٢.

- بكير بن سعيد أغوشت: أضواء إسلاميّة على المعالم الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٨.

لِطُرُقِ الاستدلالاتِ والاعتماداتِ والمؤسِّسُ لِأبْنيَةٍ هيَ مُسْتَنَدَاتُ الإسلامِ والمُهَدِّمُ لِمَا اعْتَمَدَهُ أهلُ الخلافِ[1].

وكانتْ أوّلُ حادثةٍ ذُكِرَ فيها عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ خُرُوجَهُ إلى مكّةَ في صفَر مِن عَامِ ٦٤هـ، لِيَشْتَرِكَ معَ عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ في الدِّفاعِ عنِ الكعبةِ المشرّفةِ ضدَّ الحُصَيْنِ بنِ نُمَيْرٍ قائدِ الخليفةِ الأمويِّ يزيدَ بنِ معاويةَ، وَعِنْدَمَا تُوُفِّيَ الخليفةُ وَانْسَحَبَ الجيشُ الأمويُّ حَاوَلَ هوَ ومَنْ معهُ مِنَ المحكّمةِ إقناعَ ابنِ الزبيرِ بِوِجْهَةِ نَظَرِهِمْ، وَوَعَدُوهُ بالنُّصرةِ إنْ وَافَقَهُمْ، لكنَّهُ أَبَى إلاَّ أنْ يَبْقَى على عثمانيَّتِهِ، فَتَخَلَّوْا عنهُ، ومَا إنْ رَجَعُوا مِنْ مكّةَ إلى البصرةِ حتّى سَجَنَهُمْ عبيدُ اللهِ بنُ زيادٍ إلى أنْ وَثَبَ النّاسُ بابنِ زيادٍ، فَفَرُّوا مِنَ السجنِ[2].

إنَّ الغالبيّةَ العُظْمَى مِنَ المصادرِ غيرِ الإباضيّةِ تَعْتَبِرُ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ هوَ مُؤَسِّسُ المذهبِ الإباضيِّ، وذلكَ على العكسِ مِنَ المصادرِ الإباضيّةِ التي تَعْتَبِرُ جابرَ بنَ زيدٍ (ت٩٣هـ/٧١١م) هوَ المؤسّسَ الحقيقيَّ لِتِلْكَ الفِرقةِ،

---

[1] - أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني: كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، مصدر سابق، ج٢، ص٢١٤.

[2] - فرحات بن عليّ الجعبيري: شخصيّات إباضيّة، مصدر سابق، ص١٥. (نقلاً عن: يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ الإباضيّة في المغرب الإسلامي، مصدر سابق، ص٢٥).

وأنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ لَعِبَ دورًا ثانويًّا في تأسيسِ الحركةِ الإباضيّةِ[1]، وهمْ على حقٍّ في ذلكَ. وَفِي تأكيدِ إمامةِ جابرٍ وأنَّهُ هوَ صاحبُ وَمُؤَسِّسُ الفكرِ الإباضيِّ، فَحَقِيقَةُ الأمرِ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ بالرّغمِ مِنْ أنَّهُ كانَ شجاعًا مِقْدَامًا، وَشَارَكَ في الدّفاعِ عنْ مكّةَ معَ ابنِ الزبيرِ ضدَّ الأمويّينَ؛ وَقَالَ عنهُ الشماخيُّ: "كانَ إمامَ أهلِ التحقيقِ، والعُمدةَ عندَ شَغبِ أُولِي التَّفْرِيقِ"[2].

أحدُ علماءِ وشجعانِ ودعاةِ الإباضيّةِ، وهوَ المُناظرُ وَالْمُجَادِلُ باسمِ أتباعِ جابرٍ، وبالرَّغْمِ مِنْ أنَّهُ لا يَقِلُّ في التَّقْوَى والوَرَعِ والإصلاحِ والنَّزاهةِ عنْ جابرٍ إلاَّ أنَّهُ لا يُعْتَبَرُ المؤسِّسَ الأوّلَ لتلكَ الفِرقةِ، وأنَّهُ تَابِعٌ لجابرِ بنِ زيدٍ المؤسِّسِ الحقيقيِّ للفقهِ الإباضيِّ[3]، وَيَعْمَلُ في كلِّ نشاطاتِهِ وِفقًا لأوامرِهِ[4].

وَيُذْكَرُ كذلكَ أنَّ ابنَ إباضٍ كانَ الفقيهَ الأبرزَ في زمنِ جابرِ بنِ زيدٍ، وأنَّهُ كانَ الشَّخصَ الذي رَفَضَ علنًا آراءَ المجموعاتِ المعارِضَةِ مِنَ القدريةِ،

---

[1] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص١٤.

[2] - مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج٣، من حرف السين إلى حرف الغين، ص٥٥١-٥٥٢.

[3] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص١٤.

[4] - محمد بن يوسف اطفيّش: الرسالة الشافية، مصدر سابق، ص٤٣.

وَالمعتزلةِ، والمُرْجِئَةِ، وَالشّيعةِ، والخوارجِ الْمُتَطَرِّفِينَ وَنَاظَرَهُمْ[1]، وكانَ ابنُ إباضٍ يَنْهَى الخوارجَ عَنِ الْغُلُوِّ في الدّينِ، وَيَدْعُوهُمْ إلى الاعتدالِ والحكمةِ. لذلكَ أَطْلَقُوا عليهِ وعلى أصحابِهِ اسمَ القَعَدةِ؛ أي الرّافضينَ الخروجَ مَعَهُمْ[2]. فقدْ رَفَضَ الخروجَ عامَ ٦٤هـ مَعَ نافعِ بنِ الأزرقِ، حينَ أرسلَ إليهِ رسالةً يَدْعُوهُ فيها للخروجِ معهُ ضدَّ الحُكْمِ الأمويِّ، وَقَدْ رَدَّ ابنُ إباضٍ بِمَا يَلِي: "قَاتَلَهُ اللهُ، أَيَّ رَأْيٍ رَأَى وَصَدَّقَ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ، لوْ كَانَ القومُ مُشْرِكِينَ كَانَ أصوبَ النّاسِ رأيًا وحكمًا فِيمَا يُشيرُ بهِ، ولكنَّهُ قدْ كَذَّبَ وَكَذَّبَنَا فيما يقولُ، وإنَّ القومَ كُفَّارٌ بالنِّعَمِ وَالْأَحْكَامِ، وَهُمْ بُرَآءُ مِنَ الشِّركِ"[3]. وَتُعْتَبَرُ هذهِ الحادثةَ الثّانيةَ التّي يُذْكَرُ فيها ابنُ إباضٍ.

وَالْمُعْتَقَدُ أنَّ ابنَ إباضٍ دَعَا علنًا إلى آراءِ مَذْهَبِهِ معَ أنَّ نشاطاتِ المذهبِ الإباضيِّ كانتْ آنَذَاكَ تُنَفَّذُ سِرًّا؛ لأنَّهُ كانَ يتمتَّعُ بحمايةِ قبيلتِهِ[4]. وقدْ

---

[1] - عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضيّة مصدر سابق، ص٤٥.

[2] - يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ الإباضية في المغرب الإسلامي، مصدر سابق، ص٢٥.

[3] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفرَق الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥١٦.

[4] - عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضيّة، مصدر سابق، ص٤٥.

بَرَزَ بشخصيّةٍ قائدةٍ تُعَارِضُ مَوْقِفَ نَافِعٍ وَسِوَاهُ مِنَ القادةِ الخوارجِ، وَدَعَا إلى مُقَاوَمَتِهِمْ عَلَنًا[1].

وَنَظَرًا لِمَوَاقِفِهِ الْجَدَلِيَّةِ معَ الخوارجِ ولحركتِهِ النَّشيطةِ في نَقْدِ ملوكِ الأمويّينَ، بِابْتِعَادِهِمْ عنْ منهجِ الخليفتَيْنِ أبي بكرٍ وعمرَ، ظَهَرَ بمظهرِ الزَّعيمِ، ونُسِبَ إليهِ الإباضيَّةُ بعدَ وفاتِهِ مِنْ قِبَلِ الأمويّينَ، وَلِذَا فهوَ يُعْتَبَرُ أَحَدَ أئمّةِ الإباضيّةِ السِّياسيّينَ، حَيْثُ وَقَفَ معارضًا بلسانِهِ وَقَلَمِهِ لِسُلُوكِ الأمويّينَ، لَكِنْ لمْ يُشْهِرْ سَيْفَهُ ضِدَّهُمْ إلاَّ دِفَاعًا عنِ الكعبةِ المشرّفةِ معَ عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ[2].

ولهذهِ الأسبابِ عُرِفَ أصحابُهُ بأتباعِ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ، أمَّا همْ فلمْ يَكُونُوا يُطْلِقُونَ على أَنْفُسِهِمْ إلاَّ أهلَ الدّعوةِ، أوْ أهلَ الحقِّ والاستقامةِ، وَلَكِنَّهُم رَضُوا بهذهِ النِّسبةِ بعدَ ذلكَ، وَظَهَرَتْ كلمةُ الإباضيَّةِ في مؤلَّفَاتِهِمْ في نهايةِ القرنِ الثالثِ الهجريِّ[3].

---

[1] - أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ): العقد الفريد دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ط٣، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج١، ص٢٦١.

[2] - يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ الإباضيّة في المغرب الإسلامي، مصدر سابق، ص٢٥ – ٢٦.

[3] - مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضية، مصدر سابق، ج٣، من حرف السين إلى حرف الغين، ص٥٥٢.

أمَّا المؤرِّخُ الإباضيُّ المعاصرُ محمدُ عليّ دبّوز فَيَرَى أنَّ الأمويّينَ همُ الذينَ أَطْلَقُوا عليهمْ هذا الاسمَ نسبةً إلى عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ، كمَا أنَّ الأمويّينَ لاَ يُرِيدُونَ نسبةَ هذهِ الفِرقةِ إلى جابرٍ؛ حتَّى لاَ يَجْذِبُوا إليهمُ الأنظارَ، وذلكَ بسببِ مكانةِ جابرٍ الفقهيةِ الرّفيعةِ وَعِلْمِهِ الواسعِ ومنزلتِهِ بينَ فقهاءِ البصرةِ[1]، ولاَ يَبْدُونَ في هالةِ جابرٍ الْمُشَرِّفَةِ فَتَمِيلَ إليهمُ النفوسُ[2]، فَنَسَبُوهُمْ إلى عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ نِسْبَةً غيرَ قياسيّةٍ[3]، وهوَ أقلُّ منزلةً مِنْ جابرٍ في العلمِ وإنْ كانَ لاَ يَقِلُّ عنهُ في التَّقْوَى والوَرَعِ والصَّلاحِ[4]. وهوَ أَمْرٌ يَجِبُ أنْ يُوضَعَ مَوْضِعَ الاعتبارِ عندَ النّظرِ إلى سياسةِ الدّولةِ الأمويّةِ التي اعْتَمَدَتْ في كثيرٍ مِنْ تَصْرِيفَاتِهَا للأمورِ السياسيّةِ على الحِيَلِ والدَّهَاءِ وَالْمَكْرِ السّياسيِّ الذي لاَ يَضَعُ أَبْطَالاً مِنَ الْمُعَارِضِينَ لِحُكْمِ الدّولةِ الأمويّةِ[5].

---

[1] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص١٥.

[2] - عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٢.

[3] - مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج٣، من حرف السين إلى حرف الغين، ص٥٥١.

[4] - عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢٠.

[5] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص١٥.

وهناكَ احتمالٌ لاَ بُدَّ مِنْ أَخْذِهِ في عَيْنِ الاعتبارِ؛ وهوَ المكانةُ العزيزةُ لجابرِ بنِ زيدٍ وتأثيرُهُ الشّخصيُّ في الرّأيِ العامِّ، وَالخوفُ عليهِ مِنْ بَطْشِ الأعداءِ إنْ هوَ ظَهَرَ أمامَ دولةٍ لَيْسَتْ سَهْلَةً في مُجَابَهَةِ مُعَارِضِيهَا كالدّولةِ الأمويّةِ.

وَلِذَا كانَ حِرْصُ الإباضيّةِ علَى إخفاءِ دَوْرِ جابرِ بنِ زيدٍ في الفِرقةِ وقيادتِهِ لهَا، وَلِذَا فَإِنَّ استمرارَ الإباضيّةِ في قَبُولِ تسميةِ الأمويّينَ لهمْ نِسْبَةً لعبدِ اللهِ بنِ إباضٍ كانَ لهُ أَسْبَابُهُ ودواعِيهِ الأمنيّةُ مِنَ الجانبِ الإباضيِّ، غيرَ أنَّ هناكَ حقيقةً لاَ يَنْبَغِي إغفالُهَا، وهيَ حقيقةٌ تَرْتَبِطُ بشخصيّةِ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ وقدرتِهِ على المجادلةِ والمناظرةِ ووضوحِ حُجَّتِهِ في عَرْضِهَا أمامَ مُخَالِفِيهِ[1].

في هذا الْمُنْعَطَفِ التاريخيِّ الخطيرِ بَرَزَ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ قائدًا مُحَنَّكًا رَافِضًا شِعَارَ الحربِ والقتالِ الذي تَبَنَّاهُ نافعُ بنُ الأزرقِ ومَنْ مَعَهُ مِنْ أنصارٍ عُرِفُوا بعدَ ذلكَ بالأزارقةِ، وَرَاحَ ابنُ إباضٍ يُجَادِلُهُمْ وَيُحَاجِجُهُمْ وَيُعْلِنُ البراءةَ مِنْهُمْ، وصارَ هذا الموقفُ الذي اتَّخَذَهُ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ هوَ الموقفَ الواضحَ في السّياسةِ الشّرعيّةِ عندَ الإباضيةِ[2].

---

[1] - المصدر نفسه، ص١٦.

[2] - محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٣٨.

أمَّا عَنِ الدَّاعِي إلى نسبةِ المذهبِ إلى عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ مَشَاهِيرِ الإباضيّةِ؛ فَلِأَنَّ عبدَ اللهِ كَمَا كانَ يقولُ سالمٌ السّيابيُّ: "أَثْقَلُ على زعماءِ أهلِ الباطلِ مِنَ الصّخرةِ"[1]. وَمِمَّا حَمَلَ الأمويّينَ على نسبةِ المذهبِ إلى عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ أنَّ الأخيرَ كانتْ كُلُّ مقاصدِهِ "اللهَ وفي اللهِ فكانتْ لهُ بذلكَ شُهْرَةٌ أَضْفَتْ عليهِ لِبَاسَ زعامةٍ دينيّةٍ تَبِعَهُ عَلَيْهَا أهلُ الحقِّ فَأُضِيفُوا إليهِ، وَعُرِفُوا بهِ، فَكَانَ سُورَهُمُ الْمَنِيعَ مِنْ جانبِ السُّلطانِ"[2]، وأكثرَ مِنْ ذلكَ كانَ عبدُ اللهِ يُمَثِّلُ همزةَ وَصْلٍ بينَ جماعةِ الإباضيّةِ والسّلطةِ القائمةِ[3].

أمَّا عنْ نشاطِ ابنِ إباضٍ بَعْدَ مُرَاسلاتِهِ معَ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ فلاَ تَذْكُرُ المصادرُ معلوماتٍ موثوقةً يُمْكِنُ الاطمئنانُ إليها، وَيَبْدُو أنَّهُ لاقَى حَتْفَهُ بعدَ ذلكَ في وقتٍ لا تُحَدِّدُهُ المصادرُ المتوافرةُ وإنْ كانَ مِنَ المؤكَّدِ أنَّهُ تُوُفِّيَ قبلَ عامِ ١٠٠هـ[4].

---

[1] - سالم بن حمود السيّابي: طلقات المعهد الرياضي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان، د ط، د ت، ص٧٧.

[2] - سالم بن حمود السيّابي: إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان، د ط، ١٩٧٩م، ص٥٧.

[3] - عدّون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٣٥.

[4] - عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٤.

وقدْ جَرَتْ مناظراتٌ ومراسلاتٌ ومحاوراتٌ بينَ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ وعبدِ الملكِ بنِ مروانَ، هذا إضافةً إلى عِزَّتِهِ وقوّةِ قَبِيلَتِهِ، معَ تَتَبُّعِ حركاتِهِ النَّاشطةِ في نَقْدِ سُلوكِ الحُكْمِ الأمويِّ بابتعادِهِ عنْ منهجِ الخلفاءِ الرّاشدينَ ودعوتِهِ الصَّريحةِ لحكّامِ الدّولةِ إلى الاعتدالِ في حكمِ المسلمينَ أوِ الاعتزالِ، ثُمَّ لِمُوَاقِفِهِ الشّديدةِ الصُّلْبَةِ ضدَّ الخوارجِ عمومًا، بِحَيْثُ أصبحَ على المسرحِ ملْءَ سَمْعِ الدّنيا وَبَصَرِ الْحَيَاةِ، وَاتَّسَمَ أمامَ الجميعِ بِسِمَاتِ الزّعامةِ والإمامةِ[1].

ومِنْ أهمِّ آثارِهِ الرّسالةُ التي بَعَثَهَا إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ والتي بَيَّنَ فيهَا مَعَالِمَ الإباضيّةِ وَمَوْقِفَهُمْ إزاءَ الفِتَنِ والخوارجِ[2].

وفي رسالةٍ أَرْسَلَهَا عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ قالَ فيهَا[3]:

"أمَّا بَعْدُ؛.... وَكَتَبْتَ إِلَيَّ تُحَذِّرُنِي الغلوَّ في الدّينِ، وإنّي أعوذُ باللهِ مِنَ الغلوِّ في الدّينِ، وَسَأُبَيِّنُ لكَ ما الغلوُّ في الدّينِ إذا جَهِلْتَ، فإنَّهُ مَا كانَ يُقالُ على اللهِ غير الحقِّ، وَيُعْمَلُ بِغَيْرِ كِتَابِهِ الذي بَيَّنَ لنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ التي سَنَّ، وَقَالَ ﷻ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾[4] كمَا

---

[1] - السيد عبد الحافظ عبد ربه: الإباضيّة مذهب وسلوك، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧م، ص٢٨٣.

[2] - بكير سعيد أعوشت: أضواء إسلاميّة على المعالم الإباضيّة، بيانها حقائقها تاريخها، مصدر سابق، ص١٢.

[3] - عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢١.

[4] - سورة النساء، الآية: ١٧١.

فعلَ عثمانُ والأئمّةُ مِنْ بَعْدِهِ، وأَنْتَ على طاعتِهِمْ وَتُجَامِعُهُمْ على معصيةِ اللهِ وَتَتَّبِعُهُمْ وقدِ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَاتَّبَعْتَهُمْ أنتَ عَلَيْهَا، وقالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1] فهؤلاءِ أهلُ الغلوِّ في الدّينِ[2]....إنَّا نَبْرَأُ إلى اللهِ مِنَ ابنِ الأزرقِ وأتباعِهِ مِنَ النّاسِ، لَقَدْ كَانُوا على الإسلامِ فِيمَا ظَهَرَ لنا حينَ خَرَجُوا، ولكنَّهُم ارْتَدُّوا عنهُ وَكَفَرُوا بعدَ إسلامِهِمْ، فَنَبْرَأُ إلى اللهِ مِنْهُمْ... فإنَّكَ كَتَبْتَ إليَّ أنْ أَكْتُبَ إليكَ بِجَوَابِ كِتَابِكَ وَأَجْتَهِدَ لكَ في النَّصيحةِ، وكانَ حقًّا عَلَيَّ أنْ أَنْصَحَ لكَ.... أَدْعُوكُمْ إلى كتابِ اللهِ وسنَّةِ نبيِّهِ ﷺ لِتُحِلُّوا حلالَهُ وَتُحَرِّمُوا حرامَهُ، وَلِتَرْضَوْا بِحُكْمِهِ"[3].

---

[1] - سورة المائدة، الآية: ٧٧.

[2] - عامر النجار: في مذاهب الإسلاميّين الخوارج ـــــ الإباضيّة ـــــ الشّيعة، مصدر سابق، ص٢٣٤.

[3] - أبو عبد الله سالم بن حمد بن سليمان بن حميد الحارثي العُماني الإباضي: العقود الفضية في أصول الإباضيّة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، د ط، د ت، ص١٣٧.

- سالم بن حمود: إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، مصدر سابق، ص٨٦ -١٠١.

- مخطوط مصوّر في مكتبة عمّي سعيد بغرداية، والمخطوط الأصلي يوجد في مكتبة الشيخ ناصر بن راشد الخرّوصي في مكتبة وزارة التراث القومي والثقافة بعُمان، ص٢٧٢.

- أبو القاسم بن ابراهيم البرادي: الجواهر المنتقاة، مصدر سابق، ص١٦٥.

وإذَا اشْتَدَّ بِأَحَدِنَا العنادُ فَعَلَيْهِ أنْ يَقْتَدِيَ بعبدِ اللهِ بنِ عمرَ حينَ سُئِلَ عنِ الإمامَيْنِ عثمانَ وعليٍّ فَتَلَى عليهِ قولَهُ ﷻ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] ولاَ أَقَلَّ مِنْ أنْ يَقْتَدِيَ بقولِ الخليفةِ الزّاهدِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ حينَ سُئِلَ عمَّا شَجَرَ بينَ الصَّحابةِ، فقالَ في رَوْعَةٍ وَأَدَبٍ: "تِلْكَ دِمَاءٌ طَهَّرَ اللهُ مِنْهَا أَيْدِينَا فَلاَ نُلَوِّثُ بِهَا أَلْسِنَتَنَا"[2].

وَخِتَامًا يَتَّضِحُ مِنْ دراسةِ تلكَ الرّسالةِ وَتَحْلِيلِ ما جاءَ فيهَا مَا يَلِي:

١- أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ قَدْ خَاطَبَ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ بِاسْمِهِ مُجَرَّدًا دُونَ أنْ يُلَقِّبَهُ بأميرِ المؤمنينَ أوْ خليفةِ المسلمينَ، (وَرُغْمَ ذلكَ فإنَّ عبدَ الملكِ لمْ يَتَّخِذْ أيَّ إجراءاتٍ بِشَأْنِهِ)، ولاَ تُورِدُ المصادرُ أيَّ تَوَتُّرٍ بينَ

- أبو الربيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٨.

- صالح بن محمد الشيخ صالح: دور التعليم المفتوح في انتشار المنهج التربوي لأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي خلال القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، دراسة مقدّمة إلى قسم العلوم التربوية في كلّية العلوم التربوية والصّحة النفسية بالجامعة الحرّة في هولندا لنيل درجة الماجستير، المملكة الهولندية، الجامعة الحرّة في هولندا، كلّية العلوم التربوية والصّحة النفسيّة، لاهاي، نوفمبر٢٠١٠، ص٢٠٩.

[1] - سورة البقرة، الآية:١٤١.

[2] - عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢١.

الطَّرفَيْنِ[1]، وهذا دَلِيلٌ علَى أنَّ ابنَ إباضٍ الذي يَنْتَمِي إلى قبيلةِ تَمِيمٍ كانَ آنَذَاكَ يَحْتَمِيَ بالقبيلةِ مِمَّا جَعَلَ اضْطِهَادَهُ أَمْرًا صَعْبًا، خُصُوصًا أنَّهُ لمْ يَحْمِلْ سَيْفًا ضدَّ الحُكَّامِ الأمويّينَ، رُغْمَ أنَّ الأمويّينَ لمْ يَكُونُوا بِتلكَ السهولةِ في تَعَامُلِهِمْ معَ مُعَارِضِيهِمْ، بلْ علَى العكسِ مِنْ ذلكَ فَإِنَّهُمْ لَمْ تَأْخُذْهُمْ في كثيرٍ مِنْهُمْ شَفَقَةٌ ولاَ رَحْمَةٌ[2].

٢- أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ قدْ فَنَّدَ رأْيَ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ حولَ دلالةِ الغلوِّ، وَبَيَّنَ حِرْصَهُ القويَّ علَى التّمسُّكِ بالإسلامِ الذي سَلَكَهُ الرّسولُ ﷺ وخُلفاؤُهُ الرّاشدينَ، وَبَيَّنَ أنَّ المسلمَ المؤمنَ هوَ الذي يُطَبِّقُ دونَ إفراطٍ كتابَ اللهِ وَسُنَّةَ رسولِهِ، مُخَالِفًا في ذلكَ الدَّعوةَ إلى الغلوِّ التي نادَى بها ابنُ الأزرقِ وجماعتُهُ في تطبيقِ التّعاليمِ الإسلاميّةِ وَمُخَالِفًا أيضًا في الوقتِ نفسِهِ بني أميّةَ الذينَ جَرَفَتْهُم مَفَاتِنُ الدّنيا (في رَأْيِ ابنِ إباضٍ على الأقلِّ) وَتَرَكُوا حُكْمَ اللهِ وَفَارَقُوهُ، فَقَالَ عبدُ اللهِ بوضوحٍ وصراحةٍ: "فاتَّقِ اللهَ يا عبدَ الملكِ، ولاَ تُخَادِعْ نَفْسَكَ في بنِي أميّةَ وَسِيرَتِهِمْ"[3].

---

[1] - أو على الأقل لم يقع في أيدينا ما يُثبت أنّ عبد الملك بن مروان قد أوقع الأذى بابن إباض أو أحد من أهله في أعقاب تلك الخطبة الشهيرة.

[2] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص١٧.

[3] - ابن حميد الحارثي: العقود الفضية في أصول الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٣٤– ١٣٧.

٣- أَعْلَنَ ابنُ إباضٍ رأيَهُ الصَريحَ في سيرةِ عثمانَ وبني أميّةَ، مُؤَكِّدًا اعْتِرَاضَهُ علَى سيَرةِ الخليفةِ الرَاشدِ في آخرِ أيّامِ خلافتِهِ، ولمْ يَكُنْ ذلكَ شاذًّا ولاَ خَارِجًا مِنَ الإباضيّةِ، فقدْ حَدَثَ أنِ اعْتَرَضَ كثيرٌ منْ صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ علَى سياسةِ عثمانَ التي اتَّبَعَهَا بعدَ سِتِّ سنواتٍ مِنْ تَوَلِّيهِ الخلافةَ، خُصُوصًا في تَبْدِيلِ الوُلاَةِ وَأَسْبَابِ اخْتِيَارِهِمْ، وَإِغْدَاقِ الأموالِ علَى أقاربِهِ، وقدْ عَرَّضَ ابنُ إباضٍ (قَاصِدًا بالطَّبْعِ) في رَأْيِهِ هذا إلى وِجْهَةِ نَظَرِ الإباضيّةِ في هذهِ المسألةِ، ومِنْ ثَمَّ فَلَيْسَ مَعْنَى اعتراضِ البعضِ (الإباضيّةِ) علَى تصرّفاتِ خليفةٍ راشدٍ أنْ يَكُونُوا قدْ خَرَجُوا علَى مِلَّةِ الإسلامِ، أوِ انْتَقَصَ ذلكَ مِنْ عَقِيدَتِهِمْ، فلمْ يَكُنْ هذا بالطَبعِ رأيَ الإباضيّةِ وَحْدَهُمْ في سيرةِ عثمانَ بنِ عفانَ، وبالتّالي فإنَّ مُعْظَمَ كُتُبِ الإباضيّةِ لاَ تَتَجَاوَزُ هذا الرّأيَ في سَرْدِهَا لآرَائِهَا تجَاهَ سِيرَةِ الخلفاءِ الرَاشدينَ[١].

[١] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص١٨.

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: جَابِرُ بْنُ زَيْدٍ الْأَزْدِيُّ الْعَالِمُ الْمُؤَسِّسُ

إنَّ الْمُطَّلِعَ علَى الفكرِ الإباضيِّ قديمًا وحديثًا يَلْحَظُ مَدَى اهتمامِ المؤرِّخينَ والكُتَّابِ بإرجاعِ التَّكوينِ المذهبيِّ للإباضيَّةِ إلى الإمامِ جابرِ بنِ زيدٍ الأزديِّ العُمانيِّ، هذَا التَّابعيّ الجليل الذي تَشْهَدُ المصادرُ كلُّها علَى فَضْلِهِ وعِلْمِهِ وَوَرَعِهِ وَتَقْوَاهُ، وذلكَ ما جَعَلَ بعضَ الكتاباتِ المناوئةِ للإباضيَّةِ تَنْفِي علاقةَ جابرِ بنِ زيدٍ بالإباضيَّةِ، وتُنْكِرُ أَخْذَه بمبادئِ المُحَكِّمةِ، وذلكَ حتَّى يُجرِّدُوا هذا المذهبَ مِنْ أَحدِ عَناصرِهِ القويَّةِ، بلْ أنْ يُقَوِّضُوا أساسَهُ وَمُعْتَمَدَهُ[1].

وبعدَ اخْتِفَاءِ ابنِ إباضٍ أَقْلَعَ الإباضيَّةُ عنِ المناقشةِ العلنيَّةِ والجدلِ الكلاميِّ معَ مُنَاوِئِيهِمْ ومُخَالِفِيهِمْ، وَلَجَؤُوا إلى السّريَّةِ المطلقةِ في تَنْظِيمِ دَعْوَتِهِمْ، وكانَ لجابرٍ دَوْرٌ تَنْظِيمِيٌّ كبيرٌ في هذهِ المرحلةِ التي تُعْرَفُ في التَّاريخِ الإباضيِّ بِطَوْرِ الكتمانِ[2].

وَيَدُلُّ تَعَلُّقُ الإباضيَّةِ بهذا الإمامِ وإرجاعِ أُصُولِهِمْ إليهِ علَى الاهتمامِ الذي يُولُونَهُ إلى الجانبِ العقديِّ والدّينيِّ والفكريِّ في نشأةِ المذهبِ وواضِعِ أُسُسِهِ، وهُمْ لاَ يُنْكِرُونَ في الوقتِ نفسِهِ أنَّ تسميةَ الإباضيَّةِ بهذا الاسمِ إنَّما تعودُ إلى

---

[1] - محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٠٥.

[2] - عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضية، مصدر سابق، ص١٤.

عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ التّميميِّ المُرِّيِّ، اعْتِرَافًا بِفَضْلِ ابنِ إباضٍ وما قَامَ بِهِ منْ دَوْرٍ في ترسيخِ قواعدِ المذهبِ سياسِيًّا وَلاَ سِيَّمَا في بدايةِ أَمْرِهِ، وَلَكِنَّهُمْ لاَ يُولُونَ عندَ التّأصيلِ الجانبَ السّياسيَّ ما يُولُونَ الجانبَ العقديَّ، ممَّا يُؤَكِّدُ نَظْرَتَهُم إلى أنَّ الفارقَ بَيْنَهُمْ وبينَ مُخَالِفِيهِم ليسَ سِيَاسِيًّا بِقَدْرِ مَا هوَ عَقديٌّ دِينيٌّ، وَلَوْ بَدَا الخلافُ حولَ قضيّةٍ تَبْدُو سياسيّةً وَهِيَ نَظَرِيَّةُ الْحُكْمِ[1].

ومِنْ هُنَا فإنَّ معرفةَ المنهجِ الدّعويِّ الذي سَلَكَهُ هذا الإمامُ باعتبارِهِ المؤسِّسَ الرّئيسَ، وَالمخطِّطَ الأساسَ لأُصولِ المذهبِ ومبادئِهِ ضروريٌّ للوُقوفِ علَى مَدَى مُوَافَقةِ الأصولِ التي اعْتَنَقَهَا أَتْباعُ المذهبِ للكتابِ والسنّةِ، بِاعْتِبَارِ أنَّ الإمامَ جابرَ بنَ زيدٍ يُعَدُّ مِنْ أوَّلِ التّابعينَ تَتَلْمُذًا علَى كِبَارِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، وَأَقْرَبُ أَيِمَّةِ المذاهبِ وأَسْبَقُهُمْ أَخْذًا عَنْهُمْ.

مِنْ هُنا يُعَدُّ الإمامُ جابرُ بنُ زيدٍ المؤسِّسَ الحقيقيَّ للمذهبِ الإباضيِّ، فهوَ الذي أَرْسَى أُسُسَهُ العقديّةَ ودَوَّنَ فِقْهَهُ، وَنَظَّمَ حركَتَهُ، وتلامِذَتُهُ هُمُ الذينَ

---

[1] - محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٠٦.

- عبد العزيز بن سعود المعولي: مذهب الإسلام الأوّل، راجعه الشيخ: إبراهيم بن ناصر الصّوافي، الباحث بمكتب الإفتاء، مؤسّسة الشّيخ النّاصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط٥، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص١٣- ١٤.

وَاصَلُوا المَسِيرَ مِنْ بَعدِه، وَنَشَرُوا المذهبَ في كلِّ أصقاعِ المعمورةِ[1]. فَمَنْ هُوَ جابرُ بنُ زيدٍ؟

هوَ جابرُ بنُ زيدٍ اليحمديُّ الأزديُّ الجوفيُّ العمانيُّ البصريُّ (و: ١٨هـ/٦٣٩م- تـ: ٩٣هـ/٧١١م)، في حينِ نَجِدُ اختلافًا في سنَةِ ميلادِهِ عندَ بعضِ المصادرِ ما بينَ ١٨و٢٢هـ[2]، وُلِدَ بقريةِ "فرق" ولايةِ "نزْوَى" بعُمانَ، وَقَدْ عُرِفَ بالجوفيِّ نسبةً إلى دربِ الجوفِ في البصرةِ، حيثُ استقرَّ معَ أسرتِهِ فِيمَا بَعْدُ[3]. وَنَشَأَ في أحضانِ عائلةِ عِلْمٍ ورِوَايةٍ، وكانَ أَبُوهُ - الذي رَوَى عنهُ جابرٌ روايةً في أحكامِ الجصَّاصِ - عَالِمًا، وَلَعَلَّهُ كانَ صَحَابِيًّا[4].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[1] - محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٠٦.

[2] - عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢٢.

- عامر النّجار: في مذاهب الإسلاميّين الخوارج الإباضيّة الشّيعة، مصدر سابق، ص٢٣٦.

[3] - عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٤.

- محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٠٦.

[4] - مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج٢، من حرف الألف إلى حرف الزاي، ص٢١٧.

وقدْ كانَ جابرٌ يُكَنَّى بابْنَتِهِ "الشّعثاءِ". والتي لاَ يزالُ قَبْرُهَا مَعْرُوفًا في مدينةِ "فرق" في عُمانَ إلى الآنَ، وَأَمَّا الشَّعْثَاءُ في أَصْلِهَا اللغويِّ فهيَ المَشَقَّةُ[1].

ولمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى قَصَدَ البصرةَ، وهيَ يَوْمَهَا مِنْ بَيْنِ عَوَاصِمِ البلادِ الإسلاميّةِ في العِلْمِ والأدبِ والسّياسةِ، وَاتَّخَذَهَا دارَ مقامٍ، وَمَدْرَسَةَ عِلْمٍ. وَكَانَ يَتَنَقَّلُ بينَها وبينَ الحِجازِ، لِاستِزادةِ معرفةٍ، أوْ لِتحقيقِ مسألةٍ، أوْ لِملاقاةِ شَيْخٍ[2].

وكانَ جابرٌ منذُ صِغَرِهِ مُولَعًا بالعِلمِ والمعرفةِ، ولعلَّ هذا هوَ سِرُّ ذَهابِهِ معَ أسرتِهِ إلى البصرةِ، حيثُ نَهلَ مِنْ عِلْمِها، ورَحَلَ إلى المدينةِ ومكّةَ، ودَرسَ على كبارِ الصّحابةِ ﷺ وخاصَّةً حَبْرَ الأُمّةِ عبدَ اللهِ بنَ عباسٍ[3].

---

[1] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص٢٠.

[2] - مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج٢، من حرف الألف إلى حرف الزاي، ص٢١٧.

[3] - عامر النجار: في مذاهب الإسلاميّين الخوارج الإباضيّة الشّيعة، مصدر سابق، ص٢٣٦.
- عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢٣.

وفي البصرةِ أَخَذَ جابرٌ يَتَزَوَّدُ بالعلمِ والمعرفةِ، وخاصّةً ما يتعلّقُ بعلومِ القرآنِ والحديثِ وما يَتَّصِلُ بهِمَا، وقدْ تَتَلْمَذَ جابرٌ على أَيْدِي كثيرٍ مِنَ الصّحابةِ والتّابعينَ وأَخَذَ عنهمُ الحديثَ والتّفسيرَ وعلومَ اللّغةِ والأدبِ[1].

ويُروَى عنْ جابرٍ أنّهُ كانَ يقولُ: "أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ بَدْرِيًّا فَحَوَيْتُ مَا عِنْدَهُمْ إِلاَّ الْبَحْرَ"[2]؛ أيْ: عَبْدَ اللهِ بنَ عَبَّاسٍ، علَى أنَّ الأخيرَ لمْ يكنْ مِنْ أهلِ بدرٍ. وفي القولِ دلالةٌ علَى أنَّ جابرًا قدْ أَخَذَ عنْ مجموعةٍ مِنَ الصّحابةِ الذينَ رَافَقُوا رسولَ اللهِ ﷺ وَنَقَلُوا عنهُ عِلْمَهُ وَسُنَّتَهُ الشّريفةَ. ومِنْ أهمِّ العلماءِ الذينَ أَخَذَ عَنْهُمْ جَابِرٌ: عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ، وعبدُ اللهِ بنُ عمرَ، وعبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ، وأنسُ بنُ مالكٍ وغيرُهُم، إلاَّ أنّهُ كانَ أكثرَ مُلاَزَمَةً لعَبدِ اللهِ بنِ عباسٍ مِنْ غَيْرِهِ، وكانَ مِنْ أَنْجَبِ تلاميذِهِ[3]، وكانَ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ يقولُ عنهُ: "لَوْ أَنَّ أهلَ البَصرةِ نَزَلُوا عندَ قولِ جابرِ بنِ زيدٍ لأَوْسَعَهُمْ عِلْمًا في كتابِ اللهِ"[4]. وفي روايةٍ أُخْرَى أنّهُ كانَ يُحِيلُ سَائِلِيهِ إلى تلميذِهِ جابرٍ ويقولُ:

---

[1] - علي يحي معمر: الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٦٥٨.

[2] - عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٥.

[3] - علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص١١٣.

- علي يحي معمر: الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، مصدر سابق، ص ٦٥٨.

[4] - محمد بن إسماعيل البخاري: التّاريخ الكبير، حيدر آباد، د ط، ١٣٨٢هـ، ج١، ص٢٠٤.

"اسْأَلُوا جَابِرَ بْنَ زَيْدٍ، فَلَوْ سَأَلَهُ أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَوَسِعَهُمْ عِلْمُهُ"[1]. وَعِنْدَمَا كَانَ يَسْأَلُهُ أُنَاسٌ مِنْ أهلِ البصرةِ كَانَ يُبَادِرُهُمْ بقولِهِ: "كيفَ تَسْأَلُونِي وَفِيكُمْ جَابِرُ بنُ زَيْدٍ (أَوْ أَبُو الشَّعْثَاءِ). وقدْ وَصَفَهُ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ الخطابَ بأَنَّهُ مِنْ فقهاءِ أهلِ البصرةِ البارِزِينَ[2]. بَيْنَمَا قالَ عنهُ قتادَةُ لمَّا ماتَ جابرٌ: "اليومَ مَاتَ أَعْلَمُ أهلِ العراقِ". وقالَ إياسُ بنُ معاويةَ: "أَدْرَكْتُ النَّاسَ وَمَا لَهُمْ مُفْتٍ غَيْرَ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ. وفي تاريخِ ابنِ أبي خيْثَمةَ: كانَ الحسنُ البصريُّ إذَا غَزَا أَفْتَى النَّاسَ جَابِرُ بنُ زيدٍ، وفي الضعفاءِ للسَّاجيِّ عنْ يَحْيَى بنِ معينٍ: **كَانَ جَابِرٌ إِبَاضِيًّا وَعِكْرِمَةُ صفْرِيًّا**"[3].

وكانَ عَمْرُو بنُ دينارٍ البصريُّ يقولُ: "مَا رَأَيْتُ أحدًا أَعْلَمَ بِالْفُتْيَا مِنْ جابرِ بنِ زيدٍ"[4]. وكانَ بعضُ النَّاسِ مِمَّنْ يَسْكُنُونَ خارجَ البصرةِ يكتبونَ إليهِ مُسْتَفْسِرِينَ عنْ مسائلَ ومشاكلَ فقهيَةٍ فَيُجِيبُهُمْ عَلَيْهَا"[5]. كمَا قالَ أيضًا ابنُ عباسٍ ﷺ: "عَجَبًا لأهلِ العراقِ! كيفَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْنَا وَفِيهِمْ جابرُ بنُ

---

[1] - أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي (ت٩٢٨هـ/١٥٢٢م): كتاب السير، طبعة حجرية، القاهرة، د ط، ١٨٨٤م، ص٧٠.

[2] - عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٦.

[3] - أبو الفضل أحمد بن علي بن محمّد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ): تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النّظاميّة، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ، ج٢، ص٣٨.

[4] - محمد بن إسماعيل البخاري: التاريخ الكبير، مصدر سابق، ج١، ص٢٠٤.

[5] - محمد بن أحمد الذهبي: تذكرة الحفّاظ، حيدر آباد، د ط، ١٣٣٤ هـ، ج١، ص٦٢.

زيدٍ؟!". ولمَّا تُوُفِّيَ جابرُ بنُ زيدٍ قالَ أنسُ بنُ مالكٍ صاحبُ رسولِ اللهِ ﷺ: "اليومَ مَاتَ أعلمُ مَنْ عَلَى ظَهْرِ الأرضِ"[1].

كمَا شَهِدَ لجابرٍ بالفقهِ والعلمِ والدّينِ وسماحةِ الخُلُقِ كثيرٌ مِنَ الصّحابةِ والتّابعينَ، وَقَدْ رَوَى عنْ جابرٍ أكثرُ وأشهرُ أهلِ المذاهبِ، واعْتَمَدَ على ثِقَتِهِ وَأَمَانَتِهِ، فَرَوَى عَنْهُ البخاريُّ ومسلمٌ وأبو داودَ وغيرُهُم،[2] حيثُ لمْ يَكْتَفِ جابرُ بنُ زيدٍ بِعِلْمِ مَنِ الْتَقَى بهمْ في البصرةِ، بلْ كانَ يَرْتَحِلُ إلى أماكنَ أُخْرَى طَلَبًا لمزيدٍ مِنَ العلمِ، ولا يَتْرُكُ فُرْصَةً يَتَزَوَّدُ فيها بالعلمِ إلاَّ وَاغْتَنَمَهَا، وكانَ يتردّدُ على الحجازِ وَيَلْتَقِي بعائشةَ أمِّ المؤمنينَ ﵂ ويأخذُ عنها العلمَ. يَسْأَلُهَا عنْ سُنَّةِ الرَّسولِ الكريمِ ﷺ وَيُنَاقِشُهَا في كثيرٍ مِنَ المسائلِ ممَّا يتعلّقُ بِحَيَاةِ الرّسولِ الخاصّةِ آمِلاً منهُ في أنْ يَجْعَلَ مِنْ تلكَ السّيرةِ قُدْوَةً لأصحابِهِ وَلِمَنْ طَلَبَ فَتْوَاهُ مُدَلِّلاً على رأيِهِ بأمثلةٍ مِنْ سيرةِ العظيمِ محمدٍ ﷺ[3]

---

[1] - أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي: كتاب السير، مصدر سابق، ص٧٠.

- علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص١١٢.

[2] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص٢٢.

- علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص١١٣.

[3] - عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٦.

وَلِيَعْرَفَ أَدَقَّ الأسرارِ عنِ السنّةِ الشّريفةِ، وقدْ أَهَّلَتْهُ مَعْرِفَتُهُ العميقةُ لأنْ يُصْبِحَ مِنْ أعظمِ فقهاءِ البصرةِ، وصاحبَ شُهْرَةٍ في منطقةِ الخليجِ العربيِّ، وَوَاضِعَ أساسِ نشاطِ الإباضيّةِ السّياسيِّ فيمَا بَعْدُ في القرنَيْنِ الثالثِ والرابعِ للهجرةِ[1].

ممَّا مَرَّ يَتَبَيَّنُ لنا بوضوحٍ أنَّ جابرَ بنَ زيدٍ قَدِ اكتَسَبَ علمًا واسعًا بعدَ إقامتِهِ في البصرةِ، وأنَّهُ أصبحَ مِنْ أبرزِ التّابعينَ الأوائلِ في عِلْمِ التّفسيرِ والحديثِ والعلومِ الدّينيّةِ بِشَكْلٍ عَامٍّ، وقدْ أَهَّلَتْهُ مَعْرِفَتُهُ العميقةُ لأنْ يُصْبِحَ أبرزَ مُفْتٍ في البصرةِ. ممَّا يَدُلُّ على طولِ بَاعِهِ في مَيْدَانِ الفتوَى والاجتهادِ أنَّ عَمْرَو بنَ دينارٍ وَهُوَ أحدُ العلماءِ اللاَّمِعِينَ في البصرةِ آنَذَاكَ وأحدُ التّابِعِينَ مِنْ رُوَاةِ الحديثِ؛ كانَ يَذْكُرُ جابرَ بنَ زيدٍ ويقولُ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْفُتْيَا مِنْ جَابِرِ بْنِ زَيْدٍ". أمَّا إياسُ بنُ معاويةَ قاضِي البصرةِ في عَهْدِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فكانَ يقولُ: "أَدْرَكْتُ أهلَ البصرةِ وَمُفْتِيهِمْ جابرُ بنُ زيدٍ مِنْ أهلِ عُمانَ". أمَّا الحسنُ البصريُّ فَيُثْنِي على جابرٍ وَعِلْمِهِ الغزيرِ، وَيَصِفُهُ ويقولُ: "هذَا واللهِ الْفَقِيهُ الْعَالِمُ"[2]. إنَّ هذهِ الشّهادةَ التي يُعْطِيهَا أخصُّ

---

[1] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص٢٢.

[2] - علي يحيى معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص١١٢.

- عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٧.

أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ وَيَخْتِمُهَا سَيِّدُ التّابعينَ؛ تُعْتَبَرُ أعظمَ إجازةٍ معتمدةٍ تُعطَى عنْ درجةٍ علميّةٍ في ذلكَ الحينِ[1].

لمْ يَكْتَفِ جابرٌ بالرّوايةِ الشفويّةِ عنْ أساتذتِهِ ومعاصِريهِ، بلْ كانَ يُسَجِّلُ الأحاديثَ التي سَمِعَهَا مِنْ شيوخِهِ كمَا سَمَحَ لتلاميذِهِ بِتَدْوِينِ الأحاديثِ التي رَوَوْهَا عنهُ. وقدْ أَلَّفَ كتابًا سَمَّاهُ "الدّيوان" ضَمَّنَهُ الأحاديثَ التي رَوَاهَا وأَوْدَعَ في صفحاتِهِ آراءَهُ وَفَتَاوِيهِ في كثيرٍ مِنْ أمورِ العقيدةِ، وكانَ موضِعَ تَنَافُسٍ بينَ دُورِ الكُتُبِ الإسلاميّةِ، وَاسْتَطَاعَتْ مكتبةُ بغدادَ أنْ تَتَحَصَّلَ عليهِ، وأنْ تَبْخَلَ بهِ عنْ غَيْرِهَا مِنَ المكتباتِ، ولمْ تُنْقَلْ مِنْهُ إلاَّ نُسْخَةٌ واحدةٌ كَافَحَ أحدُ عباقرةِ جبلِ نفوسةَ للحصولِ عليها في قصّةٍ طويلةٍ[2].

ولاَ شكَّ أنَّ جابرًا قدْ وَظَّفَ عِلْمَهُ وَمَوَاهِبَهُ في خدمةِ مبادئِهِ التي آمَنَ بِهَا، كَمَا اقْتَنَعَ بِطَرِيقَتِهِ السِّلْمِيَّةِ في نشرِ الدّعوةِ التي رَسَمَهَا وَوَضَعَ أُسُسَهَا وَخُطُوطَ السَّيْرِ فيها، وَاسْتَفَادَ مِنْ نتائجِ الثوراتِ السّابقةِ والتي أَمْلَتْ عليهِ

[1] - علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص١١٣.

[2] - المصدر نفسه، ص١١٦.

اتِّبَاعَ الطريقةِ السريّةِ في بدايةِ تَأْسِيسِ فِرْقَتِهِ لإِبْعَادِهَا عنْ بَطْشِ رجالِ السّلطةِ المركزيةِ[1].

وَيَبْدُو أنَّ جابرَ بنَ زيدٍ قدِ اتَّبَعَ أُسْلُوبًا خَاصًّا في البصرةِ، ممَّا سَاعَدَهُ على اكتسابِ المعارفِ والإحاطةِ بالعلومِ السّائدةِ في عصرِهِ، وخاصّةً العلومَ الدّينيةَ، فقدْ عاشَ حياةَ زُهْدٍ وَتَقَشُّفٍ، وَانْصَرَفَ عنْ لَهْوِ الدنيا وَتَرَفِهَا، وكانَ يقولُ: "سَأَلْتُ رَبِّي عَنْ ثَلاثٍ فَأَعْطَانِيهِنَّ، سَأَلْتُ عنْ زوجةٍ مؤمنةٍ، وَرَاحِلَةٍ صالحةٍ وَرِزْقًا كَفَافًا يَوْمًا بِيَوْمٍ". وكانَ يُخَاطِبُ أصحابَهُ ويقولُ: "ليسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ أَغْنَى مِنِّي، لَيْسَ عِنْدِي دِرْهَمٌ وَلَيْسَ عَلَيَّ دَيْنٌ". وكانَ يُجيبُ النّاسَ خارجَ البصرةِ عنْ مَسَائِلِهِمْ وَمَشَاكِلِهِمُ الفقهيّةِ، وتبعًا لذلكَ فقدْ وَصَفَهُ مُعَاصِرُوهُ وَأَتْبَاعُهُ بأنّهُ "بَحْرُ الْعِلْمِ وَسِرَاجُ الدِّينِ"[2].

ممَّا تَقَدَّمَ يَظْهَرُ لَنَا بِوُضُوحٍ أنَّ جابرًا قدِ اكْتَسَبَ عِلْمًا غَزِيرًا بعدَ هِجْرَتِهِ إلى البصرةِ، وأصبحَ مِنَ الفقهاءِ البارزينَ الذينَ أَسْدَوْا خِدْماتٍ جليلةً للعقيدةِ والفكرِ الإسلامِيَّيْنِ، وَلِكَيْ نَفْهَمَ دَوْرَهُ في نشأةِ الفِرقةِ الإباضيّةِ وتطوُّرِهَا لاَ بُدَّ لَنَا مِنَ التعرُّفِ على بَدْءِ علاقتِهِ بجماعةِ القَعَدَةِ، ثمَّ

---

[1] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص٢٢.

[2] - محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص١١٠.

جُهُودِهِ المتواصلةِ في سَبِيلِ إنجاحِ الدّعوةِ الإباضيّةِ بعدَ أنْ أَصْبَحَ رَئِيسَهَا وَزَعِيمَهَا[1].

وَقَدِ انْضَمَّ جابرٌ لفِرقةِ القَعَدةِ الْمُحَكِّمَةِ (الإباضيّةِ) بعدَ أنِ اشْتَدَّ عُودُهَا وَقَوِيَ شَأْنُهَا، وذلكَ بعدَ انتهاءِ السنّواتِ الأولَى مِنْ خلافةِ عثمانَ بنِ عفانَ (حَوَالَيْ سنةَ ٢٩هـ)، وكذلكَ بعدَ قَبُولِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ للتّحكيمِ، وَمُبَايَعَةِ الْخَارِجِينَ على التّحكيمِ عبدَ اللهِ بنَ وهبٍ الرّاسبيَّ أَمِيرًا للمؤمنينَ في سنةِ (٣٧هـ/٦٥٧م)[2].

فَلَمْ يَكُنْ لِجَابِرِ بنِ زيدٍ أيُّ دَوْرٍ في زعامةِ تلكَ الحركةِ بعدَ وفاةِ عبدِ اللهِ بنِ وهبٍ الرّاسبيِّ مباشرةً؛ لأنَّ جابرًا آنَذَاكَ كانَ لاَ يَزَالُ شابًّا صغيرًا يَتَرَاوَحُ عُمْرُهُ بينَ السّادسةِ عشرَ وَالْعِشْرِينَ سنةً فقطْ، ومِنْ غَيْرِ المُحْتَمَلِ أنْ يكونَ في هذهِ السِّنِّ قدِ اكْتَسَبَ العلمَ الكافيَ والخبرةَ الضروريةَ ليتقدَّمَ أَصْحَابَهُ زَعِيمًا مُرْشِدًا لَهُمْ[3].

---

[1] - عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٩.

[2] - سالم بن حمود: إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، مصدر سابق، ص٣.

[3] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص٢٣.

أَضِفْ إِلَى ذلكَ أَنَّنَا لاَ نَمْلِكُ أيَّ دليلٍ على أنَّ جابرَ بنَ زيدٍ كانَ ذَا علاقةٍ مُبَاشرةٍ معَ عبدِ اللهِ بنِ وهبٍ الرّاسبيِّ أوْ أنّهُ اشْتَرَكَ في معركةِ النّهروانِ التي اسْتُشْهِدَ فيها الرّاسبيُّ.

ولاَ تُشيرُ المصادرُ إلى أيِّ نشاطٍ لجابرِ بنِ زيدٍ بالإباضيّةِ، فَقَدْ بَدَأَ بعدَ النّهروانِ وبعدَ لُجُوءِ مِرْدَاسِ بنِ أديّةَ التّميميِّ وأصحابِهِ للبصرةِ في أواخرِ العقْدِ الثالثِ مِنَ القرنِ الأوّلِ الهجريِّ[1].

بالإضافةِ إلى ما سبقَ فإنَّ الرّواياتِ الإباضيّةَ تُشيرُ إلى علاقاتٍ متينةٍ وَوديّةٍ بينَ جابرِ بنِ زيدٍ وأبي بلالٍ مرداسِ بنِ أديّةَ التّميميِّ شَيْخِ القَعَدَةِ في البصرةِ بعدَ معركةِ النّهروانِ. وكانَ الرَّجُلانِ يَخْرُجَانِ إلى مكّةَ سويًّا وَيَلْتَقِيَانِ بِابنِ عباسٍ وعائشةَ أمِّ المؤمنينَ.

وَيَذْكُرُ أبو سفيانَ مَحْبُوبُ بنُ الرّحيلِ[2]، أنَّ جابرَ بنَ زيدٍ وَأَبَا بلالٍ مِرْدَاسًا دَخَلاَ مَرّةً على عائشةَ ﵂، فَعَاتَبَاهَا على مَا كانَ منها يومَ الجملِ، قالَ: فَاسْتَغْفَرَتِ اللهَ تَعَالَى وَتَابَتْ مِمَّا كانتْ قدْ دَخَلَتْ فِيهِ[1].

---

[1] - عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢٠.

[2] - محبوب بن أبي عبد الله السّدراتي، أبو سفيان (٤٠٠-٤٤٠هـ / ١٠٠٩-١٠٥٨م): شيخ بارز من المذكورين بالعلم والصلاح، من سدراته قرب وارجلان. تتلمذ على يد واضع نظام العزابة الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر النفوسي (ت: ٤٤٠ هـ / ١٠٤٩ م)، وأخذ عن أبي

ممَّا مَرَّ يَتَبَيَّنُ لنَا أنَّ جابرَ بنَ زيدٍ كانَ قدِ انْضَمَّ إلى القَعَدَةِ منذُ أيامِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ زيادٍ، وَلَكِنَّ الباحثَ لاَ يَسْتَطِيعُ أنْ يُقَرِّرَ سنَةً بِعَيْنِهَا لتاريخِ ذلكَ الانضمامِ، وَيَبْدُو مِنَ الرّواياتِ أنَّ نَجْمَ جابرٍ أَخَذَ يَتَأَلَّقُ في سماءِ تلكَ الحركةِ قَبْلَ عامِ ٦١هـ، وهوَ العامُ الذي قُتِلَ فيهِ أبو بلالٍ مرداسُ بنُ أديَةَ التّميميُّ، حَتَّى أنَّ بعضَ الرواياتِ تُجْزِمُ على أنَّ أبا بلالٍ لمْ يَقُمْ بِعَمَلِهِ إلاَّ بَعْدَ مَشُورَةٍ مِنْ جابرِ بنِ زيدٍ وَقَبُولٍ مِنْهُ.

يَتَّضِحُ مِنَ المعلوماتِ الواردةِ في المصادرِ الإباضيّةِ المتواترةِ أنَّ جابرَ بنَ زيدٍ قَدِ انْضَمَّ إلى القَعَدَةِ إبّانَ ولايةِ عبيدِ اللهِ بنِ زيادٍ الأمويِّ للعراقِ. (٥٦هـ/٦٧٦م - ٦٤هـ/٦٨٤م)[٢]، لِذَا فَإِنَّ جابرَ بنَ زيدٍ هُوَ المؤسِّسُ الحقيقيُّ للفِقْهِ والفكرِ الإباضيِّ بِلاَ شَكٍّ، وَقَدْ قالَ صاحبُ كتابِ "إزالةُ الوعثاءِ عنْ أَتْبَاعِ أَبِي الشَّعْثَاءِ" بِكُلِّ وُضُوحٍ[٣]: "إنَّ مَذْهَبَ الإباضيّةِ مَبْنِيٌّ على مُسْنَدِ

عمران موسى بن زكريا، أُثرتْ عنه آراء فقهية، وروى عنه أبو زكريا في سيره روايات عديد.

- مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج٤، من حرف الفاء إلى حرف الياء، ص٧٤٥.

[١] - عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢١.

- محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص١١٢.

[٢] - عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضية، مصدر سابق، ص٢٠-٢١.

[٣] - سالم بن حمود: إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، مصدر سابق، ص٤.

الربيع بنِ حبيبٍ[1]، وَأَحَادِيثُهُ مَرْوِيَّةٌ عنْ أبي عبيدةَ عنْ جابرِ بنِ زيدٍ عنِ الصَحابةِ، حيثُ كانَ جابرُ بنُ زيدٍ مِنْ أوائلِ التّابعينَ الذينَ عُنُوا بِتَدْوِينِ الأحاديثِ وَالسُّنَّةِ النّبويةِ العطرةِ، وَسَبَقَ جابرٌ ذلكَ أصحابَ المذاهبِ الأربعةِ المشهورِينَ، وقامَ جابرُ بنُ زيدٍ بالعملِ على قيامِ الإمامةِ العادلةِ المبنيّةِ على الأصولِ الصَحيحةِ للإسلامِ، مِمَّا يَدُلُّ على شجاعتِهِ وَفِقْهِهِ المتميِّزِ وَعِلْمِهِ

---

[1] - هو الربيع بن حبيب بن عمرو الأزدي الفراهيدي العُماني، وُلد بغطفان إحدى قرى الباطنة حوالي سنة ٧٥هـ، ولم يمكث طويلاً في عُمان بل انتقل إلى البصرة لطلب العلم، فتتلمذ على الإمام جابر بن زيد، وأبو عُبَيْدة مسلم بن أبي كريمة، وضمام بن السّائب، وصالح الدّهان، واحتلّ بعد ذلك مكان الصّدارة تدريساً وتأليفاً وإفتاءاً، أشرف على حَمَلة العلم ووجّههم إلى عُمان واليمن وخراسان. من أهمّ مؤلّفاته: "الجامع الصّحيح، مسند الإمام الرّبيع بن حبيب"(عمدة الإباضيّة في السنّة). و"آثار الرّبيع"،وقد رواه عنه أبو صفرة عبد الملك بن صفرة. مجموعة من الفتاوي والإجابات في العبادات والمعاملات وردت في مدوّنة أبي عامر الخراساني. وقد اعتُبر الرّبيع المحدّث الحافظ ثقةً عند الأصحاب، وعدله الإمام أحمد وأورده ابن حبّان في الثقات، ووثّقه يحي بن معين وعلي بن المديني، وترجم له الذّهبي في ميزان الإعتدال، وأجمع الأصحاب على عدالته وضبطه وإتقاته سلفاً وخلفاً. وبعد سنوات حافلة بجلائل الأعمال قضاها الرّبيع إماماً ومربّياً بالبصرة، وداعياً ومحدّثاً ومفتياً، عاد إلى عُمان ليعيش بها ما تبقّى من عمره، وتوفّي بغضفان مسقط رأسه سنة ١٧٠ هـ.

- علي يحي معمّر: الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٦٦١-٦٦٢.

الواسعِ وإيمانِهِ القويِّ الرّاسخِ؛ أَنَّهُ لمْ يَتَوَقَّفْ لَحْظَةً عَنْ دُرُوسِهِ وَتَعَالِيمِهِ، رَغْمَ سَيْطَرَةِ الْحَجَّاجِ بنِ يوسفَ الثقفيِّ علَى العراقِ[1].

وَيَذْكُرُ الدّكتورُ عامر النَّجّار في كتابِهِ "الإباضيّةُ وَمَدَى صِلَتِهَا بِالْخَوَارِجِ" أَنَّ بعضَ المصادرِ السُّنِّيَّةِ كَابْنِ سعدٍ في طبقاتِهِ ج٧ص١٣١-١٣٢، وابنِ حَجَرٍ في تهذيبِ التهذيبِ ج٢، ص١٣٨، وأبِي نُعَيْمٍ في الْحِلْيَةِ ج٣، ص١٨٩؛ تُحَاوِلُ إنكارَ صِلَةِ جابرِ بنِ زيدٍ بالإباضيّةِ على أساسِ أَنَّ زَيْدًا مِنَ الْمُحَدِّثِينَ الثِّقَاتِ، وَلِهَذَا لاَ يَنْبَغِي إِلْصَاقُ تُهْمَةِ الإباضيّةِ بِهِ حتَّى لاَ يُعَدُّ عِنْدَهُمْ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ الْمَجْرُوحِينَ لاَ الْعُدُولِ، فَعَلَى شرطِ أئمةِ الحديثِ وعلماءِ الجرحِ والتعديلِ أَنَّهُم يَرْفُضُونَ رِوَايَاتِ أصحابِ المذاهبِ والبِدَعِ[2]، ومِنْ أَجْلِ ذلكَ شَكُّوا في نِسْبَتِهِ إلى الإباضيّةِ[3]، لَكِنَّ الدّلائلَ الدّقيقةَ تُؤَكِّدُ تَمَامًا أَنَّ جابرَ بنَ

---

[1] - سيدة إسماعيل كاشف: عُمان في فجر الإسلام، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، ط٣، ١٩٨٩م، ص٥٧.

[2] - قال أبو زرعة عن جابر بن زيد: بصري أزدي ثقة، إلاّ أنّه يورد رواية عن جابر بن زيد حين سئل عن انتحال الإباضيّة له، فقال: " أبرأ إلى الله من ذلك "، الجرح والتعديل لأبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، ج١، ص٤٩٤ - ٤٩٥، وطبيعي أنّه ليس من المعقول أن يقول جابر إنا نبرأ منهم لسائله.

- عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢٣.

[3] - عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢٣.

- عامر النجار: في مذاهب الإسلاميين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص٢٣٧.

زيدٍ هُوَ مُؤَسِّسُ المذهبِ الإباضيِّ، وهذا هوَ السّببُ الذي مِنْ أَجْلِهِ حَبَسَهُ الحجّاجُ بنُ يوسفَ الثّقفيُّ، ثُمَّ نَفَاهُ بعدَ ذلكَ إلى عُمانَ[1].

وَيَرْجِعُ الفضلُ في تنظيمِ أسلوبِ الدّعوةِ الإباضيّةِ إلى جابرِ بنِ زيدٍ[2]، وَلَعَلَّ ذكاءَ جابرِ بنِ زيدٍ في كِتْمَانِ مَذْهَبِهِ سَبَبًا في ذلكَ؛ لأَنَّهُ أباحَ للإباضيّةِ سَتْرَ أَمْرِهِمْ على سَبِيلِ التقيّةِ الدّينيةِ التي يُشْرَعُ أَمْرُهَا عندَ الإباضيّةِ في طَوْرِ السِّرِّ والكتمانِ، ومِنَ الواضحِ أنَّ المكانةَ العلميّةَ لجابرٍ هيَ التي خَوَّلَتْ لهُ ليكونَ الإمامَ القائدَ الموجِّهَ والمدبِّرَ، وَلَقَدِ انْتَهَجَ في نَشْرِ دعوتِهِ العملَ السرّيَّ وَالتَّسَتُّرَ، حَتَّى لاَ تَتَمَكَّنَ أَيَادِي السّلطةِ الأمويةِ مِنَ الوصولِ إليهَا وَالقضاءِ عليها في مَهْدِهَا[3]. وَظَهَرَ ذَكَاؤُهُ واضحًا في رَفْضِهِ القضاءَ حينَ عَرَضَ عليهِ الحجّاجُ مَنْصِبَ القضاءِ، فَأَظْهَرَ لهُ أَنَّهُ ضَعِيفٌ لاَ يَسْتَطِيعُ تَحَمُّلَ هذهِ المسؤوليةِ حتَّى تَبْتَعِدَ أنظارُ المسؤولينَ عنهُ وعنْ حَرَكَتِهِ، فَحِينَ عَرَضَ عليهِ القضاءَ قالَ جابرٌ: "إِنِّي أَضْعَفُ مِنْ ذَلِكَ". قالَ الحجّاجُ: وَمَا مَبْلَغُ ضَعْفِكَ؟

---

[1] - عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢٤.
- عامر النجار: في مذاهب الإسلاميين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص٢٣٨.

[2] - أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي: كتاب السير، مصدر سابق، ص١٢٤.

[3] - قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: الظروف السّياسيّة لنشأة الحركة الإباضيّة، المطبعة العربية، غرداية، د ط، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، ص٢٥.

قالَ: يَقَعُ بينَ المرأةِ وَخَادِمِهَا شَرٌّ فَلاَ أُحْسِنُ أنْ أُصْلِحَ بَيْنَهُمَا. قالَ: "إنَّ هَذَا لَهُوَ الضَّعْفُ". وَاسْتَطَاعَ بِذَلِكَ أنْ يُمَوِّهَ على الحجّاجِ أَمْرَهُ وَقُدُرَاتِهِ الْمُتَعَدِّدَةَ[1].

وممَّا يُبَيِّنُ لَنَا أنَّ جابرَ بنَ زيدٍ كانَ المسؤولَ عنِ التّنظيمِ السِّرِّيِّ الإباضيِّ مَا رُوِيَ عندَ اعتقالِ أحدِ مشايخِ الدّعوةِ الإباضيّةِ المسمَّى أبَا سفيانَ قُنْبرًا، "وكانَ شَيْخًا كبيرًا أُخِذَ وَجُلِدَ أَرْبَعَمِائَةِ سَوْطٍ على أنْ يَدُلَّ على أحدٍ منَ المسلمينَ فَلَمْ يَفْعَلْ، قالَ جابرُ بنُ زيدٍ: وَكُنْتُ قريبًا منهُ، وَمَا كنتُ أَنْتَظِرُ إلاَّ أنْ يقولَ: هذا هوَ. فَعَصَمَهُ اللهُ"[2].

---

[1] - علي يحيى معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص١١٤.

- عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢٤.

- عامر النجار: في مذاهب الإسلاميّن، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص٢٣٨.

- محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص١١٣.

- عوض محمد خليفات: النظم الإجتماعية والتربوية عند الإباضيّة في شمال إفريقية في مرحلة الكتمان، مصدر سابق، ص١٥.

- الدرجيني: طبقات المشايخ، مصدر سابق، ص٢١١.

- سالم بن حمود: إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، مصدر سابق، ص٢٧.

[2] - أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي: كتاب السير، مصدر سابق، ص٩٣.

لقدِ اسْتَطَاعَ الإمامُ لِعِلْمِهِ الواسعِ أنْ يَجْمَعَ حولَهُ الطلاّبَ والمؤيّدينَ وَالْمُعْجَبِينَ، وَأَصْبَحَتْ لهُ مجالسُ العلمِ والفتوَى يَجْلِسُ حولَهَا طلاّبُ أذكياءُ مِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُ عنهُ وعنْ غَيْرِهِ. وَمِنْ هُنَا كانَ المنطلقُ فَتَكَوَّنَتْ مدرسةُ جابرٍ بالبصرةِ، وَتَخَرَّجَ فيها حَمَلَةُ الْعِلْمِ الذينَ اشْتُهِرُوا في جميعِ أنحاءِ العالمِ الإسلاميِّ، فَرَكَّزُوا آرَاءَهُمْ وَمَنْهَجَهُمُ المعتدلَ الثابتَ في: الْيَمَنِ وَحَضْرَمَوْتَ وَالحجازِ وعُمانَ وخُراسانَ والسّندِ، وفي المغربِ الإسلاميِّ، حَيْثُ كَوَّنُوا دولةً قَوِيَّةً قَفَزَتْ بِهِمْ منْ مرحلةِ الكتمانِ إلَى مرحلةِ الظّهورِ[1].

وَتَعْبِيرًا عنْ تَعَلُّقِ الإباضيّةِ بِإِمَامِهِمْ جابرٍ فيمَا يَبْدُو لاَ نَجِدُ في المصادرِ الإباضيّةِ اسْتِخْدَامًا لهذهِ التّسميةِ، ولعلَّ الذينَ عَمَّمُوهَا في المصادرِ غيرِ الإباضيّةِ همْ بَنُو أميّةَ لِعَلاَقَتِهِمُ الظّاهرةِ بعبدِ اللهِ بنِ إباضٍ، فَإِنَّ الْمُتَتَبِّعَ لِلمصادرِ المشرقيّةِ بخاصّةٍ يَلْحَظُ غيابَ هذهِ التّسميةِ عندَ الحديثِ عنِ المذهبِ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْدَمُ بَدَلاً عنها مصطلَحُ: الشُّرَاةِ، أَوِ الْمُسْلِمِينَ، أوْ أَهْلِ الدّعوةِ والاستقامةِ، هَذَا علَى الأقلِّ إلى القرنِ الثالث عشرَ الهجريِّ[2].

---

[1] - محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الاباضيّة، مصدر سابق، ص٤٠-٤١.

- عوض محمد خليفات: النّظم الإجتماعية والتربوية عند الإباضيّة في شمال إفريقية في مرحلة الكتمان، مصدر سابق، ص١٥.

[2] - عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضيّة، مصدر سابق، ص٣١٦.

هذهِ هيَ العَلاقةُ الوطيدةُ بينَ الإمامِ جابرٍ وَمَذْهَبِ أهلِ الدّعوةِ والاستقامةِ كَمَا تُؤَكِّدُهَا المصادرُ الإباضيّةُ، في الوقتِ الذي نَجِدُ فيهِ بعضَ المصادرِ غيرِ الإباضيّةِ تُحَاوِلُ جاهدةً نَفْيَ هذهِ العلاقةِ[1].

ومِنَ الأسئلةِ التي يَطْرَحُهَا دَارِسُو تاريخِ الإباضيّةِ هيَ: لِمَاذَا لَمْ يُنْسَبِ المذهبُ إلى جابرِ بنِ زيدٍ معَ كونِهِ هوَ المؤسِّسَ الحقيقيَّ لهُ لَدَى الإباضيّةِ، وَنُسِبَ إلى ابنِ إباضٍ؟

إنَّ لهذا التّساؤلِ عدّةَ تَبْرِيرَاتٍ، وَاتِّخَاذُ جابرٍ للتقيّةِ مِنْ أهمِّ التبريراتِ، فلمْ يَعْلَمْ مِنْ غَيْرِ أَتْبَاعِ الحركةِ أنّهُ يَنْتَمِي إليها، وكانَ مَعْرُوفًا بأنّهُ مُحَدِّثٌ وَفَقِيهٌ، تَوَلَّى التّدريسَ والإفتاءَ بالبصرةِ فقطْ، أمَّا عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ الذي نُسِبَتْ إليهِ الفِرقةُ فَقَدْ تَوَلَّى التّمثيلَ السّياسيَّ، فَتَكَلَّمَ ودافَعَ عَنْهَا، وكانتْ تَوْلِيَتُهُ لهذا المنصبِ لِمَا أُوتِيَ مِنْ قوّةِ المناظرةِ وَالمُحَاجَجَةِ، كَمَا أنّهُ يَنْتَمِي إلى قبيلةٍ قويّةٍ آنَذَاكَ، وهيَ قَبِيلَةُ بَنِي تميمٍ، والتي تَوَلَّتْ حِمَايَتَهُ مِمَّا قَدْ يَلْحَقُهُ مِنَ السّلطةِ الأمويّةِ[2].

وقدِ ارْتَكَزَتْ سياسةُ جابرٍ في تأسيسِ فِرقةِ الإباضيّةِ بالبصرةِ على قواعدَ أساسيّةٍ نُجْمِلُهَا فِيمَا يَلِي:

---

[1] - محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص١١٠.

[2] - قاسم بن أحمد الشيخ يالحاج: الظروف السّياسية لنشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢٧.

أَوَّلاً: أنَّ كلَّ المصادرِ التّاريخيةِ قدْ سَجَّلَتْ أنَّ جابرًا قدْ أَصَرَّ في قرارةِ نفسِهِ على أنْ يَنْتَهِجَ سياسةً مخالِفَةً لِتِلْكَ التي اتَّبَعَهَا هؤلاءِ الذينَ خَرَجُوا ضِمْنَ مَنْ خَرَجَ وَقْتَ قَبُولِ عليٍّ التّحكيمَ مِنَ الأزارقةِ وغيرِهِمْ مِنْ مُتَطَرِّفِي الخوارجِ، وَيَبْدُو أنَّ هذا التّصرفَ مِنْ جابرِ بنِ زيدٍ كانَ يَنُمُّ عنْ ذكاءٍ سياسيٍّ حَادٍّ لَمْ يَفْهَمْهُ غيرُ الحَجَّاجِ بنِ يوسفَ الثّقفيِّ الذي - بَعْدَ أنِ اسْتَنْفَذَ كلَّ طُرُقِ المحايلةِ والإغراءِ معَ جابرِ بنِ زيدٍ - لَجَأَ إلى نَفْيِهِ لعُمانَ؛ الأمْر الذي زَادَ مِنْ حماسةِ جابرِ بنِ زيدٍ، مِنْ ناحيةٍ أَخَذَ يَعْمَلُ على تَقْوِيَةِ نشاطِ فِرقةِ الإباضيّةِ في الخليجِ العربيِّ، وذلكَ بِتَوْطِينِ فِكْرِ وآراءِ فِرْقَتِهِ في عُمانَ، وَرَغْمَ أنَّ المصادرَ المختلفةَ لاَ تُبَيِّنُ مَتَى نُفِيَ جابرُ بنُ زيدٍ إلى عُمانَ وَلاَ مَتَى عَادَ[1]، لَكِنَّ الثّابتَ أنَّ جابرَ بنَ زيدٍ عَادَ إلى البصرةِ مُكَمِّلاً لِمَذْهَبِهِ الدّينيِّ والسّياسيِّ؛ مُحَاوِلاً القضاءَ على أيِّ ملكٍ مُسْتَبِدٍّ لاَ يَسْتَنِدُ على القرآنِ والسنّةِ وَالإجماعِ[2].

ثانيًا: كانَ جابرُ بنُ زيدٍ مَعَ زُهْدِهِ سِيَاسِيًّا مُحَنَّكًا مَعَ الحزمِ والدّهاءِ على نحوِ مَا يَتَّضِحُ فيمَا يَلِي:

* الحزمُ السّياسيُّ عندَ جابرِ بنِ زيدٍ: فَقَدْ أَصْبَحَ جابرُ بنُ زيدٍ قُدوةً لِمَنْ جاءَ بعدَهُ مِنَ الأئمّةِ الإباضيّةِ في حَزْمِهِ السّياسيِّ، حَيْثُ أَحَلُّوا الدّماءَ بالظُّلْمِ

[1] - سيد اسماعيل كاشف: عُمان في فجر الإسلام، مصدر سابق، ص٦٣.

[2] - سالم بن حمود: إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، مصدر سابق، ص٢٥.

وَالابتداءَ بِهِ[1]. فَمَثَلاً إِذَا خَرَجَ مِنْ مذهبِ المسلمينَ (الإباضيّةِ) أحدٌ وعابَ عَلَيْهِمْ وَطَعَنَ في مُعْتَقَدِهِمْ وَأَفْشَى أَسْرَارَهُمْ، فَقَدْ كانَ جابرٌ يَأْمُرُ أَتْبَاعَهُ بِقَتْلِ كُلِّ مَنْ يَنْدَرِجُ تحتَ هذا النّوعِ، معَ التّسامحِ معَ الَّذِي يَتْرُكُهُمْ دُونَ أنْ يُفْشِيَ سِرَّهُمْ، والواقعُ أنَّ جابرًا كانَ يُكَرِّرُ الطّلبَ في وجوبِ السّريّةِ في جميعِ مُراسلاتِهِ معَ أعوانِهِ وأتباعِهِ، ويَطْلُبُ أحيانًا تَمْزِيقَ رسائلِهِ إليهمْ وحَرْقَهَا حتَّى لاَ تَصِلَ إلى أَيْدِي أعدائِهِمْ، فَتُؤَدِّي بالتّالي إلى كَشْفِ تنظيمِهِمْ وإجهاضِ حَرَكَتِهِمْ[2].

* **الدَّهَاءُ السِّيَاسِيُّ عندَ جابرِ بنِ زيدٍ:** مِنْ أبرزِ أمثلةِ هذا الدّهاءِ هوَ تجنُّبُ جابرٍ لأيِّ احتكاكٍ معَ السّلطةِ، ولمْ يُؤْثَرْ أنّهُ تَعَرَّضَ لأَذًى قَبلَ تَوَلِّي الحجّاجِ السّلطةَ في العراقِ على الرَّغْمِ مِنْ أنَّ بَعْضَ أصحابِهِ قَدْ لَقِيَ عَنَتًا كَبِيرًا على يَدِ الولاّةِ منذُ أيّامِ ابنِ زيادٍ[3].

ثُمَّ إنَّ مُوَافَقَةَ جابرٍ علَى تولِّي أتباعِهِ عددًا مِنَ المراكزِ والمهامِّ الرّسميةِ في جهازِ الدّولةِ[4]، حَيْثُ كانَ يَرَى أنَّ هؤلاءِ يُسْهِمُونَ في تَوْفِيرِ مُناخٍ مُناسبٍ

---

[1] - عوض محمد خليفات: الأصول التّاريخية للفرقة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢٣.

[2] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص٢٦.

[3] - سالم بن حمود: إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، مصدر سابق، ص٢٧.

[4] - عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢٧.

لِنَشْرِ دَعْوتِهِ في تلكَ الأمصارِ والولاياتِ، وَيُشَكِّلُونَ دعامةً لهَا. هذهِ الموافقةُ تُعْتَبَرُ دَرْبًا آخرَ مِنْ دُرُوبِ الفِطنةِ السّياسيّةِ عندَ جابرِ بنِ زيدٍ الذي رَفَضَ هوَ نَفْسُهُ قَبُولَ أيِّ مَنْصِبٍ عندَ الدّولةِ الأمويّةِ[1].

في حينِ نَجِدُ مِنْ جهةٍ أُخْرَى أنَّ المصادرَ غيرَ الإباضيّةِ تَرَى عَكْسَ هذا؛ إذْ إنَّهَا تَنْفِي إمامةَ جابرِ بنِ زيدٍ للإباضيّةِ، وهذَا ما نَجِدُهُ في روايةِ أبي نُعَيْمٍ عنْ هِندٍ بنتِ المهلبِ، التي تُؤَكِّدُ فيها أنَّ جابرَ بنَ زيدٍ "كانَ أشدَّ النّاسِ انْقِطَاعًا إليَّ وإلَي أمِّي، فمَا أَعْلَمُ شَيْئًا يُقَرِّبُنِي إلى اللهِ ﷻ إلاَّ أَمَرَنِي بهِ، ولاَ شَيْئًا يُبَاعِدُنِي عنِ اللهِ ﷻ إلاَّ نَهَانِي عنهُ، وَمَا دَعَانِي إلى الإباضيّةِ قط، ولاَ أَمَرَني بها، وإنْ كانَ لَيَأْمُرُنِي أنْ أَضَعَ الخمارَ، وَوَضَعَتْ يَدَهَا علَى الجَبْهَةِ"[2].

وَنَجِدُهُ في كتابِ الطبقاتِ لابنِ سعدٍ في الحوارِ الذي دَارَ بينَ الإمامِ جابرِ بنِ زيدٍ وبينَ الإمامِ الحسنِ البصريِّ، فَيَرْوِي ثابتٌ البنانيُّ: "دَخَلْتُ على جابرِ بنِ زيدٍ وقدْ ثَقُلَ، قالَ: فَقُلْتُ لهُ: مَا تَشْتَهِي؟ قالَ: نظرةً مِنَ الحَسَنِ، قالَ: فَأَتَيْتُ الحسنَ وهوَ في منزلِ أبي خليفةَ، فَذَكَرْتُ ذلكَ لهُ، فقالَ: اخْرُجْ بِنَا إِلَيْهِ. قالَ: قُلْتُ: إنِّي أخافُ عليكَ. قالَ: إنَّ اللهَ ﷻ سَيَصْرِفُ عنِّي أَبْصَارَهُمْ.

---

[1] - نايف عيد جابر السهيل: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مصدر سابق، ص٢٧.

[2] - أحمد بن عبد الله، أبو نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٥٢هـ، ج٣، ص٨٩.

قالَ: فَانْطَلَقْتُ حتى دَخَلْنَا عليهِ، قالَ: فقالَ لهُ الحسنُ: يا أَبَا الشَعثاءِ، قُلْ لاَ إلٰه إلاَّ اللهُ. قالَ: فقالَ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[1]. قالَ: فَتَلاَ هذهِ الآيةَ، قالَ: فَقَالَ لهُ الحسنُ: إنَّ الإباضيّةَ تَتَوَلاَّكَ. قالَ: فَقَالَ: أَبْرَأُ إلى اللهِ ﷻ مِنْهُمْ. ثُمَّ خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ[2].

وَيَرُدُّ محمد عوض خُلَيْفَات علَى هذهِ الرّوايةِ التي تُؤَكِّدُ عَدَمَ انتسابِ جابرٍ إلى الإباضيّةِ بأنَّ "الحسنَ البصريَّ الذي كانَ صَدِيقًا لجابرِ بنِ زيدٍ، وَأَنَّهُ كانَ يَعْرِفُ آراءَ جابرٍ ومُعتقدَهُ قبلَ زِيَارَتِهِ وهوَ على فراشِ الموتِ، وَلَيْسَ ذلكَ الوقتَ المناسبَ لأَنْ يَطْرَحَ البصريُّ على جابرٍ مثلَ هذا السّؤالِ"[3].

[1] - سورة الأنعام، الآية ١٥٨.

[2] - ابن سعد: الطبقات الكبرى، مصدر سابق، ج٧، ص١٨١.

[3] - عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٩٣.

المطلبُ الثّالثُ: أَبُو عُبَيْدَةَ مُسْلِمُ بنُ أبي كريمةَ الْمُخَطَّطُ الْمُحَنَّكُ

هوَ أبو عُبَيْدَةَ مسلمُ بنُ أبي كريمةَ، هوَ مَوْلَى بَنِي تَمِيمٍ، ويقالُ إنّهُ كانَ مَولًى لِعروةَ بنِ أديَةَ التّميميِّ أخِي مرداسٍ[1]، أَصْلُهُ مِنْ فَارِس، كانَ آيةً في الذّكاءِ، أُوتِيَ المقدرةَ والكفاءةَ في التّنظيرِ وَحُسْنِ التّدبيرِ؛ سِيَاسِيٌّ مُحَنَّكٌ، وَعَالِمٌ جليلٌ، عَرَفَتِ الإباضيَّةُ على يَدَيْهِ أكبرَ إِنْجَازَاتِهَا السّياسيةِ في المشرقِ والمغربِ[2].

وُلِدَ بالبصرةِ وعاشَ بِهَا، ويقالُ إنّهُ كانَ زنجيًّا أَسْوَدَ اللَّوْنِ، أَعْوَرَ، وقدْ عَمِيَ آخرَ عُمُرِهِ، عَاشَ فقيرًا يَقْتَاتُ مِنْ عملِ السّعفِ، يَصْنَعُ منها الْقِفَافَ، ولذلكَ

---

[1] - محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٢٧.
- يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ الإباضيّة في المغرب الإسلامي من القرن الثاني إلى القرن السّابع الهجري، مصدر سابق، ص٣١.

[2] - مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج٤، من حرف الفاء إلى حرف الياء، ص٨٧٣.

لُقِّبَ بالقَفَّافِ[1]، وَقِيلَ إِنَّهُ ادَّعَى صُنْعَ القِفافِ وَتَعْلِيمَهَا إمعانًا في التّمويهِ حتَّى سُمِّيَ بالْقَفَّافِ[2].

يُمْكِنُ القولُ إِنَّ ولادتَهُ - معَ اختلافاتِهَا عندَ الباحثِينَ - كانتْ حَوالَيْ سنةِ ٤٥هـ/٦٦٥م، وَتُوُفِّيَ حوالَيْ سَنَة ١٤٥هـ/٧٦٢م، حَسَبَ بَعْضِ القرائنِ التّاريخيّةِ، وكُنِيَ الإمامُ أبو عُبيدَةَ بِابْنَتِهِ عُبَيْدَةَ التّي أَخَذَتِ العِلْمَ عنْ وَالِدِهَا، فَرُوِيَتْ عَنْهَا آثارٌ في كُتُبِ الفقهِ الإباضيِّ[3].

أَخَذَ الإمامُ أبو عُبيدةَ العِلْمَ عنْ شيوخٍ أَجِلاَّءَ مِثْلِ الصّحابيِّ صحّارٍ العبديِّ، وجابرِ بنِ زيدٍ، وجعفرِ بنِ السمّاكِ، وضمّامِ بنِ السّائبِ، وهمْ أَشْهَرُ علماءِ الإباضيّةِ في مرحلةِ الكتمانِ[4]. وَطَّنَ نَفْسَهُ علَى طَلَبِ العِلْمِ والاستفادةِ

---

[1] - محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٢٧- ١٢٨.
- علي يحيى معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص١١٨.

[2] ـــــ مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج٤، من حرف الفاء إلى حرف الياء، ص٨٧٣ – ٨٧٤.

[3] - محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٢٧-١٢٨.
- مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج٤، من حرف الفاء إلى حرف الياء، ص٨٧٣.

[4] - محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٢٧.

منهُ، فَقَدْ مَكَثَ في التّعلُّمِ طَالِبًا أَرْبَعِينَ سنةً، ثمَّ مَكَثَ بعدَ ذلكَ في التّعليمِ أُسْتَاذًا أَرْبَعِينَ سنةً أُخْرَى[1].

يُعْتَبَرُ أبو عُبَيْدَةَ الرُّكْنَ الثّالثَ في المدرسةِ الإباضيّةِ تاريخيًّا، تَمَكَّنَ أنْ يُنَظِّمَ الحركةَ الإباضيّةَ بعدَ أستاذِهِ جابرِ بنِ زيدٍ بِكُلِّ ذكاءٍ ومهارةٍ، مُعْتَمِدًا في ذلكَ على التّربيةِ القرآنيّةِ، فَأَنْشَأَ مدرسةً سِرِّيَّةً في البصرةِ لِتَخْرِيجِ دُعاةِ البناءِ والحقِّ والدّعوةِ[2]، حتَّى قِيلَ إنّهُ كانَ يُدَرِّسُ في مجالسَ سِرِّيَّةٍ في سرْدَابٍ، وَجَعَلَ فيهِ سلسلةً، وَطَفِقَ يَعْمَلُ القِفَافَ ببَابِ السّردابِ، فَمَتَى رَأَى شخصًا مُقْبِلاً حَرَّكَ السّلسلةَ فَسَكَتُوا، فإذَا انْصَرَفَ حَرَّكَهَا فَيَأْخُذُونَ في دِرَاسَتِهِمْ[3]. وَلَقَدْ تَخَرَّجَ عَلَى يَدِهِ حَمَلَةُ العِلمِ، وهؤلاءِ هُمْ: سَلَمَةُ بنُ سعدٍ، الرّبيعُ بنُ حبيبٍ، عبدُ الرّحمنِ بنُ رُسْتُمَ، وعاصمٌ السّدراتيُّ، إسماعيلُ بنُ درارٍ الغدامسيُّ، أبو داوودَ القبليُّ، أبو الخطّابِ عبدُ الأعلى بنُ السّمحِ المعارفيُّ،

---

[1] ـــــ مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج٤، من حرف الفاء إلى حرف الياء، ص٨٧٤.

- عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢٥.

[2] - بكير سعيد أعوشت: أضواء إسلاميّة على المعالم الإباضيّة، بيانها حقائقها تاريخها، مصدر سابق، ص١٢.

[3] - عبد الرّحمان عثمان حجازي: تطوّر الفكر التّربوي الإباضي في الشّمال الإفريقي، من القرن الأوّل حتّى القرن العاشر هجري (٩٥هـ/٧١٣م) - (٩٢٨هـ/١٥٢٠م)، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٢٦.

والجلندَى بنُ مسعودٍ[1]. وقدْ وَاصَلَ السَّيْرَ علَى نَفْسِ خُطَى أُستاذِهِ مُلْتَزِمًا بِمَبْدَأِ الدّعوةِ السِّلْمِيَّةِ وَالسِّرِّيَّةِ.

وَلأَبِي عُبَيْدَةَ كذلكَ مكانةٌ علميّةٌ مُعْتَبَرَةٌ، فهوَ التّلميذُ الأكبرُ لجابرِ بنِ زيدٍ، ولَازَمَهُ طولَ حياتِهِ، وَرَوَى عنهُ أحاديثَ كثيرةً، وكانَ عَضُدَهُ الأيمنَ في كلِّ شؤونِ تسييرِ الجماعةِ، لذَا فَقَدِ اكْتَسَبَ خِبْرَةً كبيرةً منْ أُسْتَاذِهِ زَوَّدَتْهُ بالتّجربةِ الكافيةِ لِتَحَمُّلِ المسؤوليّةِ مُبَاشَرَةً بعدَ وَفَاتِهِ[2].

وَنَظَرًا لِنَشَاطِهِ الدَّؤُوبِ تَعَرَّضَتْ لهُ عُيُونُ الحجَّاجِ بنِ يوسفَ الثّقفيِّ، فَأَدْخَلَهُ سِجْنَهُ، وَلَمْ يَخْرُجْ منهُ حتَّى هلكَ الحجَّاجُ سنةَ ٩٥هـ/٧١٣م، فَأُفْرِجَ عنهُ لِيَعُودَ إلى نشاطِهِ العلميِّ والدعويِّ، فَتَوَلَّى إمامةَ الإباضيَّةِ بعدَ الإمامِ جابرِ بنِ زيدٍ الذي تُوُفِّيَ سنةَ ٩٣هـ/٧١١م.

فإذَا كانتِ الإباضيَّةُ عَرفَتْ إِمَامَتَهَا العِلمِيَّةَ في شَخْصِ الإمامِ جابرِ بنِ زيدٍ الأزديِّ، وَإِمَامَتَهَا السِّيَاسِيَّةَ في شَخْصِ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ المرِّيِّ التميميِّ، فإنَّهَا عَرَفَتْهُمَا معًا في شخصِ أبي عُبَيْدَةَ مسلمِ بنِ أبي كريمةَ، الذي بَعَثَهُ اللهُ على رَأْسِ المائةِ الثّانيةِ لِيُحْيِيَ لهذهِ الأمَّةِ أَمْرَ دِينِهَا؛ فَخَلَفَ جابرَ بنَ زيدٍ

---

[1] - بكير سعيد أعوشت: أضواء إسلاميّة على المعالم الإباضيّة، بيانها حقائقها تاريخها، مصدر سابق، ص١٢.

[2] - قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: الظروف السّياسية لنشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢٨.

وَتَابَعَ أَعْمَالَهُ وإنجازاتِهِ، وَنَظَّرَ للنّجاحاتِ الكبيرةِ التي حَقَّقَهَا الإباضيَّةُ في خلالِ عَهْدِهِ في النصفِ الأَوَّلِ مِنَ القرنِ الثاني الْهِجْرِيِّ[1].

ومَا مِنْ شَكٍّ في أنَّ التّجربةَ التّي مَرَّ بها شَيْخُهُ مِنْ قَبْلِهِ، وَمَا تَعَرَّضَتْ لهُ الحركةُ مِنْ ظُلْمِ الأُمويِّينَ، وَالْمُدَّةَ التّي قَضَاهَا في السِّجْنِ إلى جانبِ إخوانِهِ مِنَ الدّعاةِ؛ هذهِ العواملُ كلُّهَا إلى جانبِ الخصائصِ القياديّةِ التّي امْتَازَ بِهَا أَهَّلَتْهُ لِيَكُونَ القائدَ العظيمَ في هذهِ المرحلةِ العَصِيبَةِ[2].

ولقدِ اكْتَمَلَتْ صورةُ المذهبِ الإباضيِّ علَى يدِ أبي عبيدةَ مسلمِ بنِ أبي كريمةَ، المتوفَّى في خلافةِ أبي جعفرٍ المنصورِ، وإليهِ انْتَهَتْ رئاسةُ الإباضيّةِ بعدَ موتِ جابرِ بنِ زيدٍ. وَبِإِشَارَتِهِ أَسَّسَ الإباضيّةُ في كلٍّ مِنَ المغربِ وَحَضْرَمَوْتَ دُولاً مُسْتَقِلَّةً، وَتَخَرَّجَ على يَدَيْهِ رجالُ الفِكْرِ والدِّينِ مِنْ مُخْتلفِ الدّولِ الإسلاميّةِ آنَذَاكَ عُرِفُوا بِحَمَلَةِ العِلمِ. وَلَقَدْ أَفْلَحَ عبدُ الرحمنِ بنُ رستمَ في تأسيسِ الدّولةِ الإباضيّةِ بِـ "تهارْتَ" فَهُوَ تلميذٌ مِنْ تلاميذِ أبي عبيدةَ وَأَحَدُ حَمَلَةِ العِلْمِ[3].

---

[1] - مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج٤، من حرف الفاء إلى حرف الياء، ص٨٧٤.

[2] - محمد صالح ناصر: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٢٨.

[3] - بكير بن سعيد أغوشت: دراسات إسلامية في الأصول الإباضيّة، مصدر سابق، ص١٦.

ولقدْ كانَ ابنُ أبي كريمةَ صاحِبَ عَقْلٍ مُرَتَّبٍ مُنَظَّمٍ مُخَطِّطٍ للإباضيّةِ، فَدَبَّرَ وَنَظَّمَ وَجَمَعَ أَمْوَالاً كثيرةً، وَتَمَكَّنَ مِنْ شراءِ الأسلحةِ والمعدّاتِ لِتَظْهَرَ في الوقتِ المناسبِ لاسْتِخْدَامِهَا في الاستعانةِ علَى ظهورِ المذهبِ الإباضيِّ، وقدِ اسْتَطَاعَ أعوانُهُ نَشْرَ المذهبِ الإباضيِّ في الأطرافِ في اليمنِ وكذلكَ بينَ المغاربةِ، بلِ اسْتَطَاعُوا إعلانَ إمامةِ الظُّهُورِ سنةَ ١٤٠هـ/٧٥٧م[١].

كمَا شَهِدَتِ الدّعوةُ في عَهْدِهِ تنظيمًا داخليًّا مُحكمًا بِإِنْشَاءِ مجالسَ للعلماءِ والأعيانِ والعامّةِ، كلٌّ يقومُ بِدَوْرِهِ للمحافظةِ علَى الدّعوةِ وَتَدْعِيمِ قَوَاعِدِهَا، وَتَنْظِيمِ صُفُوفِهَا، هَذَا ما جَعَلَهَا تَشْهَدُ انْتِشَارًا أَسْرَعَ في عَهْدِهِ وَتَصِلُ إلى مناطقَ بعيدةٍ عنْ قَلْبِ الدّعوةِ في البصرةِ بالمشرقِ، فَيَرْجِعُ إليهِ الفضلُ في إيصالِ وَنَشْرِ الدّعوةِ الإباضيّةِ إلى حَضْرَمَوْتَ وَعُمَانَ بالمشرقِ وَإِلَى لِيبيا وتُونسَ والجزائرِ بالمغربِ الإسلاميِّ.

وَفِيمَا يَخُصُّ المغربَ فقدْ كانَ ذلكَ على يَدِ البعثةِ العلميّةِ التي تَخَرَّجَتْ علَى يَدِهِ سنةَ ١٤٠هـ بعدَ أنْ مَكَثَتْ بالبصرةِ خَمْسَ سنواتٍ مِنْ سنةِ ١٣٥هـ إلى ١٤٠هـ في تَلَقِّي العِلْمِ في مَعْهَدِهِ[٢].

---

[١] - عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢٥.

[٢] - قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: الظروف السياسية لنشأة الحركة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢٩.

وَيَبْدُو أَنَّ حُسْنَ التَّنظيمِ وَسِرِّيَّةَ العملِ والقيادةَ الحكيمةَ لِرجالِ المذهبِ الإباضيِّ سَاعَدَ علَى انتشارِ المذهبِ، سواءٌ كانَ ذلكَ في مرحلةِ إمامةِ جابرٍ أوْ مَرْحَلَةِ إمامةِ ابنِ أبي كريمةَ[1].

وَيُجْمِلُ مَهْدِي طالب الأسبابَ التي أَدَّتْ إلى نجاحِ الدّعوةِ الإباضيّةِ في هذهِ المرحلةِ فيما يَأْتِي:

- أَوَلاً: نظرةُ أبي عبيدةَ مسلمِ بنِ أبي كريمةَ، وَدِرَاسَتُهُ المستوعبةُ مُشْكِلاتِ المناطقِ التي كَانَتْ مُسْتَاءَةً مِنَ الحكمِ الأمويِّ، وعلاقةَ هذهِ المناطقِ بالسّلطةِ المركزيّةِ مِنْ حيثُ القوّةُ والضّعفُ، فَعِنْدَمَا أَدْرَكَ أبو عبيدةَ مسلمُ بنُ أبي كريمةَ أنَّ الدّولةَ الأمويّةَ في طَرِيقِهَا إلى الزّوالِ أَوْعَزَ إلى إباضيّةِ اليمنِ بالتَّعْجِيلِ بالثّورةِ، ولمْ يُفَكِّرُوا في الثّورةِ مِنَ البصرةِ رُغْمَ أَنَّهَا المراكزُ الأمُّ لِتَنْظِيمِهَا لأسبابٍ أَوْجَهُهَا قُرْبُ البصرةِ مِنْ مَرَاكِزِ الحُكْمِ القويّةِ، وَوُجُودُ عَدَدٍ مِنَ الأحزابِ الأُخْرَى.

- ثانيًا: القيادةُ الجماعيّةُ للدّعوةِ؛ إِذْ تَوَفَّرَتْ مجموعةٌ مِنَ المشايخِ الإباضيّةِ كَمَجْلِسِ شُورَى مِنْ ذَوِي القُدُراتِ التَّنْظيميّةِ في مساعدةِ ابنِ أبي كريمةَ، كَضَمّامِ بنِ السّائبِ وأبِي الحرِّ بنِ حصينٍ، وَحَاجِبٍ الذي كانَ مسؤولاً عن

[1] - عامر النجار: في مذاهب الإسلاميين: الخوارج، الإباضيّة، الشيعة، مصدر سابق، ص٢٤١.

جميعِ النّشاطاتِ العسكريّةِ، وقدْ قامَ بجَمْعِ المالِ والسّلاحِ للثّورةِ باليمنِ سنةَ ١٢٩هـ إبّانَ ضَعْفِ الدّولةِ الأمويّةِ.

- ثالثًا: المقدرةُ الفكريّةُ التي يَتَمَتَّعُ بها الدّعاةُ الإباضيّةُ وجَذْبُهُمْ لِقُلُوبِ النّاسِ لِمَذْهَبِهِمْ، وقدْ كانَ ابنُ أبي كريمةَ عالمًا بليغًا وفقيهًا بارزًا، كما كانَ سَلَفُهُ جابرُ بنُ زيدٍ مِنْ علماءِ الحديثِ ورجالِ الفقهِ الإسلاميِّ الكبارِ[١].

- رابعًا: الإخلاصُ والولاءُ الْمُتَنَاهِي لهؤلاءِ القادةِ الذينَ أَوْقَفُوا حيَاتَهُمْ على الدّعوةِ لِمَذْهَبِهِمْ دونَ أيِّ دوافِعَ أوْ رَغَبَاتٍ اجتماعيّةٍ أوْ ماديّةٍ كقولِ الدّاعيةِ سَلَمَةَ بنِ سعيدٍ أوّلِ داعيةٍ إباضيٍّ ببلادِ المغربِ: "وَددْتُ أنْ يَظْهَرَ هذا الأمرُ - يَعْنِي مذهبَ الإباضيّةِ - بالمغربِ يومًا واحدًا مِنْ غَدْوةٍ إلى ليلٍ، فَمَا أُبَالِي ضَرْبَةَ عُنُقِي"[٢].

- خامسًا: صلابةُ الدّعاةِ في مرحلةِ الكتمانِ والتّخَفِّي علَى التّنظيمِ السِّرِّيِّ رُغْمَ تَعَرُّضِهِمْ لصُنُوفِ التّعذيبِ، وَظَهَرَ هذا وَاضِحًا مِنْ مواقفِ الدّعاةِ الصّلبةِ وَعَدَمِ التّصريحِ بِوُجُودِ مثلِ هذا التّنظيمِ، ممَّا يَجْعَلُ السّلطتَيْنِ الأمويّةَ

---

[١] - عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢٦.

[٢] - عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢٧.

والعبَاسيّةَ لَا تُعِيرُ أَدْنَى اهْتِمَامٍ سِيَاسِيٍّ أَوْ عَسْكَرِيٍّ لهذهِ القوّةِ المتَنَاهيةِ في السِّرِّ والخفاءِ، وَبِهَذَا نَسْتَطِيعُ أنْ نُفَسِّرَ نَجَاحَ الإباضيّةِ[1] وَبَقَاءَهَا حتَّى اليومِ[2].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[1] - نجحت الإباضيّة في إقامة عدة دول كالدولة الإباضيّة في عمان، والدولة الرستمية في تاهرت بالمغرب.

[2] - عامر النجار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص١٢٧.

المبحثُ الثّالثُ: أَهَمُّ الآراءِ العقديّةِ عندَ الإباضيّةِ

المواضيعُ والمسائلُ التّي سَنُورِدُهَا في هذا المبحثِ تَتَحَكَّمُ فيها المَادةُ العلميّةُ التّي عَثَرْنَا عَلَيْهَا، لِذَلِكَ سَأَقْتَصِرُ على ما أَوردَتْهُ المصادرُ الإباضيّةُ فقطْ، دونَ مُقَارَنَتِهَا بِغَيْرِهَا مِنَ المصادرِ غيرِ الإباضيّةِ، وَسَأَتَحَدَّثُ عنْ أهمِّ العقائدِ الإباضيّةِ فقطْ دونَ التّفصيلِ في أَدِلَّتِهَا؛ لأنَّ ذلكَ يَتَطَلَّبُ بَحْثًا مُسْتَقِلاً.

أَوَّلاً: التَّوحيدُ

كُلُّ ما في الكونِ يُثْبِتُ وجودَ اللهِ، فإحكامُ صُنْعِهِ وتدبيرِهِ في العالمِ، وَخَلْقُ الإنسانِ، وانتقالُهُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ؛ دليلٌ على وجودِهِ ﷻ. ومعرفةُ وجودِ اللهِ ﷻ تَحْصُلُ للإنسانِ إمَّا بالعقلِ أوْ بالنّقلِ. وقدْ لَخَّصَ لنا بَكارُ بنُ محمَّدٍ الفزّانيُّ[1] طُرُقَ إثباتِ وجودِ اللهِ ﷻ في جوابِ رَجُلٍ لآخرَ قالَ فيهِ: "قالَ

---

[1] - هو بكّار بن محمد الفزّاني من طبقة الإمام عبد الوهّاب بن رستم (ت٢٠٨هـ/٨٢٣م)، قال الشمّاخي: "له مؤلّفات" ولكنّه لم يذكرها، له كتاب يعرف باسمه: "كتاب بكّار بن محمّد الفزّاني"، ومنه نسخة بمكتبة عشيرة آل يدّر ببني يسجن، ونسخة أخرى رديئة بالمكتبة البارونية بجربة، وجزء منها في مكتبة آل أفضل.
- مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، ج٢، من حرف الألف إلى حرف الزاي، ص١٧٣.

اللهُ ﷻ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[1]. اللهُ ﷻ اللطيفُ الخبيرُ لَطفَ بعبادِهِ حِينَ أَخْبَرَهُمْ عنْ نَفْسِهِ مِنْ غيرِ رُؤيةٍ ولاَ مُشافهةٍ، فَإِنَّمَا عُرِفَ اللهُ ﷻ برُسلِهِ معَ الإلهامِ مِنَ اللهِ ﷻ والتوفيقِ، وَعُرِفَتِ الرّسلُ باللهِ ﷻ، وبالإلهامِ الذي يَقْذِفُهُ اللهُ ﷻ في قلوبِ العبادِ، والتّوفيقِ"؛ فَأَدِلَّةُ وجودِ اللهِ ﷻ عندَ بكارٍ تَتَمَثَّلُ في:

١ - التَّمَعُّنِ في بَدَائِعِ صُنْعِ اللهِ ﷻ، بِإِيرَادِهِ للآيةِ.

٢ - إِخْبَارِهِ جَلَّ وَعَلاَ عنْ نَفْسِهِ.

٣ - إِرْسَالِهِ الرُّسُلَ الْمُبَلِّغِينَ.

٤ - الإلهامِ الذي يَقْذِفُهُ اللهُ ﷻ في عِبَادِهِ[2].

هذهِ هيَ أهمُّ الاستدلالاتِ لإثباتِ وجودِ اللهِ ﷻ، والوصولِ إلى معرفتِهِ، وقدْ جَاءَتْ بَسِيطَةً وَمُقْنِعَةً بَعِيدَةً عنِ الصّياغةِ الفلسفيّةِ المنطقيّةِ الموغلةِ في الاستنباطِ العقليِّ. وَبَعْدَ إثباتِ وجودِ اللهِ ﷻ علينَا أنْ نُوَحِّدَهُ[3].

---

[1] - سورة فصلت، الآية: ٥٣.

[2] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، تقديم: وينتن مصطفى بن النّاصر، مكتبة الضّامري للنّشر والتّوزيع، السّيب، سلطنة عُمان، د ط، ٢٠١٣م، ص٢٨٠.

[3] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٢٨١.

التَّوحيدُ لُغَةً: مأخوذٌ مِنْ مادّةِ "وَحَّدَ" اللهَ ﷻ: أَقَرَّ وآمَنَ بأَنَّهُ واحدٌ. و- الشيءَ: جَعَلَهُ وَاحِدًا[1]، وَانْفَرَدَ بِنَفْسِهِ[2]، حَيْثُ يَتَّضِحُ أَنَّ هذا التّعريفَ جمعَ بينَ المعنَى اللغويِّ والاصطلاحيِّ للكلمةِ[3].

التَّوحيدُ اصطلاحًا: يُعَرِّفُهُ الإمامُ جابرُ بنُ زيدٍ قائلاً: "التّوحيدُ معرفةُ اللهِ ﷻ، وَنَفْيُ الأشباهِ والأمثالِ عنهُ، ومَنْ لاَ يَعْرِفُ توحيدَ اللهِ ﷻ فليسَ بمؤمنٍ". وَيَعْتَبِرُ الإمامُ أبو عبيدةَ التّوحيدَ مِنْ أفضلِ العلْمِ. وَأَنَّهُ فرْضٌ على كلِّ مُكلَّفٍ. وَيَعْتَبِرُ أبو ستةَ (ت ١٠٨٨هـ) التّوحيدَ أيضًا مِنَ العلمِ الذي لاَ يَسَعُ جَهْلُهُ[4].

وَخُلاَصَةُ مَا عِنْدَ الإمامِ الإباضيِّ محمدِ بنِ يوسفَ أَطْفيّش في هذا الموضوعِ: "مَتَى أَتَى العبدُ بجملةِ التّوحيدِ كاملةً فقدْ تمَّ التّوحيدُ، وَخَرَجَ مِنَ الشّركِ. وَهَذِهِ الجملةُ هيَ شهادةُ أن لاَ إله إلاَّ اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ ﷺ،

---

[1] - مَجمَع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مصدر سابق،ج٢، ص١٠١٦.

[2] - المُنجد الأبجدي: مصدر سابق، ص١١٤٢.

[3] - قاسم بن أحمد الشيخ بلحاج: الشيخ علي يحي معمر أضواء على شخصيته وفكره، تقديم الدكتور: محمد بن قاسم ناصر بوحجام، نشر جمعية التراث، القرارة، ولاية غرداية، الجزائر، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد، د ت، ص١٤٩.

[4] - محمد بن عمرو بن أبو ستة: حاشية الترتيب على الجامع الصحيح، ترتيب الشيخ أبي يعقوب بن إبراهيم الوارجلاني لمسند الحافظ الثقة الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري، (ت حوالي ١٧٥هـ)، تحقيق: ابراهيم محمد طلاي، د د، د ط، د ت، ج١، ص٣٢.

وأنَّ ما جاءَ مِنْ عندِ ربِّهِ هوَ الحقُّ، والإيمانُ بجملةِ الملائكةِ والأنبياءِ والرّسلِ وجملةِ الكُتُبِ التي أَنْزَلَهَا على رُسُلِهِ، والإيمانُ بأنَّ الموتَ حقٌّ، وأنَّ النارَ حقٌّ، والإيمانُ بالقضاءِ والقَدَرِ، فَمَنْ أقرَّ بهذهِ الأمورِ التي كانَ يَدْعُو إليها رسولُ اللهِ ﷺ فقدْ تمَّ إيمانُهُ فيما بَيْنَهُ وبينَ اللهِ ﷻ"[1].

وَيَشْرَحُ بعضُ أئمّةِ المذهبِ سرَّ تَسْمِيَتِهِم (التّوحيد) بهذا المصطلحِ: (جملةُ التّوحيدِ) بالقولِ: (... وَإنّما عَبَّرَ الإباضيّةُ عنْ هذهِ الأمورِ والتي هيَ صَرْحُ الإيمانِ بجملةِ التّوحيدِ نظرًا إلى تَعْبِيرِهَا عنْ كُلِّيَّاتِ الإيمانِ التي تَنْدَرِجُ تَحْتَهَا مَدْلُولَاتُ جُزْئِيَّاتِهِ، فإنَّ كلَّ اعتقادٍ صحيحٍ عنِ اللهِ ﷻ وصفاتِهِ وَأفعالِهِ دُنْيَا وأُخْرَى تَفْسِيرًا لها كمَا أنَّ كلَّ ما تَسْتَلْزِمُهُ عقيدةُ التّوحيدِ مِنَ الأعمالِ الصّالحةِ وفاءً بِحَقِّهَا)[2].

وَيُؤَكِّدُ الإباضيّةُ على أنَّ التّوحيدَ مِنَ المسائلِ الرئيسيّةِ التي لاَ يجوزُ أنْ يَجْهَلَهَا العبدُ متَى بَلَغَ وَأَصْبَحَ مُكَلَّفًا، يَقُولُ الجناوِيُّ الإباضيُّ في كتابِ الوَضْعِ: "إنَّ عِلْمَ مَا لاَ يَسَعُ النَّاسَ جَهْلُهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ هُوَ عِلْمُ التّوحيدِ وَالشِّرْكِ، فلاَ

---

[1] - محمد بن يوسف اطفيّش: الذهب الخالص المنوّه بالعلم الخالص، المطبعة العالمية، سلطنة عُمان، د ط، د ت، ص١١ – ١٢.

- أبو الحسن علي بن محمد البسياني: مختصر البسيوي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، د ط، ١٣٩٧هـ، ص٩.

[2] - أحمد بن حمد الخليلي: تعليق عن كتاب مشارق أنوار العقول، مطبعة العقيدة، مسقط، سلطنة عُمان، ط٢، ١٩٧٨م، ص١٣٠.

يَسَعُ جَهْلُهُمَا؛ لأنَّ مَنْ جَهِلَ الشركَ لمْ يَعْلَمِ التوحيدَ، فَوَجَبَتْ معرفةُ التوحيدِ والشركِ معَ أوّلِ البلوغِ"[1]. وَيُلَخِّصُ أبو محمدِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حميدِ بنِ سلومٍ السالميُّ الإباضيُّ رَأْيَ الإباضيّةِ في وسائلِ معرفةِ التوحيدِ عندَهُم بقولِهِ[2]: "وَذَهَبَ الجمهورُ مِنَّا إلى أنَّ العقلَ لاَ حُكْمَ لهُ في شيءٍ مِنَ الوجوبِ الشرعيِّ، وَالمرادُ بالوجوبِ الشرعيِّ عِنْدَنَا هوَ ما يَتَرَتَّبُ عليهِ الثوابُ والعقابُ، فلاَ وُجُوبَ عِنْدَنَا قَبْلَ الشرعِ في شيءٍ مِنَ الأصوليّاتِ والفرعيّاتِ، لاَ فَرْقَ بينَ التوحيدِ وغيرِهِ، فإنَّ العقلَ وإنْ أَدْرَكَ بالضرورةِ أنَّ لهُ صانعًا، لاَ يُوجِبُ عليهِ ذلكَ الصانعُ شيئًا مِنَ العباداتِ، فلاَ وُجُوبَ قَبْلَ الشرعِ لقولِهِ ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾[3]، ولقولِهِ ﷻ: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾[4].

يَقُولُ الإباضيُّ أبو عمّارٍ عبدُ الكافي: "إنَّ حُجَّةَ اللهِ ﷻ التي يُثْبِتُ بها فَرْضَ دينِهِ على عبادِهِ فيما تَعَبَّدَهُمْ بهِ مِنْ طاعةٍ وَزَجَرَهُمْ بهِ عنْ مَعْصِيَتِهِ، قدْ قامتْ على النّاسِ مِنْ جميعِ البالغِينَ، بِمَعْرِفَةِ رُسُلِ اللهِ ﷻ التي أَرْسَلَهَا إلى

---

[1] - أبو زكريا الجناوي: كتاب الوضع، مطبعة الإستقامة، سلطنة عمان، د ط، د ت، ص٣٠.
- عبد الله بن حميد السالمي: كتاب تلقين الصبيان ما يلزم الإنسان، المطبعة العصرية، الكويت، د ط، ١٩٧٠م، ص٩.

[2] - عبد الله بن حميد السالمي: مشارق أنوار العقول، تحقيق الدكتور: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ج١، ص١٢٥.

[3] - سورة الإسراء، الآية: ١٥.

[4] - سورة طه، الآية: ١٣٣.

خَلْقِهِ، وأَنَّ النَّاسَ لَنْ يَنَالُوا شيئًا مِنْ معرفةِ اللهِ ﷻ في الدّلالةِ على توحيدِهِ، ولاَ مِنْ معرفةِ شيءٍ مِنْ دِينِهِ، إلاَّ بِتَوْقِيفٍ مِنَ اللهِ ﷻ على أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ وَتَنْبِيهٍ مِنْهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ"[1].

وبعدَ أنْ عَرَفْنَا ما ذَكَرَهُ عُلَمَاءُ الإباضيّةِ حولَ ما يَجِبُ على العبدِ أمامَ اللهِ مِنْ إثباتِ وجودِهِ وتوحيدِهِ؛ نَنْتَقِلُ إلى بعضِ المسائلِ التي تَتَعَلَّقُ بالتّوحيدِ.

أ: تَنْزِيهُ اللهِ ﷻ عنِ الشَّبيهِ

وَرَدَ عنِ الْعَالِمَيْنِ أبي المنذرِ بشيرِ بنِ المنذرِ، وأبي المؤثرِ الصلتِ بنِ خميسٍ الخروصيِّ كلامٌ نَقَلَتْهُ كُتُبُ الإباضيّةِ حَوْلَ تَنْزِيهِ اللهِ ﷻ عنِ الشّبيهِ، وأنّهُ سبحانَهُ خلافُ ما يَخْطرُ على البالِ، فَيَقُولُ أبو المنذرِ: "إذَا خَطَرَ بِبَالِكَ خَاطِرٌ في اللهِ ﷻ أنَّهُ يُشْبِهُ شَيْئًا، أوْ يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، فَانْفِ ذلكَ عنهُ ﷻ، فإنّهُ يَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[2]، وإنْ دَعَاكَ الخاطرُ أنَّ اللهَ ﷻ في مَعْزِلٍ أوْ كَيْفَ هُوَ؟ أَوْ مِثْل مَا هُوَ؟ أوْ هوَ نُورٌ مِنَ الأنوارِ؟ وذُو طولٍ أوْ عَرْضٍ أوْ جِسْمٍ... فَانْفِ ذلكَ كُلَّهُ عنهُ ﷻ، فإنَّ هذهِ الأشياءَ لاَ يَجُوزُ مِنْهَا شيءٌ عَلَى

---

[1] - أبو عمار عبد الكافي الإباضي (ت٥٧٠هـ): الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف، تحقيق: عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٨هـ، ج٢، ص١٣٩.

[2] - سورة الشورى، الآية: ١١.

اللهِ تعالى"؛ لأنَّ اللهَ ﷻ كانَ ولاَ مكانَ ولاَ حَيِّزَ. وَإِلَى قريبٍ مِنْ هذهِ العباراتِ ذَهَبَ أبو المؤثرِ[1].

يقولُ الشيخُ عَلِيّ يَحْيَى مُعمَر: "اتَّخَذَ الإباضيَّةُ الأصلَ الأوَّلَ لِمَذْهَبِهِمْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْبَارِي ﷻ تَنْزِيهَهُ تَعَالَى عنْ مُشَابَهَةِ الْخَلْقِ، اسْتِنَادًا إلى الآياتِ الْمُحْكَمَاتِ مِنْ كتابِ اللهِ، وَمَا وَرَدَ في القرآنِ الكريمِ مِمَّا يُوهِمُ التّشبيهَ فإنَّهُ يَجِبُ الإيمانُ بهِ أنَّهُ مِنْ عندِ اللهِ، وَتُؤَوَّلُ الآياتُ الْمُوهِمَةُ للتشبيهِ بما يَقْتَضِيهِ المعنَى مِنَ السّياقِ كتأويلِ الاستواءِ بالاستيلاءِ، واليدِ بالقدرةِ، وما إلَى ذَلِكَ"[2].

ب: الْعُبُودِيَّةُ وَالرُّبُوبِيَّةُ

يُقِرُّ علماءُ الإباضيةِ أنَّ توحيدَ اللهِ ﷻ يَقْتَضِي مِنَ العبدِ أنْ يَتَّجِهَ إلى اللهِ ﷻ بالعبادةِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ، وَيَدِينَ لهُ بالطّاعةِ التي شَرَعَهَا[3]؛ لأنَّ قولَهُ:

---

[1] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٢٨٣.

[2] - علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص٥٤.

[3] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٢٨٤.

"لاَ إله إلاَّ هوَ يَعْنِي: لاَ معبودَ سِوَاهُ"[1]، وعليهِ أنْ يُوَحِّدَهُ تَوْحِيدَ رُبُوبِيَّةٍ، فَيَعْتَرِفَ لهُ بالحاكميّةِ على العالَمِينَ وَبِمَلَكُوتِهِ عَلَى النَاسِ[2].

ج: التَّوَكُّلُ عَلَى اللهِ ﷻ

مِنْ تمامِ توحيدِ اللهِ ﷻ التوكُّل عليهِ حقَّ التوكّل، وعدمُ الرّغبةِ إلى غيرِهِ، ولاَ الاستعانةِ على أَمْرِ اللهِ ﷻ بأحدٍ سِوَاهُ، بِدَلِيلِ مَا يَأْتِي: قولُهُ ﷻ: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3] ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[4]، ويقولُ ابنُ سلامٍ مُعَقِّبًا على الآيةِ: "إذَا بَنَيْتَ رَأْيَكَ عَلَى أَمْرٍ قَدْ تَبَيَّنَ لكَ رُشْدُهُ فَتَوَكَّلْ على اللهِ ﷻ، لاَ يَكُونُ اعتمادُكَ إذَا عَزَمْتَ على جَمْعِكَ وَعُدَّتِكَ وَأَصْحَابِكَ، فَإِنَّكَ لاَ تُطِيقُ إلاَّ باللهِ ﷻ، وَلَكِنِ الْتَمِسِ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ مِنَ اللهِ ﷻ"[5]، مثلُ قولِهِ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ:

---

[1] - هود الهواري بن محكم: تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق وتعليق: بالحاج بن سعيد شريفي دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠م، ج٤، ص٥٤.

[2] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٢٨٥.

[3] - سورة الأنفال، الآية: ٢.

[4] - سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

[5] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٢٨٥.

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[1].

ثانيًا: أسماءُ اللهِ ﷻ وصفاتُهُ

يُعْتَبَرُ مَوْضُوعُ صفاتِ اللهِ ﷻ والإيمانِ بها مِنْ أهمِّ المباحثِ المتعلّقةِ بتوحيدِ اللهِ ﷻ ومعرفتِهِ والإيمانِ بهِ ﷻ، فَمِنْ خلالِهِ يزدادُ الإنسانُ معرفةً بربِّهِ وَيَصِفُهُ بِمَا يَلِيقُ بهِ مِنْ صفاتِ الكمالِ، وَيَنْفِي عنهُ ما لاَ يجوزُ في حقِّهِ مِنْ صفاتِ النّقصِ والعَجْزِ[2].

الصِّفَةُ لُغَةً: الحالةُ التي يكونُ عليها الشيءُ مِنْ حِلْيَتِهِ وَنَعْتِهِ: كالسّوادِ والبياضِ، والعلمِ والجهلِ. وعندَ النَّحْوِيِّينَ: النَّعْتُ، واسْمُ الفاعلِ، واسمُ المفعولِ، والصِّفَةُ الْمُشَبَّهَةُ، وَاسْمُ التّفضيلِ أَيْضًا[3].

الصِّفَةُ اصْطِلَاحًا: هيَ عِنْدَ الشيخِ أطفيّشَ المعاني الْمَصْدَرِيَّةُ الخاليةُ مِنَ الذّاتِ، فإنْ أُريدَ التّعبيرُ بها عنِ الذّاتِ صِيغَ منهَا اسمُ الفاعلِ، أوِ الصّفةُ

---

[1] - سورة التوبة، الآية: ٢٥.

[2] - قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: الشيخ علي يحي معمر أضواء على شخصيته وفكره، مصدر سابق، ص١٦١.

[3] - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مصدر سابق، ج٢، ص١٠٣٧.

المشبّهةُ مثلُ: صياغةِ العليمِ والعالِمِ مِنَ العِلْمِ، والقادرِ والقديرِ مِنَ القدرةِ والْمُرِيدِ مِنَ الإرادةِ[1]. وَيَرَى الإباضيّةُ أنَّ الصّفاتِ أمورٌ اعتباريّةٌ أيْ مَعَانٍ لاَ حقيقةَ لَهَا في الخارجِ، وَإِنَّمَا وَصَفَ اللهُ ﷻ بها ذاتَهُ لِيُخْبِرَنَا أنَّ أضدادَهَا مَنْفِيَّةٌ وَمُسْتَحِيلَةٌ في حَقِّهِ ﷻ، كمَا أنَّهَا أَزَلِيَّةٌ قَدِيمَةٌ[2].

وَيَرَى الشيخُ معمّرٌ أنَّ "صِفَاتِ الْبَارِي ﷻ كاملةٌ ليْسَ بِهَا نَقْصٌ ولاَ تُشْبِهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ". فهوَ بذلكَ يُحَدِّدُ لهَا خَاصِّيَّتَيْنِ: خَاصِيَّةَ الكمالِ وخاصيّةَ مخالفةِ المخلوقاتِ، وهذا ما يَتَوَافَقُ معَ الآيةِ المحكمةِ لقولِهِ ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3]. وَيُعَبِّرُ الشيخُ بهذا عنْ رَأْيِ مَذْهَبِهِ ولمْ يَخْرُجْ عَنْ نَظْرَتِهِ إلى الموضوعِ[4].

---

[1] - مصطفى وينتن: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيّش العقدية (١٢٣٨ ـــ ١٣٣٢هـ/١٨٢١ ـــ ١٩١٤م)، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، د ط، ١٩٩٦م، ص١١٩.

[2] - فرحات بن علي الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢٢٩.

[3] - سورة الشورى، الآية: ١١.

[4] - قاسم بن أحمد الشيخ بالحاج: الشيخ علي يحي معمر أضواء على شخصيته وفكره، مصدر سابق، ص١٦٢.

يَرَى السَّالميُّ الإباضيُّ "أنَّ أسماءَ اللهِ ﷻ وصفاتِهِ توقيفيَّةٌ؛ أيْ أنَّ الإباضيَّةَ لاَ يُجَوِّزُونَ أنْ يُثْبِتُوا للهِ ﷻ صفةً ولاَ اسْمًا إلاَّ إذَا وَرَدَ الإذنُ مِنَ الشَّارعِ بذلكَ"[1].

وقدْ قَسَّمَ الإباضيَّةُ الصِّفاتِ إلى قِسْمَيْنِ ذاتيَّةٍ وفعليَّةٍ بِاعْتِبَارِ أنَّ هذَا التَّقسيمَ أكثرُ شُهرةً وَاسْتِعْمَالاً عندَ الإباضيَّةِ:

١ - **الصِّفاتُ الذَّاتيَّةُ**: فقدْ عَرَّفَهَا علماءُ الإباضيَّةِ أنَّهَا: "أمورٌ اعْتِبَارِيَّةٌ؛ أَيْ: مَعَانٍ لاَ حَقِيقَةَ لَهَا فِي الخارجِ[2]، وهيَ كُلُّ صِفَةٍ لاَ تُجَامعُ فِي الوجودِ وَلَوِ اخْتَلَفَ الْمَحَلُّ كَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ، فلاَ يُقالُ عِنْدَهُمْ: عَلِمَ اللهُ ﷻ كَذَا، وَجَهِلَ كَذَا. كَمَا يَقُولُونَ: أَرَادَ كَذَا، وَأُكْرِهَ عَلَى كَذَا"[3].

٢ - **الصِّفاتُ الْفِعْليَّةُ**: يُعَرِّفُهَا البيهقيُّ أنَّهَا: "تسمياتٌ مشتقَّةٌ مِن أفعالِهِ وَرَدَ السَّمعُ بهَا، مُسْتَحقَّةٌ لهُ فيمَا لاَ يَزَالُ دُونَ الْأَزَلِ؛ لأنَّ الأفعالَ التي

---

[1] - عبد الله بن حميد السالمي: بهجة الأنوار شرح أنوار العقول في التوحيد، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ج١، ص٢٣.

[2] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣٠٢.

[3] - أبو طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي: قناطر الخيرات، تحقيق: عمر بن خليفة النامي، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م، ج١، ص٣٠١.

اشْتُقَّتْ منها لمْ تكنْ في الأزلِ"، فَيَعْنِي أنَّ صفاتِ الفعلِ ما دلَّ على أفعالِ اللهِ تعالى، وَارْتَبَطَ بِزَمَنٍ مَحْدُودِ الْبِدَايَةِ[1].

والصّفاتُ الفعليةُ هيَ كلُّ صفةٍ جازَ أنْ تُجَامِعَ ضِدَّهَا في الوجودِ عندَ اختلافِ المحلِّ، كَأَنْ يُوَسّعَ في رِزْقِ زَيْدٍ، وَيُضَيّقَ في رِزْقِ عَمْرٍو.

وصفاتُ الفعلِ عندَ الإباضيةِ تنْفى عنِ اللهِ ﷻ تَعَالَى اللهُ في الأزلِ فَيُصْبِحُ الْقَوْلُ عِنْدَهُمْ: كَانَ اللهُ ﷻ ولمْ يَرْزقْ وَلَمْ يَرْضَ؛ أيْ أنَّ هذا القِسْمَ مِنَ الصفاتِ التي أَسْمَوْهَا صفاتُ اللهِ ﷻ الفعليةُ لاَ يَجُوزُ عِنْدَهُمْ أنْ يَتَّصِفَ بهَا البارِي ﷻ في الأزلِ، وَإِنَّمَا يَتَّصِفُ بِهَا فِيمَا لاَ يَزَالُ[2].

وَصِفَاتُ اللهِ الفعليَّةُ متعدّدةٌ لاَ تَنْحَصِرُ تحتَ عَدَدٍ، مثلُ أنَّ اللهَ يعدلُ يومَ القيامةِ فيما يُعْطِي بينَ الناسِ؛ كلُّ عبدٍ بِمَا كَانَ يَحْتَسِبُ وَيَنْوِي[3].

ثالثًا: الاسْتِوَاءُ وَالْعُلُوُّ

يقولُ الرّستاقيُّ الإباضيُّ: "الاستواءُ في لغةِ العربِ علَى مَعْنَيَيْنِ، أَحَدُهُمَا: الجلوسُ علَى الشيءِ، والممارسةُ لهُ، كمَا يَسْتَوِي الفارسُ علَى فَرسِهِ، والمِلِكُ علَى

---

[1] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣٠٣.

[2] - عبد الله بن حميد السالمي: مشارق أنوار العقول، مصدر سابق، ص١٧٣.

[3] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣٠٤.

سَرِيرِهِ، وهذهِ صفةُ مَنْ يَسْتَوِي بَعْدَ أنْ كانَ مائلاً، وَيَعْتَدِلُ بعدَ أنْ كانَ أَعْوَجَ، واللهُ ﷻ مُنَزَّهٌ عنْ هذهِ الصَفةِ أي الاستواءِ. والوجهُ الثَاني: هوَ استواءُ الْمُلْكِ وَالقدرةِ والتدبيرِ، وهوَ معروفٌ عندَ الْعَرَبِ"[1].

يقولُ صاحبُ (قَنَاطِرِ الخيراتِ) "وقدْ ثَبَتَ استحالةُ كونِهِ جوهرًا أوْ جسمًا، فَاسْتَحَالَ كونُهُ مُخْتَصًّا بجهةٍ وَثَبَتَ أنَهُ ﷻ في كلِّ مكانٍ"[2].

ويشرحُ الرّبيعُ بنُ حبيبٍ قولَهُ: "ثمَّ اسْتَوَى علَى العَرْشِ"، "يَعْنِي اسْتَوَى أَمْرُهُ وقُدْرَتُهُ وَلُطْفُهُ فوقَ خَلْقِهِ، ولاَ يُوصَفُ اللهُ ﷻ بصفاتِ الخَلْقِ ولاَ يقعُ عليهِ الوصفُ كمَا يقعُ علَى الخَلْقِ"[3]. كَمَا يُنْسَبُ إلى الربيعِ قولُهُ: إنَّ عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ وعائشةَ وابنَ عمرَ وابنَ الحنفيَةِ وعروةَ بنَ الزبيرِ أنَّهُمْ كانوا

---

[1] - خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الشقصي الرستاقي: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، تحقيق: سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، مكتبة مسقط، مسقط عمان، ط ١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١، ص١٠٩.

[2] - أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي: قناطر الخيرات، مصدر سابق، ج١، ص٢٩٤.

[3] - الربيع بن حبيب: الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب، ضبطه وخرّج أحاديثه: محمد إدريس، وراجعه وقدم له: عاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، د ط، د ت، باب قوله تعالى: "الرحمان على العرش استوى"، ج٣، ص٣٥-٣٦.

يُنْكِرُونَ ما يَقُولُ أهلُ الشّامِ في الصخرةِ مِنْ أنَّ اللهَ ﷻ وَضَعَ قَدَمَهُ على صخرةِ بيتِ المقدسِ[1].

رابعًا: مَسْأَلَةُ رُؤْيَةِ اللهِ ﷻ

الرّؤيةُ لغةً مِنْ رَأَى يَرَى رَأْيًا وَرُؤْيَةً وَرَاءَةً: نَظَرَ بِالْعَيْنِ أَوْ بِالعقلِ، جَمْعُهَا رُؤًى، وَالرُّؤْيةُ: النّظرُ بالعينِ أوْ بالقلبِ[2]. والرّؤيةُ: إبْصَارُ هلالِ رمضانَ لأوّلِ ليلةٍ منهُ، وفي الحديثِ: "صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ"[3].

احْتَدَمَ النّقاشُ بينَ المسلمينَ حولَ جوازِ رؤيةِ اللهِ أوِ اسْتِحَالَتِهَا، وكانَ موقفُ الإباضيّةِ معَ النّافِينَ لِرُؤْيَتِهِ تعالَى استنادًا إلى أدلّةٍ نقليّةٍ وعقليّةٍ[4] مِنْهَا:

لاَ تقولُ الإباضيّةُ برؤيةِ اللهِ ﷻ لاَ في الدّنيا ولاَ في الآخرةِ، مُسْتَنِدِينَ إلى روايةِ محمدِ بنِ الشيبانيِّ التي يَرْوِيهَا الرّبيعُ بنُ حبيبٍ في مُسْنَدِهِ: "رَوَى محمدُ

---

[1] - المصدر نفسه، ج٣، ص٣٥.

[2] - المنجد الأبجدي، مصدر سابق، ص٤٧٠-٤٧١.

[3] - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مصدر سابق، ج١، ص٣٢٠.

[4] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣١٩.

بنُ الشيبانيِّ أنَّ النبيَّ ﷺ سُئِلَ: هلْ تَرَى ربَّكَ؟ فقالَ: "سُبْحَانَ اللهِ! وَأَنَّى أَرَاهُ"[1].

ومِنَ الأحاديثِ التي اسْتَنَدُوا عليهَا في ذلكَ ما أَخْرَجَهُ الإمامُ الربيعُ في مسندِهِ، والشيخانِ في صَحِيحَيْهِمَا عنْ مَسْرُوقٍ قالَ: "كُنْتُ مُتَّكِئًا عندَ عائشةَ، فقالتْ: يا أبَا عائشةَ، ثلاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ علَى اللهِ ﷻ الْفريَةَ. "مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ ﷻ الْفريَةَ"، قالَ: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ وَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، انْظُرِينِي وَلاَ تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾[2]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾[3] فقالتْ: أنَا أَوَّلُ هَذِهِ الأُمَّةِ سَأَلَ عنْ ذَلِكَ رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ: إِنَّمَا هوَ جبريلُ لمْ أَرَهُ في صورتِهِ التي خُلِقَ عليها غيرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّماءِ سادًّا عَظْم خَلْقِهِ ما بينَ السمـاءِ والأرضِ. فقالتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ ﷻ يقولُ[4]: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[5].

---

[1] - الربيع بن حبيب: مسند الإمام الربيع بن حبيب، مصدر سابق، باب ما جاء عن ابن عباس في النظر، رقم ٨٥٦، ج٣، ص٢٢٧.

[2] - سورة التكوير، الآية: ٢٣.

[3] - سورة النجم، الآية: ١٣.

[4] - أحمد بن حمد الخليلي: الحق الدامغ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، د ت، ص٧٢.

[5] - سورة الإنعام، الآية: ١٠٣.

وقدْ أَخْرَجَ الإمامُ الرّبيعُ عنْ عليٍّ وابنِ عباسٍ أنَّهُمَا اسْتَدَلاَّ على نَفْيِ رؤيةِ اللهِ ﷻ بهذهِ الآيةِ الكريمةِ[1].

يقولُ السّالميُّ وهوَ مِنْ كبارِ الإباضيّةِ: "وَجْهُ الاستدلالِ بهذا الحديثِ - حديثِ عائشةَ- هوَ أنَّ مقالةَ عائشةَ هذهِ صريحةٌ بالبراءةِ ممَّنْ قالَ بذلكَ، لأنَّ عِظَمَ الفريّةِ علَى اللهِ ﷻ فِسْقٌ اتِّفَاقًا، وَيَلْزَمُ القائلَ: إمَّا تَكْذِيبُ القولِ بأنَّ محمدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ، وإمَّا تَضْلِيلُ عائشةَ حَيْثُ فَسقَتْ قائلاً بِصِدْقٍ على صِدْقِهِ، وَلاَ مَحَلَّ للاجتهادِ هُنَا؛ لأنَّهُ لَيْسَ لِلْمُجْتَهِدِ أنْ يُفَسِّقَ مَنْ خَالَفَهُ في اجتهادِهِ إذَا كانَ مَحلُّ الاجتهادِ ظَنِّيًّا "[2].

رُؤْيَةُ اللهِ تعالَى - وهيَ الإبصارُ بالعينِ المجرّدةِ - عندَ الإباضيّةِ كمَا عندَ المعتزلةِ مستحيلةٌ علَى الإنسانِ في الآخرةِ فضلاً عنِ الدّنيا، لأدلَّةٍ نقليّةٍ صريحةٍ وعقليّةٍ قاطعةٍ[3]، رَغْمَ نصوصِ القرآنِ والحديثِ التي تُؤَكِّدُ الرُّؤيةَ أشدَّ

---

[1] - الربيع بن حبيب: مسند الإمام الربيع، مصدر سابق، ج٣، ص ٢٢٦-٢٢٧.

- علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق. ص٥٤.

- مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣٢١.

[2] - عبد الله بن حميد السالمي: مشارق أنوار العقول، مصدر سابق، ص١٩٠.

[3] - عدّون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضيّة من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيّش، مصدر سابق، ص٦٨.

التّأكيدِ. وقالُوا: إنَّ إثباتَ رؤيةِ اللهِ ﷻ يَسْتَلْزِمُ أنْ يكونَ ﷻ في جهةٍ. كَمَا أنَّ النّظرَ لاَ يكونُ إلاَّ مقابلةً إلى حَيِّزٍ، وهذا يُؤَدِّي إلى صفاتِ الأجسامِ واللهُ ﷻ مُنَزَّهٌ أنْ يُوصَفَ بِجِسْمٍ كَمَا أنَّ الرّؤيةَ عِنْدَهُم بواسطةِ انطباعِ صورةِ الْمَرْئِيِّ في حَدَقةِ العَيْنِ، وذاتُ اللهِ ﷻ وحقيقتُهُ لاَ تُتَصَوَّرُ، وَهَذَا هوَ كلامُ المعتزلةِ تَمَامًا. يَقُولُ صَاحِبُ مَشَارِقِ أنوارِ العقولِ السالميُّ الإباضيُّ: "إنَّ الرُّؤيةَ لاَ يُمْكِنُ أنْ تكونَ إلاَّ بِاجْتِمَاعِ عدّةِ شروطٍ، وهيَ: "سلامةُ الحاسّةِ، وكَوْنُ الشيءِ جائزَ الرّؤيةِ، وَمُقَابَلَتُهُ للباصرةِ في جهةٍ مِنَ الجهاتِ، وعدمُ غايةِ الصِّغَرِ، وَعَدَمُ غَايَةِ اللَّطَافَةِ، وَعَدَمُ غَايَةِ الْبُعْدِ، وَعَدَمُ غَايَةِ الْقُرْبِ، وَعَدَمُ الْحِجَابِ الحائلِ، وأنْ يَكونَ الْمَرْئِيُّ مُضِيئًا بِذَاتِهِ أوْ بِغَيْرِهِ، ومُعْظَمُ هذهِ الشروطِ لاَ تُعْقَلُ إلاَّ في جِسْمٍ أوْ عَرَضٍ، واللهُ ﷻ لَيْسَ بِجِسْمٍ وَلاَ عَرَضٍ"[1].

وَاسْتَدَلُّوا علَى رَأْيِهِمْ بِنَفْيِ رؤيةِ اللهِ ﷻ يومَ القيامةِ بقولِهِ ﷻ لِمُوسَى عليهِ السلامُ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾[2]، فقالَ الخليليُّ: "لنْ هُنَا تُفِيدُ نَفْيَ الاستقبالِ المؤبّدِ،

[1] - عبد الله بن حميد السالمي: مشارق أنوار العقول، صدر سابق، ص٢٦٢.

[2] - سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

فَيَكُونُ نَفْيُهَا دائمًا في الدّنيَا والآخرةِ، وَأنّهُ ﷻ علَّقَ ذلكَ علَى استقرارِ الجَبَلِ، ولمْ يَسْتَقِرَّ"[1]

خامسًا: مسألةُ خَلْقِ الْقُرْآنِ

الخَلْقُ لُغَةً: خَلَقَ خَلْقاً وَخلْقَةً: وجَدَهُ وأَبْدَعَهُ مِنَ العَدمِ[2]، وخَلَقَ الثَّوبَ والجلْدَ وَنَحْوَهُمَا، قَدَّرَهُ وقَاسَهُ علَى ما يُرِيدُ قَبْلَ العمَلِ، ويُقَالُ: فلانٌ يَخْلُقُ ثمَّ يَفْرِي؛ يُقَرِّرُ الأَمْرَ ثمَّ يُمْضِيهِ. ويُقالُ: خَلَقَ القولَ: افتَرَاهُ. وفي التنزيلِ العزيزِ[3]: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[4].

يَذْكُرُ الشيخُ محمَّد أطْفَيَش (١٢٣٨-١٣٣٢هـ/١٨٢١-١٩١٤م) في كتابِهِ: (شَرْحُ عَقِيدَةِ التوحيدِ) ما يَلِي: "وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قالَ إِنَّ القرآنَ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ"، وأنَّ هذهِ الألفاظَ المكتوبةَ الحروف المجزَّأةَ الْمُفَصَّلَةَ كلماتٍ وآياتٍ وسُوَرًا ونحوَ ذلكَ، الْمُتَّصِفَةَ بالعربيةِ والتلاوةِ والإنزالِ والإحداثِ والجَعْلِ وسائرِ لوازمِ الحدوثِ ترجمةُ القرآنِ لاَ نَفْسُ القرآنِ، كمَا أنَّ لفظَ

---

[1] - أبو محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي: تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج١، ص٢٦٧.

[2] - المنجد الأبجدي، مصدر سابق، ص٤١٩.

[3] - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مصدر سابق، ج١، ص٢٥٢.

[4] - سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

الجلالةِ ترجمةٌ عنِ الذّاتِ والواجبِ، قُلْنَا: بلْ هوَ مَخْلُوقٌ، والموجودُ في القرآنِ والحديثِ وكلامِ الصّحابةِ أنَّ القرآنَ هوَ تلكَ الألفاظُ المكتوبةُ الحُروفُ المجزّأةُ المفصّلةُ المتّصلةُ بالتّلاوةِ والإنزالِ والإحداثِ والجعلِ وسائرِ لوازمِ الحدوثِ، وذلكَ نصٌّ صريحٌ، ومَنِ ادَّعَى أنّها ترجمةُ القرآنِ فَلْيَأْتِ بِدَلِيلٍ، ولاَ يَجِدُ دَلِيلاً، والقديمُ إنَّمَا هوَ عِلْمُ اللهِ ﷻ ما في القرآنِ أنّهُ كانَ كذَا وَسَيَكُونُ كَذَا[1].

يقولُ الشّيخُ الخليليُّ: "نحنُ عندَمَا نَتَحدَّثُ عنْ خَلْقِ القرآنِ فإنَّمَا نَتَحَدَّثُ عنْ هذا القرآنِ المتْلُوِّ بالألْسنِ المكتوبِ في المصاحفِ السّابقِ تعريفُهُ، وَلَسْنَا نَتَحَدَّثُ عنْ تَسْمِيَتِهِ قُرْآنًا، وإنَّمَا اصْطَلَحَتِ الأشاعرةُ علَى تسميتِهِ بذلكَ، ولاَ مشَاحةَ في الاصطلاحِ، غَيْرَ أنَّهُم لمْ يَسْتَنِدُوا في اصْطلاحِهِم هذا علَى شيءٍ ثابتٍ سماعُهُ، فلذلكَ لمْ نُعَوِّلْ عليهِ، ونحنُ نُثْبِتُ للهِ صِفَةَ الكلامِ كمَا قالَ الإمامُ ضياءُ الدّينِ عبدُ العزيزِ الثّمينيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- في مَعَالِمِهِ: "اعْلَمْ أنَّ الكلامَ يُضافُ تارةً إلى اللهِ ﷻ علَى معنَى نَفْيِ الخرسِ، فيكونُ صفةَ ذاتٍ علَى ما مرَّ في الصّفاتِ، وتارةً يُضَافُ إليهِ علَى معنَى أنَّهُ

---

[1] - محمد بن يوسف اطفيّش: (١٢٣٨- ١٣٣٢هـ/١٨٢١-١٩١٤م): شرح عقيدة التوحيد، تحقيق: مصطفى بن الناصر وينتن، المطبعة العربية، غرداية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص٥٥٢.

- أحمد بن حمد الخليلي: الحق الدامغ، مصدر سابق، ص١٠٠.

- عدّون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٧٠.

فِعْلٌ لهُ، فيكونُ فعلاً مِنْ أفعالِهِ سبحانَهُ، فَمَعْنَى كونِهِ متكلِّمًا علَى الأوَّلِ أنَّهُ لَيْسَ بِأَخْرَسَ، وعَلَى الثَّاني أنَّهُ خَالِقُ الْكَلَامِ"[1].

وقدِ اسْتَدَلَّ الإباضيَّةُ علَى القولِ بِخَلْقِ القرآنِ بالآياتِ التَّاليةِ:

١- قولُهُ ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾[2]. وَوَجْهُ الاستدلالِ بهِ أنَّ القرآنَ إمَّا أنْ يكونَ شيئًا أوْ لاَ شَيْء، فإنْ لمْ يكنْ شيئًا فاعْلَمِ الاختلافَ إنْ كانَ المختَلَفُ عليهِ مَعْدُومًا؟ وَمَا الذي أَنْزَلَهُ اللهُ ﷻ وَفَصَّلَهُ وَأَحْكَمَهُ إنْ كانَ ذلكَ غيرَ واقعٍ علَى شيءٍ؟ وإنْ كانَ شيئًا فَمَا الذي يُخْرِجُهُ مِنْ هذا العمومِ؟

٢ - قولُهُ ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾[3]، وهذا الوصفُ ظاهرٌ في القرآنِ، فإنَّهُ مُقَدَّرُهُ سُوَرِهِ وَآيَاتِهِ، وَجُمَلِهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَحُرُوفِهِ وَحَرَكَاتِهِ، وَتِلاَوَتِهِ وَمَعَانِيهِ، وَحُكْمِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَأَخْبَارِهِ وَأَمْثَالِهِ.

٣- قولُهُ ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾[4]، وهوَ الذي قَبْلَهُ.

---

[1] - أحمد بن حمد الخليلي: الحق الدامغ، مصدر سابق، ص١٠٣.

[2] - سورة الأنعام، الآية: ١٠٢، سورة الرعد، الآية: ١٦، سورة الزمر، الآية: ٦٢، سورة غافر، الآية: ٦٢.

[3] - سورة الفرقان، الآية: ٢.

[4] - سورة القمر، الآية: ٤٩.

٤- قولُهُ ﷻ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١]، والاستدلالُ بهِ علَى خَلْقِهِ مِنْ وُجْهَتَيْنِ:

أولُّهَا: الإخبارُ عنهُ أنَّهُ مَجْعُولٌ، والمجعولُ هوَ المُصَيَّرُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ، وهذَا لاَ يكونُ إلاَّ في المخلوقِ.

ثانيهَا: تعليلُ جَعْلِهِ عَرَبِيًّا بِقَصْدِ عَقْلِ الْمُخَاطَبِينَ لهُ. قالَ الإمامُ أبو اليقضانِ محمدُ بنُ أفلحَ: "فَمَعْنَى جَعَلْنَا في مثلِ هذهِ المواضعِ التي ذَكَرْنَا: خَلَقْنَا..."[٢].

سَادِسًا: حُكْمُ مُرْتَكِبِ الكبيرةِ

يَنْطَبِقُ علَى أهلِ الكبائرِ المُقرِّينَ بالتوحيدِ كُلُّ ما يَنْطَبِقُ علَى المسلمِ المؤمنِ مِنَ الأحكامِ في الدّنيا، أمَّا المصيرُ الأُخْرَوِيُّ فَيَخْتَلِفُ فيهِ صاحبُ الكبيرةِ عنِ المؤمنِ. فمَا هُوَ هَذَا الْمَصِيرُ؟

يَرَى الإباضيَّةُ في مُرتكبِ الكبيرةِ رَأْيَ الحسنِ البصريِّ وجابرِ بنِ زيدٍ وغيرِهِما؛ لاَ يَحْكمونَ عليهِ بالشركِ كما يُقالُ عندَ الخوارجِ، وإنَّما يقولونَ هوَ مُنافقٌ. ولاَ يُمْكِنُ لمرتكبِي الكبيرةِ في حالِ معصيتِهِ وإصرارِهِ عليها أنْ يَدْخُلَ الجنّةَ إذَا لمْ يَتُبْ، وَلَعَلَّ أعنفَ الخصوماتِ إنّما قَامَتْ بينَ الإباضيّةِ

---

[١] - سورة الزخرف، الآية: ٣.

[٢] - أحمد بن حمد الخليلي: الحقّ الدامغ، مصدر سابق، ص١٦٨.

والخوارج في هذا الموضوع منذُ أَثَارَهَا نافعُ بنُ الأزرقِ حَسْبَمَا تَقُولُ مصادرُ التاريخ[1].

يَعْتَقِدُ علماءُ الإباضيّةِ أنَّ مَنْ عَمِلَ السّيّئاتِ، وَارْتَكَبَ المعاصيَ، وَاقْتَرَفَ الكبائرَ، ومات عليها، فجزاؤُهُ النّارُ نَكَالاً بمَا فَرَّطَ في دُنْيَاهُ مِنْ أوامرِ اللهِ، وبِمَا أَتَى لِمَا نُهِيَ عنهُ، وَمَا يُثْبِتُ مصيرَ النّارِ لِصاحبِ الكبيرةِ عندَ الإباضيّةِ نَجِدُ مَا يَأْتِي:

- كانَ جابرُ بنُ زيدٍ إِذَا تَلاَ قولَهُ تعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾[2]. قالَ: "كَبِيرَتَانِ إلى النّارِ؛ الدمُّ وَالْمَالُ".

---

[1] - عليّ يحي معمّر، الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٤٦٨.

[2] - سورة النّساء، الآية:٢٩- ٣٠.

- بَعَثَ بعضُ الفقهاءِ برسالةٍ إلى الإمامِ الصّلتِ بنِ مالكٍ الخروصيِّ، جاءَ فيها أنَّ مَنْ تَرَكَ الفريضةَ بجهالةٍ منهُ أوْ عَمْدٍ فقدْ هَلَكَ وانقطعَ عُذْرُهُ، ومَنِ انْقَطَعَ عُذْرُهُ وَانْتَهَكَ كَبِيرَةً؛ أوْجَبَ اللهُ لهُ النّارَ[1].

- يَسْتَدِلُّ هودُ بنُ محكّمٍ علَى أنَّ مصيرَ صاحبِ الكبيرةِ إلى النّارِ بقولِهِ ﷻ: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]. وَيُحَاجِجُ مُخَالِفِيهِ بأنَّ الآيةَ صريحةٌ في المؤمنينَ، ومعَ ذلكَ تَوَعَّدَ بالعذابِ الأليمِ إنْ لمْ يَنْفِرُوا معَ رسولِ اللهِ ﷺ إلى الجهادِ.

- جاءَ في ترتيبِ المسندِ حديثٌ لرسولِ اللهِ ﷺ ذُكِرَ فيهِ وَعِيدُ مَنْ ضَيَّعَ صلاةَ الفريضةِ، فقالَ:"**خَمْسَ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ... وَمَنْ نَقَصَ مِنْ حَقِّهِنَّ شَيْئًا فَلَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ النَّارَ**". وَيُعَلِّقُ أبو ستّةَ على

---

[1] - مصطفى بن محمد بن إدريسو: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٤٦٤ – ٤٦٥.

[2] - سورة التّوبة، الآية: ٣٩.

الحديثِ بقولِهِ: "مَعْنَى كلامِ المسندِ أنَّ مَنْ مَاتَ على مَا هوَ عليهِ منَ التَّضييعِ لبعضِ حقوقِ الصَّلاةِ فهوَ منْ أهلِ النَّارِ؛ لأنَّهُ ماتَ علَى كبيرةٍ[1].

إنَّ مُرْتَكِبَ الكبيرةِ عندَ الإباضيّةِ لاَ تجوزُ تَسْمِيَتُهُ مُؤْمِنًا ولاَ مُشْرِكًا، وإنَّما يُسَمَّى كَافِرًا بِمَعْنَى كُفْرِ نعمةٍ، أوْ كفرًا دُونَ كُفْرٍ، أوْ كُفْرًا فوقَ كُفْرٍ، وأنَّهُ تَجُوزُ تَسْمِيَتُهُ مُنَافِقًا، وَفَاسِقًا، وَضَالاًّ، وَظَالِمًا، وَمَلْعُونًا[2].

أمَّا حُكمُ مُرْتَكِبِ الكبيرةِ في الآخرةِ فلاَ خلافَ بينَ الإباضيةِ علَى أنَّ صاحبَ الكبيرةِ كافرَ النعمةِ إذَا خَرَجَ مِنَ الدنيا غيرَ مُقْلعٍ عنِ الكبيرةِ وغيرَ تائبٍ منها فهوَ كافرٌ مُخَلَّدٌ في النَّارِ[3]. "والكبيرةُ التي اقْتَرَفَهَا ولمْ يَتُبْ منها أوْ لمْ يُقمْ عليهِ حدُّها قدْ أَحْبَطَتِ الطَّاعاتِ التي قَامَ بِهَا"[4]. يُعَلِّلُ الرستاقيُّ ذلكَ بقولِهِ: "والحكمةُ في خلودِ أهلِ الكبائرِ في النارِ أنَّ العاصيَ إذَا عَصَى فقدْ

---

[1] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٤٦٦.

[2] - المصدر نفسه، ص٤٦٣.

[3] - جميل بن خميس السعدي: قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان،د ط، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج٦، ص٣.

[4] - جميل بن خميس السعدي: قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، مصدر سابق، ج٦، ص٣.

عَصَى ربًّا عظيمًا لاَ نِهَايةَ لِعَظَمَتِهِ، فكذلكَ يَكُونُ عذابُهُ بخلودٍ لاَ نهايةَ لَهُ"[1].

قالَ الإمامُ السالميُّ الإباضيُّ:

ومَنْ عَصَى وَلَمْ يَتُبْ يُخَلَّدُ فِي النارِ دَائِمًا بِهَذَا نَشْهَدُ[2]

وقدْ قارنَ الشيخُ أطفيّشُ في تفسيرِ قولِهِ ﷻ: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[3]. بينَ آراءِ المذهبِ فقالَ: "ثمَّ إنَّهُ لاَ يَخْفَى أنَّ الحقَّ معنَا في قولِنَا: "إنَّ مرتكبَ الكبيرةِ كافرٌ كُفْرَ نِفَاقٍ، وهوَ كُفْرُ نعمةٍ، مُوَحِّدٌ، إيمانُهُ نَاقِصٌ[4]. فقدِ اتَّفَقَ علماءُ الإباضيّةِ على خلودِ المشركِ في النّارِ، كمَا اتَّفَقُوا على خلودِ صاحبِ المعصيةِ في النّارِ[5].

وأقوالُ علماءِ الإباضيّةِ وَأَدِلَّتُهُمْ حولَ إثباتِ الخلودِ في النّارِ للعصاةِ نَذْكُرُ بَعْضَهَا:

---

[1] - خميس بن سعيد الشقصي الرستاقي: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، مصدر سابق، ج١، ص٥٢٣.

[2] - عبد الله بن حميد السالمي: مشارق أنوار العقول، مصدر سابق،ج٢، ص١٤٤.

[3] - سورة البقرة، الآية: ٣.

[4] - محمد بن يوسف اطفيّش: همیان الزاد إلى دار المعاد، مصدر سابق، ج١، ص٢٠٤.

[5] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٤٨٧.

اعْتَمَدَ هودُ بنُ محكّمٍ عدّةَ أدلّةٍ مِنَ القرآنِ الكريمِ مِنْهَا:

- قولُهُ ﷻ: ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[1]. فقدِ اسْتَدَلَّ بالآيةِ على خلودِ العُصاةِ في النّارِ، مُعتبرًا أنَّ الاستثناءَ الواردَ فيها يُشيرُ إلى تأجيلِ العقابِ في جَهَنَّمَ إلى مَا بعدَ عذابِ القبرِ، فقالَ: "إلاَّ قَدْرَ مَا تُخْرَجُونَ مِنْ قُبُورِكُمْ، فَتُحَاسَبُونَ بِأَعْمَالِكُمُ الْخَبِيثَةِ، فَتُعَاقَبُونَ عَلَيْهَا، وَتُخَلَّدُونَ في النّارِ، فَلِذَلِكَ اسْتَثْنَى مِنَ الخلودِ ما ذَكَرْنَا، إلاَّ قَدْرَ مَا وَصَفْنَا"[2].

- قولُهُ ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[3]. ذهبَ هودُ بنُ محكّمٍ إلى أنَّ وعيدَ اللهِ بخلودِ القاتلِ العمدِ هوَ نفسُهُ الوعيدُ الذي أَطْلَقَهُ لِمَنْ كَفَرَ (كُفْرَ نِعْمَةٍ وَنِفَاقٍ) بِقِسْمَةِ المواريثِ في قولِهِ ﷻ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ

---

[1] - سورة الأنعام، الآية: ١٢٨.

[2] - هود بن محكّم: تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج١، ص٥٦٠. (نقلا عن: مصطفى بن محمد بن إدريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٤٨٧).

[3] - سورة النّساء، الآية:٩٣.

وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1].

- قولُهُ تعالى: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾[2]، حمَلَ معنَى الآيةِ على المُشركِ وعلى المُنافقِ؛ لأنَّ كِلَيْهِمَا أَعْرَضَ عنْ طاعةِ اللهِ، وبالتّالي فَمَصِيرُهُمَا وَاحِدٌ، وَهُوَ الخُلودُ في النّارِ[3].

- قولُهُ تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾[4]. لَمْ يُبَيِّنْ هودٌ معنَى الاستثناءِ في الآيةِ، وَإِنَّمَا اكْتَفَى بِحَذْفِ تأويلِ يحيَى بنِ سلامٍ الذِي لاَ يَقُولُ بخلودِ العُصاةِ في النّارِ مِنْ أصلِ كتابِ التّفسيرِ، وَعَلَّقَ بأنَّ الآيةَ تَرُدُّ

[1] - سورة النّساء، الآية:١٤.

[2] - سورة اللّيل، الآية:١٥-١٦.

[3] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٤٨٧.

[4] - سورة هود، الآية:١٠٦-١٠٧.

على الفِرقةِ الشّاكّةِ مِنْ مُخالفِيهِ الذّينَ يَعْتَقِدُونَ أنَّ قومًا يَدْخُلُونَ النّارَ ثُمَّ يَخْرُجُونَ منهَا بِالشّفاعةِ[1].

وعُمومًا إنَّ قولَ الإباضيّةِ بِكُفرِ مُرتكبِ الكبيرةِ يَعْنُونَ بهِ كُفرَ النِّعمةِ، وهذَا مَا لُبِسَ على غيرِهِم فَيُفْهَمُ هذا الأمرُ، فَزُجَّ بِهِمْ في عِدادِ الخوارجِ، رُبَّمَا ذَلِكَ رَاجِعٌ لِعدمِ التّفريقِ عندَ مَنْ أَدْخَلَهُمْ في الخوارجِ بينَ الكُفرِ والشّركِ.

سابعًا: عَذَابُ الْقَبْرِ

يُثْبِتُ علماءُ الإباضيّةِ عذابَ القبرِ، ولاَ يَشِذُّ مِنْهُمْ أَحَدٌ لكثرةِ الأدلّةِ الواردةِ في القرآنِ الكريمِ والسنّةِ النبويةِ؛ فأمَّا أدلّةُ الحديثِ الشريفِ فَنَقْتَصِرُ على ما وَرَدَ في ترتيبِ المسندِ مِنَ الأحاديثِ، وهيَ[2]:

- حديثُ خُسُوفِ الشمسِ، عَقَّبَتْ عليهِ عائشةُ ﵂ بِقَوْلِهَا: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أَمَرَهُمْ أنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عذابِ القبرِ[1].

---

[1] - هود بن محكّم، تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج٢، ص٢٥٠. (نقلاً عن مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٤٨٨-٢٨٩).

[2] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣٥٥.

- حديثُ: "إِنَّ أَحَدَكُم إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْه مَقْعَدَهُ بالغَدَاة وَالعَشيّ؛ إِنْ كَانَ منْ أَهْل الجَنَّة وَإِن كَانَ منْ أَهْل النَّار، فَيُقَال لَه: هَذَا مَقْعَدَكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ الله يَوْمَ القيَامَةِ"[٢].

- حديثُ مرورِ رسولِ اللهِ ﷺ بِرَجُلَيْنِ يُعَذَّبَانِ في القبرِ، فقالَ: "يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ بِكَبيرَةٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَقَدْ كَانَ لاَ يَسْتَبْرِئُ منَ البَولِ، وأَمَّا الآخَرُ فَقَدْ كَانَ يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ بالنَّميمَةِ"[١].

---

[١] - الربيع بن حبيب: مسند الربيع بن حبيب، ترتيب المسند، مصدر سابق، حديث رقم:١٩٥.

- انظر صحيح البخاري: عن عبد الله بن مَسلمَة عن مالك عن يحي بن سعيد عن عَمرة بنت عبد الرّحمن عن عائشة زوج النّبي ﷺ: "أنّ يهوديّة جاءت تسألها فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر. فسألتْ عائشة ﷺ رسول الله ﷺ؛ أَيُعَذَّبُ النّاسُ في قُبُورهم؟ فقال رسول الله ﷺ عائذاً بالله من ذلك".

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب رقم:٧، باب: التّعوّذ من عذاب القبر في الكسوف، مصدر سابق، حديث رقم: ١٠٤٩، ج٣، ص٤٦٦.

[٢] - الربيع بن حبيب: مسند الربيع بن حبيب، ترتيب المسند، مصدر سابق، حديث رقم:٤٨٤.

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب رقم:٧٩، باب: الميّت يُعرَضُ عليه مقعَدُهُ بالغداة والعشيّ، مصدر سابق، حديث رقم: ١٣٧٩، ج٤، ص٢١٠.

- حديثُ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ ﷺ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كانَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ هذَا الدّعاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السّورةُ منَ القرآنِ، وهوَ قولُهُ: "اللّٰهُمَّ إِنِّي أعوذُ بكَ منْ عذابِ القبرِ، وأعوذُ بكَ منْ عذابِ جهنّمَ، وأعوذُ بكَ مِنْ فِتنةِ المسيحِ الدجّالِ، وأعوذُ بكَ منْ فتنةِ المحيَا والمَماتِ"[٢].

---

[١] - الربيع بن حبيب: مسند الربيع بن حبيب، ترتيب المسند، مصدر سابق، حديث رقم:٤٨٧.

- انظر صحيح البخاري بلفظ: حدّثنا قُتَيْبة حدّثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد عن طاوس قال ابن عبّاس﵄:" مرّ النّبي ﷺ على قبريْن فقال: إنّهما ليُعذّبان وما يُعذّبان في كبير. ثمّ قال: بلى، أمّا أحدهما فكان يسعى بالنّميمة، وأمّا الآخر فكان لا يستتر من بوله.قال: ثمّ أخذ عوداً رطباً فكسره بإثنتيْن، ثمّ غرز كلّ واحد منهما على قبر ثمّ قال: لعلّه يُخفّف عنهما، ما لم ييْبسا".

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب رقم:٧٧، باب:عذاب القبر من الغيبة والبول، مصدر سابق، حديث رقم: ١٣٧٨، ج٤، ص٢١٠.

[٢] - الربيع بن حبيب: مسند الربيع بن حبيب، ترتيب المسند، مصدر سابق، حديث رقم:٤٩٠.

- انظر صحيح البخاري بلفظ: عن مسلم بن إبراهيم حدّثنا هشام حدّنا يحي عن أبي سلَمَة عن أبي هريرة ﷺ قال "كان رسول الله ﷺ يدعو: اللّٰهُمَّ إِنّي أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النّار، ومن فتنة المحْيَا والممات، ومن فتنة المسيح الدّجّال".

أمَّا أدلّةُ القرآنِ الكريمِ فقدِ اسْتَدَلَّ هودُ بنُ محكّمٍ لإثباتِ عذابِ القبرِ بقولِهِ ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1]، فَفَسَّرَ المعيشةَ الضّنكَ بعذابِ القبرِ[2].

ومِنَ العلماءِ الذينَ وَصَلَنَا قولُهُمْ حولَ إثباتِ عذابِ القبرِ الإمامُ جابرُ بنُ زيدٍ، حيثُ نَقَلَ عنهُ أبو عبيدةَ مسلمٌ والربيعُ بنُ حبيبٍ أنّهُ كانَ مِمَّنْ يُثْبِتُ عذابَ القبرِ. والإمامُ جابرُ بنُ زيدٍ كذلكَ مِمَّنْ يُثْبِتُ سؤالَ الْمَلَكَيْنِ مُنْكرٍ ونَكيرٍ، اللَّذَيْنِ يَأْتِيَانِ الميّتَ في قَبْرِهِ، فَإِمَّا يُبَشِّرَانِهِ وَإِمَّا يُحَذِّرَانِهِ.[3]

ثامنًا: الصِّرَاطُ

يقولُ مصطفَى بنُ محمّدِ بنِ ادريسُو: إنَّ العالمَ الوحيدَ الذي تَمَكَّنَّا مِنَ الحصولِ على رَأْيِهِ في تفسيرِ الصّراطِ هوَ هودُ بنُ محكّمٍ الهوّاريُّ، فقدْ أَقَرَّ أنَّ

- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب رقم:٨٧، باب التّعوّذ من عذاب القبر، مصدر سابق، حديث رقم:١٣٧٧،ج٤، ص٢٠٩.

[1] - سورة طه، الآية:١٢٤.

[2] - هود بن محكم: تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج٣، ص٥٧.
- نقلاً عن: مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣٥٦.

[3] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣٥٧.

الصّراطَ بمعنَاهُ الحسّيِّ لاَ المعنويِّ؛ إِذْ نَقَلَ قولَ بَعْضِهِمْ: "يَمِيلُ بِهِمُ الصّراطُ مرّةً إلى الجنَّةِ ومرّةً إلى النّارِ، ثمَّ يَدْخُلُونَ الجنّةَ". وَأَوْرَدَ أحاديثَ مرفوعةً وموقوفةً تُثْبِتُ الصّراطَ بالمعنَى الحسّيِّ، نَذْكُرُ مِنْهَا[1]:

عنِ الحسنِ عنْ عائشةَ أنَّهَا ذَكَرتِ النّارَ فبَكَتْ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "مَا يُبْكِيكِ؟ قالتْ: ذَكَرْتُ النّارَ فَبَكَيْتُ، فهلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يومَ القيامةِ؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "أمَّا في ثلاثةِ مواطنَ فلاَ يَذْكُرُ أحدٌ أحدًا: عندَ الميزانِ حتّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ ميزانُهُ أوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الكتابِ حينَ يُقَالُ: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ﴾[2] حتّى يَعْلَمَ أينَ يقعُ كتابُهُ، أَفِي يَمِينِهِ أمْ في شمالِهِ أمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصّراطِ إذَا وُضِعَ بيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ"[3].

فالصّراطُ بهذا المفهومِ هُوَ: "الجِسْرُ الذي بَيْنَ الجنَّةِ والنّارِ، يَمُرُّ النّاسُ على قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَلَمْحِ البصرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كالبرقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كالرّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كالفَرسِ الجوادِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمرُّ كَرَاكِبِ الإبلِ،

---

[1] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣٦٢.

[2] - سورة الحاقة، الآية: ١٩.

[3] - لفظ الحديث عن هود بن محكم: "حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز"، أنظر هود بن محكم: تفسير كتاب الله العزيز، مصدر سابق، ج٢، ص١٩٦.

- نقلاً عن: مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣٦٣.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَزْحَفُ زحفًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْطَفُ خَطْفًا وَيُلْقَى في جَهَنَّمَ، فَإِنَّ الجسرَ عليهِ كلاليبُ تَخْطفُ النّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمَنْ مرَّ عَلَى الصّراطِ دخلَ الجنّةَ"[1].

والأَخْذُ بظاهرِ النّصوصِ التي تَحَدَّثَتْ عنِ الصّراطِ دونَ تَأْوِيلِهَا بالهدايةِ قدْ جَرَى عليهِ الإباضيّةُ بعدَ ذلكَ، مِثْلُ الجيطاليِّ والبراديِّ والشيخِ أطفيّشَ في أَحَدِ أقوالِهِ حينَ يأتِي المارُّ علَى الجسرِ وعليهِ كلاليبُ مِنْ نارٍ تَتَخَطَّفُ النّاسَ، فَعِنْدَ ذلكَ تَحلُّ الشّفاعةُ[2].

تاسعًا: مسألةُ القضاءِ والقَدَرِ

يَرْتَبِطُ موضوعُ القضاءِ والقدرِ أساسًا بِفِعْلِ الإنسانِ، لذلكَ صارَ الإنسانُ يتطلّعُ إلى معرفةِ حقيقةِ هذا الموضوعِ، وَيَبْحَثُ عنْ جانبِ المسؤوليّةِ التي يَتَحَمَّلُهَا مِنْ جرّاءِ تصرّفاتِهِ ومَوَاقِفِهِ في الحياةِ[3].

---

[1] - أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي، جدّة، السعودية، ١٩٩٦م،ج٢، ص٣٤.

[2] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣٦٣-٣٦٤.

[3] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣٩٢.

جاءَ في ترتيبِ المسندِ أنَّ جابرَ بنَ زيدٍ يَرَى أنَّ الخلافَ الأوَّلَ الواقعَ حولَ القضاءِ والقدرِ كانَ مصدرُهُ شرارةً طارتْ بها الرّيحُ، فَأَحْرَقَتْ بيتَ اللهِ الحرامِ، فقالَ بعضُ النّاسِ: "قَدَّرَ اللهُ ﷻ هَذَا. وقالَ آخرونَ: "لمْ يُقَدِّرِ اللهُ ﷻ أنْ يَحْتَرِقَ بَيْتُهُ"[1]. فمِنْ ثَمَّ وقعَ الخلافُ الأوّلُ في القَدَرِ.

لكنْ يَبْدُو أنَّ أوَّلَ عبارةٍ مباشرةٍ في هذا الموضوعِ هيَ مقولتانِ لعمرَ بنِ الخطابِ ﷺ:

الأُولَى: حِينَمَا اجْتَنَبَ دُخولَ الشّامِ لانتشارِ الوباءِ فيها، قالَ: "نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ ﷻ إلى قَدَرِ اللهِ ﷻ"[2].

الثانيةُ: حينَمَا جَلَدَ ﷺ السارقَ الذي تَعَلَّلَ بِالقدرِ بَعْدَمَا سُئِلَ عنْ سببِ وُقوعِهِ في المعصيةِ.

هذهِ بدايةُ موضوعِ الحديثِ عنِ القضاءِ والقَدَرِ بينَ المسلمينَ وبدايةُ التحوُّلِ في الإيمانِ بالقضاءِ والقَدَرِ مِنْ مجرّدِ التّسليمِ بما وردَ في نصوصِ الكتابِ والسّنّةِ ودونَ تحليلٍ أوْ تفصيلٍ، مثلِ قولِهِ ﷺ: **"لاَ تَتَّهِمِ اللهَ في شيءٍ**

[1] - الربيع بن حبيب: ترتيب المسند، مصدر سابق، حديث: ٤١٨.

[2] - الربيع بن حبيب: ترتيب المسند، المصدر السابق، حديث: ٦٤١.

قَضَى لَكَ"[1]. إلى مناقشةِ الأدلَّةِ والتّعمقِ فيها، ومحاولةِ الجَمْعِ بينَها، ومِنْ ثَمَّ التّفصيلُ بينَ الفعلِ الإنسانيِّ والفعلِ الإلهيِّ[2].

أمَّا مِنْ علماءِ الإباضيّةِ فَلَمْ نجدْ مَنْ عَرَّفَ القضاءَ والقدرَ، فقدْ أوردَ السالميُّ ثلاثَ تعريفاتٍ في الموضوعِ، واعتبرَ مُؤدَّاهَا واحدًا، وسنختارُ التعريفَ الآتيَ:"القضاءُ إيجادُ جميعِ الكائناتِ إجمالاً في اللَّوحِ المحفوظِ، أمَّا القدرُ فَإِيجَادُهَا تفصيلاً في الموادِّ الخارجيّةِ واحدًا بعدَ آخرَ"[3]، بِدَلِيلِ قولِهِ ﷻ: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[4]. وعليهِ فالقضاءُ يختصُّ بحكمِ اللهِ ﷻ في الأزلِ، أمَّا القدرُ فيختصُّ في التّقديرِ والإيجادِ في الدّنيا[5].

أمَّا عنْ مواقفِ علماءِ الإباضيّةِ مِنَ القضاءِ والقدرِ فنرَى جابرَ بنَ زيدٍ يَقْتَصِرُ على الإحالةِ إلى كتابِ اللهِ دونَ تحليلٍ؛ إذْ تَرْوِي المصادرُ الإباضيّةُ أنَّ الحجّاجَ بنَ يوسفَ الثّقفيَّ وقعَ في نفسِهِ شيءٌ مِنَ القدرِ - يَبْدُو أنَّهُ شَكَّ في

---

[1] - المصدر نفسه، حديث:٤٧.

[2] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣٩٣.

[3] - المصدر نفسه، ص٣٩٤.

[4] - سورة الحجر، الآية:٢١.

[5] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٣٩٤.

إثباتِ القدرِ إلى اللهِ وَاعْتَقَدَ أنَّ الإنسانَ خالقُ أفعالِهِ - فَاسْتَدْعَى كَاتِبَهُ يزيدَ بنَ مسلمٍ الذي أشارَ لهُ بمكاتبةِ جابرِ بنِ زيدٍ في البصرةِ نظرًا لِعِلْمِهِ ولوجودِ روابطَ بَيْنَهُمَا، فكانَ جوابُ جابرٍ أنْ أَمَرَ الحجّاجَ بترديدِ خُطْبَتِهِ، فإنَّ فيها المخرجَ، فَرَدَّدَهَا الحجّاجُ مرارًا حتى انْتَبَهَ لقولِهِ ﷻ: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾[1]، فَتَفَطَّنَ إلى هدايةِ اللهِ لخلقِهِ التي تَنْفِي أنَّهُمْ خَالِقُو أفعالِهِ، أوْ أَنَّهُمْ مُجْبَرُونَ مِنْ قِبَلِ اللهِ لاَ حُرِيَّةَ لهمْ مطلقًا.

وَيَعْتَبِرُ الأستاذُ الجعبيريُّ موقفَ جابرِ بنِ زيدٍ هُنَا هوَ نفسُ موقفِ الصّحابةِ لإيمانِهِم بقدرةِ اللهِ وعدمِ الخوضِ في تفاصيلِ الموضوعِ.

أمَّا أبو عبيدةَ مسلمُ بنُ أبي كريمةَ فَنُلَخِّصُ أقوالَهُ في القدرِ وهيَ تَنْحَصِرُ فيمَا يأتي: تَجَنُّبُوا الكلامَ في القَدَرِ – إثباتُ عِلْمِ اللهِ الأَزَلِيِّ – التّفصيلُ في المسألةِ مِنْ خلالِ بيانِ القدرِ والمقدورِ[2].

عَاشِرًا: الإِمَامَةُ

تَنْصِيبُ الإمامِ عندَهُم واجبٌ لتطبيقِ أحكامِ اللهِ ﷻ في الأرضِ وإقامةِ الحدودِ، والإمامةُ عندَ الإباضيّةِ حقٌّ لكلِّ مسلمٍ إذَا تَوَافَرَتْ فيهِ الدّيانةُ

---

[1] - سورة الاعراف، الآية: ١٨٦.

[2] - مصطفى بن محمد بن ادريسو: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مصدر سابق، ص٤٠٦.

والدّرايةُ والغيرةُ والهمّةُ والشّجاعةُ[1]. ولاَ يَرَوْنَ للإمامِ عصمةً، فالإمامُ كغيرِهِ مِنَ النّاسِ وَمُكَلَّفٌ مِنْ طَرَفِ الرّعيّةِ، وَلاَ يُشْتَرَطُ أنْ يكونَ مِنْ قبيلةٍ دونَ أُخْرَى، المهمُّ فيهِ الكفاءةُ والخبرةُ، وقدِ اخْتَارُوا عبدَ الرحمنِ بنَ رستمَ أنْ يَكُونَ إمامًا للدولةِ الرّستميةِ في الغربِ وهوَ لاَ يَنْتَمِي لعشيرةٍ قويّةٍ ولاَ إلى نسبٍ قويٍّ، بلْ أصلُهُ ليسَ مِنَ المغربِ العربيِّ، بلْ هوَ مُسْتَوْرَدٌ مِنَ الفرسِ، وَقَبِلُوا أنْ يُبَايِعُوهُ، وهذَا أكبرُ دليلٍ على عدمِ رُؤْيَتِهِمْ بِعِصْمَةِ الإمامِ وعدمِ تَشَدُّدِهِمْ أنْ يكونَ منهمْ مثلَ الشّيعةِ[2]. ولاَ يُسَمُّونَ إمامَهُم أميرَ المؤمنينَ، ولاَ يُسَمُّونَ أنفسَهُم مُهَاجِرِينَ، وَيَرَوْنَ أنَّ العالمَ يَفْنَى كلُّهُ إذَا فَنِيَ أهلُ التّكليفِ[3].

---

[1] - محسن بربر: الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢١.

[2] - المصدر نفسه، ص٢٢.

[3] - أبو الفضل أبو القاسم بن ابراهيم البرادي (ت حوالي ٨١٠م): دراسة في تاريخ الإباضيّة وعقيدتها مع رسالة في كتب الإباضيّة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب وأحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ت، ص١٢.

- محمّد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، الأهليّة للنّشر والتّوزيع، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠١١م، ص٢٣٨.

الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ: أَمَاكِنُ تَوَاجُدِ الإِبَاضِيَّةِ

انْحَسَرَ الإباضيّةُ مِنْ أكثرِ البلدانِ التي انْتَشَرُوا فيها، فَلَمْ يَبْقَوْا إلاَّ في المواطنِ الآتيةِ:

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: عُمَانُ

يقولُ عليّ يحيى معمّر: "وأغلبُ سكّانِ عُمانَ إلى الآنَ على المذهبِ الإباضيِّ، وقدْ تَكَوَّنَتْ لهمْ هناكَ دولةٌ مستقلّةٌ عنْ دارِ الخلافةِ منذُ العهدِ الأمويِّ حتَّى الآنَ، تَسِيرُ أحيانًا على نهجِ الإمامةِ العادلةِ، وأحيانًا على منهجِ الملَكيةِ المستبدّةِ، وَأَحْيَانًا تَنْقَسِمُ إلى دولتَيْنِ: إِمَامِيَّةٍ مَلَكِيَّةٍ"[1] حَتَّى تَتَغَلَّبَ إِحْدَاهُمَا على الأُخْرَى[2].

المطلبُ الثّاني: زنْجبَار

يقولُ علي يحيى معمّر: "كانَ أغلبُ سكّانِ زنجبارَ مِنَ الإباضيّةِ، وكانتْ لهمْ هناكَ دولةٌ مَلكيةٌ، وكانَ بها نشاطٌ جيّدٌ في نشرِ الثقافةِ الإسلاميّةِ، وَتَوَلَّى بعضُ سلاطينِها نَشْرَ بعضِ الكتبِ في الفقهِ والتّفسيرِ والحديثِ والتّاريخِ، وكانَ لأهلِ زنجبارَ أيادٍ طويلةٌ في نَشْرِ الإسلامِ في شرقِ ووسطِ وجنوبِ إفريقيا

---

[1] - علي يحيى معمر: الإباضيّة مذهب إسلامي معتدل، مصدر سابق، ص١٢.

- محمد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، مصدر سابق، ص٦٠.

[2] - السيد عبد الحافظ عبد ربه: الإباضيّة مذهب وسلوك، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧م، ص٢٨٦.

بسببِ العلاقاتِ الاقتصاديّةِ الطيبةِ التي كانتْ تَرْبِطُهُمْ بتلكَ الجهاتِ، وكانتْ سلطنةُ زنجبارَ معَ دولةِ عُمانَ قوّةً رادعةً لحمايةِ الثّغورِ الواقعةِ علَى ساحلِ المحيطِ الهنديِّ[1].

المطلبُ الثّالثُ: لِيبيا

دخلَ المذهبُ الإباضيُّ إلى ليبيَا في أوائلِ القرنِ الثاني الهجريِّ[2]، وقدْ تَقَلَّصَ نفوذُ الإباضيّةِ في ليبيَا إلى جبلِ نفوسةَ[3] وزوارة. وَشَكَّلُوا في كلِّ قريةٍ أوْ مدينةٍ مجلسَ مشايخَ، وَمِنْ رؤساءِ جميعِ المجالسِ كوَّنُوا المجلسَ الأعلَى للعزّابةِ، وَجَعَلُوا مقرَّ اجتماعِ المجلسِ الأعلَى للعزّابةِ في الجبلِ في مدينةِ

---

[1] - المصدر نفسه، ص٣٤.

- محمد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، مصدر سابق، ص٦٠.

[2] - علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الثانية، الإباضيّة في ليبيا، مصدر سابق، ص٢٨٣.

[3] - جبل نفوسة، كانت قبيلة نفوسة أكبر قبائل البربر وأكثرها انتشارا من طرابلس وجبل نفوسة وحتى القيروان، وكان الجبل معقلهم الأساس، ويبلغ طوله من الشرق إلى الغرب مسيرة ستة أيام، وارتفاعه نحو ثلاثة أيام، وهو عامر بالمدن والحصون والضياع والقرى، أهم مدنه: شروش، وجادو، ومسيف، كانت قبائل نفوسة على النصرانية قبل الإسلام، إعتنقت المذهب الإباضي في اوائل القرن الهجري الثاني، وأسهمت بنصيب وافر من ثورات الإباضيّة في الشمال الإفريقي، وكانت نفوسة رغم تبعيتها للدولة الرستمية إلا أنها كانت شبه مستقلة لبعتها عن تاهرت.

- الشماخي: السير، مصدر سابق، ج١، ص١٩٢ – ٢٧٣.

جادُو، وقدْ تَمَّ اختيارُ هذهِ المدينةِ لِتَوَسُّطِهَا بينَ مناطقِ المدينةِ في الجبلِ[1]. وقدْ قامتْ للإباضيّةِ في الجناحِ الغربيِّ مِنْ ليبيَا دولٌ في فتراتٍ مُتَقَطِّعَةٍ[2].

المطلبُ الرّابعُ: تُونس

في مطلعِ القرنِ الثاني الهجريِّ بدأَ المذهبُ الإباضيُّ ينتشرُ بسرعةٍ في تونسَ، كما انْتَشَرَ في مصرَ وليبيا وبقيّةِ المغربِ، وأهمُّ سببٍ لانتشارِهِ بسرعةٍ أنَّ أتباعَهُ والدّعاةَ إليهِ حَافَظُوا على صفاءِ الرّسالةِ الإسلاميّةِ، فلمْ يَنْحَرِفُوا عنِ النهجِ القويمِ الذي عَرَفَهُ النّاسُ لرسولِ اللهِ ﷺ ولخلفائِهِ الرّاشدينَ[3]. وَقَدْ تَقَلَّصَ نفوذُ الإباضيّةِ في تونسَ إلى جزيرةِ جربةَ، والجزيرةُ يوجدُ فيها إلى جانبِ شيخِ العزّابةِ شيخٌ آخرُ يُطْلَقُ عليهِ شيخُ الحكمِ، وهوَ يتولَّى الشؤونَ الإداريّةَ والسياسيّةَ والعلاقاتِ الخارجيةَ للجزيرةِ، في حينِ يتولَّى شيخُ العزّابةِ الشؤونَ الدّينيّةَ والاجتماعيّةَ باسمِ مجلسِ العزّابةِ[4].

---

[1] - عبد الرحمان حجازي: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الافريقي، مصدر سابق، ص٥٨.

[2] - محمد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، مصدر سابق، ص٦٠.

[3] - علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الثالثة، الإباضيّة في تونس، مصدر سابق، ص٤٩٩.

[4] - عبد الرحمان عثمان حجازي: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الافريقي من القرن الأوّل حتى القرن العاشر هجري، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٥٨.

المطلبُ الخامسُ: الْجَزَائِرِ

إنَّ المذهبَ الإباضيَّ دخلَ إلى الجزائرِ في أواخرِ القرنِ الأوَلِ وأوائلِ القرنِ الثاني معَ تلاميذِ الإمامِ جابرِ بنِ زيدٍ نفسِهِ، وَمِنْهُمْ سلمةُ بنُ سعدٍ الذي طافَ جميعَ بلادِ المغربِ الإسلاميِّ، واستطاعَ أنْ يُكَوِّنَ بعثةً علميّةً في المغربَيْنِ الأدنَى والأوسطِ تَحْمِلُ العلمَ مِنَ العراقِ، وَتَسِيرُ بهِ معَ الشمسِ[1].

لَجَأَ الإباضيّةُ في الجزائرِ إلى مكانٍ يَحْمِيهِمْ مِنْ غاراتِ الأعداءِ، فَوَقَعَ اخْتِيَارُهُمْ على بُقْعَةٍ صحراويةٍ بعيدةٍ عنِ الأنظارِ وَبِمَعْزِلٍ عنْ مَسَالِكِ البدوِ طلبًا للأمنِ وَلِلرَّغْيِ، وذلكَ بوادِي ميزابَ[2]. توَافَدَتْ إليها جماعاتٌ منْ جربة

- محمد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، مصدر سابق، ص٦٠.

[1] - علي يحي معمر: الإباضيّة في موكب التاريخ، الحلقة الرابعة، الإباضيّة في الجزائر، مصدر سابق، ص١٠.

[2] - وادي ميزاب تبعد هذه المنطقة عن العاصمة الجزائرية ٦٠٠ كلم، إلى جنوب الجزائر في شمال الصحراء الكبرى، في ناحية تسمى الشبكة، وهي منطقة جبلية تتخللها أودية، وقد آثر الميزابيون هذه المنطقة الجبلية الوعرة لمنعتها، وجودة هوائها، وبعدها عن الشمال. وكان الميزابيون إلى آخر القرن الثالث الهجري في شمال الجزائر، وفي نواح أخرى من المغرب الأدنى والأقصى. وقد لجأوا إلى الصحراء بعد سقوط الدولة الرستمية. وتتميز منطقة وادي ميزاب بالطابع الصحراوي على العموم. أما الأمطار فسقوطها قليل جدا، بحيث لا تتجاوز في أحسن الحالات ٢٥ ملم في السنة. وهذه المنطة يكثر فيها النخيل، والذي يعد العمود الفقري في اقتصاد المنطقة- لا سيما قديما- قبل أن تعرف المنطقة تطورات هامة في التجارة والصناعة والسياحة والبترول.

ونفوسةَ وتَاهرْت، وربَّمَا وُجِدَ فيها البصريّونَ والكوفيّونَ ومِنْ كلِّ الفئاتِ الإباضيّةِ التي تَوَاجَدَتْ في المغربِ، وكلُّ ما يَجْمَعُهَا مَصِيرٌ واحدٌ وهدفٌ واحدٌ.

وَطَبَّقَ الإباضيّةُ في الجزائرِ نظامَ العزّابةِ، وشيخُ العزّابةِ في الوادِي هوَ الذي يُعْلِنُ الاتّفاقاتِ التي تَصْدُرُ عنِ المجلسِ، وليسَ لهُ أنْ يُصْدِرَ أمرًا إلى جميعِ سكّانِ الوادِي دونَ الرّجوعِ إلى المجلسِ واتخاذِ القرارِ فيهِ، ويَرْبِطُ بينَ هذهِ التجمّعاتِ الإباضيّةِ في كلٍّ مِنْ جبلِ نفوسةَ جزيرةِ جربةَ وَوَادِي ميزابَ مجلسٌ أَعْلَى للعزّابةِ، وتكونُ لهُ الكلمةُ النّافذةُ على جميعِ المجالسِ، وشيخٌ واحدٌ يَتَوَلَّى تنفيذَ قراراتِ المجلسِ معَ اختلافٍ بسيطٍ في الاختصاصاتِ[1]. وقامتْ للإباضيّةِ في الجزائرِ دولةٌ تَعَاقَبَ عليها ستةُ أئمّةٍ مُتَتَابِعِينَ، فَاشْتُهِرَتْ باسمِ الدّولةِ الرّستميّةِ[2].

- محمد علي دبوز: نهظة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، الجزائر، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ج١، ص١٥٠.
- بكير بن سعيد أغوشت: قطب الائمة العلامة محمد بن يوسف اطفيش، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ١٩٨٩م، ج١، ص١٥٠-١٥١.

[1] - عبد الرحمان حجازي: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي، مصدر سابق، ص٥٨.

[2] - محمد حسن مهدي: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، مصدر سابق، ص٦٠.

الفصلُ الثّالث: جَدَلِيَّةُ الْعلاَقَةِ بَيْنَ الإباضيّةِ وَالْخَوَارِجِ

تَمْهِيدٌ

المبحثُ الأوّلُ: إِدْرَاجُ المؤرّخِينَ فِرقةَ الإباضيّةِ ضِمْنَ فِرَقِ الخوارجِ.

المبحثُ الثّاني: أسبابُ عَدِّ الإباضيّةِ مِنْ فِرَقِ الخوارجِ.

المبحثُ الثّالثُ: مَوْقِفُ الإباضيّةِ مِنَ الخوارجِ.

المبحثُ الرّابعُ: رُدُودُ علماءِ الإباضيّةِ علَى كُتّابِ المقالاتِ.

المبحثُ الخامسُ: براءةُ الإباضيّةِ مِنَ الفِكرِ الخارجيِّ.

تَمْهِيدٌ:

إنَّ العلاقةَ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ في حاجةٍ إلى دراساتٍ مُستفيضةٍ، وَبُحُوثٍ مطوّلةٍ، وندواتٍ متعدِّدةٍ، لِمَا شَابَ هذهِ العلاقةَ مِنْ شوائبَ شَوَّهَتِ الحقيقةَ وَغَيَّرَتِ المفاهيمَ، فقدْ كانَ الحديثُ عنْ هذهِ العلاقةِ فُرصةً للصّدعِ بالحقِّ وإظهارًا للحقيقةِ، فكانتِ الوسيلةَ الوحيدةَ لإزاحةِ التُّهمِ التي أُلصِقَتْ بالإباضيّةِ، وكانتْ هذهِ الأخيرةُ - أهلُ الاستقامةِ - خوارجُ عندَ كثيرٍ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ وكُتَّابِ المقالاتِ القدماءِ والمُعاصرينَ علَى حدٍّ سواء.

وَلَفْظَةُ "خوارجَ" لَفْظَةٌ مَطَّاطَةٌ مَرِنَةٌ، يُؤَوِّلُها كُلٌّ حَسَبَ هَوَاهُ، وَحَسَبَ ما يُمْلِيهِ عليهِ الظَّرفُ والموقفُ والغَرَضُ، فَتَعْنِي الخُروجَ عنْ طاعةِ المُسلمينَ وعنْ خَلِيفَتِهِمْ عندَ البعضِ، وتعنِي المُروقَ عنِ الدِّينِ عندَ آخرينَ، فَتَلَقَّفَها المؤرّخونَ، وَأَعْطَوْهَا طابعَ الحقيقةِ التي لاَ تَقْبَلُ الجدالَ والمناقشةَ، وَتَتَعَاقَبُ الأحداثُ التّاريخيةُ المتلاحقةُ لتُؤَصِّلَ هذا المفهومَ أوْ ذاكَ في النّفوسِ، وَتَتَنَاقَلُهَا الأجيالُ المُتتاليةُ، وتتكوّنُ لديها نظرةٌ خاصةٌ نحوَ هذهِ الطّائفةِ تَتَّسِمُ بالعدَاءِ وتَصِفُهَا بالزَّيْغِ والضَّلالِ، فكانَ العَملُ علَى تغييرِ هذهِ النّظرةِ، وَبَيَانِ حقيقةِ ما أُريدَ بهذهِ الكلمةِ يومَ أَطْلَقَها مَنْ أَطْلَقَها، وبالتّالي تَبْرِئَةُ ساحةِ أتباعِ المذهبِ الإباضيِّ كمُحاولةٍ لِرَأْبِ الصّدعِ وَلَمِّ الشَّمْلِ، وَوَحْدَةِ المُسلمينَ.

المبحثُ الأوّلُ: إدراجُ المؤرّخينَ فِرقةَ الإباضيّةِ ضِمنَ فِرَقِ الخوارجِ

المطلبُ الأوّلُ: المُؤرِّخونَ والكُتّابُ القُدَماءُ

إنَّ الذّينَ كَتَبُوا عنِ العقائدِ الإسلاميّةِ واستَعْرَضُوا مقالاتِ الفِرَقِ فيها مِنَ القدماءِ عددٌ كبيرٌ، وليسَ في وُسْعِ الدَّارسِ أنْ يَتَتَبَّعَهُمْ جميعًا، ولاَ أنْ يَسْتَحْضِرَ كلَّ ما قَالُوهُ، فَعِنْدَمَا يَرْجِعُ الباحثُ إلى الكُتُبِ التي تَحَدَّثَتْ عنِ الفِرَقِ والمذاهبِ يَرى بِوُضوحٍ أنَّ أغلبَ المؤرّخينَ الذّينَ كَتبُوا عنِ الإباضيّةِ يَعْتَبِرُونَهُمْ فِرقَةً مِنْ فِرَقِ الخوارجِ، وبعدَ دِرَاسَتِي لموضوعِ الإباضيّةِ في عددٍ مِنْ تلكَ الكُتبِ ارْتَأَيْتُ أنْ أَقِفَ علَى أشهرِ مَنْ كَتبَ عنِ الفِرَقِ في هذهِ المواضيعِ، وَكُتُبُهُمْ تُعْتَبَرُ مَصَادِرَ ومراجعَ لاَ يَسْتَغْنِي عنها باحثٌ في هذا المجالِ، وكلُّ مَنْ جاءَ بَعْدَهُمْ فَهُوَ يأخذُ عَنْهُمْ، ومِنْ بينِ هؤلاءِ المؤلّفينَ والكُتّابِ القُدَمَاءِ الذينَ اطَّلَعْتُ على جزءٍ يسيرٍ مِنْ مقالاتِهِمْ نَذْكُرُ:

- أبو الحسنِ عليُّ بنُ إسماعيلَ الأشعريُّ (ت٣٢٤هـ): "مقالاتُ الإسلاميّينَ وَاختلافُ الْمُصَلِّينَ".

- عبدُ القاهرِ بنُ طاهرٍ البغداديُّ (ت٤٢٩هـ): "الفَرْقُ بينَ الفِرَقِ وبيانُ الفِرقةِ النّاجيةِ".

- أبو محمّدٍ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ سعيدِ بنِ حزمٍ (ت٤٥٦هـ): "الفَصْلُ في الْمِلَلِ وَالْأَهْوَاءِ والنِّحَلِ".

- أبُو المظفّرِ بنُ طاهرٍ الأسفراييِنيُّ (٤٧١هـ): "التَّبْصِيرُ في الدِّينِ".

- أبو الفتحِ محمّدُ بنُ عبدِ الكريمِ الشّهرستانيُّ (٥٤٨هـ): "المِلَلُ وَالنِّحَلُ".

أوّلاً: نَبْدَأُ بأبي الحسنِ الأشعريِّ[1] في كتابِهِ: "مقالاتُ الإسلاميينَ واختلافُ المصلّينَ"، الذِي قالَ بأنَّ الإباضيَّةَ خوارجُ، وذلكَ في استعراضِهِ

[1]- هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ؛ هو صاحب الأصول والقائم بنُصرة مذهب السنّة، وإليه تُنسب الطّائفة الأشعريّة، وشُهرته تُغني عن الإطالة في تعريفه، والقاضي أبو بكر الباقلاني ناصر مذهبه ومؤيّد اعتقاده، وكان أبو الحسن يجلس أيّام الجمع في حلقة أبي إسحاق المروزي الفقيه الشّافعي في جامع المنصور ببغداد؛ ومولده سنة سبعين، وقيل ستّين ومئتين بالبصرة، وتوفّي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وقيل سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وقيل سنة ثلاثين، حكاه ابن الهمذاني في "ذيل تاريخ الطّبري" ببغداد، وقال بعض البصريّين مات سنة ثلاث وثلاثين، وهذا القول أراه صحيحاً، والأصحّ أنّه مات سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ودُفن بين الكرخ وباب البصرة. وكان أبو الحسن الأشعري أوّلاً معتزليّاً، ثمّ تاب من القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، ورقيَ كرسيّا ونادى بأعلى صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرّفُه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن وأنّ

لِفِرَقِ الخوارجِ والحديثِ عنهُمْ بصورةٍ عامّةٍ بعدَ أنْ أَدْرَجَ مبحثًا أَطْلَقَ عليهِ: مقالاتُ الخوارجِ، يقولُ: "وأَصْلُ الخوارجِ إنَّمَا هوَ قَوْلُ الأزارقةِ والإباضيّةِ والصّفريةِ والنّجديّةِ، وكُلُّ الأصنافِ سِوَى الأزارقةِ والإباضيّةِ والنّجديّةِ فإنَّمَا تَفَرَّعُوا مِنَ الصّفريّةِ". فقدِ اعْتَبَرَ الإباضيّةَ فِرقةً مِنْ فِرَقِ الخوارجِ، ويقولُ أيضًا في كتابِهِ: "ومِنَ الخوارجِ الإباضيّةُ"، وقدْ قَسَّمَهَا إلى فِرَقٍ سَنَذْكُرُهَا باختصارٍ، فيقولُ: "فالفِرقةُ الأولى مِنْهُمْ يُقالُ لهمُ الحفصيّةُ كانَ إمامُهُم حفصُ بنُ أبي المقدامِ زَعَمَ أنَّ بينَ الشِّركِ والإيمانِ معرفةَ اللهِ وحدَهُ، فمَنْ عَرَفَ اللهَ سبحانَهُ ثمَّ كَفرَ بما سواهُ مِنْ رسولٍ أوْ جنّةٍ أو نارٍ أوْ عمِلَ بجميعِ الخبائثِ مِنْ قَتْلِ النّفسِ واستحلالِ الزّنا وسائرِ ما حرَّمَ اللهُ سبحانَهُ مِنْ فُروجِ النّساءِ فهوَ كافرٌ بريءٌ مِنَ الشِّركِ"[1].

واستمرَّ في كلامِهِ فقالَ: "والفِرقةُ الثّانيةُ مِنهمْ يُسمَّوْنَ اليزيديّةَ، كانَ إمامُهُم يزيدَ بنَ أنيسةَ". وذَكرَ آراءَهُم فقالَ: "وزَعَمَ أنَّ اللهَ سبحانَهُ سَيبعثُ

اللهَ لا تراه الأبصار وأنّ أفعال الشّر أنا أفعلها، وأنا تائبٌ مُقلع، مُعتقد للرّد على المُعتزلة مُخرجٌ لفضائحهم ومعاييبهم.

- أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي(ت٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٠٠م، ج٣، ص٢٨٦.

[1]- أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري: مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصريّة، ط١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج١، ص٩٥.

رسولاً مِنَ العَجمِ ويُنزِّلُ عليهِ كتابًا مِنَ السّماءِ، وَيُنَزِّلُ عليهِ جملةً واحدةً... وتولَّى مَنْ شهدَ لمحمّدٍ ﷺ بالنُبوّةِ مِنْ أهلِ الكتابِ وإنْ لمْ يَدْخُلُوا في دِينهِ ولم يَعْمَلُوا بِشَريعتِهِ، وزَعمَ أنَّهُم بذلكَ مُؤمنونَ، فَمِنَ الإباضيّةِ مَنْ وَقَفَ فيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَرئَ مِنهُ، وجُلُّهُم تبرّأَ منهُ"[1].

ثمَّ يُكْمِلُ فَيَقُولُ: "والفِرقةُ الثّالثةُ مِنَ الإباضيّةِ أصحابُ حَرْثٍ الإباضيِّ، قالوا في القَدَرِ بِقَولِ المعتزلةِ، وخالَفُوا فيهِ سائرَ الإباضيّةِ، وزَعَمُوا أنَّ الاستطاعةَ قَبلَ الفِعلِ". ويقولُ: "وزَعَمُوا أنَّ الدّارَ - يَعْنُونَ دارَ مُخَالِفِيهِمْ - دارُ توحيدٍ إلاَّ عَسْكرَ السُّلطانِ فإنّهُ دارُ كُفْرٍ - يَعْنِي عِنْدَهُمْ".

ثمّ يُكْمِلُ وَيَقُولُ: "والفرقةُ الرّابعةُ منهُمْ يقولونَ بطاعةٍ لاَ يُرادُ اللهُ بها علَى مَذْهبِ أبي الهذيلِ، ومعنَى ذلكَ أنَّ الإنسانَ قدْ يَكُونُ مُطيعًا للهِ إذَا فَعَلَ شيئًا أَمَرَه اللهُ بهِ، وإنْ لمْ يَقْصِدِ اللهَ بِذَلِكَ الفعلِ ولاَ أَرَادَهُ بِهِ[2].

ومِنْ هُنَا نَفْهَمُ أنَّ الأشعريَّ قَدْ قسَّمَ الإباضيَّةَ إلى أربعِ فِرَقٍ كُبرَى، وأنَّ بَعضَ هذهِ الفِرَقِ انقَسَمَتْ أيضًا إلى فِرَقٍ أُخرى فرعيَّةٍ.

---

[1] - أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري: مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، مصدر سابق، ج١، ص٩٦.

[2] - أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري: مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، مصدر سابق، ج١، ص٩٧.

ويُكْمِلُ الأشعريُّ كَلَامَهُ فَيَقُولُ: "وقالُوا: مَنْ سَرَقَ خمسةَ دراهِمَ فصاعدًا قُطِعَ، وقالَ القومُ الذّينَ زَعَمُوا أنَّ المنافقَ كافرٌ وَلَيْسَ بمُشرِكٍ: إنَّ المنافقينَ علَى عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ كانُوا مُوحِّدينَ، وكانُوا أصحابَ كبائرَ. وقالُوا: كُلُّ شيءٍ أمرَ اللهُ بهِ عبادَهُ فهوَ عامٌّ لَيْسَ بِخَاصٍّ، وقدْ أَمَرَ اللهُ بهِ الكافرَ والمؤمنَ. وقالَ بعضُهُم: ليسَ علَى النَّاسِ المَشْيُ إلى الصلاةِ والركوبُ إلى الحجِّ، ولاَ شَيْءَ مِنْ أسبابِ الطّاعاتِ التي يتوصَّلُ بِهَا إليهَا وإنَّما عَلَيْهِمْ فِعْلُهَا بِعَيْنِها فقطْ. وقالُوا جميعًا: إنَّ الواجبَ أنْ يَسْتَتِيبُوا مَنْ خَالَفَهُمْ في تنزيلٍ أوْ تأويلٍ، فإنْ تابَ وإلاَّ قُتِلَ، كانَ ذلكَ الخلافُ فيمَا يَسَعُ جَهْلُهُ أوْ فِيمَا لاَ يَسَعُ جَهْلُهُ. وقالُوا: مَنْ زنَا أوْ سَرقَ أُقيمَ عليهِ الحدُّ، ثمَّ استُتيبَ، فإنْ تابَ وإلاَّ قُتِلَ[1]. ويُضيفُ الأشعريُّ قائلاً:

"والإباضيّةُ يقولونَ: إنَّ جميعَ ما افْتَرَضَ اللهُ سبحانَهُ على خلقِهِ إيمانٌ، وأنَّ كلَّ كبيرةٍ فهيَ كُفرُ نعمةٍ لاَ كُفرُ شركٍ، وأنَّ مُرْتَكِبي الكبائرِ في النّارِ خالدونَ مُخلَّدونَ فيهَا". ويقولُ أيضًا: "وَوَقَفَ كثيرٌ مِنَ الإباضيَّةِ في إيلامِ أطفالِ المُشركينَ في الآخرةِ فَجَوَّزُوا أنْ يُؤْلِمَهُمُ اللهُ سبحانَهُ في الآخرةِ على طريقِ الانتقامِ، وَجَوَّزُوا أنْ يُدخِلَهُمُ الجنَّةَ تَفضُّلاً، وَمِنْهُمْ مَنْ قالَ: إنَّ اللهَ سبحانَهُ يُؤْلِمُهُمْ علَى طريقِ الإيجابِ لاَ علَى طريقِ التَّجويزِ[2].

---

[1] - المصدر نفسه، ج١، ص٩٧- ٩٨.

[2] - المصدر نفسه، ج١، ص١٠٠.

ويُكْمِلُ الأَشْعَرِيُّ حَدِيثَهُ عنِ الإباضيَّةِ فيقولُ: "والخوارجُ جميعًا يقولونَ بخَلقِ القرآنِ، والإباضيَّةُ تُخالفُ المعتزلةَ في التَّوحيدِ في الإرادةِ فقطْ؛ لأنَّهمْ يَزعمونَ أنَّ اللهَ سبحانَهُ لمْ يزلْ مُريدًا لمعلوماتِهِ التِي تكونُ أنْ تكونَ ولمعلوماتِهِ التِي لاَ تكونُ أنْ لاَ تَكُونَ"[1].

وَيُتَابِعُ الأشعريُّ قولَهُ: "وأمَّا السَّيفُ فإنَّ الخوارجَ تقولُ بهِ وتَرَاهُ، إلاَّ أنَّ الإباضيَّةَ لاَ ترَى اعتراضَ النَّاسِ بالسَّيفِ، ولكنَّهمْ يَرَوْنَ إزالةَ أئمَّةِ الجورِ وَمَنْعَهُمْ مِنْ أنْ يكونُوا أئمَّةً بأيِّ شيءٍ قَدرُوا عليهِ بالسَّيفِ أوْ بغيرِ السَّيفِ"[2].

ثانيًا: وبعدَ مرورِ قُرابةِ القرنِ مِنْ ظهورِ الأشعريِّ جاءَ مؤلِّفٌ آخرُ اهتمَّ بالحديثِ عنْ الفِرَقِ والمقالاتِ الإسلاميَّةِ وهوَ عبدُ القاهرِ البغداديُّ[3] في

---

[1] - أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري: مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، مصدر سابق، ج١، ص١٠٨.

[2] - المصدر نفسه، ج١، ص١٠٩.

[3] - هو الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن محمّد البغدادي الفقيه الشّافعي الأصولي الأديب؛ كان ماهرا في فنون عديدة، خصوصاً علم الحساب، فإنّه كان متقناً له ولـه فيه تواليف نافعة، منها كتاب "التّكملة"، وكان عارفاً بالفرائض والنحو، ولها أشعار، وذكره الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في سياق "تاريخ نيسابور"، وقال: "ورد مع أبيه نيسابور، وكان ذا مال وثروة وأنفقه على أهل العلم والحديث، ولم يكتسب بعلمه مالاً، وصنّف في العلوم، وأربى على أقرانِه في الفنون، ودرس في سبعة عشر فنّاً، وكان قد تفقّه على أبي

كتابِهِ "الفَرْقُ بَيْنَ الْفِرَقِ"، فَعَدَّ الإباضيَّةَ فِرقةً مِنْ فِرَقِ الخوارجِ، فقدْ أَدْرَجَ فصْلاً عَنْوَنَهُ: بيانُ مقالاتِ فِرَقِ الخوارجِ، وهوَ نفسُ العنوانِ الذي وَضَعَهُ الأشعريُّ مِنْ قَبْلِهِ، وأَخَذَ يُعَدِّدُ فِرَقَ الخوارجِ.

يقولُ البغداديُّ: "قدْ ذَكَرْنَا قبلَ هذَا أنَّ الخوارجَ عِشرُونَ فِرقةً، وهذِهِ أسماؤُهَا: الْمُحَكِّمَةُ الأُولى، الأزَارِقَةُ، والنّجداتُ، والصّفريةُ، ثُمّ العجاردةُ المُفترقةُ فِرَقًا منها: الخازميّةُ، والشّعيبيّةُ، والمعلوميّةُ، والمجهوليّةُ، وأَصْحَابُ طَاعَةٍ لاَ يُرَادُ اللهُ تَعالَى بهَا، والصّلتيّةُ، والأخنسيّةُ، والشّيبيّةُ، والشّيبانيّةُ، والمعبديّةُ، والرّشيديّةُ، والمكرميّةُ، والخمريّةُ، والشّمراخيّةُ، والإبراهيميّةُ، والوافقةُ، والإباضيّةُ، منْهمُ افْتَرقتْ فِرقًا مُعْظَمُهَا فريقانِ: حفصيّةٌ، وحادثيّة.

إسحاق الإسفراييني، وجلس بعده للإملاء في مكانِه بمسجد عقيل فأملى سنين، واختلف إليه الأئمّة فقرؤوا عليه، مثل ناصر المروزي وزين الإسلام القشيري وغيرهما". توفِّي سنة تسع وعشرين وأربعمائة بمدينة إسفراين، ودُفن إلى جانب شيخه الأستاذ أبي إسحاق، رحمهما الله تعالى.

- أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، مصدر سابق، ج٣، ص٢٠٣.

فأمَّا اليزيديّةُ منَ الإباضيّةِ، والميمونيّةِ مِنَ العجاردةِ؛ فإنّها فِرْقَتَانِ مِنْ غُلاةِ الكَفرَةِ الخارجينَ عنْ فِرَقِ الأُمّةِ[1].

ثمَّ يُكْمِلُ البغداديُّ حديثَهُ عنِ الخوارجِ حتَّى يَصِلَ إلى الإباضيّةِ فَيُقَسِّمُهَا هوَ أيضًا إلى فِرَقٍ، ويقولُ: "أجمعتِ الإباضيّةُ على القَوْلِ بإمامةِ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ، وَافْتَرَقَتْ فيمَا بينَهَا فِرَقًا يَجْمَعُهَا القَوْلُ بأنَّ كُفّارَ هذِهِ الأمّةِ - يَعْنُونَ بذلكَ مُخالفِيهِم مِنْ هذِهِ الأُمّةِ - بُرَآءُ منَ الشّركِ والإيمانِ، وأنَّهُم لَيْسوا مُؤْمِنِينَ ولاَ مُشركِينَ، ولكنَّهُم كُفّارٌ، وَأَجَازُوا شَهَادَتَهُم وَحَرَّمُوا دِمَاءَهُمْ في السِّرِّ، وَاسْتَحَلُّوهَا في العلانِيَةِ، وَصَحَّحُوا مُنَاكِحَتَهُمْ والتوارثَ منْهُمْ، وزَعَمُوا أنَّهُم في ذلكَ مُحاربونَ للهِ ولِرَسولِهِ لاَ يَدِينُونَ دِينَ الحقِّ، وَقَالُوا باستحلالِ بعضِ أموالِهِم دونَ بعضٍ".

ثُمَّ يُكمِلُ البغداديُّ حديثَهُ عنِ الإباضيّةِ فيقولُ: "ثُمَّ افترقتِ الإباضيّةُ فيمَا بَيْنَهُمْ أربعَ فِرَقٍ، وهيَ: الحفصيّةُ، والحارثيّة، واليزيديّة، وأصحابُ طاعةٍ

[1] - عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني: الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفِرقَة النّاجيَة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٧م، ص٥٤-٥٥.

لاَ يُرادُ اللهُ بِهَا"[1]. وقدْ فَصَّلَ في هذهِ الفِرَقِ وَعَرَّفَهَا كَمَا عَرَّفَهَا الأشعريُّ قَبْلَهُ في حديثِهِ عنْ هذهِ الفِرَقِ[2].

وَيَسْتَمِرُّ البغداديُّ في ذكرِ آرائِهِ عنِ الإباضيّةِ، وهيَ تقريبًا نفسُ الآراءِ التّي ذَكَرَهَا الأشعريُّ؛ إِذْ يقولُ: "وَمِنْهَا قَوْلُ بَعْضِهِمْ: لَيْسَ عَلَى النّاسِ المَشْيُ إلى الصّلاةِ ولاَ الرّكوبُ والمسيرُ لِلحجِّ، ولاَ شَيْءٌ منَ الأسبابِ التّي يُتَوَصَّلُ بها إلى آداءِ الواجبِ، وإنَّمَا يَجبُ عليهمْ فِعْلُ الطّاعاتِ الواجِبةِ بأَعيانِها دونَ أسبابِهَا الموصِلةِ إليهَا". ثُمَّ يَسْتَمِرُّ في كلامِهِ ويقولُ: "وقالُوا: مَنْ زَنَى أوْ سَرَقَ أُقِيمَ عليهِ الحدُّ، ثمَّ اسْتُتِيبَ فإنْ تابَ وإلاَّ قُتِلَ". ويقولُ: "وَزَعَمَتِ الإباضيّةُ كلُّها أنَّ دُورَ مُخَالِفِيهِمْ مِنْ أهلِ مكّةَ دارُ توحيدٍ إلاَّ مُعَسْكَرَ السّلطانِ، فإنَّهُ دارُ بَغْيٍ عِنْدَهُمْ"[3].

وَيَقُولُ البغداديُّ أيضًا في حديثِهِ عنِ الفِرقةِ التّي اعْتَبَرَهَا ضالّةً وَنَسَبَهَا للإباضيّةِ، وَأَدْرَجَ فَصْلًا بِعُنْوَانِ: ذِكْرُ اليزيديّةِ مِنَ الخوارجِ وبيانُ خُرُوجِهِمْ عَنْ فِرَقِ الإسلامِ، فيقولُ: "هؤلاءِ أتباعُ يزيدَ بنِ أبي أنيسةَ الخارجيِّ، وكانَ مِنَ البصرةِ، ثُمَّ انْتَقَلَ إلى نون مِنْ أرضِ فارِس، وكانَ علَى رَأْيِ الإباضيّةِ مِنَ

---

[1] - عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني: الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفِرقَة النّاجيَة، ص٨٢-٨٣.

[2] - المصدر نفسه، ص٨٣-٨٤.

[3] - المصدر نفسه، ص٨٦.

الخَوارِجِ، ثمَّ إنّهُ خرجَ عنْ قولِ جميعِ الأمّةِ لدَعْوَاهُ أنَّ اللهَ ﷻ يَبْعَثُ رسولاً مِنَ العَجمِ ويُنزِّلُ عليهِ كتابًا مِنَ السّماءِ، وَيَنْسَخُ بِشَرْعِهِ شريعةَ محمّدٍ ﷺ [1].

ثالثًا: وبعدَ البغداديِّ يأتِي مؤلِّفٌ آخرُ عُنِيَ بالمذاهبِ الإسلاميّةِ وكَتبَ عنهَا، وهوَ: أبو محمّدٍ عليُّ بنُ حزمٍ [2] في كتابِهِ: "الْفَصْلُ فِي الْمِلَلِ وَالْأَهْوَاءِ

---

[1] - المصدر نفسه، ص٢٦٣.

[2] - هو أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن معدان بن سفيان بن يزيد، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس الأموي، وجدّه يزيد أوّل من أسلم من أجداده، وأصله من فارس، وجدّه خلف أوّل من دخل الأندلس من آبائه. ومولده بقرطبة من بلاد الأندلس يوم الإربعاء قبل طلوع الشّمس سلخ شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، في الجانب الشرقي منها. وكان حافظاً عالماً بعلوم الحديث وفقهه، مُستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنّة، بعد أن كان شافعيّ المذهب، فانتقل إلى مذهب أهل الظّاهر، وكان مُتفنّناً في علوم جمّة، عاملاً بعلمه، زاهداً في الدّنيا بعد الرّياسة التّي كانت له ولأبيه من قبله في الوزارة وتدبير الممالك، متواضعاً ذا فضائل جمّة وتواليف كثيرة، وجمع من الكتب في علوم الحديث والمصنّفات والمسندات شيئاً كثيراً، وسمع سماعاً جمّاً، وألّف في فقه الحديث كتاباً سمّاه: "الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة"، وله كتاب "الإحكام في أصول الأحكام"، وكتاب "الفصل في الملل في الأهواء والنّحل"، وغيرها كثير. وكان أديباً شاعراً طبيباً له في الطّب رسائل، وكتب في الأدب، قال ابن بشكوال في حقّه: كان أبو محمّد أجمل أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة مع توسّعه في علوم اللّسان، ووفور حظّه من البلاغة والشّعر والمعرفة بالسيَر والأخبار، مات بعد الأربعمائة. في نهاية حياته أقصته الملوك وشرّدته عن بلاد، وقصّته معروفة، حتّى

وَالنِّحَلِ"، وقدِ اعْتَبَرَ الإباضيَّةَ فِرقةً مِنْ فِرَقِ الخوارجِ، وكَتَبَ فَصْلاً بعنوانِ: ذِكْرُ شِنَعِ الخَوَارِجِ، وأَدْرَجَ فيهِ الإباضيَةَ، وقَسَّمَهَا إلى فِرَقٍ، وَبَدَأَ كلامَهُ بقَولِهِ: "ذَكَرَ بَعْضُ مَنْ جمعَ مقالاتِ المُنتَمينَ إلى الإسلامِ أنَّ فِرْقةً مِنَ الأباضيَةِ رَئِيسُهُمْ رجلٌ يُدعَى زيدُ بنُ أبي أنيسةَ، وهوَ غيرُ المحَدّثِ المشهورِ، كانَ يقولُ إنَّ في هذهِ الأُمّةِ شَاهِدَيْنِ عَلَيها، هُوَ أحدُهُما، والآخرُ لا يَدرِي مَنْ هوَ ولاَ متَى هوَ، ولاَ يَدرِي لعلَّهُ قدْ كانَ قَبْلَهُ، وإنْ كانَ مِنَ اليهودِ والنَصارَى لاَ يقولُ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ محمّدٌ رسولُ اللهِ إلى العَرَبِ لاَ إليْنا كمَا تقولُ العيسويّةُ مِنَ اليهودِ. قالَ: فَإِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ أولياءُ اللهِ تَعَالَى وإنْ مَاتُوا على هذا العَقدِ وعلَى التِزَامِ شرائعِ اليهودِ والنَصارَى، وأنَّ دينَ الإسلامِ سَيُنْسَخُ بِنَبِيٍّ مِنَ العَجمِ يأْتي بِدينِ الصَابئِينَ وبِقُرآنٍ آخرَ يَنزلُ عليهِ جملةً واحدةً".

ثُمَّ يُكمِلُ كلامَهُ عنْ فِرَقِ الإباضيَةِ يقولُ: "قالَ أبو محمّدٍ: إلاَّ أنَّ جميعَ الأباضيَةِ يُكَفِّرُونَ مَنْ قالَ بشَيْءٍ مِنْ هذهِ المقالاتِ وَيَبْرَؤُونَ منهُ وَيَسْتَحِلُّونَ دمَهُ ومَالَهُ. وقالتْ طائفةٌ مِنْ أصحابِ الحَرْثِ الأباضيِّ أنَّ مَنْ زَنَا

انتهى إلى بادية لبلة فتوفِّي بها آخر نهار الأحد لليلتين بقيتا من شعبان سنة ستّ وخمسين وأربعمائة، وقيل إنّه توفِّي في منَتَ ليشم،وهي قرية ابن حزم المذكور.

- أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي(ت٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، مصدر سابق، ج٣، ص٣٢٨.

أَوْ سَرقَ أَوْ قَذفَ فإنَهُ يُقامُ عليهِ الحدُّ، ثُمَ يُستَتَابُ مِمَّا فَعَلَ، فإنْ تابَ تُرِكَ، وإنْ أَبَى التَوبَةَ قُتِلَ على الرِّدَةِ".

ويُكملُ حَدِيثَهُ وَيَقُولُ: "قالَ أبو محمّدٍ: وَشَاهَدْنَا الإباضيَّةَ عندَنا بالأندلسِ يُحرَمونَ طعامَ أهلِ الكُتبِ، وَيُحرّمونَ أَكْلَ قضيبِ التيسِ والثورِ والكبشِ، وَيُوجِبُونَ القضاءَ على مَنْ نَامَ نهارًا في رمضانَ فَاحْتَلَمَ، ويَتَيَمَّمُونَ وهمْ على الآبارِ التّي يَشْرَبُونَ منهَا إلاَّ قليلاً مِنْهُمْ، وقالَ أبو إِسْماعيلَ البطيحيُّ وأصحابُهُ وهمْ مِنَ الخوارجِ أنْ لاَ صلاةَ واجبة إلاَّ ركعةٌ واحدةٌ بالغداةِ وركعةٌ أُخْرَى بالعشيِّ فقطْ"[1].

ويُصَرِّحُ أيضًا عنِ الإباضيّةِ بقولِهِ: "ولمْ يَبْقَ اليومَ مِنْ فِرَقِ الخوارجِ إلاَّ الإباضيّةُ والصّفريةُ فقطْ". ويقولُ أيضًا: "قالَ أبو محمّدٍ: والعجاردةُ همُ الغالبونَ علَى خوارجِ خُراسانَ، كَمَا أنَّ النّكارَ مِنَ الإباضيّةِ همُ الغالبونَ على خوارجِ الأندلسِ. وقالتِ المكروميّةُ وهمْ أصحابُ أبِي مَكْرمٍ وهمْ مِنَ الثّعالبةِ أصحابِ ثعلَبةَ وهوَ مِنَ الصّفريّةِ، وإلى قَوْلِ الثّعالبةِ رجعَ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ، فبَرِئَ منهُ أصحابُهُ، فهمْ لاَ يَعْرِفُونَهُ اليومَ، وَلَقَدْ سَأَلْنَا مَنْ هوَ مُقَدّمهُم في عِلْمِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ عَنْهُمْ فَمَا عرَفَهُ أحدٌ منهمْ"[2].

---

[1] - أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القُرطبي الظاهري (٤٥٦هـ): الفصل في الملل والأهواء والنّحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت، ج٤، ص١٤٤.

[2] - المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٥.

وَيَسْتَمِرُّ ابنُ حزمٍ في كلامِهِ عنْ فِرَقِ الإباضيَةِ فيقولُ: "وقالتِ الحفصيَةُ وهمْ أصحابُ حَفْصِ بنِ أبي المقدامِ مِنَ الأباضيَةِ: مَنْ عرفَ اللهَ تعالَى وكَفَرَ بالنَبيِّ ﷺ فهوَ كافرٌ وليسَ بمُشركٍ، وإنْ جَهِلَ اللهَ تعالَى أوْ جَحَدَهُ فهوَ حينَئذٍ مُشركٌ. وقالَ بعضُ أصحابِ الحرثِ الأباضيِّ: المنافقونَ على عَهْدِ رسولِ اللهِ ﷺ إنَّمَا كَانُوا مُوَحِّدينَ للهِ تعالَى أصحابَ كبائرَ". ويقولُ أيضًا: "ومِنْ حَمَاقَتِهِمْ قولُ بَكْرِ بنِ أُختِ عبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ فإنَّهُ كانَ يقولُ: كُلُّ ذنبٍ صغيرٍ أوْ كبيرٍ ولوْ كانَ أَخْذَ حبَّةِ خردلٍ بغيرِ حقٍّ أوْ كذبةً خفيفةً على سبيلِ المزاحِ فهيَ شِرْكٌ باللهِ، وَفَاعِلُهَا كافرٌ مُشركٌ مخلَّدٌ في النَارِ إلاَّ أنْ يكونَ مِنْ أهلِ الجنَةِ"[1].

رابعًا: وبعدَ ابنِ حزمٍ يأتِي مؤَلِّفٌ آخرُ في القرنِ الخامسِ الهجريِّ كَتَبَ عنِ الفِرَقِ الإسلاميَةِ، وهُوَ: أبُو المَظَفَرِ الأسفراييِنيُّ[2]،في كتابِهِ: "التَبصيرُ في

---

[1] - المصدر نفسه، ج٤، ص١٤٦.

[2] - هو شاهفور بن طاهر بن محمّد الإسفراييني أبو المظفر، الإمام الكامل الفقيه الأصولي المُفسّر، جامعٌ بارعٌ، صنّف التّفسير الكبير المشهور، وصنّف في الأصول، وسافر في طلب العلم وحصّل الكثير، سمع عن: أصحاب الأصمّ، وأصحاب أبي عليّ الرّفاء، والطّبقة، وكان له اتّصال مُصاهرة بالأستاذ أبي منصور البغدادي الإمام. توفّي الإمام شاهفور بطُوسَ سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، روى عنه أبو الحسن الحافظُ إجازةً وإذناً.

الدّينِ وَتَمْيِيزُ الفِرقةِ الناجيةِ عنِ الفِرَقِ الهالكينَ"، وَهُوَ تقريبًا صورةٌ عنْ كتابِ البغداديِّ في حديثِهِ عنِ الإباضيّةِ، وهوَ بِدَوْرِهِ اعْتَبَرَ الإباضيَّةَ فِرقَةً مِنْ فِرَقِ الخوارجِ. فالبابُ الرَّابعُ مِنْ كتابِهِ كانَ بعنوانِ: "تَفْصِيلُ مقالاتِ الخوارجِ وبيانُ فَضَائِحِهِمْ"، إذْ يَقُولُ:

"اعْلَمْ أنَّ الخوارجَ عِشرونَ فِرقةً كَمَا تَرَى في بيانِهِم في هذا الكتابِ، وكلُّهُم مُتَّفِقُونَ علَى أمرَيْنِ لاَ مزيدَ عليهِمَا في الكُفرِ والبِدعةِ. أَحَدُهُمَا: إنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أنَّ عليًّا وعثمانَ وأصحابَ الجملِ والحَكَمَيْنِ وكلَّ مَنْ رَضِيَ بالحَكَمَيْنِ كَفَرُوا كلّهُم.

والثاني: أنَّهم يَزْعُمُونَ أنَّ كلَّ مَنْ أذنبَ ذنبًا مِنْ أمَّةِ محمّدٍ ﷺ فهوَ كافرٌ، ويكونُ في النّارِ خالدًا مُخَلَّدًا إلاَّ النَّجداتِ مِنْهُمْ، فَإِنَّهم قالُوا: إنَّ الفاسقَ كافرٌ علَى معنَى أنَّهُ كافرُ نِعْمَةِ رَبِّهِ، فَيَكُونُ إطلاقُ هذهِ التسميةِ منهُمْ على معنَى الكُفرانِ لاَ على معنَى الكُفرِ، وَممَّا يَجْمَعُ جَمِيعَهُمْ أيضًا تَجْوِيزُهُمُ الخُرُوجَ

- تقيّ الدّين، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن الأزهر بن أحمد بن محمّد العراقي الصّريفينيّ الحنبلي(ت ٦٤١هـ): المنتخب من كتاب السّياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: خالد حيدر، دار الفكر للطباعة والنّشر والتوزيع، د ط، ١٤١٤هـ، ص٢٧٢.

علَى الإمامِ الجائرِ، والكُفرُ لاَ محالةَ لازِمٌ لهمْ لتكفيرِهِم أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ"[1].

وفي حديثِهِ عنْ فِرَقِ الخوارجِ أدرجَ الإباضيَّةَ في الفِرقةِ السادسةِ فقالَ: "الأباضيَّةُ وهمْ أتباعُ عبدِ اللهِ بنِ أباضٍ، ثُمَّ هُمْ فيما بينَهُم فِرَقٌ وكُلُّهُم يَقُولُونَ إِنَّ مُخالِفِيهِم مِنْ فِرَقِ هذهِ الأُمَّةِ كُفّارٌ لاَ مُشركونَ ولا مُؤمنونَ ويُجَوِّزونَ شهادَتَهُم وَيُحَرِّمُونَ دِماءَهُم في السِّرِّ، وَيَسْتَبِيحُونَهَا في العلانِيَةِ، وَيُجَوِّزُونَ مُناكَحَتَهُم وَيُثبِتُونَ التوارثَ بَيْنَهُمْ، وَيُحَرِّمونَ بعضَ غنائِمِهِم، وَيُحَلِّلُونَ بَعْضَهَا، يُحلِّلونَ مَا كانَ مِنْ جُملةِ الأسلابِ والسِّلاحِ، وَيُحرِّمونَ ما كَانَ مِنْ ذَهَبٍ أوْ فضَّةٍ، ويَرُدُّونَهَا إلى أَرْبَابِهَا"[2].

وقدْ قسَّمَ بِدورِه الإباضيَّةَ إلى فِرَقٍ كَمَا فَعَلَ المؤرِّخونَ قبلَهُ، فالأُولَى سمَّاهَا: "الحفصيَّة، وهمْ أتباعُ حفصِ بنِ أبي المقدامِ، وكانَ يقولُ: ليسَ بينَ الكُفرِ والإيمانِ إلاَّ معرفةُ اللهِ، فمَنْ عَرَفَهُ فهوَ مؤمنٌ وإنْ كانَ كافرًا بالرَّسولِ ﷺ وبالجنَّةِ والنَّارِ وَاسْتَحَلَّ جميعَ المُحرَّماتِ كالقتلِ والزِّنا واللِّواطِ والسَّرقةِ، فهوَ كافرٌ ولكنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الشِّركِ، وَهُؤلاءِ يَقُولُونَ في عثمانَ كما

---

[1] - أبو المظفر، طاهر بن محمد الأسفراييني (ت٤٧١هـ): التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفِرق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص٤٥.

[2] - المصدر نفسه، ص٥٨.

تقولُ الرَّوافضُ في أبي بَكْرٍ وَعُمَرَ". والثانيةُ سمَّاها: "الحارثيَّة، وهمْ أتباعُ الحارثِ بنِ مزيدٍ الأباضيِّ، وكانُوا يقولونَ بقولِ القدريَّةِ في القدرِ والاستطاعةِ، وسائرُ الأباضيَّةِ كانوا يُكفِّرونَهُم بسببِ ذلكَ". والثالثةُ "قومٌ يُقالُ لهمْ أصحابُ طاعةٍ لاَ يُرادُ اللهُ بهَا، وهؤلاءِ يَقُولُونَ بجوازِ طاعاتٍ كثيرةٍ مِنَ العبدِ لاَ يُقْصَدُ بها طاعةُ ربِّهِ كمَا كانَ يقولُ أبو الهُذَيْلِ المعتزليُّ"، ثمَّ يُكملُ قولَهُ: "وهؤلاءِ افْتَرَقُوا ثلاثَ فِرَقٍ: الإبراهيميَّةُ، والميمونيَّةُ، والواقفيَّةُ"[1].

خامسًا: وبعدَ الأسفراييِنيِّ ظَهَرَ في النصفِ الأوَّلِ منَ القرنِ السادسِ الهجريِّ مُؤَلِّفٌ اهتمَّ بالحديثِ عنِ الفِرَقِ والمقالاتِ الإسلاميَّةِ اسمُهُ أبو الفتحِ الشهرستانيُّ[2] في كِتابِهِ: "المِلَلُ وَالنِّحَلُ"، حيثُ أَدْرَجَ الإباضيَّةَ ضمنَ

[1] - المصدر نفسه، ص٥٩-٦٠.

[2] - هو أبو الفتح محمّد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشّهرستاني المتكلّم على مذهب الأشعري؛ كان إماماً مبرزاً فقيهاً تفقّه على أحمد الخوافي وعلى أبي نصر القشيري وغيرهما، وبرع في الفقه، وقرأ الكلام على أبي القاسم الأنصاري وتفرّد فيه، وصف كُتباً منها: نهاية الإقدام في علم الكلام وكتاب الملل والنّحل والمناهج والبيّنات، وكتاب المضارعة وتلخيص الإقسام لمذاهب الأنام، وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة يعظ النّاس، ودخل بغداد سنة عشر وخمسمائة، وأقام بها ثلاث سنين، وظهر له قبولٌ كثير عند العوام، وسمع الحديث من علي بن أحمد المديني بنيسابور ومن غيره، وكتب عنه الحافظ أبو سعد عبد الكريم السّمعاني، وذكره في كتاب "الذّيل"، كانت ولادته سنة سبع وستين وأربعمائة بشهرستان، هكذا وجدته بخطّي في مسودّتين، وما ادري من أين نقلته، وقال ابن

فِرَقِ الخوارجِ، وذلكَ في فصْلِهِ الرابعِ: "الخوارِج" فقالَ: "وكِبَارُ الفِرَقِ منهم: المحكّمةُ، والأزارقةُ، والنّجداتُ، والبهسيّةُ، والعجاردةُ، والإباضيّةُ، والصّفريّةُ، والباقونَ فُرُوعُهُمْ. ويَجْمَعُهُمُ القولُ بالتبرّي مِنْ عثمانَ وعليٍّ، ويُقدّمونَ ذلكَ علَى كلِّ طاعةٍ، ولاَ يُصَحِّحُونَ المناكحاتِ إلاَّ على ذلكَ، ويُكَفِّرُونَ أصحابَ الكبائرِ، ويَرَوْنَ الخروجَ عنِ الإمامِ إذَا خالفَ السُّنّةَ حَقًّا وَوَاجِبًا"[1].

وقدْ ذَكرَ الإباضيّةَ في الفِرقةِ السّابعةِ مِنْ فِرَقِ الخوارجِ، وقدْ عَرَّفَهُم بقولِهِ: "همْ أصحابُ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ الذي خَرَجَ في أيامِ مروانَ بنِ محمدٍ، فَوَجَّهَ إليهِ عبدَ اللهِ بنَ محمدِ بنِ عطيّةَ، فَقَاتَلَهُ بتُبَالةَ[2]، وقيلَ إنَّ عبدَ اللهِ بنَ يحيى الإباضيَّ كانَ رَفِيقًا لهُ في جميعِ أحوالِهِ وأقوالِهِ. قالَ: إنَّ مُخَالِفِينَا مِن أهلِ

السمعاني في كتاب الذّيل: سألته عن مولده فقال: في سنة تسع وسبعين وأربعمائة، وتوفّي بها أيضاً في أواخر شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وقيل سنة تسع وأربعين، والأوّل أصح».

- أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي(ت٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، مصدر سابق، ج٤، ص٢٧٣.

[1] - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني(ت٥٤٨هـ): المِلَل والنِّحل، مؤسّسة الحلبي، د ط، د ت، ج١، ص١١٥.

[2] - تبالة: بلدة بأرض تهامة في الطريق إلى صنعاء. (الشهرستاني: الملل والنّحل، مصدر سابق، ج١، ص١٣٤).

القِبلةِ كُفَّارٌ غيرُ مُشْرِكِينَ، وَمُنَاكَحَتُهُمْ جَائِزَةٌ، وَمُوَارَثَتُهُمْ حَلاَلٌ، وَغَنِيمَةُ أَمْوَالِهِمْ مِنَ السِّلاحِ والكِرَاعِ عندَ الحربِ حلالٌ، وما سواهُ حرامٌ. وَحَرَامٌ قَتْلُهُمْ وَسَبْيُهُمْ في السِّرِّ غيلَةً، إلاَّ بعدَ نَصْبِ القتالِ وإقامةِ الحُجَّةِ"[1].

وقدْ قَسَّمَ الإباضيَّةَ إلى ثلاثِ فِرَقٍ كَمَا قَسَّمَهَا المؤرّخونَ الذينَ سَبَقُوهُ فيقولُ: وهمْ:

أ - الحفصيَّةُ: وهمْ أصحابُ حفصِ بنِ أبي مقدامٍ، تَمَيَّزَ عَنْهُمْ بأنَّهُ قالَ: إنَّ بينَ الشِّركِ والإيمانِ خصلةً واحدةً، وهيَ معرفةُ اللهِ تعالَى وحدَهُ، فمَنْ عَرَفَهُ ثُمَّ كفرَ بما سواهُ مِنْ رسولٍ أوْ كتَابٍ أوْ قيامةٍ أوْ جنّةٍ أوْ نارٍ، أوِ ارْتَكَبَ الكبائرَ مِنَ الزّنا والسّرقةِ، وَشَرِبَ الخمرَ، فهوَ كافرٌ لَكِنَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الشِّرْكِ[2].

ب - الحارثيّة: وهمْ أصحابُ الحارثِ الإباضيِّ، خالفَ الإباضيَّةَ في قولِهِ بالقَدَرِ على مذهبِ المعتزلةِ، وفي الاستطاعةِ قبلَ الفعلِ، وفي إثباتِ طاعةٍ لاَ يُرادُ بهَا اللهُ تعالَى.

---

[1] - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: المِلَل والنِّحل، مصدر سابق، ج١، ص١٣٤.

[2] - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: المِلَل والنِّحل، مصدر سابق، ج١، ص١٣٥.

ج - اليزيديَّةُ: وهمْ أصحابُ يزيدَ بنِ أنيسةَ، الذي قالَ بتولِّي المُحكّمةِ الأولى قبلَ الأزارقةِ، وَتَبَرَّأَ ممَّنْ بَعْدَهُمْ إلاَّ الإباضيّةَ فإنّهُ يَتَوَلَّاهُمْ، وَزَعَمَ أنَّ اللهَ تعالَى سَيَبْعَثُ رسولاً مِنَ العَجَمِ، ويُنزِّلُ عليهِ كتابًا قدْ كُتِبَ في السَّماءِ، وينزِّلُ عليهِ جُملةً واحدةً، وَيترك شريعةَ المصطفَى محمدٍ ﷺ، ويكونُ على مِلَّةِ الصابئةِ الموجودةِ في القرآنِ[1].

وبعدَ ذِكْرِنَا لِمَا كَتَبَهُ المُؤرّخونَ القدماءُ عنِ الإباضيّةِ، لاَ بُدَّ مِنَ الوُقوفِ علَى بعضِ الكُتّابِ المعاصرينَ الذينَ كَتَبُوا عنِ الإباضيّةِ وَصَرَّحُوا بأنَّهُم خوارجُ.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[1] - المصدر نفسه، ج١، ص١٣٦.

المطلبُ الثّاني: الكُتّابُ المُعاصرونَ

أوّلاً: نَبْدَأُ بالمُؤَلِّفِ غالبِ بنِ عليّ عوّاجي في كتابِهِ: فِرَقٌ مُعاصرةٌ تَنْتَسِبُ إلى الإسلامِ، فقدْ أدرَجَ الإباضيّةَ ضِمْنَ فِرَقِ الخوارجِ، وكانَ البابُ الثّالثُ مِنْ كتابِهِ بعنوانِ: دراسةٌ عنِ الخوارجِ، وَقَسَّمَهُ إلى ثمانيةِ فُصُولٍ، والفصلُ الثّامنُ عنوانُهُ: دراسةُ أهمِّ فِرَقِ الخوارجِ وهُمُ الإباضيّةُ، وَوَضَعَ مَطْلَبًا أَطْلَقَ عليهِ: هلِ الإباضيّةُ مِنَ الخوارجِ؟ فهوَ يقولُ: "اتَّفَقَتْ كلمةُ عُلماءِ الفِرَقِ - الأشعريِّ فَمَنْ بَعْدَهُ - علَى عَدِّ الإباضيّةِ فِرْقةً منْ فِرَقِ الخوارجِ، وليسَ المُخالفونَ للإباضيّةِ فقطْ همُ الذّينَ اعْتَبَرُوهُمْ في عِدادِ الخوارجِ، وإنّما بعضُ عُلماءِ الإباضيّةِ المُتقدّمينَ أيضًا؛ إذْ لاَ يوجدُ في كلامِهِم ما يَدُلُّ على كراهيَتِهم لِعَدِّ الإباضيّةِ فِرْقةً مِنَ الخوارجِ".

وَيَسْتَمِرُّ في كلامِهِ بالقولِ: "ولكنْ بالرّجوعِ إلى ما كَتَبَهُ بعضُ العُلماءِ الإباضيّةِ مثلِ أبي إسحاقَ أطفيّشَ وعليّ يحيى معمّر؛ نجدُ أنّهُم يتبرّؤونَ مِن تسميَةِ الإباضيّةِ بالخوارجِ براءةَ الذّئبِ مِنْ دمِ يوسفَ".

ويقولُ أيضًا: "ولقدْ خَاضَ عليّ يحيى معمّر في كُتُبِهِ - الإباضيّةُ بينَ الفِرَقِ الإسلاميّةِ والإباضيّةُ في موكبِ التّاريخِ وَغَيْرُهَا - غِمَارَ هذهِ القضيّةِ، وَتَفَانَى في ردِّ كلِّ قولٍ يَجْعَلُ الإباضيّةَ مِنَ الخوارجِ، وهاجَمَ جميعَ علماءِ الفِرَقِ المُتقدّمينَ مِنْهُمْ والمتأخّرينَ على حدٍّ سواءَ، وَاعْتَبَرَ عَدَّهُمْ للإباضيّةِ مِنَ

الخوارجِ ظُلْمًا وخطأً تاريخيًّا كبيرًا؛ لأنَّ تاريخَ الخوارجِ عندَهُ يَبْدَأُ مِنْ سنةِ ٦٤هـ بقيامِ نافعِ بنِ الأزرقِ فمَنْ بَعْدَهُ، وَسَمَّى ما قامَ بهِ المحكّمةُ الأُولى فِتَنًا داخليّةً. ونفَى وجودَ أيِّ صلةٍ ما بَيْنَ المحكّمةِ الأُولى والخوارجِ بقيادةِ نافعِ بنِ الأزرقِ ونجدةَ بنِ عامرٍ وغيرِهِما مِنَ الخوارجِ"[1].

ويردُّ الدكتورُ عواجِي على الشيخِ عليّ يحيى معمّر بقولِهِ: "ولاَ شكَّ أنَّ هذا القولَ فيهِ مغالطةٌ خاطئةٌ، ذلكَ أنَّ الأحداثَ متسلسلةٌ ومرتبطةٌ مِنَ المحكّمةِ إلى ظهورِ نافعِ بنِ الأزرقِ، بحيثُ يَظْهَرُ أنَّ الأوَّلِينَ همْ سَلَفُ الخوارجِ"[2].

ويقولُ أيضًا: "ولاَ أَدْرِي معنَى لهذا الحرصِ مِنْ بعضِ الإباضيّةِ علَى عدمِ دخولِهِم في دائرةِ الخوارجِ، فإذَا كانتِ الإباضيّةُ - كمَا يقولُ - تتولَّى المحكّمةَ وَيَعْتَبِرُونَهُمْ سلفًا صالحًا لهمْ وَيَنْفُونَ عنهُمُ اسْمَ الخارجيّةِ فَلِمَاذَا تَذكُرُ بعضُ كُتُبِهِمْ لفظةَ المحكّمةِ وَتُفَسِّرُهَا بالخوارجِ كمَا فعلَ السّالميُّ في كتابِهِ عُمانُ تاريخٌ يَتَكَلَّمُ"[3].

---

[1] - غالب بن علي عواجي: فِرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، مصدر سابق، ج١، ص٢٤٧.

[2] - المصدر نفسه، ج١، ص٢٤٨.

[3] - المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٠.

وفي الأخيرِ يَخْرُجُ الدكتورُ عليّ عواجي باستنتاجٍ فيقولُ: "ومِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ لنَا أنَّ تَسْمِيَتَهُمْ باسمِ الخوارجِ قديمةٌ وُجِدَتْ قبلَ ظهورِ الأزارقةِ، سواءٌ كانَ ذلكَ مِنَ التنبُّؤِ بظهورِهِم علَى لسانِ النبيِّ ﷺ أوْ في تَرديدِ هذا الاسمِ علَى لسانِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، أوْ علَى أَلْسِنَةِ غَيْرِهِ مِنَ النَاسِ، وعلَى أَلْسِنَةِ بعضِ علماءِ الإباضيّةِ أيضًا، وعلَى هذَا فلاَ يُخْطِئُ مَنْ أَلْحَقَ تَسْمِيَةَ الإباضيّةِ بالخوارجِ، ويبقَى ما امْتَازَ بهِ الإباضيّةُ مِنْ تَسَامُحِ أَغْلَبِيَّتِهِمْ تجاهَ مُخالِفِيهِم قائمًا وثابتًا لهُمْ، وَرَغْمَ مَا يَظْهَرُ أَحْيَانًا في بعضِ كتبِ الإباضيّةِ مِنَ الشدّةِ والقسوةِ تِجاهَ المُخالفينَ لهُمْ وَالحُكْمِ عليهِمْ بالهلاكِ والخُسرانِ، كمَا يُقَرِّرُهُ الوارجلانيُّ منهُمْ في كتابِهِ الدّليلُ لأهلِ العقولِ"[1].

ثانيًا: ومِنَ المعاصرينَ أيضًا محمّدُ أبو زهرةَ، فهوَ يَعْتَبِرُ أنَّ الإباضيّةَ خوارجُ في كتابِهِ "تاريخُ المذاهبِ الإسلاميّةِ"، إذْ يقولُ: "الإباضيّةُ أتباعُ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ، وهُمْ أكثرُ الخوارجِ اعتدالاً وَأَقْرَبُهُمْ إلى الجماعةِ الإسلاميّةِ تفكيرًا، فَهُمْ أَبْعَدُهُمْ عنِ الشّططِ والغلوِّ، ولهُمْ فِقْهٌ جديدٌ، وفيهم علماءُ مُمْتَازُونَ"[2].

---

[1] - المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٢.

[2] - محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلاميّة، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، ١٩٨٦م،ج١، ص٨٥.

ثالثًا: ومِنَ المؤلِّفينَ المُعاصرينَ الذّينَ أَدْرَجُوا الإباضيّةَ ضِمْنَ فِرَقِ الخوارجِ نَجِدُ الأستاذَ: عليّ مصطفى الغوابي في كِتابِهِ: "تاريخُ الْفِرَقِ الإسلاميَّةِ"، فَقَدْ جاءَ في كتابِهِ في فَصلِ الخوارجِ ما يَلِي: "وأمَّا الإباضيّةُ وهمْ إِحْدَى الفِرقِ الأصيلةِ عندَ الأشعريِّ ويُنْسَبُونَ لِرَئِيسِهِمْ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ، فإنَّ فُرُوعَهُمْ هيَ: الحفصيّةُ؛ وإمامُهُم حفصُ بنُ أبي المقدامِ، اليزيديّةُ؛ وَهُمْ أَصْحَابُ يزيدَ بنِ أُنَيْسةَ، والحارثيّةُ؛ وَهمْ أَصْحَابُ حارثٍ الإباضيِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمَّوْنَ أصحابَ طاعةٍ لاَ يُرادُ بهَا وجهُ اللهِ".

ويقولُ أيضًا: "أمَّا الإباضيّةُ فقدْ تَسَاهَلُوا في كثيرٍ مِنَ الأحكامِ التي كانَ يَتَشَدَّدُ فيها سَلَفُهُم، فقالُوا: إنَّ مُخَالِفِيهِمْ مِنْ أهلِ القِبلةِ كُفَّارٌ غيرُ مُشْرِكِينَ، وأنَّ مُنَاكَحَتَهُمْ جَائِزَةٌ، وَمُوَارَثَتَهُمْ حَلاَلٌ"[1].

رابعًا: ومِنَ المؤلّفينَ الذّينَ اتَّهَمُوا الإباضيّةَ بالخارجيّةِ أيضًا نجدُ عبد العزيز بن محمّدِ بنِ عليٍّ آل عبدِ اللّطيفِ في كتابِهِ "الإباضيّةُ وهلْ همْ خَوَارِجُ؟"، فقدِ اسْتَهَلَّ حَدِيثَهُ بالتعريفِ بالإباضيّةِ، وهوَ تعريفٌ غريبٌ ولكنْ لا بدَّ مِنْ نَقْلِهِ كَمَا هوَ للأمانةِ العلميّةِ، فيقولُ: "الإباضيّةُ هيَ فِرقَةٌ ذاتُ أقلّيّةٍ مُبعثرةٌ في بلادِ المُسلمينَ كعُمانَ وشمالِ إفريقيا وزنجبَار، كَمَا أنَّهَا أقلُّ خَطَرًا وشرًّا مِنَ الفِرَقِ الأخرى كطوائفِ الباطنيّةِ والرّافضةِ

[1] - عليّ يحي معمّر، الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٨٤ – ٨٥.

ونحوِهِم". ويقولُ أيضًا: "ولاَ شَكَّ أَنَّ الإباضيّةَ شِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ، وهمْ دُونَ فِرَقِ الباطنيّةِ وَنَحْوِهَا شرًّا وخطرًا وَانْحِرَافًا"[1]. وَيَأْتِي المبحثُ الرَّابعُ مِنْ هذا الكتابِ: هلِ الإباضيّةُ مِنَ الخوارجِ؟ فيقولُ:

"والآنَ أَسْرِدُ لكَ أخِي القارئَ القواسمَ المُشتركةَ والأُمورَ المتّفقَ عليها بينَ الخوارجِ والإباضيّةِ، وَسَيَظْهَرُ لكَ تِلقائيًّا الجوابَ عنْ هذا السّؤالِ: هلِ الإباضيّةُ مِنَ الخوارجِ أَمْ لاَ؟؟"[2] ثمَّ يُجيبُ فيقولُ:

"نَجِدُ ابْتِدَاءً أَنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ يَعتبرُ نفسَهُ امتدادًا للمحكِّمةِ الأُولى كمَا في الرّسالةِ التّي بَعَثَها إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ، كَمَا يَظْهَرُ مِنْ خِلالِ التّشابهِ الكبيرِ بينَهُم وبينَ أسلافِهِم مِنَ الخوارجِ، فمثلاً في التّوحيدِ نجدُ الإباضيّةَ تقولُ بخَلقِ القرآنِ كَمَا جاءَ في كُتُبِهِم قديمًا وحديثًا، وقدْ وَافَقُوا الخوارجَ في ذلكَ، وَيَظْهَرُ مِنْ خلالِ كُتُبِهِمْ تَعْطِيلُ الصِّفاتِ مثلَ إنكارِ رؤيةِ اللهِ في اليومِ الآخرِ، وتعطيلُ الصّفاتِ عُمُومًا تَأَثُّرًا بالمعتزلةِ. وأمَّا مَسْأَلَةُ الأسماءِ والأحكامِ فإنَّ الإباضيّةَ تقولُ بتخليدِ العاصِي في نارِ جهنَّمَ، وهيَ بذلكَ تتّفقُ معَ بقيّةِ الخوارجِ والمعتزلةِ"[3].

---

[1] - عبد العزيز بن محمّد آل عبد اللّطيف: الإباضيّة وهل هم خوارج، المديريّة العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام، تبوك، ط١، ١٤١٢م، ص٥.

[2] - عبد العزيز بن محمّد آل عبد اللّطيف: الإباضيّة وهل هم خوارج، مصدر سابق، ص١٣.

[3] - عبد العزيز بن محمّد آل عبد اللّطيف: الإباضيّة وهل هم خوارج، مصدر سابق، ص١٤.

وَيَسْتَمِرُّ في كلامِهِ فيقولُ: "ومِنَ الأمورِ التي يَتَّفِقُونَ عليها إنكارُ الشّفاعةِ لعُصاةِ الموَحِّدينَ؛ لأنَّ العُصاةَ مُخَلَّدُونَ في النّارِ، فلاَ شفاعةَ لهمْ حتّى يَخْرُجُوا مِنَ النّارِ، كمَا نَجِدُ الإباضيّةَ يُجَوِّزونَ الخروجَ على أئِمّةِ الجورِ، وَيَتَهَجَّمُ بَعْضُهُمْ علَى معاويةَ بنِ أبي سفيانَ، وَعَمْرِو بنِ العاصِ ﷺ، ويُنكِرُ بعضُهُم شرطَ القُرشيّةِ في الإمامِ، وكُلُّ هذهِ الأُمورِ قدْ قالَ بها أسلافُهُم مِنَ الخوارجِ"[1].

خامسًا: كذلكَ نجدُ مِنَ المعاصرينَ الذينَ اعْتَبَرُوا أنَّ الإباضيّةَ خوارجُ، الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابِهِ "تاريخُ الإسلامِ السّياسيّ والدّينيّ والثقافيّ والاجتماعيّ"، الذي يقولُ: "الإباضيّةُ مِنَ الخوارجِ، وهمْ أتباعُ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ التّميميّ، وهمْ يَخْتَلِفُونَ عنْ بقيّةِ الخوارجِ في أنَّهُم لمْ يَغْلُوا في الحُكْمِ على مخالفِيهِمْ، ولعلَّ هذا يرجعُ إلى طبيعةِ ظروفِ نشأتِهِم، فإنَّ صَاحِبَهُمْ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ لمْ يَخْرُجْ إلاَّ بعدَ أنْ قَضَى الأمويّونَ على الخوارجِ أوْ كادُوا، وبعدَ أنْ كادَ اليأسُ يدبُّ إلى الأحزابِ، وتحوَّلَ نِضَالُهُمْ حولَ الحُكْمِ إلى آراءٍ ومذاهبَ تَكَادُ تكونُ علميّةً بحتَةً"[2].

---

[1] - المصدر نفسه، ص١٥.

[2] - حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السّياسي والدّيني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٦٦م، ج١، ص٣٩٣.

سادسًا: ومِنَ المؤلّفينَ المُعاصرينَ الذّين أَدْرَجُوا الإباضيّةَ ضِمْنَ فِرَقِ الخوارجِ الدّكتورُ مصطفَى الشّكعة، في كتابِه: إسلامٌ بلاَ مَذَاهِبَ؛ إِذْ يَقُولُ: "الإباضيّةُ هُمْ أَشْهَرُ فِرَقِ الخوارجِ علَى الإطلاقِ؛ لأنَّهُم يزالونَ حتّى يَوْمِنَا هذا يَسْكُنُونَ في عُمانَ وزنجبارَ وشمالِ إفريقيةَ"[1].

وبهذَا وذاكَ نَكونُ قدْ وَقَفْنَا عن جزءٍ ولوْ يَسِيرٍ علَى أقوالِ المُؤرّخينَ والكُتّابِ القُدماءِ والمُعاصرينَ الذّينَ اعْتَبَرُوا الإباضيةَ فِرْقةً مِنْ فِرَقِ الخوارجِ، ولِكَيْ نَفْهَمَ الموضوعَ أكثرَ لا بُدَّ مِنَ الوُقوفِ على الأسبابِ التي جَعَلَتِ الإباضيّةَ تُحْسَبُ ضِمْنَ فِرَقِ الخوارجِ.

[1] - مصطفى الشّكعة، إسلام بلا مذاهب، مصدر سابق، ص١٣٥.

المبحثُ الثّاني: أسبابُ عَدِّ الإباضيّةِ مِنْ فِرَقِ الخوارجِ

لعلَّ مَنْشَأَ شُبهةِ نِسبةِ الإباضيّةِ إلى الخوارجِ وَعَدِّهِمْ خَارِجِيِّينَ لَدَى البعضِ سببُهُ اتِّفاقُ عُلماءِ الإباضيّةِ معَ الخوارجِ علَى تولِّي أهلِ النّهروانِ وعدِّهِم المَرجعيّةَ لَهُم، بلْ سَلَفٌ لهم، وَيَقْطَعُونَ بتصويبِ المُحكِّمةِ الأُولى الذّينَ انْسَحَبُوا مِنْ جَيْشِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ عَقِبَ حادِثةِ التّحكيمِ، وَعَسْكَرُوا في حروراءَ، فَقَاتَلَهُمْ عليٌّ ﷺ في معركةِ النّهروانِ، ويَخُصّونَ مِنْ بَيْنِهِمْ عبدَ اللهِ بنَ وهبٍ الرّاسبيَّ وأبَا بِلالٍ مرداسَ بنَ أديّةَ (ويُقالُ مرداسُ بنُ حُديرٍ)، وَاعْتِبَارِ أنَّ الحقَّ كانَ مَعَهُمْ، حتَّى قالَ الشّيخُ نورُ الدّينِ السّالميُّ (ت١٣٣٢هـ/١٩١٤م):

إنّا نَدِينُ بتَصويبِ الأُولِي مَنَعُوا ... حكومةَ الحَكَمَيْنِ حِينَمَا جَهِلاَ

والرّاسبيُّ أُوَالِي بعدَ جُمْلَتِهِمْ ... وَمَنْ بِهِ نَسَبُ الإسلامِ قدْ وصلاَ

عنيتُ نَجْلَ إباضٍ فَهْوَ حُجَّتُنَا ... أَمَا تَرَى فَخْرَهُ للمُسلمينَ حلاَ[1]

---

[1] - أحمد بن حَمد الخليلي: شرح منظومة غاية المراد في نظم الاعتقاد للإمام نور الدّين السّالمي (ت١٣٣٢هـ/١٩١٤م)، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عُمان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٧٤-١٧٨.

- نقلاً عن: علي بن العجمي العِشّي: مباحِث في الفِرَق الإسلاميّة، الرُّؤى والمَرجِعيّات، مصدر سابق، ص١٦٣-١٦٤.

إنّ النّقطةَ الوحيدةَ التّي يَلْتَقِي فيها الإباضيّةُ بالخوارجِ هيَ إنكارُ التّحكيمِ، وهذا الالتقاءُ الوحيدُ اسْتَغَلَّهُ المُغْرِضُونَ للتّشنيعِ بالإباضيّةِ وبمبادئِهِم وأصولِهِم بعدَ تَحْرِيفِهَا وتأويلِهَا حَسَبَ هَوَاهُمْ لحاجاتٍ في نفسِ يعقوبَ، ولمْ يُحَاوِلُوا بَذْلَ جهودٍ بسيطةٍ لِيَقُولُوا إنَّ الإباضيّةَ معتزلةٌ أوْ أَشَاعِرَةٌ أوْ... لِوُجودِ نقطةِ التقاءٍ في بعضِ المسائلِ، ومَا دَامَ الأمرُ لاَ يَعْنِي التّشنيعَ فلاَ حَاجةَ ولاَ دَاعيَ لإِلْحَاقِهِمْ بهذهِ الفِرقةِ أوْ تِلْكَ[1].

ويُبَيِّنُ الشّيخُ أبو إسحاقَ أطفيّشُ السّببَ الذّي جَعَلَ النّاسَ يَخْلُطُونَ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ، ولمَّا كانَ هؤلاءِ الخوارجُ مِنْ مُنْكرةِ التّحكيمِ، فقدْ تَوَلَّى كثيرٌ مِمَّنْ يَنْتَمُونَ إلى المذاهبِ العديدةِ إدماجَ الإباضيّةِ في هؤلاءِ الخوارجِ ظُلمًا وعدوانًا، والسّببُ في ذلكَ عديدُ المناهجِ:

أوّلاً: إنَّ أَصْحَابَنَا الإباضيّةَ يَرَوْنَ الْمَلِكَ العضوضَ لاَ تَجِبُ طاعتُهُ، بلِ الواجبُ أنْ يكونَ الحكمُ على منهاجِ الخلفاءِ الرّاشدينَ،لِمَ رُوِيَ عنِ النّبيِّ ﷺ في عمّارِ بنِ ياسرٍ رَحِمَهُ اللهُ: "سَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ"[2]، وَاسْتَشْهَدَ بهذَا

---

[1] - محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مكتبة الضّامري للنّشر والتّوزيع، السّيب، سلطنة عُمان، ط٢، ١٩٩٣هـ/١٤١٤م، ص٨.

[2] - أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، مصدر سابق، كتاب الصلاة، باب رقم: ٦٣، باب التعاون في بناء المسجد، حديث رقم:٤٤٧، ج٢،

الحديثِ مُنْكِرُوا التّحكيمِ، ولمْ يُنْكِرْهُ الفريقُ الآخرُ، فَثَبَتَ كنصٍّ قاطعٍ ارْتَضَاهُ الفريقانِ وَلَوِ اخْتَلَفَا في تأويلِه؛ إذِ الفريقُ الآخرُ حَمَلَهُ على معنًى غيرِ صحيحٍ، وَإِنَّمَا دَعَاهُ الغَرَضُ إلى حَمْلِهِ على ما يَقْتَضِيهِ ذلكَ الْهَوَى[1].

ثانيًا: ظُهورُ أصحابِ الأهواءِ في واقِعةِ النّهروانِ؛ إذْ زَعَمُوا أنّها لأجْلِ الخُروجِ علَى عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وهوَ إمامُهُم، والحقيقةُ التّي لاَ مريَةَ فيها أنَّ أهلَ النّهروانِ لمْ يخرُجُوا على عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ قطُّ، وَلَكِنَّهُمْ حينَ أَبَوُا التّحكيمَ وأصَرَّ غَيْرُهُمْ جَنَحَ أبو الحَسَنِ إلى فَريقِ التّحكيمِ، فَرَأَى مُنكِرُو التّحكيمِ أنَّ البيعَةَ لمْ تَكُنْ في أَعْنَاقِهِمْ، بلْ همْ في حِلٍّ مِنْهَا، حيثُ إنَّ التحكيمَ في شيءٍ مَعْنَاهُ غيرُ ثابتِ الحُكمِ، وإلاَّ فلِمَ التّحكيمُ؟ فَاعْتَبَرُوا التّحكيمَ تنازُلاً مِنَ الإمامِ أبي الحسنِ عنِ البيعةِ. إذًا مُنْكِرُو التّحكيمِ في حِلٍّ مِنْ أَمْرِهِمْ، فَلَهُمُ الحقُّ أنْ يَخْتَارُوا مَنْ يَشَاؤُونَ إمامًا لهمْ، فَاخْتَارُوا رجُلاً مِنْ أفضلِ النّاسِ يومئذٍ ومِنَ الصّحابةِ الكِرامِ، وهوَ عبدُ اللهِ

ص٤٨١. وقد رُوي الحديث هنا بلفظ: "ويح عمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النّار".

[1] - أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص٧.

- محمّد صالح ناصر: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلامية، مطبعة المنار، بني يزقن، غرداية، نشر وتوزيع، مركّب المنار، الحميز، الجزائر، ط٣، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٥٤.

- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص١٤.

بنُ وهبٍ الرّاسبيُّ الأزديُّ، فَلَمَّا بَايَعُوهُ بَعَثُوا إلى أَصْحَابِهِمْ يَوْمَئِذٍ ومنهُمُ الإمامُ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أنْ يَدْخُلُوا في البيعةِ لِمَنِ اخْتَارُوهُ إِمَامًا.

فَرَأَى عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أنَّ البيعةَ حَصَلَتْ لأَزْدِيٍّ لاَ لِقُرَشِيٍّ، وحارَبَهُمْ قبلَ أنْ يَتَقَوَّى أَمْرُهُمْ، فَتَخْرُجَ الإمامةُ لغيرِ قُريشٍ، وهذَا هوَ السّببُ الوحيدُ لواقعةِ النّهروانِ[1].

وليسَ إذًا ما يَزْعُمُهُ مُحرِّفُو التّاريخِ وَمُتَعَفِّنَتُهُ المذهبيةِ - كَمَا يَصِفُهُمُ الشيخُ أبو إسحاقَ أطفيّشُ - أنَّ واقعةَ النّهروانِ كانتْ بِسَبَبِ الخروجِ على عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ؛ لأنَّهُم لمْ يَخْرُجُوا والبيعةُ في أعناقِهِم، فَلْيَنْتَبِهِ المُتبَصِّرُ مِنَ الزّلّةِ في هذا المقامِ، فإنَّ الأهواءَ مُتَغَلغلةٌ في أصحابِهَا بِمَا لاَ خَفاءَ فيهِ[2].

ثالثًا: إنَّ تَسْميةَ الخوارجِ لَمْ تَكُنْ معهودةً في أوّلِ الأمرِ، وإنَّمَا هيَ انتشرتْ بعدَ استشراءِ أمْرِ الأزارقةِ، ولمْ تُعْرَفْ هذهِ التّسميةُ في أصحابِ عليٍّ المُنْكِرِينَ للتّحكيمِ أوِ الرّاضِينَ، وَلَعَلَّ أوّلَ مَا ظَهَرَ هذا اللفظُ بعدَ ثُبُوتِ

---

[1] - أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص٧-٨.
- محمّد صالح ناصر: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥٥.
- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص١٤-١٥.

[2] - أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص٨.
- محمّد صالح ناصر: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥٦.
- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص١٥.

الأمرِ لمُعاويةَ والاستقرارِ فيهِ حينَ زَارَهُ الأحنفُ بنُ قيسٍ التّميميُّ وهوَ مِنْ أهلِ النّهروانِ، فقالَ لهُ معاويةُ: لماذَا أَحَبَّكَ النّاسُ وأنتَ مِنَ الخوارجِ؟ فقالَ لهُ الأحنفُ: لوْ عابَ النّاسُ الماءَ مَا شَرِبْتُهُ. يَعْنِي الذّينَ لمْ يَرْتَضُوا بِبَيْعَتِهِ والدّخولِ في أَمْرِهِ.

أَتَرَى أنَّ معاويةَ يَصِفُ الأحنفَ بنَ قيسٍ بالخارجيّةِ لأنّهُ كانَ معَ مَنْ حَارَبَهُمْ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ يومَ النّهروانِ، أوْ لأنّهُ لمْ يَكُنْ في بَيْعَةِ معاويةَ؟ ولوْ كانَ وصفُ معاويةَ للأحنفِ بالخارجيةِ لِكَوْنِهِ مِنْ أهلِ النّهروانِ لكانَ معاويةُ ومَنْ مَعَهُ أَوْلَى بهذهِ التّسميةِ؛ لأنّهُ هوَ الذّي سلَّ السّيفَ ضدَّ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ومَنْ مَعَهُ يَوْمَ صِفّينَ، وَلأنّهُ هوَ الذّي جَنَحَ عنْ بَيْعَةِ الإمامِ عليٍّ، والحالُ قَدْ بَايَعَهُ أَهْلُ الحلِّ وَالْعَقْدِ، فَأَصْبَحَتْ بَيْعَتُهُ حقًّا يَجِبُ اتِّبَاعُهُ والدّخولُ فيهِ على كلِّ واحدٍ مِنَ المسلمينَ[1].

رابعًا: إنَّ الإباضيّةَ لمْ يَسلُّوا السّيفَ علَى أحدٍ مِنْ أهلِ التوحيدِ قط، ولمْ تَقَعْ مِنْهُمْ حَرْبٌ ضِدَّ أَحَدٍ منَ المسلمينَ وحتّى عندَ اشتدادِ الأزمةِ مِنَ الحجّاجِ بنِ يوسفَ الثقفيِّ وَزِيَادِ بنِ أبيهِ، فَقَدِ اشْتَدُّوا في مطاردةِ المسلمينَ لمجرّدِ الظّنةِ، حتّى خَرَجَ عليهمُ التّوابونَ وعلى رَأْسِهِمْ سعيدُ بنُ جُبيرٍ

[1] - أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص٩.
- محمّد صالح ناصر: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥٦.
- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص١٦.

وإبراهيمُ النّخعيُّ وَهُمَا إِمَامَانِ، وقدْ قَتَلَ الحجّاجُ سعيدَ بنَ جبيرٍ أحدَ أئمّةِ التّفسيرِ، والعَجَبُ كُلُّ العجبِ أنَّ هذهِ المجموعةَ الكُبرى مِنَ العُلماءِ الذّينَ حَمَلُوا السّيفَ أمامَ الجورِ الذّي ظَهَرَ بفظاعةٍ مِنَ الحجّاجِ؛ لمْ يُطْلِقْ عَلَيْهِمْ أحدٌ اسمَ الخوارجِ، بلْ أَطْلَقُوا عليهمُ اسْمَ التّوّابينَ، وَهُمْ كُلُّهُم مِنْ حَمَلَةِ لواءِ العلمِ، وَمَاتُوا جميعًا في القتالِ، ما عَدَا ثلاثةً فِيمَا يَبْدُو: سعيدُ بنُ جبيرٍ وإبراهيمُ النّخعيُّ وعبدُ اللهِ بنُ مطرفٍ، فإنَّ العقلَ يَقِفُ مشدوهًا أمامَ هذهِ الفاجعةِ الكُبرَى، ومعَ ذلكَ تَمُرُّ على الْقُرَّاءِ بِسَلامٍ[1].

ولكنَّ الذي يُمَحِّصُ التّاريخَ بإنصافٍ وعِلْمٍ يَرَى في إطلاقِ لفظِ الخوارجِ علَى الإباضيّةِ - وهمْ مِنَ الخوارجِ براءٌ - مَغْزًى، وَهُوَ أنّهم رأَوْا أنَّ الإمامةَ لاَ تَخْتَصُّ بقريشٍ، بلْ هيَ تصحُّ لكُلِّ مَنِ اخْتَارَهُ المسلمونَ لسياسةِ دولتِهِم وَرِيَاسَتِهَا، وهذا هوَ الحقُّ الذّي دلَّ على كمالِ البصيرةِ؛ إِذْ ليسَ مِنَ الحِكمةِ أنْ يجعلَ اللهُ أَمْرَ البشرِ على سائرِ أجناسِهِ وأُمَمِهِ تابعًا لقبيلةٍ واحدةٍ سَوَاءٌ أَحْسَنَتْ أمْ أَسَاءَتْ، ومِنَ المُكابرةِ ومجانبةِ الحقِّ أنْ يَزْعُمَ الزّاعمونَ اختصاصَ سياسةِ الأممِ بقريشٍ، ولمْ يَرْتَضِهِ الأنصارُ وهُمْ أهلُ الفَهْمِ لِمَا بُعِثَ بهِ محمّدٌ ﷺ، حينَ قالوا لأبي بكرٍ: مِنَّا أميرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ. ولاَ أبو

---

[1] - أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص١٠.
- محمّد صالح ناصر: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥٦-٥٧.
- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص١٦-١٧.

بكرٍ حِينَ ردَّ علَى الأنصارِ بقولِهِ: مِنَّا الأمراءُ وَمِنْكُمُ الْوُزَرَاءُ؛ إنَّ العربَ لاَ تَدينُ إلاّ لهذَا الحيِّ. يَعْنِي قُرَيشَ، فَعَلَّلَ الحُكمَ بانقيادِ العَربِ لقُريشٍ لاَ لشيءٍ آخرَ مِمَّا يَزْعُمُ أهلُ الأهواءِ السّياسيةِ والمذهبيّةِ. أَتَرَى أنَّ الأممَ علَى سائرِ أجناسِهَا تَنقادُ إلى رجلٍ مِنْ قريشٍ لِمُجَرَّدِ أنَّهُ قُرَيْشِيٌّ؟ كلاَّ وَاللهِ[1].

خامسًا: إنَّ الإباضيّةَ يَبْتَغُونَ العدلَ وينشُرُونَ العَملَ بالكتابِ والسنّةِ، والسَّيْرَ علَى مناهجِ السّياسةِ التّي سارَ عليها الخُلفاءُ الرّاشدونَ، سواءٌ قامَ بالأمرِ قُرَيْشيٌّ أمْ حَبَشِيٌّ، عَرَبِيٌّ أَمْ أَعْجَمِيٌّ، كَمَا وَرَدَ في أحاديثَ صِحاحٍ، لِهَذَا ارْتَضَوْا سيرةَ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ حينَ أَرْسَلُوا إليهِ وفدًا مِنَ البصرةِ يتألّفُ مِنْ ستةِ علماءَ جهابذةٍ: جعفرُ بنُ السّماكِ العبديُّ، وأبو الحرِّ عليُّ بنُ الحصينِ العنبريُّ، والحتّاتُ بنُ الكاتبِ، والحبّابُ بنُ كُلَيْبٍ، وأبو سفيانَ قُمبرٌ البصريُّ، وَسَالِمُ بنُ ذكوانَ وَغَيْرُهُمْ. وَحَيْثُ ذَكَرَ مُؤَرِّخُو قَوْمِنَا وُفُودَ هؤلاءِ على عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ، قَالُوا كَعَادَتِهِمْ فِي الْغَمْزِ: أَرْسَلَ إليهِ الخوارجُ وَفْدًا. وَلَمْ يَذْكُرُوا ما جَرَى بينَهُم وبينَ الخليفةِ عمرَ مِنَ الحديثِ وقُبولِهِ منهمْ كلَّ ما أَرَادُوهُ منهُ مِنْ نَشْرِ العدلِ، وَتَطْهِيرِ البلادِ والمنابرِ منَ اللَّعْنِ الذّي اتَّخَذَهُ الأُمويّونَ سُنَّةً. فإنَّ الوفدَ قالَ لَهُ: إنَّ المُسلمينَ يَلْعَنُونَ عليًّا على المنابرِ فلابدَّ

---

[1] - أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص١٠-١١.
- محمّد صالح ناصر: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥٧.
- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص١٧.

مِنَ الشروعِ في تغييرِ المُنْكَرِ، فَأَبْدَلَ اللَّعْنَ بقولِهِ تعالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾[1]، لمْ تَسْمَحْ نُفوسُ أولئكَ المؤرِّخِينَ الذينَ أَعْمَتْ بَصِيرَتَهُمُ الأهواءُ أنْ يَذْكُروا تِلكَ المناقبَ التّي ظَهَرَتْ مِنَ الإباضيّةِ، مِنْ نُشْدَانِ الحقِّ والوُقوفِ في وجهِ الظّلمةِ بالمُساجلةِ، كمَا فعلَ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ مَعَ عَبْدِ الملكِ بنِ مروانَ، وأبو بلالٍ مرداسُ بنُ حُديرٍ معَ زيادِ بنِ أبيهِ، وَلَمْ يَسلُّوا السّيفَ كمَا فعلَ الخوارجُ، بلْ سَلَكُوا سبيلَ البيانِ مُعْرِضِينَ عنِ السِّنانِ؛ لأنَّهُم يَرَوْنَ عِصمةَ الدّمِ بالتّوحيدِ "لاَ إله إلاَّ اللهُ" وَعِصْمَةَ المالِ كذلكَ، وَلَمْ يَكُنْ منهمْ مَا كانَ مِنْ أعمالِ غيرِهِم في سبيلِ تأسيسِ السّلطانِ، أوْ حَمْلِ النّاسِ على اعتناقِ مَذْهَبِهِمْ بالسّيفِ، وقطْعِ العُذْرِ، بلْ تَرَكُوا النّاسَ أَحْرَارًا في آرائِهِم، وأَعْرَضُوا عنِ الدّنيا إنْ كانتْ بِغَيْرِ حِلِّهَا، وَتَرَكُوا لأربابِ المذاهبِ مَذَاهِبَهُمْ في حرّيّةٍ تامّةٍ؛ لأنَّهُ ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾[2]، فَالْحَقُّ مَقْبُولٌ مِنْ أيٍّ كانَ، والباطلُ مَرْدُودٌ على صَاحِبِهِ محمولٌ عليهِ، فأهلُ القِبلةِ عِنْدَهُمْ كافّةٌ سواسيةٌ في الحقِّ والحرّيةِ في الإعرابِ عنْ آرائِهِم الفرعيّةِ، والحرّيةُ مَكْفُولَةٌ لكلِّ النّاسِ بعدَ الاعترافِ للهِ بالوحدانيّةِ، والحرّيّةُ هيَ الأصلُ في الإنسانِ، حتّى أنَّ المُكاتِبَ عِنْدَهُمْ حُرٌّ مِنْ أوّلِ يومٍ، وَمَا كاتَبَ بِهِ

---

[1] - سورة النحل، الآية: ٩٠.

[2] - سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

فَدَيْنٌ عليهِ يُؤَدِّيهِ، وَلَمْ يَقُلْ بهذا غيرُ الإباضيّةِ؛ لأنّهم أَدْرَكُوا مِنَ الشّريعةِ ما فَاقُوا بهِ سِوَاهُمْ.

فَبَانَ عنهمُ الخوارجُ بِما ذَكَرْنَا مِنْ شَنَائِعِهِمْ وكبائِرِهِم، ولمْ تكنْ لهمْ صِلَةٌ بالإباضيّةِ حتّى يُقالُ إنّهمْ خوارجُ.

ويُكمِلُ الشيخُ أبو إسحاقَ أطفيّشُ كلامَهُ ويقولُ: ولقدْ كَشَفتُ لِلْمُنْصِفِينَ مِنْ قَوْمِنَا هذهِ الفروقَ، فَأَدْرَكُوا الحقَّ وَاعْتَرَفُوا بهِ، والرّجوعُ للحقِّ فريضةٌ وفضيلةٌ[1].

سادسًا: الإباضيّةُ يُجِيزُونَ المُناكَحةَ بَيْنَهُمْ وبينَ سائرِ المُوحِّدينَ، والخوارجُ لاَ يُجيزونَ المناكحةَ معَ غَيْرِهِمْ؛ لأنّهم يَرَوْنَ سِوَاهُمْ مُشْرِكِينَ، وعلَى هذا لاَ يجوزُ أيضًا التّوارثُ بينَهُم وبينَ مَنْ يُخَالِفُهُمْ بطبيعةِ الحالِ؛ لأنَّ الشّركَ الذي مَنَعَ المُناكحةَ والمُصاهرةَ يَمْنَعُ المُوارثةَ[2].

---

[1] - أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص١١-١٢-١٣.

- محمّد صالح ناصر: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥٧-٥٨.

- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص١٨-١٩-٢٠.

[2] - أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص١٣.

- محمّد صالح ناصر: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥٩.

- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص٢٠.

سابعًا: الإباضيّةُ اتَّجَهُوا إلى خِدمةِ الإسلامِ عِلمًا وعَملاً منذُ ابْتَدَأَتِ الفتنةُ، فَاشْتَغَلُوا بالتّدوينِ، فَكَانُوا أوّلَ مَنْ دَوَّنَ الحديثَ، فالإمامُ جابرُ بنُ زيدٍ أوّلُ مَنْ دوَّنَ الحديثَ وأقوالَ الصّحابةِ في ديوانِهِ الذي وَصَفُوهُ بأنّهُ وقْرُ بعيرٍ، ثُمَّ تلاميذُهُ مِنْ بعدِه، وهُمْ حَمَلَةُ العِلمِ مِنَ المشرقِ إلى المَغربِ، والخَوارجُ جَنَحُوا إلى إراقةِ الدّماءِ وإخافةِ السُّبُلِ وَتَعْطِيلِ الأحكامِ، ولمْ يُذْكَرْ أحدٌ مِنَ الخوارجِ أنّهُ ألّفَ كتابًا، والذّينَ يَذْكُرُونَ المؤلّفاتِ للخوارجِ إنّما يَذْكُرُونَ الإباضيّةَ، وَهُمْ دُونَ شكٍّ يُرِيدُونَ بِهِمُ التّشنيعَ والتّشغيبَ[1].

ثامنًا: إنَّ قَوْمَنَا حينَ جَمَعُوا الحوادثَ التاريخيّةَ، وَاقْتَضَتِ الحالُ أنْ يَذْكُرُوا أَصْحَابَهَا، فَفَشلُوا في قولِ الصّوابِ، فَخَلَطُوا بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ، فَتَارَةً يَنْسبونَ الإباضيّةَ للخوارجِ، وتارةً يَنْسبونَ الخوارجَ إلى الإباضيّةِ، كمَا يَفْعَلُ الكثيرُ مِنَ الْمُدَوِّنِينَ في الأصولِ والفروعِ في إضافةِ أقوالِ المعتزلةِ إلى الإباضيّةِ والعَكْسِ، مِمَّا أَوْجَبَ التّخليطَ والتّشويشَ، فَيَذْهَبُ المؤلّفونَ الذينَ

- محمّد عبد الفتّاح عليان: نشأة الحركة الإباضيّة في البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد ــ وعلاقتها بالخوارج ــ، دار الهداية للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص١٩٦.

[1] - أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص١٤-١٥.
- محمّد صالح ناصر: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥٩-٦٠.
- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص٢٠-٢١.
- محمّد عبد الفتّاح عليان: نشأة الحركة الإباضيّة في البصرة، مصدر سابق، ص١٩٦.

يَعْتَمِدُونَ على النّقلِ إلى مَا هوَ أشبهُ بالتهريجِ، ولاَ عُذْرَ لَهُمْ مُطلقًا؛ لأنَّ الذي يَنْشدُ الحقَّ يَطْلُبُهُ مِنْ يَنْبُوعِهِ، لاَ أنْ يَنْتَحِلَهُ حَسَبَ هَوَاهُ[1].

ويقولُ الدكتورُ عامر النجّار: "وَلَعَلَّ عَدَمَ اشتراطِهِم - يَقْصِدُ الإباضيّةَ - القرشيّةَ في الإمامِ مِنَ الأسبابِ الرئيسيّةِ التي دَعَتْ أهلَ السنّةِ إلى وَضْعِ الإباضيّةِ ضِمْنَ زُمْرَةِ الخوارجِ، فَهُمُ الذينَ يَقُولُونَ - عادةً - بِعَدَمِ اشتراطِ القُرشيّةِ في الإمامِ، بالإضافةِ إلى أنَّ الخوارجَ يَقُولُونَ بِوُجُوبِ خَلْعِ الإمامِ غيرِ العادلِ والذي يَخْرُجُ عنْ شُرُوطِ بَيْعَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ"[2].

وَسَبَبُ إلصاقِ تُهْمَةِ الإباضيّةِ بالخوارجِ سِيَاسَةُ الدولةِ الأمويّةِ في التّشنيعِ على الإباضيّةِ حَتَّى يُنَفِّرُوا النّاسَ مِنْ أصحابِ المذهبِ الإباضيِّ الذينَ وَجَدُوا مِنْهُمُ الصّلابةَ في مَوَاقِفِهِمْ ضدَّ الدّولةِ الأمويّةِ[3] "وَتَقَبَّلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَصِّبِينَ

---

[1] - أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص١٦.
- محمّد صالح ناصر: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٦٠.
- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص٢٢.

[2] - عامر النجار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص٩٩.

[3] - المصدر نفسه، ص٩٩-١٠٠.

وَالعامّةِ أَيْضًا هذا الإلصاقَ، فَأَثْبَتُوهُ في كُتُبِهِمْ بِدُونِ تَمْحِيصٍ أَوْ بَحْثٍ عنِ الحقيقةِ"[1].

وَلَعَلَّ أَبْرَزَ سَبَبٍ لاتّهامِ الإباضيّةِ بأنَّهُم خوارجُ إِنْكَارُهُمُ التّحكيمَ، والحقيقةُ أنَّ بعضَ كُتّابِ المقالاتِ والفِرَقِ الإسلاميّةِ كانُوا في حُكْمِهِمْ على الإباضيّةِ قُسَاةً غيرَ مَوْضُوعِيِّينَ، وَيَبْدُو أنَّ كُتّابَ المقالاتِ نظرُوا إلى جميعِ ما يُنْسَبُ إلى الخوارجِ - بحقٍّ أوْ بباطلٍ - فَنَسَبُوهُ إلى الإباضيّةِ، ومِنَ الأمثلةِ على ذلكَ ما يَلِي:

يُنْكِرُونَ الإجماعَ - يُنْكِرُونَ الرَّجْمَ - يُنْكِرُونَ عَذَابَ الْقَبْرِ.

والإباضيّةُ لاَ يُنْكِرُونَ الإجماعَ، بلْ يَرَوْنَهُ الأصلَ الثالثَ مِنْ أُصُولِ التشريعِ، ولاَ يُنْكِرُونَ الرَّجْمَ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ إنَّهُ ثَبَتَ بالسنّةِ القوليّةِ والعمليّةِ وَلَيْسَ بقرآنٍ مَنْسُوخٍ، وَيُثْبِتُونَ عذابَ القبرِ وسؤالَ المَلَكَيْنِ اسْتِنَادًا إلى أحاديثَ كثيرةٍ تَثْبُتُ في الموضوعِ[2].

---

[1] - بدر الدين هلال حمود اليحمدي الإباضي: الأدلّة المرضيّة في دحض ما نُسب إلى الإباضيّة، طبعة مطابع النهضة، مسقط، عُمان، ١٩٨٨م، ص٣٢. (نقلاً عن: عامر النجار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص١٠٠).

[2] - عامر النجار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص١٠٠.

وإنِّي أميلُ وبِشِدّةٍ إلى رَأْيِ الدّكتورِ عوض محمّد خليفات الذّي يَقُولُ: "إنَّ الإباضيّةَ لَيْسُوا خَوَارِجَ كَمَا تَزْعُمُ بَعْضُ كُتُبِ المقالاتِ والمِلَلِ والنِّحَلِ، وَكَمَا يَدَّعِي بعضُ الكُتّابِ الْمُحْدثِينَ الذّينَ قَلَّدُوا هذهِ المؤلّفاتِ دونَ تَدْقِيقٍ وَتَمْحِيصٍ. وَالواقعُ أنَّ الإباضيّةَ لاَ يَجْمَعُهُمْ بالخوارجِ سِوَى إنكارِ التّحكيمِ".

ويقولُ أيضًا: "إنَّ الإباضيّةَ حَرَّمُوا قَتْلَ الْمُوَحِّدِينَ وَاسْتِحْلاَلَ دِمَائِهِمْ وَحَرَّمُوا استعراضَ النّاسِ وَامْتِحَانَهُمْ كَمَا فَعَلَ مُتَطَرِّفُو الخوارجِ مثلُ الأزارقةِ والنّجديّةِ". وَيَسْتَمِرُّ في كلامِهِ وَيَقُولُ: "إنَّ الإباضيّةَ يَنْظُرُونَ إلى الدّينِ نظرةً واحدةً متكاملةً لاَ فَصْلَ فيها بينَ المظاهرِ الرّوحيةِ والماديّةِ، ولاَ طُغيانَ لأحدِهِما على الآخرِ. وتبعًا لذلكَ فقدْ أَنْكَرُوا التّصوُّفَ وَرَفَضُوهُ"[1].

وَيَخْتمُ كلامَهُ فيقولُ: "إنَّ المُدقِّقَ في المصادرِ الفقهيّةِ الإباضيّةِ يجدُ أنَّ أصحابَ الإباضيِّ مِنْ أكثرِ المُسلمينَ اتّباعًا للسنّةِ الشّريفةِ والاقتداءِ بها، أمَّا مَا تُلْصِقُهُ بهمْ بعضُ المصادرِ مِنْ تُهَمٍ فَإِنَّمَا هوَ ناتجٌ عنْ أحدِ أَمْرَيْنِ: الجهلِ أوِ التّعصّبِ، وإنَّ الإباضيّةَ هُمْ وَحْدَهُمُ الذّينَ طَبَّقُوا مَبْدَأَ الشّورَى في الحُكمِ بعدَ الخليفتيْنِ أبي بكرٍ الصّديق ؓ وعمرَ بنِ الخطّابِ ؓ[2].

---

[1] - عوض محمّد خليفات: الأصول التّاريخية للفِرقة الإباضيّة، مؤسّسة الشّيخ النّاصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط٤، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م، ص٩٥.

[2] - المصدر نفسه، ص٩٦.

يقولُ ناصرُ بنُ سليمانَ بنِ سعيدٍ السّابعيُّ: "وَإِذَنْ فالإباضيّةُ علَى هذا المعيارِ لَيْسُوا منَ الخوارجِ، والسَّبَبُ أَيْضًا الذّي مِنْ أَجْلِهِ عَدَّهُمْ البعضُ مِنَ الخوارجِ - كَمَا يَظْهَرُ - هوَ اتِّفَاقُهُمْ جَمِيعًا على الآراءِ التّي تَقَدَّمَ ذِكْرُها. وَلَعَلَّ قولَ الإباضيّةِ بِكُفرِ مُرتكبِ الكبيرةِ يَعْنُونَ بهِ كُفرَ النّعمةِ لَبسَ علَى غيرِهِم، فَزُجَّ بِهِمْ في عِدادِ الخوارجِ لِعَدَمِ التّفريقِ عندَ مَنْ جَعَلَهُمْ مِنْهُمْ بَيْنَ الكُفْرِ والشّركِ والتّكفيرِ والتّشريكِ[1].

يقولُ الشيخُ السّالميُّ وهوَ مِنْ علماءِ الإباضيّةِ:

والكُفرُ قِسْمَانِ جُحُودٌ ونِعَم ... وَبِالنِّفَاقِ الثَّانِي مِنْهُمَا وُسِم

ثمَّ فَسَّرَ كُفْرَ النِّعمةِ فقالَ:

"أيْ كُفْرُ نِعَمٍ، وَهُوَ مَا نَشَأَ عنْ تأويلِ الخطأِ كاستحلالِ ما حَرَّمَهُ اللهُ تعالَى بتأويلِ الخطأِ مِنْ فاعِلهِ أوْ قائلِهِ كخلافِ جميعِ مَنْ خَالَفَ المُسلمينَ وَبَرَاءَتِهِمْ مِنْهُمْ بِتَأْوِيلِ الْخَطَأِ، ومَا فَعلَ انتهاكًا كمُقارفةِ شيءٍ ممَّا أَوْعَدَ اللهُ على فِعْلِهِ النَكالَ في الدّنيا والعذابَ في الآخرةِ، أوْ عُذِّبَتْ بهِ أُمَمٌ مِنَ الأممِ

[1] - ناصر بن سليمان بن سعيد السّابعي: الخوارج والحقيقة الغائبة، مصدر سابق، ص١٨٦.

الماضيةِ كالقَتْلِ والزِّنَا والرِّبَا والسّرقةِ وبَخْسِ المِكيالِ والميزانِ وإتيانِ الرّجالِ وعَقْرِ النّاقةِ والاعتداءِ في السّبتِ لأهلِ ذلكَ الزّمانِ وغيرِ ذلكَ"[1].

يقولُ الشيخُ أعوَشْت: "إنَّ القاسمَ المُشتركَ الوحيدَ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ هوَ رَفْضُهُمْ للتّحكيمِ ودعوتُهُم للمُسلمينَ لاختِيَار إمامِهِم دونَ أيِّ تَمْيِيزٍ أوْ تَفْرِقَةٍ".

وَيَرْبطُ كاتبٌ إباضيٌّ آخرُ وَضْعَ الإباضيّةِ في خانةِ الخوارجِ بأسبابٍ سياسيّةٍ، ثمَّ يُلَخِّصُ المواضيعَ المُشتركةَ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ في المسائلِ الآتيةِ:

- أَخْطَأَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ في صِفِّينَ حِينَ أَوْقَفَ الحربَ معَ معاويةَ بنِ أبي سفيانَ مُؤَقّتًا بسببِ التّحكيمِ، ثُمَّ أنكرَ التّحكيمَ وَتَصَرَّفَ بِصُورَةٍ مُتَنَاقِضَةٍ.

- أَخْطَأَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ حينَ حَارَبَ أهلَ النّهروانِ.

- ليسَ شَرْطًا أنْ يكونَ الإمامُ مِنْ قريشٍ مَا دَامَ أَهْلاً للإمامةِ[2].

---

[1] - السّالمي: مشارق أنوار العقول، مصدر سابق، ج٢، ص٣٠٢ – ٣١٣. (نقلا عن: ناصر بن سليمان بن سعيد السّابعي: الخوارج والحقيقة الغائبة، مصدر سابق، ص١٨٧).

[2] - أورهان آتش: الإباضيّة من مصادرها، مصدر سابق،ص٨٥.

يُؤَكِّدُ الشَّيخُ عليّ يحيى معمّر عَلَى أنّهُ يجبُ ألاَّ تُضَخَّمَ هذهِ التّشابهاتُ. وَحَسَبَ رأيِهِ فإنَّ الفِرَقَ المختلفةَ يُمْكِنُ أنْ تَتَشَابَهَ في بعضِ الأفكارِ. ولكنْ هَذا لاَ يَعْنِي أنَّ هذهِ التّشابهاتِ تُغَيِّرُ الفِرقَةَ إلى فِرْقةٍ أُخْرَى، وبالتّالي فإنَّ تَشَابُهَ بعضِ الأفكارِ الإباضيّةِ معَ أفكارِ فِرَقِ الخوارجِ لاَ يُدخِلُ الإباضيّةَ في زمرةِ الخوارجِ[1].

يقولُ زاهرُ بنُ سعيدِ بنِ سيفٍ السّيابيُّ: إنَّ الإباضيّةَ يَتَشَارَكُونَ معَ الخوارجِ في رفضِ التّحكيمِ، وهوَ الرّابطُ الوحيدُ الذي يربطُ الإباضيّةَ بالخوارجِ، وهذا الرّبطُ لَعِبَ دورًا أساسيًّا في تَشْوِيهِ صورةِ الإباضيّةِ، فلَمْ تَكُنِ الإباضيّةُ إلى جانبِ الإمامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ في مسألةِ التّحكيمِ حتَّى تُلْحَقَ بالسّلطةِ الأمويّةِ، وبالتّالي ليستْ إلاَّ خَارِجِيَّةً[2].

يقولُ الدكتورُ عمّار طَالِبي: "إنَّ المبدأَ الأساسيَّ الذي امْتَازَ بهِ الخوارجُ وهوَ إنكارُ التّحكيمِ قدْ أَخَذَتْ بهِ الإباضيّةُ"[3]، فَهَذَا يُعْتَبَرُ مِنَ الأسبابِ الأساسيّةِ التي تَمَّ بها دَمْجُ الإباضيّةِ بالخوارجِ.

---

[1] - المصدر نفسه، ص٨٥-٨٦.

[2] - زاهر بن سعود بن سيف السيابي: الخوارج الامتداد الفكريّ بين الأزارقة والوهّابيّة، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عُمان، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٢٥.

[3] - عمار طالبي: آراء الخوارج الكلاميّة، مصدر سابق، ج١، ص٢٠٣.

ولقدْ حَدَّدَ ابنُ حزمٍ قانونًا ضابطًا للخوارجِ فقالَ: "ومَنْ وَافَقَ الْخَوَارِجَ في إنكارِ التّحكيمِ، وتكفيرِ أصحابِ الكبائرِ، والقولِ بالخروجِ على أئمّةِ الجورِ، وأَنَّ أصحابَ الكبائرِ مُخلّدونَ في النّارِ، وأنَّ الإمامةَ جائزةٌ في غيرِ قريشٍ؛ فهوَ خَارِجِيٌّ، وإنْ خَالَفَهُمْ فِيمَا عَدَا ذلكَ ممَّا اخْتَلَفَ فيهِ المسلمونَ، فَإِنْ خَالَفَهُمْ فِيمَا ذَكَرْنَا فَلَيْسَ خَارِجِيًّا"[1].

وبمَا أنَّ الإباضيّةَ اتَّصَفُوا بِبَعْضِ هذهِ الصّفاتِ فقدْ كانتَ سبباً مُقنعًا لابنِ حزمٍ لإدراجِهِم تلقائيًّا ضِمْنَ فِرَقِ الخوارجِ.

فأَتْباعُ ابنِ إباضٍ وخاصّةً المتأخّرينَ منهمْ فَإِنَّهُمْ يَرْفُضُونَ انْتِسَابَهُمْ للخوارجِ، ويُدَافِعُونَ عنْ ذلكَ بقوّةٍ في حينِ نَجِدُ منهمْ مَنْ يغضُّ الطّرفَ عنْ ذلكَ وَيَقْبَلُ بالتّسميةِ على أنَّ المقصودَ بالخُروجِ الجهادُ في سبيلِ اللهِ أو الخروجُ سِيَاسِيًّا لاَ خُرُوجًا عنِ الدّينِ ومُروقًا منه[2].

فالشيخُ السّالميُّ العُمانيُّ (١٢٨٦هـ/١٣٣٢هـ) يُقِرُّ بخروجِ الإباضيّةِ لكنْ بمفهومِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ، يقولُ في هذا الصّددِ: "ولمَّا كَثُرَ بَذْلُ نُفُوسِهِمْ - أَيِ الإباضيّةِ - في رِضَا رَبِّهِمْ وكانوا يَخْرُجُونَ للجهادِ طوائفَ، سُمُّوا بالخوارجِ جَمْعِ خارجَةٍ، وهيَ الطّائفةُ التي تَخْرُجُ في سبيلِ اللهِ أخذًا مِنْ قولِهِ تعالى:

---

[1] - عمار طالبي: آراء الخوارج الكلاميّة، مصدر سابق، ج١، ص٢٠٦.

[2] - عدّون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٩٣.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾[1]، فهذهِ هيَ أصلُ تَسْمِيَتِهِمْ بِالخوارجِ، وهيَ تَسْمِيَةٌ محمودةٌ وسببٌ مشكورٌ، ولمَّا فَارَقَتْنَا الأزارقةُ والصفريَّةُ أَخَذُوا عَنَّا اسْمَ الخروجِ، وَانْقَلَبَ المدحُ ذمًّا، وَاخْتَصَصْنَا باسمِ أهلِ الاستقامةِ[2].

فالفَهْمُ الخاطئُ لِبَعْضِ المؤرّخينَ وكُتّابِ المقالاتِ لهذا التعريفِ في إقرارِ الشيخِ السّالميِّ العُمانيِّ بهذا الخروجِ؛ هوَ السّببُ في إدراجِهِم للإباضيّةِ في زمرةِ الخوارجِ؛ لأنَّ اللَّبْسَ والخلطَ يَكْمُنُ في مفهومِ الخروجِ بحدِّ ذَاتِهِ، فالشيخُ السّالميُّ قَصَدَ الخروجَ بمعنَى الجهادِ في سبيلِ اللهِ، وهمْ فَهِمُوهُ بِمَعْنَى الخروجِ الدّينيِّ، فَأَلْصَقُوهُمْ بالخوارجِ وَأَتْبَعُوهُمْ بالأزارقةِ والنّجداتِ والصّفريّةِ، وَهُمْ مِنْهُمْ بَرَاءٌ.

وحَسَبَ رَأْيِي؛ إنَّ كلَّ هذا الخلطِ والذّي بهِ دَمَجَ كثيرٌ مِنَ المؤرّخينِ الإباضيّةَ ضِمْنَ فِرَقِ الخوارجِ؛ يعودُ أَسَاسًا إلى عدمِ فَهْمِ كلمةِ "خوارجِ"، وَخَلْطِهِمْ بينَ الخروجِ السّياسيِّ أو الدّينيِّ وبين الخروجِ بِمَعْنَى الجهادِ في سبيلِ اللهِ اسْتِنَادًا إلى قولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ

[1] - سورة التوبة، الآية: ٤٦.

[2] - عدّون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٩٥.

﴿ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[1]، والخُروجِ بِمَعْنَى المُروقِ عنِ الدّينِ، والذّي تَطَرَّقْنَا لهُ سابقًا في حديثِ المُروقِ.

يقولُ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ في تعريفِهِ للخوارجِ: "هُمْ أصحابُ عثمانَ الذينَ أَنْكَرُوا عليهِ وَفَارَقُوهُ، وهمْ أصحابُ الزبيرِ وطلحةَ حينَ نَكَثَا، وأصحابُ معاويةَ حينَ بَغَى، فَهُمْ فَارَقُوا هؤلاءِ كُلَّهُمْ وَأَبَوْا أنْ يُقِرُّوا بِحُكْمِ البشرِ دونَ حكمِ اللهِ، وكانُوا يَتَوَلَّوْنَ في دِينِهِمْ نَبِيَّ اللهِ ﷺ وأبا بكرٍ وعمرَ ﷺ، وَيَدْعُونَ إلى سَبِيلِهِمْ"[2].

ويقولُ في رسالتِهِ التي أَرْسَلَهَا إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ: "فهذا خبرُ الخوارجِ: نُشْهِدُ اللهَ والملائكةَ أنَّا لِمَنْ عَادَاهُمْ أَعْدَاءٌ، وَلِمَنْ وَالاَهُمْ أَوْلِيَاءُ بِأَيْدِينَا وَأَلْسِنَتِنَا وَقُلُوبِنَا على ذلكَ نَعِيشُ مَا عِشْنَا، وَنَمُوتُ على ذلكَ إِذَا مِتْنَا، غَيْرَ أنَّا نَبْرَأُ إلى اللهِ مِنَ ابنِ الأزرقِ وأتباعِهِ مِنَ النَّاسِ، لَقَدْ كانُوا خَرَجُوا حينَ خَرَجُوا على الإسلامِ فِيمَا ظَهَرَ لَنَا، وَلَكِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عنْهُ، وَكَفَرُوا بعدَ إِيمَانِهِمْ، فَنَبْرَأُ إلى اللهِ مِنْهُمْ"[3].

---

[1] - سورة النساء، الآية: ١٠٠.

[2] - عدون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٩٣.

[3] - سرحان بن سعيد الأزوكي: كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمّة، تحقيق: حسن محمد عبد الله النّابودة، دار البارودي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١، ص٥٩٨.

فقدْ أَقَرَّ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ أنّهُ يَلْتَقِي معَ الخوارجِ حينَ خَرَجُوا عنِ الأئمّةِ الذينَ بَدَّلُوا حُكْمَ اللهِ بحُكْمِ البشرِ، وفي نفسِ الوقتِ يُعلنُ براءتَهُ ممّنْ خَرَجَ عنِ الدّينِ، فَنَفْهَمُ مِنْ كلامِهِ أنّهُ لمْ يَحْشرْ نَفْسَهُ معَ الخوارجِ، فهوَ ليسَ منهُمْ[1]. فَفَهِمَ المؤَرِّخُونَ كلمةَ "الخروجِ" في الشّطرِ الأوّلِ مِنْ رسالةِ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ فهْمًا غيرَ المقصودِ الذي كانَ يَقْصدُهُ، وَهُنَا وَقَعَ اللّبسُ والخلطُ في إدماجِ الإباضيّةِ في الخوارجِ.

ومِنْ ذلكَ كلِّهِ يَتّضِحُ لنا أنَّ الإباضيّةَ كانُوا أَشِدَّاءَ على الخوارجِ، فكيفَ نَعْتَبِرُهُمْ مِنْهُمْ وَهُمْ لَمْ يَتّفِقُوا مَعَهُمْ إلاّ في مسألةِ عدمِ قبولِ التّحكيمِ ورفضِ مبدأِ القُرَشِيّةِ في إمامةِ المسلمينَ. والمعروفُ أنَّ أميرَ المؤمنينَ عليَّ بنَ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أقرَّ بِنَفْسِهِ بأنَّ التّحكيمَ كانَ خُدْعَةً[2].

وحتَّى نَفْهَمَ بُعْدَ الإباضيّةِ عنِ الخوارجِ وَبَرَاءَتَهُمْ منهُمْ لابدَّ مِنَ الوقوفِ على بعضِ مواقفِ الإباضيّةِ ضدَّ الخوارجِ.

---

[1] - عدّون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٩٣.

[2] - عامر النجار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص١٠١.

المبحثُ الثالثُ: موقفُ الإباضيّةِ مِنَ الخوارجِ

يقولُ الدكتورُ المصريُّ محمَّد حسان كسبة مَا يَلِي: "الإباضيَّة ذَهَبُوا إلى أنَّ الخروجَ إنَّما يَتَحَقَّقُ فِيمَنْ خَرَجَ عنِ الدّينِ، والخروجُ عَنِ الدّينِ إنّما يكونُ بإنكارِ أصلٍ ثابتٍ مِنْ أصولِهِ، أوْ بالعملِ بما يَتَنَافَى معَ تلكَ الأصولِ المقطوعِ بها؛ لأنَّ العملَ بذلكَ هوَ الرِّدَّةُ، والإنكارُ إنَّمَا يجبُ أنْ يكونَ لِمَا عليهِ سلوكُ المسلمِ الذي حَدَّدَهُ القرآنُ، ومِنْ هُنَا فإنَّهُم يتصوّرونَ مفهومَ الفِرقةِ التي يَنْطَبِقُ عليها مفهومُ الخارجيّةِ الواردِ في حديثِ المُروقِ مِنَ الدّينِ، إنَّمَا هيَ فِرقةُ الأزارقةِ ومَنْ كانَ على شَاكِلَتِهَا؛ لِمَا يَقُومُونَ بِهِ وَيَعْتَقِدُونَ مِنْ سَفْكِ دماءِ المسلمينَ وأَخْذِ أموالِهِم وَسَبْيِ نسائِهِم وأطفالِهِم مُسْتَحِلِّينَ لذلكَ كُلِّهِ"[1].

ولقدْ بَيَّنَ لنا هذا الموقفَ المتَكَلِّمُ الإباضيُّ أبو يعقوبَ يوسفُ بنُ إبراهيمَ في كتابِهِ (الدّليلُ لأهلِ العقولِ) حيثُ صَرَّحَ: "وَزلّةُ الخوارجِ نافعِ بنِ الأزرقِ

[1] - بكير بن سعيد أعوشت: أضواء إسلاميّة على المعالم الإباضيّة، بيانها حقائقها تاريخها، مصدر سابق، ص٦٧.

- بكير بن سعيد أعوشت: الإباضيّة في مرآة علماء الإسلام قديما وحديثا، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد، غرداية، د ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص٤٧ – ٤٨.

وذَوِيهِ حيثُ تَأَوَّلُوا قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[1] فَأَثْبَتُوا الشّركَ لأهلِ التّوحيدِ حينَ أَتَوْا مِنَ المعاصِي ما أَتَوْا ولوْ أَصْغَرَهَا"[2].

وَيَظْهَرُ التكلُّفُ سافرًا في جعلِ الإباضيّةِ فِرقةً مِنْ فِرَقِ الخوارجِ، "وإطلاقُ لفظِ الخوارجِ على الإباضيّةِ أهلِ الحقِّ والاستقامةِ مِنَ الدّعاياتِ الفاجرةِ، الَّتِي نَشَأَتْ عنِ التعصّبِ السّياسيِّ أوّلاً، ثمَّ عنِ التعصّبِ المذهبيِّ ثانيًا"[3].

علَى أنّهُ لَيْسَتْ ثَمَّةَ علاقةٌ تربطُ الإباضيّةَ بالخوارجِ (الأزارقةِ والصّفريّةِ والنّجديّةِ) وَغَيْرِهَا مِنْ فِرَقِ الخوارجِ، وإنّمَا هيَ دعايةٌ اسْتَغَلَّتْهَا الدّولةُ الأمويّةُ لِتَنْفِيرِ النّاسِ عنِ الذينَ يُنَادونَ بِعَدَمِ شرعيّةِ الحكمِ الأمويِّ، كما أنَّ جَعْلَ المحكِّمةِ (أهلِ النّهروانِ) - الذينَ هُمْ سَلَفٌ للإباضيّةِ وَلَيْسُوا سَلَفًا للأزارقةِ والصّفريّةِ والنّجديّةِ - مِنَ الخوارجِ، هوَ مِنْ وَضْعِ الوَاضِعِينَ، ومِنْ صنيعِ أربابِ الأقلامِ المُغْرِضَةِ، معَ أنَّ الخوارجَ يَسِيرُونَ في خطٍّ مُعاكسٍ معَ الإباضيّةِ، يَتَّضِحُ ذلكَ مِنْ خلالِ المبادئِ والأسسِ التي يَقُومُ عليها مذهبُ

---

[1] سورة الأنعام، الآية: ١٢١.

[2] - علي يحي معمّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص٣٥.

- بكير بن سعيد أعوشت: الإباضيّة في مرآة علماء الإسلام قديما وحديثاً، مصدر سابق، ص٤٨.

[3] - أبو اسحاق ابراهيم اطفيّش: الفرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص٠١.

كُلٍّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ[1]، والفُروقُ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ كثيرةٌ، يُمْكِنُ أنْ نُوجِزَ بَعْضَهَا كمَا ذَكَرَهَا بعضُ علماءِ الإباضيّةِ وَغَيْرُهُمْ مِنَ المُنصِفينَ، فَعَلَى الباحثِ الرّجوعُ إلى المصادرِ الصّحيحةِ التّي تناولتْ حقيقةَ هذا المذهبِ لِتقديمِ الوجهِ الحقيقيِّ لهُ، وللإباضيّةِ العديدُ مِنَ المواقفِ ضدَّ الخوارجِ، نَذْكُرُ مِنْهَا:

أوّلاً: قتالُ القائدِ الشهيرِ المهلبِ بنِ أبي صفرةَ الأزديِّ العُمانيِّ للخوارجِ، والمهلبُ وإنْ كانَ مواليًا للأمويّينَ - وهوَ بالطبعِ عَمَلٌ لمْ يَرْضَهُ الإباضيّةُ - فإنَّهُ مِنَ الثابتِ تاريخيًّا أنَّ أُسْرَةَ آلِ المهلبِ كانوا إباضيّةً، وكانُوا على اتّصالٍ وثيقٍ بالإمامِ جابرِ بنِ زيدٍ الأزديِّ ﷺ ولمْ يَبْذُلِ المهلبُ في قتالِ الخوارجِ والقضاءَ عليهمْ، إلاَّ لِعِلْمِهِ بِعَدَمِ العلاقةِ بينَهُم وبينَ الإباضيّةِ[2]، وعلى مَدَارِهَا

---

[1] - أبو اسحاق ابراهيم اطفيّش: الفرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص٠١.

[2] - المصدر نفسه، ص٢.

- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص١٠.

- عامر النّجّار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، دار المعارف، ط١، ١٩٩٣م، ص٨٧.

- عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص١٠٢.

كانتِ الفتوَى في الأقضيةِ والنّوازلِ، وَمَعْلُومٌ أنَّ القبيلةَ التّي كانَ يُقَاتِلُ بِهَا المُلهبُ هيَ الأزدُ[1].

ثانيًا: كانَ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ شديدًا إزاءَ الآراءِ والأفكارِ التي يُنَادِي بها نافعُ بنُ الأزرقِ، وكانَ يُعْلِنُ بطلانَهَا بصراحةٍ تامّةٍ، وَيُحَذِّرُ منها النّاسَ[2]. ولهُ في هذا الصّددِ مراسلاتٌ شديدةٌ معَ ابنِ الأزرقِ، يُحَذِّرُ فيها مِنْ مغبّةِ التّطاولِ على دماءِ المسلمينَ وأَمْنِهِم. والغريبُ أنَّ المؤرّخينَ مِنْ غيرِ الإباضيّةِ يُثبِتونَ ذلكَ ويرَوْنَ فيهِ اعتدالاً مِنَ ابنِ إباضٍ، ومعَ ذلكَ يُصِرُّونَ علَى تسميةِ الإباضيّةِ بالخوارجِ[3].

ثالثًا: كانَ المحدِّثُ الحُجّةُ الربيعُ بنُ حبيبٍ الفراهيديُّ صاحبُ المسندِ الصحيحِ يَبرأُ مِنَ الخوارجِ[4] وكانَ يقولُ فيهم: "دَعُوهُمْ حتَّى يَتَجَاوَزُوا القولَ

---

[1] - سيف بن سالم الهادي: الإباضيّة والمالكيّة في الغرب الإسلامي، علاقة فكريّة وتاريخيّة، مختصر البسيوي ورسالة ابن أبي زيد نموذجا، منشورات موقع بصيرة الإلكتروني، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، القسم الأوّل: الدّراسة، ص٧٥.

[2] - أبو اسحاق ابراهيم اطفيّش: الفرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص٢٠.

- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص١٠.

[3] - سيف بن سالم الهادي: الإباضيّة والمالكيّة في الغرب الإسلامي، علاقة فكريّة وتاريخيّة، مصدر سابق، ص٧٥.

[4] - عامر النّجّار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص٨٧.

- عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص١٠٢.

إِلَى الْفِعْلِ، فإنْ بَقَوْا على قَوْلِهِمْ فَخَطَؤُهُمْ مَحْمُولٌ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ تَجَاوَزُوهُ إِلَى الْفِعْلِ حَكَمْنَا فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ"[1].

فلمَّا ظَهَرَتْ بِدْعَتُهُمْ طَرَدَهُمْ أَصْحَابُنَا مِنْ مَجَالِسِهِمْ وَطَارَدُوهُمْ في كُلِّ صوبٍ مُعْلِنِينَ البراءةَ منهُمْ، فَلَمَّا تَجَاوَزُوا القولَ إلى الفِعْلِ أَعْلَنُوا الحكمَ بِكُفْرِهِمْ؛ لأنَّ الكُفرَ في استحلالِ ما حَرَّمَ اللهُ نصٌّ في كتابٍ قطعيٍّ، وقدِ اسْتَشْرَى فِعْلُهُمْ يومَئذٍ، فَاشْتَدُّوا على أهلِ التوحيدِ بِفِتْنَتِهِم فَسَلُّوا السّيُوفَ على الرّقابِ بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، فَعَظُمَتْ مِحْنَتُهُمْ، فَكَانَ بلاءً عظيمًا[2].

رابعًا: قتالُ الإمامِ الجلندَى بنِ مسعودٍ لشيْبانَ الخارجيِّ - وهوَ مِنَ الصّفريّةِ - عِنْدَمَا قَدمَ في جيشٍ إلى عُمانَ هاربًا مِنَ السفّاحِ - الحاكمِ العبّاسيِّ - وَدَارَتْ معركةٌ بينَ جَيْشِ الإمامِ الجلندَى وبينَ شيْبانَ وأصحابِهِ، وأسْفَرَتِ المعركةُ علَى مَقْتَلِ شيْبانَ وَجُنُودِهِ[3]. وقدْ كانَ بإمكانِ الإمامِ أنْ يَضُمَّ

---

[1] - أبو اسحاق ابراهيم اطفيّش: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص٢٠.
- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص١١.
- سيف بن سالم الهادي: الإباضيّة والمالكيّة في الغرب الإسلامي، علاقة فكريّة وتاريخيّة، مصدر سابق، ص٧٥- ٧٦.

[2] - أبو اسحاق ابراهيم اطفيّش: الفرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص٥- ٦.
- محمّد صالح ناصر: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥٤.

[3] - أبو اسحاق ابراهيم اطفيّش: الفرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص٢-٣.
- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص١١.

إلى صفوفِهِ هؤلاءِ الهاربينَ مِنْ مُلاحقةِ العبّاسيّينَ لوْ كانُوا علَى رَأْيٍ وَاحِدٍ، لكنَّ الصّفريّةَ خوارجُ غَالَوْا في الدّينِ وَاسْتَحَلُّوا الدِّماءَ، أمَّا الإباضيّةُ فبِخلافِ ذلكَ تمامًا[1].

خامسًا: كانَ البطلُ المغوارُ هلالُ بنُ عطيّةَ الخراسانيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - الذي صارَ القائدَ الأوّلَ لجيشِ الإمامِ الجلندَى بنِ مسعودٍ، كانَ علَى المذهبِ الصفريِّ، ثمَّ اعْتَنَقَ المذهبَ الإباضيَّ، ولمْ يَقْبَلْ منهُ الإباضيّةُ الانضمامَ إليهم إلاَّ بعدَ أنْ يرجعَ إلى الذينَ دَعَاهُمْ إلى مبادئِ الخوارجِ، وَيُعْلِمَهُمْ بِبُطْلانِ تلكَ المبادئِ والآراءِ التي دَعَاهُمْ إليها، ثمَّ عادَ إلى عُمانَ فكانَ قائدًا وَوَزِيرًا للإمامِ الشهيدِ الجلندَى بنِ مسعودٍ ﷺ[2].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[1] - عامر النّجّار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص٨٧.
- عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص١٠٢.
- سيف بن سالم الهادي: الإباضيّة والمالكيّة في الغرب الإسلامي، علاقة فكريّة وتاريخيّة، مصدر سابق، ص٧٧.

[2] - أبو اسحاق ابراهيم اطفيّش: الفرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص٣.
- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص١٢.
- سيف بن سالم الهادي: الإباضيّة والمالكيّة في الغرب الإسلامي، علاقة فكريّة وتاريخيّة، مصدر سابق، ص٧٧.
- عامر النّجّار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص٨٨.
- عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص١٠٢.

سادسًا: الإباضيّةُ يُجيزُونَ المُناكَحةَ بَيْنَهُمْ وبينَ سائرِ المُوحِّدينَ، وقدْ ذَكَرْتُ هذَا الموقفَ والذّي بَعْدَه في مبحثِ أسبابِ إدراجِ الإباضيّةِ في الخوارجِ، والخوارجُ لاَ يُجِيزُونَ المناكحةَ معَ غَيْرِهِمْ؛ لأنَّهُم يَرَوْنَ سِوَاهُمْ مُشْرِكِينَ، وعلَى هذا لاَ يجوزُ أيضًا التّوارثُ بَيْنَهُمْ وبينَ مَنْ يُخالِفُهُم بطبيعةِ الحالِ؛ لأنَّ الشّركَ الذي مَنَعَ المُناكحةَ والمُصاهرةَ يَمْنَعُ المُوارثةَ[1]، بَيْنَمَا يُبيحُ الإباضيّةُ التّناكحَ والتّوارثَ بَيْنَهُمْ وبينَ مُخالِفِيهِم مِنْ أهلِ التّوحيدِ[2].

سابعًا: إنَّ الإباضيّةَ لمْ يَسلُّوا السّيفَ علَى أحدٍ مِنْ أهلِ التّوحيدِ قطّ، ولمْ تَقَعْ مِنْهُم حربٌ ضدَّ أحدٍ مِنَ المُسلمينَ، وإنّما كانتْ مَواقِفُهُم أغلَبُها

---

[1] - أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص١٣.
- محمّد صالح ناصر: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥٩.
- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص٢٠.
- محمّد عبد الفتّاح عليان: نشأة الحركة الإباضيّة في البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد ــ وعلاقتها بالخوارج ــ، دار الهداية للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص١٩٦.
- عامر النّجّار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص٨٨.
- عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص١٠٢.

[2] - محمّد عبد الفتّاح عليان، نشأة الحركة الإباضيّة في البصرة، مصدر سابق، ص١٩٦.

دفاعيَّةً؛ أيْ بِقَصْدِ دَفْعِ الضَرِرِ عنْ أنفُسِهم تِجاهَ أيِّ عُدوانٍ يُواجِهُهُم، فَهُمْ لمْ يَبْدَؤُوا بِقِتالٍ قطّ كمَا فعلَ الخوارجُ[1].

ثامنًا: الإباضيَّةُ اتَّجَهُوا إلى خِدمةِ الإسلامِ عِلمًا وعَملاً منذُ ابتدأتِ الفتنةُ، فَاشْتَغَلُوا بالتّدوينِ، فكانُوا أوّلَ مَنْ دَوَّنَ الحديثَ، فالإمامُ جابرُ بنُ زيدٍ أوّلُ مَنْ دَوَّنَ الحديثَ وأقوالَ الصّحابةِ في ديوانِهِ الذي وَصَفُوهُ بأنّهُ وقْرُ بعيرٍ، ثُمَّ تلاميذُهُ مِنْ بعدِه، وَهُمْ حَمَلَةُ العِلْمِ مِنَ المشرقِ إلى المَغربِ، والخوارجُ جَنَحُوا إلى إراقةِ الدّماءِ وإخافةِ السُّبُلِ وَتَعْطِيلِ الأحكامِ، ولمْ يُذْكَرْ أحدٌ مِنَ الخوارجِ أنّهُ ألّفَ كِتابًا، والذّينَ يَذكُرونَ المؤلّفاتِ للخوارجِ إنّما يذكُرونَ الإباضيّةَ، وهُمْ دُونَ شكٍّ يُريدونَ بِهمُ التّشنيعَ والتّشغيبَ[2].

وَلَقَدْ أتَى أَصْحَابُنَا وإخوانُنَا الإباضيّةُ في تدوينِ العلومِ بالعجبِ العُجابِ، وعُرِفُوا بالصّدقِ والأمانةِ والوَرعِ مَا لَمْ يَبْلُغْ شأنَهُ غَيْرُهُمْ، فَلَجَأَ بَعْضُ الكاتبينَ مِنْ قَوْمِنَا إلى تشويهِ الحقائقِ بالدّعايةِ الفاجرةِ والبُهتانِ حينَ

---

[1] - - عامر النّجّار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص٨٨.

- عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص١٠٢.

[2] - عامر النّجّار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص٨٨.

- عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص١٠٢ - ١٠٣.

- محمّد عبد الفتّاح عليان: نشأة الحركة الإباضيّة في البصرة، مصدر سابق، ص١٩٦.

بَهَرَتْهُمْ تلكَ الأنوارُ السّاطعةُ، وَمَا خَلَطُوا بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ إلاَّ لِطَمْسِ مَعَالِمِ الحقِّ والصّوابِ حسدًا مِنْ عندِ أنفُسِهِم، وأنَّى لِمَنِ اتَّخَذَ التّشغيبَ مطيّةً أنْ يَعْتَرِفَ بالحقِّ والصّوابِ؟! وإنّكَ لَتَرَى لِهؤلاءِ مِنَ العملِ علَى إخفاءِ ما يَرَوْنَهُ مِنَ الإباضيّةِ مِنَ الكمالِ الدّينيِّ والعَظمةِ العمليّةِ ما جَعَلَهُمْ لاَ يَذْكُرُونَ لهمْ في موجَبِ التاريخِ شيئًا، وإنِّي رأيتُ - الكلامُ لِلشيخِ أطفيّش - مؤلّفاتٍ دُوِّنَتْ في التّاريخِ والأدبِ والفُروعِ لِبَعْضِ قَوْمِنَا يَسْتَوْجِبُ المقامُ ذِكْرَ أَصْحَابِنَا لِمَا لَهُمْ فيها مِنَ التّضلُّعِ، فَلاَ يُتَوَرَّعُ أنْ يُتَجَاهَلَ ذِكْرُهُمْ حتّى كأنّهم لمْ يَكُونُوا، وذلكَ مُبَالَغَةٌ وإمعانٌ في طَمْسِ الحقِّ، ولاَ تَجِدُ مِنْ أَصْحَابِنَا شيئًا مِنْ هذا الأسلوبِ البَشِعِ، وَالحمدُ للهِ العليِّ الكبيرِ[1].

تاسعًا: إنَّ الخوارجَ حَكَمُوا علَى مُرتَكِبِي الكبائرِ مِنَ المُسلمينَ بالشِّركِ بينمَا الإباضيّةُ يُفَرِّقونَ بينَ معاني الكُفرِ، فهناكَ كُفْرُ شِرْكٍ وجُحودٍ، وهُناكَ كُفْرُ نِعْمةٍ، وهُمْ يُطْلِقُونَ علَى مُرتَكِبِي الكَبَائرِ مِنَ المُسلِمين كُفّارَ نِعمةٍ لاَ كُفّارَ شِرْكٍ، حتَّى وإنْ كانَ مُرتَكِبُ الكبيرةِ إباضيًّا، وهذا يُطابِقُ ما

---

[1] - أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص١٤- ١٥.
- محمّد صالح ناصر: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥٩ - ٦٠.
- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص٢٠ - ٢١.
- محمّد عبد الفتّاح عليان: نشأة الحركة الإباضيّة في البصرة، مصدر سابق، ص١٩٦.

عِندَ أهلِ الحديثِ الذّينَ يُطْلِقُونَ عليهِ كُفْرًا دونَ كُفرٍ، وعندَ الفُقهاءِ الأربعةِ كَبَائِرُ فِسْقٍ[1].

عاشرًا: إنَّ الإباضيّةَ حَرَّمُوا قَتلَ الموحِّدينَ وَاسْتِحْلاَلَ دِمَائِهِمْ وَحَرَّمُوا استعراضَ النّاسِ وَامْتِحَانَهُمْ كَمَا فَعَلَ مُتَطرِّفُو الخوارجِ مِثلُ الأزارقةِ والنّجديّةِ[2]. وقدْ حَرَّم أبو بلالٍ مِرْداسُ بنُ حُدَيْرٍ علَى أتباعِهِ الخُرُوجَ واستعراضَ النّاسِ بالسّيْفِ، واعتبرَ ذلكَ ظُلْمًا وعدوانًا، وَدَعَا إلى التّقيّةِ، وَحَرَّمَ خُروجَ النِّساءِ، وَتَبَرَّأَ مِنْ قريبٍ وزَحَافٍ، فقدْ كانَا يَتَعَرَّضَانِ لِلنّاسِ بالسّيفِ ويُشِيعَانِ الفزَعَ والهلَعَ، فقالَ أبو بِلالٍ: قريبٌ لا قرّبَهُ اللهُ منَ الخيرِ، وزَحَافٌ لاَ عَفَا اللهُ عنهُ رُكْباهَا عَشْواءَ مُظْلِمَةً[3].

وهناكَ العديدُ مِنَ المواقفِ الصّارمةِ التي وَقَفَهَا الإباضيّةُ ضدَّ الخوارجِ تَخْتَفِي بينَ رُكامِ الأحداثِ، وتَكْمُنُ في زوايَا التّاريخِ[4].

---

[1] - عامر النّجّار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص٨٨.
- عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص١٠٣.

[2] - بكير بن سعد أعوشت، ميزاب يتكلّم، تاريخيّاً، عقائديّاً، اجتماعيّاً، د د، د ط، د ت، ص١٣.

[3] - زاهر بن سعود بن سيف السّيابي: الخوارج، الإمتداد الفكري بين الأزارقة والوهابيّة، مصدر سابق، ص٢٧.

[4] - أبو إسحاق إبراهيم اطفيّش: الفرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص٣.

قالَ الدّكتورُ نايف عبد الجابر السّهيل: "إنَّ الفِكرَ الإباضيَّ يختلفُ اختلافًا بيِّنًا في وَسائلِهِ وأهدافِهِ عنْ فِكْرِ الخوارجِ الآخرينَ مِنْ أزارقةٍ ونجداتٍ وصفريّةٍ وغيرِهِم، لِاتِّسَامِ الفِكرِ الإباضيِّ بالاعتدالِ، وعَدَمِ اللُّجُوءِ إلى العُنفِ". وَيَصِفُهُمْ بالتّعقّلِ والرّصانةِ فيقولُ: "إنَّ الإباضيّةَ في كلِّ مؤلَّفَاتِهِم تقريبًا كانُوا أكثرَ هذهِ الفِرَقِ تعقُّلاً في إبْداءِ آرائِهِم، فعلَى الرّغمِ مِن شِدَّةِ هُجُومِهِم علَى الدّولةِ الأمويّةِ - وهذا ليسَ بِمُستغربٍ عَلَى نشأةِ الفِرْقَةِ ودَوَاعِي مَقَاصِدِهِمْ - وشِدّةِ هجومِ الأُمَوِيّينَ عَلَيْهِمْ؛ إلاَّ أنّهم كانُوا شَدِيدِي التّعقُّلِ في آرائِهِم في وُلاَةِ الأمرِ... وَيَظْهَرُ مَوقِفُ الإباضيّةِ الصّريحُ مِنْ رَفْضِ غُلاةِ الخوارجِ، قالَ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ في جَلاءٍ: (أَمَّا زَعِيمُ الخوارجِ ابنُ الأزرقِ فنحنُ نبرأُ مِنْهُ لِغُلُوِّهِ، وَتَشَدُّدِهِ، وَإِفْرَاطِهِ في الْأَحْكَامِ). وهذهِ الجملةُ تُحدّدُ التّطوّرَ الفِكريَّ لفِرقةِ الإباضيّةِ مِنْ جماعةِ الخوارجِ وأفكارِهَا..."[1].

[1] - صالح بن داود يوسف بافولولو: من لا يعرف الإباضيّة، للمَعرفة.. والتّعارف.. والاعتراف، تقديم: الشّيخ محمّد أيّوب صدقي - الدّكتور: إبراهيم بحّاز، دار نزهة الألباب، مطبعة الواحات، غرداية، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص٧٠- ٧١.

ويُذكَرُ كذلكَ أَنَّ ابنَ إباضٍ كانَ الفقيهَ الأبرزَ في زَمَنِ جابرِ بنِ زيدٍ، وَأنَّهُ كانَ الشّخصَ الذي رَفَضَ علنًا آراءَ المجموعاتِ المعارضةِ مِنَ القدريةِ والمعتزلةِ والمرجئةِ والشّيعةِ والخوارجِ الْمُتَطَرِّفِينَ، وَنَاظَرَهُمْ[1].

ويظهرُ موقفُ الإباضيّةِ مِنَ الخوارجِ أيضًا في الموقفِ الذّي وَقَفَهُ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ وهوَ ما يُعرَفُ باجتماعِ الصّومَعةِ، وهوَ اجتماعٌ انْعَقَدَ في صومعةِ جامعِ البصرةِ في ليلةٍ مِنْ ليالِي سنةِ ٦٤هـ، حيثُ اجْتَمَعَ رؤوسُ الخوارجِ أمثالُ نافعِ بنِ الأزرقِ ونجدةَ بنِ عامرٍ الحنفيِّ وعبدِ اللهِ بنِ الصفّارِ، وكانَ مَعَهُمْ في هذا الاجتماعِ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ، وكانَ الهدفُ مِنْ هذا الاجتماعِ الخروجَ علَى أهلِ البصرةِ ومقَاتَلَتَهُم، فَلَمَّا جَنَّ الليلُ سَمِعَ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ معَ جَمْعٍ مِنْ أتباعِهِ دَوِيَّ القُرّاءِ، وَتَرْنِينَ المؤذّنينَ، وَحَنِينَ المسبِّحِينَ، وَأَصْوَاتَ الذّاكرينَ، فقالَ لأصحابِهِ: "أعَلَى هؤلاءِ أَخْرُجُ وهؤلاءِ أُقَاتِلُ؟!" فَفَارَقَ رُؤُوسَ الْخَوَارِجِ مُنذُ تلكَ الحادثةِ[2].

وكانَ ابنُ إباضٍ يَنْهَى الخوارجَ عنِ الغُلوِّ في الدّينِ، وَيَدْعُوهُمْ إلى الاعتدالِ والحكمةِ، لذلكَ أَطْلَقُوا عليهِ وعلَى أصحابِهِ اسمَ القَعَدةِ، أَيِ

---

[1] - عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، مرجع سابق، ص٤٥.

[2] - فرحات بن علي الجعبيري: شخصيات إباضية، ص١٢. (نقلا عن علي بن العجمي الغشّي: مباحث في الفرق الإسلامية الرؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٥٩).

الرّافضينَ الخروجَ مَعَهُمْ[1]. فقدْ رَفَضَ الخروجَ عامَ ٦٤هـ معَ نافعِ بنِ الأزرقِ، حِينَ أرسلَ إليهِ رسالةً يَدْعُوهُ فيها للخروجِ معهُ ضدَّ الحُكْمِ الأمويِّ، وقدْ ردَّ ابنُ إباضٍ بِمَا يَلِي: "قاتَلَهُ اللهُ، أَيُّ رَأْيٍ رَأَى وَصَدَّقَ نافعَ بنَ الأزرقِ. لوْ كانَ القومُ مُشْرِكِينَ كانَ أصوبَ النّاسِ رأيًا وحكمًا فِيمَا يُشيرُ بهِ، وَلَكِنَّهُ قدْ كَذَبَ وَكَذَّبْنَا فِيمَا يَقُولُ، وَإِنَّ القومَ كُفَّارُ بِالنِّعَمِ والأحكامِ، وهُمْ برآءُ مِنَ الشِّركِ"[2].

إنَّ حُكْمَ الإباضيّةِ في الخوارجِ نَستطيعُ أنْ نَسْتَنْتِجَهُ مِنَ الرّسالةِ التّي بَعَثَهَا عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ الذّي ينتَسِبُ إليهِ الإباضيّةُ إلى عبدِ المَلكِ بنِ مروانَ يَعِظُهُ فيها ويَدْعُوهُ إلى الاعتصامِ بِكِتابِ اللهِ وسنّةِ رسولِه، ولقدْ بَيَّنَ موقِفَهُ في هذِه الرّسالةِ مِنَ الخوارجِ حيثُ قالَ فيها: "إنَّا نَبْرَأُ إلى اللهِ مِنَ ابنِ الأزرقِ وأتباعِهِ مِنَ النّاسِ، لقدْ كَانُوا خَرَجُوا حينَ خَرَجُوا علَى الإسلامِ فِيمَا ظَهَرَ لنَا، وَلَكِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَنْهُ، وكَفَرُوا بعدَ إيمانِهِمْ، فنَبرأُ إلى اللهِ مِنْهُمْ"[3].

---

[1] - يوسف بن بكير الحاج سعيد: تاريخ الإباضية في المغرب الإسلامي، مصدر سابق، ص٢٥.

[2] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفرَق الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٥١٦.

[3] - الشّيخ سرحان بن سعيد الازوكي، كشف الغُمّة الجامع لأخبار الأمّة، مصدر سابق، ج١، ص٥٩٨.

- أبو الرّبيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢٥.

- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي: الجواهر المنتقاة، مصدر سابق، ص١٦٥.

- مخطوط في مكتبة الشيخ ناصر بن راشد الخروصي، عُمان، تصوير من نسخة مصوّرة في مكتبة عمّي سعيد، غرداية، الجزائر، مصدر سابق، ص٢٧٤.

وَرَأْيُ الإباضيَةِ الصَريحُ الواضحُ في الخوارجِ يَتَلاقَى معَ رأْيِ الجمهورِ في التَسميةِ، وَيَخْتَلِفُ في التَعليلِ، فالأزارقةُ خوارجُ؛ لأنَّهُم أخطأُوا تأويلَ آياتِ الكتابِ، وأدَّى عَمَلُهُم بهذَا الخَطَأِ إلى رَدِّ آياتٍ وإبطالِ أحكامٍ، وَلَيْسُوا خوارجَ؛ لأنَّهُم انْفَصَلُوا عنْ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ بعدَ التَحكيمِ، أوْ لأنَّهم سَارُوا علَى الأُمويَينَ. فرَأْيُ الإباضيَةِ لاَ يُقِيمُ أيَّ وزنٍ للنَاحيةِ الثَوريَةِ في إطلاقِ كلمةِ الخوارجِ، وَلَكِنَّهُم يُعَلِّلُونَهَا التَعليلَ الدَينِيَّ المعقولَ، فكلمةُ الخوارجِ لاَ تُطْلَقُ إلاَّ علَى أولئِكَ الذَينَ خَرَجُوا مِنَ الدَينِ.. أمَّا الخروجُ عنِ الإمامِ والثَورةُ عليهِ - مَهْمَا كانتْ أسبابُ تلكَ الثَورةِ وذلكَ الخروجِ - لاَ يُمْكِنُ أنْ يُعْتَبَرَ خُرُوجًا مِنَ الدَينِ، وَمُرُوقًا مِنَ الإسلامِ، ولاَ يصِحُّ بِحالٍ أنْ يُطَبَّقَ علَى القائمِينَ بهِ هذا الحُكمُ القاسِي الرَهيبُ، ولوْ صحَّ أنْ يُعْتَبَرُوا عُصاةً بُغاةً يَجبُ تَأْدِيبُهُمْ حتَّى بالحربِ لإرجاعِهِم إلى الأمَّةِ، والواقعُ التَاريخيُّ أكبرُ شاهدٍ علَى هذا الرَأيِ، فإنَّهُ لمْ يُعْرَفْ علَى الأقلِّ فيمَا اطَّلَعْتُ عليهِ أنَّ أحدًا حَكَمَ بالخُروجِ مِنَ الدَينِ علَى أصحابِ الثَوراتِ الذَينَ ثَارُوا علَى أئمَّةٍ شَرْعِيِّينَ، كالثُوَّارِ علَى عُثمانَ بنِ عفَّانَ، أوْ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، أوْ عبدِ اللهِ بنِ وهبٍ الرَاسبيِّ، أوْ غَيْرِهِمْ. وقدْ وقَفَ أنصارُ الخِلافةِ في كلِّ تلكَ الأحوالِ للدَفاعِ عنْ وَحدةِ الأمَّةِ، وَقَاتَلُوا البُغاةَ قِتالاً عنيفًا لِتَأْدِيبِهِمْ،

- عدّون جهلان، الفكر السّياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٩٣.

- صالح بن محمد الشيخ صالح: دور التعليم المفتوح في انتشار المنهج التربوي لأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، مصدر سابق، ص٢٠٩.

وَإِرْجَاعِهِمْ إلى حظيرةِ الإمامةِ، ولكنْ دُونَ الحُكمِ عليهم بالمُروقِ مِن الإسلامِ. فَلِمَاذَا إِذَنْ يُطْلَقُ هذا الاسمُ على المُعتزِلينَ لِعليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ دونَ سائِرِ الثُّوَارِ؟![1]

فَمِنْ هذا وذاكَ نَجِدُ أنَّ المُفاصلةَ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ في نصوصِ عُلماءِ الإباضيّةِ الأوائلِ، بالإضافةِ إلى كلامِ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ. فهذا جابرُ بنُ زيدٍ الإمامُ المُنَظِّرُ للمذهبِ الإباضيِّ يَخرجُ إلى الخوارجِ فَيُناظِرُهم في قضيّةِ استحلالِ دماءِ المُخالفينَ، فَقَدْ رُوِيَ أنَّ جماعةً مِنَ الخوارجِ أَرَادُوا أنْ يُجَادِلُوا جابرًا فقالَ لهُمْ: "أليْسَ قدْ حَرّمَ اللهُ دِماءَ المُسلِمينَ بِدِينٍ؟ فَقَالُوا: نَعم. فقالَ: وَحَرَّمَ البراءةَ مِنْهُمْ بِدينٍ؟ فقالُوا: نَعم. فقالَ: أَوَليْسَ قدْ أَحَلَّ دماءَ أهلِ الحَربِ بِدينٍ بعدَ تَحْرِيمِهَا بِدِينٍ؟ فقالوا: بلَى. فقالَ: وَحَرَّمَ اللهُ وِلَايَتَهُمْ بِدِينٍ بَعْدَ الأمرِ بها بِدِينٍ؟ فقالُوا: نَعَمْ. فقالَ: هلْ أَحَلَّ ما بَعْدَ هذا بِدينٍ؟ فَسَكَتُوا، وهكذَا استطاعَ أنْ يَسِيرَ بهمْ خُطْوةً خُطْوةً حتّى يَضعَ أَيْدِيهِمْ علَى الحقِّ، وَيُعَرِّفَهُم أنَّ الأحكامَ التّي تَنْطَبِقُ علَى المُسلِمينَ لَيْسَتْ كالأحكامِ

[1] - علي يحي معمّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص٣٦ – ٣٧.

التّي تَنْطَبِقُ علَى المُشركينَ، وأنَّ المُوَحِّدَ إذا ارتَكبَ ما يَحِلُّ بهِ دَمُهُ لاَ يكونُ ذلكَ كافيًا لاستحلالِ مالِه وَسَبْيِ نِسائِهِ وأطفالِهِ"[1].

وإذا عَلِمْنَا الصَداقةَ بينَ الإمامِ جابرِ بنِ زيدٍ وبينَ أبي بلالٍ مرداسِ بنِ أديّةَ الذّي نَجَا في معركةِ النّهروانِ، تَبيَّنَ أنَّ المُرادَ بالخوارجِ ها هُنا إذَنْ مَنْ كانَ بعدَ أبي بِلالٍ، وهمُ الأزارقةُ ومَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ، كمَا هوَ مُصرَّحٌ بِهِ في هذهِ الرّوايةِ، وأيضًا فمِنْ أَقْدَمِ ما يُبْرِزُ آراءَ الإباضيّةِ المُخالفةَ لآراءِ الخوارجِ سيرَةُ سالمِ بنِ ذكوانَ، فقدْ أعلَنَ - مُعبِّرًا عنِ الإباضيّةِ - بَرَاءَتَهُ مِنَ القضايَا التّي تَبَنَّاهَا الأزارقةُ[2].

فهذِهِ الفروقُ والمواقفُ المُختلِفةُ تُجْبِرُنَا علَى الفصلِ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ، ولا نَعْتَبِرُهُمْ مِنْ فِرَقِ الخوارجِ، وحتّى نَفْهَمَ آراءَ الإباضيّةَ ومواقِفَهُم وبراءَتَهُم أكثرَ وَبِشيْءٍ مِنَ التّوسيعِ؛ لاَ بُدَّ مِنْ عَرْضِ رُدُودِ علماءِ الإباضيّةِ على المُؤرِّخينَ وكُتّابِ المقالاتِ لاتّهامِهِم بالخارجيّةِ.

---

[1] - سيف بن أحمد البوسعيدي: حَمَلة العِلم إلى المَغرب، ودورهم في الدّعوة الإسلاميّة، مؤسّسة الشّيخ ناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص٢٨ – ٢٩.

[2] - ناصر بن سليمان بن سعيد السّابعي: الخوارج والحقيقة الغائبة، مصدر سابق، ص١٨٧.

المبحثُ الرّابعُ: رُدود عُلماءِ الإباضيّةِ علَى كُتّابِ المقالاتِ والفِرَقِ

يقولُ ناصرُ بنُ مطرٍ المسقريُّ: "إنَّ مَنْ يَقرأُ عنِ الإباضيّةِ في كُتُبِ المقالاتِ (كُتُبِ الفِرَقِ الإسلاميّةِ) ويُقارِنُ ذلكَ بِكُتُبِ الإباضيّةِ يجدُ عجبًا، حيثُ لاَ يَجِدُ أيَّ أثرٍ لِمَا كُتِبَ عنهمْ، وذلكَ لأنَّ كُتّابَ المقالاتِ لمْ يَكْتُبُوا شيئًا حقيقيًّا عنِ الإباضيّةِ، بِسببِ أنَّ الإباضيّةَ في نَظَرِهِمْ فِرْقةٌ ضالّةٌ يجبُ أنْ يُلْقَى بها في مكانٍ سحيقٍ، سواءٌ كانَ هذا الحُكمُ نابِعًا منهمْ أوْ وقَعُوا ضحيّةً لِغَيْرِهِمْ فَقَامُوا بالتّضليلِ علَى هذا المذهبِ وطَمْسِ حقيقتِهِ بِشَتَّى الأساليبِ[1].

ويقولُ أيضًا: إنَّ المؤرّخينَ لمْ يَسْلُكُوا المنهجَ العِلْميَّ الصّحيحَ، بلْ قادَتْهُمُ الأهواءُ والتّعصّبُ، وانطلاقًا مِنْ هذا المنهجِ حَاوَلُوا طَمْسَ الهويّةِ الإباضيّةِ بعِدَّةِ أساليبَ، حيثُ إنَّهُم:

١ - حَاوَلُوا أَخْذَهُم مِنَ القمّةِ وَرَمْيَهُم في بئرٍ مظلمٍ؛ إذْ لمْ يَنْسبُوهُم إلى جابرِ بنِ زيدٍ - رحمَهُ اللهُ - الذي يَعْرِفُهُ الجميعُ ويُوَثِّقُهُ، ولاَ لأبي عبيدةَ ولاَ غيرِهِ مِنَ الأئمّةِ الإباضيّةِ، فَقَسَّمُوا الإباضيّةَ إلى فِرَقٍ أصليّةٍ وَأُخْرَى فرعيّةٍ اسْتَنْتَجُوهَا مِنْ وَحْيِ خيالِهِم لِمسرحيةِ بَيْعِ أمّةٍ، وَذَكَرُوا لها عقائدَ شِرْكٍ باللهِ.

---

[1] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مؤسّسة الشّيخ ناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط٧، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص٣٠.

والإباضيّةُ لاَ يَعْرِفُونَ شيئًا عنْ تلكَ الفِرَقِ، ولاَ يُوجَدُ أيُّ ذِكْرٍ لهَا ولاَ لعقائدِهَا ولاَ لأئمَّتِهَا في كُتبِ الإباضيّةِ، سواءٌ التي أُلِّفَتْ قَبلَ كُتبِ المقالاتِ أوْ بَعْدَهَا وَيَبْرَؤُونَ منها إنْ كانَ لهَا وجودٌ أصلاً وَمِمَّنْ أَلْصَقَهَا بِهِمْ[1].

٢ - لمْ يَذْكُرُوا عقائدَ الإباضيّةِ.

٣ - لمْ يَذْكُرُوا شيئًا مِنْ آراءِ الإباضيّةِ الفقهيّةِ.

٤ - لمْ يَذْكُرُوا إلاَّ النَّزْرَ اليسيرَ مِنْ مبادئِ الإباضيّةِ التي تَنْحَصِرُ في السّياسةِ وحقوقِ المسلمينَ.

٥ - حَاوَلُوا طَمْسَ الحقيقةِ بالتّعميماتِ الفاسدةِ، حيثُ إنَّهُم أَلْصَقُوا الإباضيّةَ بالخوارجِ والفِرَقِ الضَّالّةِ وشتَّى الاتّهاماتِ الأخرَى مثلِ: مُتَعَصِّبُونَ، مُقَلِّدُونَ، أَهْلُ بِدَعٍ وَأَهْوَاءٍ يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الإسلاَمِ.

٦ - أَصْدَرُوا عَلَيْهِمْ أَحْكَامًا باطلةً كَتَكْفِيرِهِمْ وَالْفَتْوَى بعدمِ الصّلاةِ خَلْفَهُم[2].

وَانْتَشَرَتْ هذهِ الاِفتراءاتُ في الكُتبِ وعلَى ألسِنةِ الْحَاقِدِينَ، وفي الأشرطةِ السّمعيّةِ إلى يَوْمِنَا هَذَا.

---

[1] - المصدر نفسه، ص٣٣.

[2] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٣٣.

فمَا الذي حَملَ هؤلاءِ الكُتَّابَ علَى هذهِ الاِفتراءاتِ حيثُ دوَّنُوا اسمَ الإباضيّةِ وكَتَبُوا أشياءَ لاَ تَمُتُّ إليهمْ بصِلَةٍ؟!

يقولُ البعضُ: ربَّمَا ذلكَ يعودُ إلى قِلّةِ مَعْرِفَتِهِمْ بالمذهبِ الإباضيِّ بسببِ أنَّ حركَتَهُ كانتْ سِريّةً، وفي الحقيقةِ إنَّ هذا ليسَ شيئًا مُقنعًا لعدّةِ أمورٍ:

- إنَّ كُتبَ المقالاتِ التي كَثُرَ فيها الكذبُ علَى الإباضيّةِ بدأَ تأليفُها في القرنِ الرّابعِ الهجريِّ، وقبْلَ كِتابتِهِ هذهِ كانَ المذهبُ مُنتشرًا في عُمانَ والمغربِ العربيِّ واليمنِ، فَفِي عُمانَ بُويِعَ بالخِلافةِ قبْلَ هذا التّاريخِ حوالي ستّةُ أئمّةٍ، بِدءًا مِنَ الإمامِ الجلندَى بنِ مسعودٍ - رحمهُ اللهُ - الذي بُويِعَ في عامِ ١٣٢هـ، وفي المغربِ الأئمّةُ الرُّستُمِيُّونَ كانتْ دَوْلَتُهُم تُغطِّي حيِّزًا كبيرًا مِنَ المغربِ العربيِّ مِنَ الجزائرِ إلى ليبيا، ودامتْ أكثرَ مِنْ ١٥٠سنةً، مِن١٤٤-٢٩٦هـ، وهوَ قبلَ القرنِ الرّابعِ الهجريِّ، وكذلكَ الإمامُ عبدُ اللهِ بنُ يحيى الكنديُّ في اليمنِ، وصلَ نُفوذُهُ إلى الحجازِ، فهلْ بعدَ هذا تَعَذَّرَ الحصولُ علَى المعلوماتِ، هذا بالنّسبةِ إلى القُدماءِ فكيفَ بالمتأخّرينَ؟![1]

[1] - المصدر نفسه، ص٣٤.

- إذا كانُوا أَخَذُوا مِنْ غيرِ الثِّقاتِ فقدْ وَقَعُوا فيمَا نهَى اللهُ عنهُ، حيثُ قالَ اللهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾[1].

- إنْ كانُوا لاَ يَعْرِفُونَ شيئًا عنِ الإباضيّةِ وكَتَبُوا عنهمْ لإكمالِ كُتُبِهِمْ فقدْ وَقَعُوا فيمَا نهَى اللهُ عنهُ حيثُ قالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾[2].

- وإنْ كانَ قدْ حَمَلَهُمْ إلى ذلكَ كراهيَةُ هذا المذهبِ، فاللهُ ﷻ نهَى أنْ يَحملَ الإنسانَ بُغْضُهُ علَى الظُّلمِ، وأَمَرَه بَدَلَ ذلكَ بالعدلِ حيثُ قالَ ﷻ: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3].

- وإنْ كانَ قَصْدُهُمُ الانتصارَ للحقِّ لِكَوْنِ أنهم يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ علَى حقٍّ وَغَيْرَهُمْ علَى باطلٍ؛ فإنَّ هذه الدعوةَ كُلٌّ يَدَّعِيهَا كَمَا نَصَّ علَى ذلكَ حديثُ الافتراقِ، ولكنَّ الحقَّ غيرُ مُحتاجٍ إلى تأييدٍ بالباطلِ، فالحقُّ والباطلُ ضِدَّانِ،

---

[1] - سورة الحجرات، الآية: ٦.

[2] - سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

[3] - سورة المائدة، الآية: ٨.

قالَ ﷻ: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[1]، وقالَ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[2].

- لمْ تَقُمِ السماواتُ والأرضُ إلاَّ بالحقِّ، بلْ لمْ يَخْلقِ اللهُ هذا الكونَ إلاَّ بالحقِّ، والباطلُ لاَ يأتي إلاّ بباطلٍ، كيفَ يَدَّعِي شَخْصٌ أنَّ الفِرقةَ التي يَنْتَمِي إليها متّبعةَ الحقِّ وهوَ في نفسِ الكتابةِ التي كَتَبَها لمْ يَسْتَطِعْ سُلُوكَ الحقِّ؟[3]

وحتَّى لاَ يَكُونَ الرّدُّ عامًّا؛ سَأُحَاوِلُ أنْ أَعْرِضَ ردَّ علماءِ الإباضيّةِ على المؤَرِّخينَ، كلِّ مؤرِّخٍ علَى حِدَةٍ، مِنَ الذّينَ اخْتَرْتُهُم في المبحثِ الأوّلِ مِنْ هذا الفصلِ، القُدماءِ والمُعاصرينَ علَى حدٍّ سواء.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

[1] - سورة الإسراء، الآية: ٨١.

[2] - سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

[3] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٣٥ – ٣٦.

المطلبُ الأوّلُ: رُدُودُ عُلماءِ الإباضيّةِ علَى المُؤرِّخينَ القُدماءِ

أوّلاً: الرّدُّ علَى أبي الحسنِ الأشعريِّ

يقولُ الشّيخُ علي يحيى معمّر: "قدْ يَعْجَبُ القارئُ الكريمُ إذا قُلْتُ لهُ: إنَّ أبا الحسنِ الأشعريَّ رُغْمَ أنّهُ كَتَبَ عنِ الإباضيّةِ كثيرًا، فإنّهُ لاَ يعرِفُ عنِ الإباضيّةِ شيئًا. وإنَّ أَكْثَرَ مَا كَتَبَهُ عَنْهُمْ لاَ عَلاقةَ لهُمْ بِهِ، وَلاَ علاقةَ لهُ بِهِمْ"[1].

ويقولُ الشيخُ ناصرُ بنُ مطرٍ المسقريُّ: "أبو الحسنِ مِنْ عُلماءِ القرنِ الرّابعِ الهجريِّ، وهوَ مِنْ أوائلِ مَنْ كَتَبَ في الفِرَقِ الإسلاميّةِ، وكِتَابُهُ "مقالاتُ الإسلاميِّينَ وَاخْتِلاَفُ المُصلِّينَ" أخطرُ كتابٍ، حيثُ إنَّ عددًا كبيرًا مِمّن جَاؤُوا بعدَهُ اعْتَمَدُوا على كِتابِهِ إلى يومِنَا هذا، رُبَّمَا ثقةً بهِ لِسَعَةِ عِلمِه، فَيَا ليْتَهُ كَتَبَ الحقيقةَ لِيَنَالَ أجْرَهَا عندَ اللهِ، ولكنَّهُ كَتَبَ أشياءَ لاَ أَسَاسَ لهَا على الأقلِّ بالنِّسبةِ للإباضيّةِ، حيثُ قَسَّمَهُمْ إلى فِرَقٍ ليسَ لها وُجودٌ عندَ الإباضيّةِ، ونسَبَ إليهمْ أقوالاً لاَ تَمُتُّ إليهمْ بِصِلَةٍ"[2].

---

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مُراجعة: بكّير بن محمّد الشّيخ بالحاج، طبع المطبعة العربيّة، نهج طالبي أحمد، غرداية، نشر جمعيّة التّراث، القرارة، غرداية، الجزائر، ط٢، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ص١٧.

[2] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٤٩.

إنَّ ما قالَهُ الأشعريُّ لاَ يَعْدُو أنْ يكونَ سُطورًا مِنَ الافتراءاتِ قَصَدَ بها التّشنيعَ علَى المذهبِ الإباضيِّ وَتَكْرِيهَهُم إلى الفِرَقِ الإسلاميّةِ الأُخْرَى، وهذَا رُبَّمَا لأنَّ الشيخَ الأشعريَّ وقعَ ضحيّةً لأصحابِ الأحقادِ ضدَّ الإباضيّةِ[1].

إنَّ الأشعريَّ قسَّمَ الإباضيّةَ إلى أَربعِ فِرَقٍ ليسَ لهَا علاقةٌ بالمذهبِ الإباضيِّ في قليلٍ أوْ كثيرٍ، فالفِرَقُ الإسلاميّةُ تُنْسَبُ إلى الإمامِ الذي تَقْتَنِعُ تلكَ الفِرَقُ بآرائِهِ الدّينيّةِ وتأويلِهِ لنصوصِ العقيدةِ، وهذا لاَ يوجدُ لهُ أثرٌ بينَ الإباضيّةِ والفِرقِ المزعومةِ، وكُتُبُ الإباضيّةِ التي أُلِّفَتْ قَبلَ وبَعدَ الأشعريِّ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ[2]. فالأئمّةُ الذينَ ذَكَرَهُمْ مَجْهُولُونَ لَيْسَ لهمْ أيُّ ذِكرٍ في أيِّ كتابٍ مِنْ كُتبِ الإباضيّةِ، لاَ كِتابِ سيرةٍ ولاَ فِقْهٍ ولاَ عَقِيدَةٍ وَلاَ غَيْرِ ذلكَ، وَنَرَى الأشعريَّ نَفْسَهُ أتى بِبَعْضِهِمْ بدونِ أبٍ، وَبَعْضُ الفِرَقِ لمْ يَجِدْ لَهَا إِمَامًا قَط، كمَا أنَّ العقائدَ التي ذَكَرَهَا الأشعريُّ لهذهِ الفِرقِ هيَ عقائدُ شِرْكٍ فَكَيْفَ تُعَدُّ مِنَ الفِرَقِ الإسلاميّةِ وهيَ لاَ شكَّ مخالفةٌ لعقائدِ الإباضيّةِ؟! بلِ البُعدُ بَيْنَهَا أكثرُ مِنَ البُعْدِ بينَ السّماواتِ والأرضِ!

---

[1] - المصدر نفسه، ص٥١.

[2] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص١٩.

فإنْ كانَ لاَ يُوجَدُ أيُّ أثرٍ لِسيرةِ أئمّةِ الفِرَقِ المذكورةِ عندَ الإباضيّةِ ولاَ عقائدِهِم ولاَ آرائِهِم فَكَيفَ سَاغَ للأشعريِّ أنْ يُلْحِقَهُمْ بالإباضيّةِ، بلْ أنْ يَجْعَلَهُمُ الإباضيّةَ أَنْفُسَهُمْ؟![1]

وَاقْرَأْ مَا شئْتَ في كُتُبِ العقائدِ عندَ الإباضيّةِ، فإنّكَ لنْ تَجِدَ ذِكْرًا لهذهِ الفِرَقِ ولا لآرائِهِم، وكلُّ ما نَسْتَطِيعُ أنْ نَعْتَذِرَ بهِ عنْ إيرادِ أبي الحسنِ لهذهِ التّفاصيلِ أنّهُ وقعَ فريسةً لِبَعْضِ المُشنِّعينَ، فكانَ يَتَلَقَّى مقالاتِ الفِرَقِ عنْ ناسٍ يَثِقُ بِهِمْ، ولكنَّهُم لَيْسُوا في المحلِّ الذي يَرَاهُ لَهُمْ وَيَضَعُهُمْ فيهِ مِنَ الثِّقةِ والصّدقِ. سواءٌ أكانَ نَقْلُهُ عَنْهُمْ عَنْ طَرِيقِ الرّوايةِ والسّماعِ أوْ عَنْ طَرِيقِ القراءةِ والاطّلاعِ في كُتُبٍ مُدوَّنةٍ، فهوَ لَمْ يُشِرْ إلى أيٍّ مِنْ ذلكَ على كلِّ حالٍ.

وَيَسْتَمِرُّ الشيخُ عليّ يحيى معمّر في كلامِهِ ويقولُ: "وَيَكْفِي - فيمَا أَعْتَقِدُ - لِنَفْيِ أنْ يكونَ ما قالَهُ أبو الحسنِ عنِ الإباضيّةِ صحيحًا جَهْلُهُمْ بهِ، وَعَدَمُ ذِكْرِهِمْ لأيِّ شيءٍ منهُ في مَرَاجِعِهِمُ العامّةِ والخاصةِ، المكتوبةِ والمتحدَّثةِ[2]. وقدْ نَسَبَ أقوالاً لجميعِ الإباضيّةِ وأقوالاً أُخْرَى لِبَعْضِهِمْ هيَ أيضًا مُخَالِفَةٌ لأقوالِ الإباضيّةِ تَمَامًا[3].

---

[1] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٥١.

[2] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص١٩.

[3] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٥٢.

أمَّا في حديثِهِ عنِ الفِرَقِ عندَ قولِهِ: "فالفِرقةُ الأولى يُقَالُ لهمُ الحفصيّةُ، كانَ إمامُهُم حفصُ بنُ أبي المقدامِ"، يَرُدُّ عليهِ الشيخُ عليّ يحيى معمّر: "وَمَعَ كثرةِ ما قلّبْتُ في كُتُبِ الإباضيّةِ ومعَ العِنايةِ والبحثِ؛ فإنّني لمْ أَعْثُرْ على هذا الاسمِ الذّي اعْتَبَرَهُ أبو الحسنِ إمامًا مِنْ أَئِمَّتِهِمْ، ولمْ أَعْثُرْ كذلكَ على شيءٍ مِنْ أخبارِ فِرقَتِهِ وآرائِهَا، وقدْ نَسبَ أبو الحسنِ إلى هذِه الفِرقةِ وإمامِهَا أقوالاً يَكْفِي بعضُهَا لإخراجِهِمْ مِنَ الإسلامِ، والحُكمِ عليهِم بالشِّركِ والردَّةِ؛ إذَا سَبَقَ أنْ كانُوا مُسْلِمِينَ، مِنْهَا: إنكارُ النّبوَّةِ، وإنكارُ الجنّةِ والنّارِ، وَمِنْهَا استحلالُ الزِّنَا وَغَيْرِهِ ممَّا حَرَّمَهُ اللهُ، وهيَ كافيَةٌ - إذَا قالَ بهَا حَقًّا - للحُكمِ بخُروجِهِ وخروجِ مَنْ تَبِعَهُ فيها مِنَ الإسلامِ[1].

وقدْ نَسَبَ إليها القولَ: إنَّ الكُفرَ بالرّسلِ والجنِّ والنّارِ ليسَ شِرْكًا[2]. فكيفَ يَصِحُّ أنْ تُنسبَ هذهِ الفِرْقةُ إلى إحدَى فِرَقِ المُسلمينَ؟ وكيفَ يَصحُّ أنْ يُقالَ فيهِمْ: إنّهُم فِرْقةٌ مِنَ الإباضيّةِ؟![3]. يقولُ العلاّمةُ نورُ الدّينِ السّالميُّ الإباضيُّ في غايةِ المرادِ:

---

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٢٠.

[2] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٥٢.

[3] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٢٠.

وَقَدْ أَتَتْ حُجَجُ البرهانِ نَاطِقَـةً ... بِالموتِ وَالْبَعْثِ وَالْحُسْبَانِ فَامْتَثلاَ

وَأَنَّهُ مَـنْ أَطَـاعَ اللهَ يُدْخِـلُـهُ ... جَنَّـاتِهِ أَبَـدًا لاَ يَبْـتَغِي نَـقـلاَ

ومَنْ عَصَاهُ فَفِي النِّيرانِ مَسْكَنُهُ ... ولمْ يَجِـدْ مَفْزَعًـا عَنْهَا فَيَنْتَقِـلاَ

والفِرقةُ الثَّانيةُ: اليزيديَّةُ نَسَبَ إليها القولَ: إنَّ اللهَ سَيَبْعَثُ رسولاً مِنَ العَجَمِ ويتولّونَ أهلَ الكتابِ الذينَ شَهِدُوا برسالةِ الرّسولِ ﷺ وإنْ لمْ يَدْخُلُوا في دينِهِ. والشّيخُ العلاَّمةُ نورُ الدّينِ السّالميُّ يقولُ في أنوارِ العقولِ:

قَـدْ نُسِخَتْ شَرَائِعُ الْجَمِيـعِ ... سِوَى الْهدى بِشَـرْعِنَا الْبَدِيعِ

وَمَـا لَهُ أَيْ شَرْعنَا مُـغَيِّرُ ... فهُـوَ عَلَـى الدّوامِ لاَ يُغيـرُ[1]

والغريبُ في الأمرِ أنَّ القارئَ الكريمَ إذَا رجعَ إلى مصادرِ الإباضيّةِ مِنْ كُتُبٍ وأسماءِ علماءَ مُنذُ أوائلِ القرنِ الثّاني الهجريِّ إلى هذا العصرِ؛ فإنّهُ لنْ يَجِدَ عندَ الإباضيّةِ هذا الإمامَ الذّي سَمَّاهُ أبو الحسنِ الأشعريُّ: "يزيدُ بنُ أنيسةَ"، ولاَ يَجِدُ عِنْدَهُمْ ذِكرًا لِفِرقتِهِ ولاَ لآرائِهِ، بلْ إنّهم يحكُمونَ علَى مَن

[1] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٥٢.

يَدِينُ بِمثلِ تلكَ المقالاتِ بأنَّهُ مُشركٌ خارجٌ عنِ المِلَّةِ، ومَنْ كانَ مشركًا خارجًا عنْ مِلّةِ الإسلامِ لاَ يُمكنُ أنْ يُحْسَبَ في فِرَقِ المسلمينَ[1].

والفِرقةُ الثالثةُ: الحارثيّةُ، نَسَبَ إليهَا أَنَّهَا قالتْ بقولِ المعتزلةِ في القدرِ، والإباضيَّةُ لاَ يَقُولُونَ بقولِ المعتزلةِ في القدرِ، قالَ العلاّمةُ نورُ الدّينِ السّالميُّ في غايةِ المرادِ:

وإنّمَا الفعلُ مخلوقٌ ومُكْتَسَبُ فَالخَلْقُ للهِ وَالْكَسْبُ لِمَنْ عقلاَ[2]

يقولُ علي يحيي معمّر: "وهذَا الحارثُ أيضًا لمْ يَحرُثْ عندَ الإباضيّةِ ولمْ يَزْرَعْ لاَ آراءً ولاَ حُبُوبًا، ولمْ يَحْصدِ الإباضيّةُ عنهُ أوْ عنْ فِرقتِهِ شيئًا، إنْ كانَ حقًّا حَرَثَ في أيِّ مكانٍ".

ويُكْمِلُ الشّيخُ علي يحيي معمّر كلامَهُ فيقولُ: "ولوْ أنَّ أبا الحسنِ حَشَرَ هذا الحارثَ معَ المعتزلةِ لكانَ أقربَ، ما دامَ يقولُ بقولِهِم في القدرِ، ومسألةُ القَدَرِ هيَ أمُّ المسائلِ في النِّقاشِ الفلسفيِّ الذي جَرَى بينَ المذاهبِ الإسلاميّةِ في وقتٍ مبكّر، وكانتِ المميِّزَ الواضحَ بينَ مذاهِبِهِم. والمهمُّ في الموضوعِ أنّهُ لاَ يوجدُ أبٌ لهذا الحارثِ الذي لمْ يجدْ أبو الحسنِ لهُ أبًا فجاءَ بهِ هكذا يَسُوقُهُ

---

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٢١.

[2] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٥٢ – ٥٣.

حتَّى أَدْخَلَهُ عندَ الإباضيّةِ وتَرَكَهُ؛ فلاَ يُوجَدُ عندَ الإباضيّةِ أيُّ ذِكْرٍ لهذا الحارثِ أوْ رأيٍ أوْ فِرقةٍ أوْ نسبٍ، ولاَ حتّى مُرُورَ ضيافةٍ في مراجعِ الإباضيّةِ ممَّا اسْتَطَعْتُ الحصولَ عليهِ، فهيَ خاليةٌ منهُ ومِنْ آرائِهِ ومِنْ فِرْقَتِهِ، فإذَا كانتْ حقيقتُهُ وحقيقةُ آرائِهِ في الواقعِ كمَا هيَ عندَ الإباضيّةِ فإنّهُ رجلٌ لاَ وجودَ لهُ ولاَ لفِرقتِهِ. أمَّا آراؤُهُ فهيَ صورةٌ في مُخَيِّلةِ مُشَنِّعٍ على الإباضيّةِ، أَلْقَاهَا على أبي الحسنِ فَوَثَقَ بِهِ، وَأَثْبَتَهَا في كتابِهِ دونَ نَقْدٍ أوْ تَمْحِيصٍ[1].

والفِرقةُ الرّابعةُ: يَقُولُونَ بطاعةٍ لا يُرادُ اللهُ بهَا. نَسَبَ إليها القولَ بِصحَّةِ العملِ للهِ مِنْ غيرِ نيةٍ. والإباضيّةُ يَرَوْنَ النيةَ منْ قواعدِ الدّينِ لاَ يَتِمُّ العملُ إلاَّ بهَا، يقولُ العلاّمةُ السّالميُّ في غايةِ المرادِ:

قواعدُ الدّينِ عِلْمٌ بَعْدَهُ عَمَلُ ... وَنِيَّةٌ وَرَعٌ عَنْ كلِّ مَا حَظلاَ[2]

يقولُ الشّيخُ علي يحي معمّر: "وَيَبْدُو أنَّ أبا الحسنِ لمْ يجدْ لهذهِ الفِرقةِ إمامًا، فلمْ يَذْكُرْ لَهَا إمامًا، وإنّما جاءَ يسوقُ أتباعَها كمَا يُساقُ القطيعُ حتّى أدخَلَهُم في الإباضيّةِ وَتَرَكَهُم. ولوْ أنّهُ سمَّى هذهِ الفِرقةَ بالهذَليّةِ – مَا دَامَتْ تَقولُ بقولِهِ - لكانَ لذلكَ وَجْهٌ؛ لأنّهُ لمْ يَذْكُرْ لهذهِ الفِرقةِ قولاً غيرَ القولِ السّابقِ.

---

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٢٢.

[2] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٥٣.

وعلَى كلِّ حالٍ فهذهِ فِرقةٌ ليسَ لها إمامٌ وليسَ لها اسمٌ، وكلُّ ما في الأمرِ أنّهُ نَسبَ إليها قولاً يُناقضُ مناقضةً كاملةً ما عندَ الإباضيّةِ في هذا الموضوعِ، فكيفَ تَكُونُ مِنَ الإباضيّةِ وهيَ تقولُ بمَا يُنَاقِضُ رأيَ الإباضيّةِ مناقضةً كاملةً".

ويُكملُ الشيخُ علي يحيى معمّر كلامَهُ فيقولُ: "والباحثُ إذا تأمَّلَ ما جاءَ عنِ الإباضيّةِ في كتابِ: (مقالات الإسلاميّين) لأبي الحسنِ الأشعريِّ، ثمّ قارنَهُ بما عندَ الإباضيّةِ، سواءٌ أكانَ ذلكَ يتعلّقُ بأسماءِ الأئمّةِ والعلماءِ، أوْ بأسماءِ الفِرَقِ، أوْ بالآراءِ والمذاهبِ، فإنّهُ يَخْرُجُ بِنَتِيجَةٍ غريبةٍ، وهيَ أنَّ ما أَتْعَبَ الإمامُ الكبيرُ بهِ نفسَهُ وكَتبَ فيهِ صفحاتٍ طِوالاً عنِ الإباضيّةِ - فيما يَظُنُّ - لاَ علاقةَ لهُ البتّةَ بالإباضيّةِ، وأنَّ أولائكَ الأئمّةَ الذينَ زَعَمَهُمْ أئمّةٌ لفِرَقٍ مِنْهُمْ، لَيْسُوا هُمْ وَلا فِرَقُهُمْ مِنَ الإباضيّةِ في قليلٍ ولاَ كثيرٍ، إذَا صحَّ هذا التعبيرُ، أمَّا مقالاتُهُم وآراؤُهُم فهيَ ليستْ أقربَ إلى الإباضيّةِ منها إلى الشّافعيّةِ أوِ المالكيّةِ أوْ غيرِهَا مِنَ المذاهبِ الإسلاميّةِ"[1].

وفي عصرِ أبي الحسنِ كانَ الإباضيّةُ وعلماؤُهُم مُنْتَشِرينَ في جميعِ ما يُسمّى اليومَ بالبلادِ العربيّةِ: كالحجازِ والعراقِ والشامِ وجنوبِ الجزيرةِ ومصرَ؛ بلْ إنّهم كانُوا يُكَوِّنُونَ أغلبَ السكّانِ في المغربَيْنِ الإسلاميَّيْنِ الأدنَى والأوسطِ،

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٢٣.

وَيُوجَدُ لهمْ عددٌ مِنْ كِبارِ العلماءِ حينَئذٍ في كلِّ الحواضرِ الإسلاميّةِ كَمكَّةَ والمدينةِ والبصرةِ وعُمانَ وحضرَموتَ واليمنِ ومصرَ وبُلدانِ الشّمالِ الإفريقيِّ.

ومعَ هذا فإنَّ أبا الحسنِ لمْ يَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أئمّةِ الإباضيّةِ كجابرِ بنِ زيدٍ وجعفرِ بنِ السمّاكِ العبديِّ، وأبي سفيانَ قنبرٍ، وصحارٍ العبديِّ، وأمثالِهم مِنْ أئمَّتِهم في النّصفِ الثاني مِنَ القرنِ الأوّلِ، ولا ذَكَرَ شيئًا مِنْ أقوالِهم.

ولمْ يَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أئمّتِهم في النّصفِ الأوّلِ مِنَ القرنِ الثاني أمثالَ أبي عبيدةَ مسلمِ بنِ أبي كريمةَ، وضمامِ بنِ السائبِ، وأبي نوحٍ صالحٍ الدّهانِ، وعبدِ اللهِ بنِ يحيى الكنديِّ، والجلنْدَى بنِ مسعودٍ العُمانيِّ، وأبي الخطّابِ عبدِ الأعلى المعافريِّ، وهلالِ بنِ عطيّةَ الخرسانيِّ وأضرابِهم، ولاَ ذَكَرَ شيئًا مِنْ أَقْوَالِهم[1].

ولمْ يَذْكُرْ أَحَدًا منْ علماءِ النّصفِ الثاني للقرنِ الثاني أمثالِ الرّبيعِ بنِ حبيبٍ، وأبي سفيانَ محبوبِ بنِ الرّحيلِ، وأبي صفرةَ عبدِ الملكِ بنِ صفرةَ، وعبدِ الرّحمنِ بنِ رستمَ، ومحمّدِ بنِ يانسَ، وأبي الحسنِ الأبدلانيِّ وأضرابِهم، ولا ذَكَرَ شيئًا مِنْ أقوالِهم[2].

---

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٢٤.

[2] - المصدر نفسه، ص٢٥.

ولمْ يَذكُرْ أَحَدًا مِنْ علمائِهِم في النّصفِ الأوّلِ للقرنِ الثالثِ، أمثالِ أفلحَ بنِ عبدِ الوهابِ، وعبدِ الخالقِ الفزّانيِّ، ومحكّمٍ الهوّاريِّ، والمهنَا بنِ جيفَر، وموسَى بنِ عليٍّ، وأبي موسَى الخراسانيِّ وأضرابِهِم، ولاَ ذَكَرَ شيئًا مِنْ أَقْوَالِهِمْ.

ولم يَذكُرْ أحدًا مِنْ عُلمائِهِم في النّصفِ الثّاني مِنَ القرنِ الثّالثِ أمثالِ محمّدِ بنِ محبوبٍ، ومحمّدِ بنِ عابدٍ، والصّلتِ بنِ مالكٍ، وأبي اليقظانِ بنِ أفلحَ، وأبي منصورٍ إلياس، وعمروسِ بنِ فتحٍ، وهودِ بنِ محكّمٍ، ولمْ يَذْكُرْ شَيْئًا مِنْ أقوالِهِم.

ولمْ يَذكُرْ أحدًا مِنْ علمائِهِم في النّصفِ الأوّلِ مِنَ القَرنِ الرّابعِ، أمثالِ أبي خزرٍ يغلا بنِ أيوبَ، وأبي القاسمِ يزيدَ بنِ مخلّدٍ، وأبي هارونَ موسى بنِ هارونَ، ولا ذكَرَ شيئًا مِنْ أقوالِهِم[1].

وقدْ كانَ عُلماءُ هذهِ الطّبقةِ والطّبقةِ التّي سَبَقَتْهَا مُعَاصِرِينَ لأبي الحسنِ الأشعريِّ؛ لأنّهُ عاشَ ثلاثينَ سنةً مِنَ القرنِ الرّابعِ، فهوَ معاصرٌ لعلماءِ النّصفِ الثّاني للقرنِ الثّالثِ، وعلماءِ النّصفِ الأوّلِ للقرنِ الرّابعِ، ورَغْمَ ذلكَ فإنَّ أبا الحسنِ لمْ يَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ هؤلاءِ الأئمّةِ أوْ مِمّنْ كانَ مُعاصِرًا لهمْ

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٢٥.

أوْ سَبَقَهُمْ مِنْ علماءِ وأئمّةِ الإباضيّةِ المعروفينَ، وَلَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا مِنْ مَقَالاَتِهِمْ.

فهوَ إمّا أنّهُ لاَ يَعْرِفُهُمْ أوْ لاَ يَعْرِفُ شيئًا مِنْ مقالاتِهِم، وإمَّا أنّهُ يَعْرِفُهُمْ أوْ يعرفُ بَعْضَهُمْ على الأقلِّ وَيَعْرِفُ مقالاتِهِم، ولكنَّهُ لاَ يَجِدُ فيها شيئًا يَسْتَدْعِي النّقدَ والتّعليقَ، أوْ حتّى مجردَ العرضِ، فلمْ يَتَحَدَّثْ عنهُمْ وعنْ مقالاتِهِم بخيرٍ ولاَ بِشَرٍّ؛ فتَرَكَ الإباضيّةَ "الحقيقيِّينَ" بِرِجَالِهِمْ وَمَقَالَاتِهِمْ، وَأُلْقِيَتْ بينَ يَدَيْهِمْ مَقَالاتٌ وأسماءُ لِفِرَقٍ مجهولةٍ عندَ الإباضيّةِ كلَّ الجهلِ، وَأَقْوَالُهَا تُناقِضُ ما عندَ الإباضيّةِ كلَّ المناقضةِ، فَزَعَمَتِ المصادرُ التي اسْتَقَى منهَا أنَّ هذهِ الفِرقَ والمقالاتِ هيَ للإباضيّةِ باعتبارِهِم إباضيّةً، أوْ مِنْهُمْ؛ وَالإباضيّةُ مِنْهَا بُرَآءُ بُعَدَاءُ، وَلَيْسُوا أقربَ إليها مِنْ أبي الحسنِ نَفْسِهِ.

فكيفَ وقعَ أبو الحسنِ في هذا الخطأِ الشّنيعِ؟ مَعَ أنّهُ مِنْ أوائلِ مَنِ انْتَبَهَ إلى أسبابِ الزَّيْفِ عندَ كُتّابِ المقالاتِ، ومِنْ أوائلِ مَنْ شَرَحَ الطُّرقَ التي يَصِلُ منها الخطأُ إلى مَنْ يَكْتُبُونَ عنِ الفِرَقِ ومقالاتِهَا وَمَذَاهِبِهَا، ومِنْ أوائلِ مَنْ حذَّرَ مِنَ الوقوعِ فيها؟!![1].

وأمَّا قولُهُ بأنَّ الإباضيّةَ لاَ يُوجِبُونَ المشيَ للصّلاةِ والرّكوبَ للحجِّ فهذَا بَاطِلٌ؛ لأنَّ الإباضيّةَ يَرَوْنَ أنَّ كلَّ مَا لاَ يَتِمُّ الواجبُ إلاَّ بهِ فهوَ واجبٌ.

---

[1] - المصدر نفسه، ص٢٦.

وأمَّا القولُ باستِتَابةِ مُخَالِفِيهِمْ فإنْ تَابُوا وَإِلاَّ قُتِلُوا، وكذلكَ القولُ بِقَتلِ السَّارقِ فهذا باطلٌ؛ لأنَّ الإباضيّةَ مُتَقَيِّدُونَ بمَا جاءَ في القرآنِ والسنّةِ مِنَ الحدودِ ولاَ يَزِيدُونَ عليها حرفًا واحدًا، قالَ أبو حمزةَ الشّارِي الإباضيُّ رحمَهُ اللهُ وهوَ على مِنْبَرِ رسولِ اللهِ ﷺ: "النّاسُ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ إلاَّ ثَلاثَةً: مُشْرِكًا بِاللهِ عَابِدَ وَثَنٍ، أوْ كَافِرًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَوْ مُتَسَلِّطًا في الأرضِ يَحْكُمُ في عبادِ اللهِ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ"[1].

وأمَّا القولُ بأنَّ اللهَ يُؤْلِمُ أطفالَ المشركينَ على طريقِ الإيجابِ لاَ على طريقِ التّجويزِ؛ فهوَ مُخالفٌ لِمَا يَقُولُهُ الإباضيّةُ؛ لأنَّ الإباضيّةَ يقولونَ بأنَّ أطفالَ المشركينَ خَدَمٌ لأهلِ الجنّةِ[2].

ومِنْ أمثلةِ قولِ الأشعريِّ: "وقالُوا مَنْ زَنَى أوْ سَرَقَ أُقِيمَ عليهِ الحدُّ ثمَّ استُتِيبَ، فإنْ تابَ وإلاَّ قُتِلَ". "وقالَ بعضُهُمْ بِتَحْلِيلِ الأشربةِ التي يُسْكِرُ كثيرُهَا إذا لمْ تَكُنِ الخمرَ بِعَيْنِهَا".

فهذهِ أمثلةٌ مِنَ الأقوالِ التي نَسَبَهَا أبو الحسنِ إلى الإباضيّةِ، وظاهرٌ أَنَّ القصدَ مِنْ نسبةِ هذهِ الأقوالِ إليهمْ إِنَّمَا هوَ التّشنيعُ عَلَيْهِمْ وَتَكْرِيهُهُمْ إلى بقيّةِ فِرَقِ المسلمينَ.

---

[1] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٥٣.

[2] - المصدر نفسه، ص٥٤.

وتأمَّلْ قَوْلَهُ: "وقالُوا جميعًا إنَّ الواجبَ أنْ يَسْتَتِيبُوا مَنْ خَالَفَهُمْ في تنزيلٍ أوْ تأويلٍ، فإنْ تابَ وإلاَّ قُتِلَ". والتناقضُ واضحٌ بينَ الأقوالِ التي يَنْسبُهَا أبو الحسنِ إلى الإباضيّةِ أوْ إلى بعضِ فِرَقِ الإباضيّةِ حَسَبَ زَعْمِهِ. وقارِنْ إنْ شِئْتَ الفقرةَ السّابقةَ بمَا يَقُولُهُ عنِ الإباضيّةِ: "وَيَزْعمُونَ أنَّ مُخَالِفِيهِمْ مِنْ أهلِ الصلاةِ كفَّارٌ وَلَيْسُوا بِمُشْرِكِينَ، حلالٌ مُنَاكَحَتُهُمْ وَمُوَارَثَتُهُمْ"[1].

ويقولُ بعدَ سَطْرٍ: "وَحَرَامٌ قَتْلُهُمْ وَسَبْيُهُمْ"، فالتّناقضُ هنَا واضحٌ وقَصْدُ التّشنيعِ ممَّنْ نَسَبَ إليهمْ ذلكَ واضحٌ، وَلَسْتُ أَتَّهِمُ أبا الحسنِ، ولكنِّي أَتَّهِمُ - الكلامُ لِلشيخِ علي يحيي معمّر - المصادرَ التي اسْتَقَى منها، والمراجعَ التي اعْتَمَدَ عليهَا، سواءٌ أكانتْ مصادرَ مكتوبةً أوْ كانتْ مصادرَ متحدّثةً[2].

ومِنْ أمثلةِ الأشعريِّ أيضًا وهوَ يتحدّثُ عنِ الإباضيّةِ: "وجمهورُ الإباضيّةِ يتولَّى المحكّمةَ كلَّهَا إلاَّ مَنْ خَرَجَ، وَزَعَمُوا أنَّ الدّارَ دارُ توحيدٍ إلاّ عسكرَ السّلطانِ فإنّهُ دارُ كُفرٍ". وأيضًا مِنْ أَمْثِلَتِهِ: "إنَّ الإباضيّةَ لاَ تَرَى اعتراضَ النّاسِ بالسَّيْفِ ولكنَّهُمْ يَرَوْنَ إزالةَ أئمّةِ الجورِ".

فهذا أهمُّ ما قالَهُ أبو الحسنِ الأشعريُّ عنِ الإباضيّةِ ومقالاتِهِم، بالإضافةِ إلى التّشنيعاتِ السّابقةِ، غيرَ أنّنا نَرَى أنَّ جميعَ الأسماءِ التي وَرَدَتْ في الفصلِ

---

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٢٨.

[2] - المصدر نفسه، ص٢٩.

الذي كَتَبَهُ أبو الحسنِ عنِ الإباضيّةِ لاَ علاقةَ لهَا بالإباضيّةِ فيمَا عَدَا اسمَيْنِ هُمَا عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ، وعبدُ اللهِ بنُ يزيدَ الفزاريُّ، كانَ مِنَ الإباضيّةِ وخالَفَهُمْ في بعضِ المسائلِ، فَانْفَصَلَ عنْهُم وَانْتَظَمَ في فِرقةِ النكّارِ[1].

تقريبًا هذهِ أغلبُ ردودِ علماءِ الإباضيّةِ على الأشعريِّ، وفيمَا يَلِي نَنْتَقِلُ إلى البغداديِّ والذي يَعْتَبِرُ الكثيرُ أنَّ كتابَهُ صورةٌ عنْ كتابِ الأشعريِّ.

ثانيًا: الرَّدُّ على البغداديِّ

يقولُ الشّيخُ عليّ يحيى معمّر: "إنَّ القارئَ بِمُجرّدِ البدءِ في قِراءةِ مُقدّمةِ كتابِ البغداديِّ (الفَرْقِ بينَ الفِرَقِ) يُحِسُّ كأنَّهُ داخلٌ في مَعْمَعةٍ حاميةِ الوطيسِ، وكأنَّهُ يُرافِقُ محاربًا شديدَ المراسِ قدْ دَجَّجَ نَفْسَهُ بِجَمِيعِ أنواعِ الأسلحةِ استعدادًا لدخولِ معركةٍ يَنْبَغِي لهُ أنْ يَقضِيَ فيها على عددٍ مِنَ الخصومِ"[2].

"أوْ كأنَّهُ يَقِفُ إلى جانبِ شخصٍ وَضَعَهُ اللهُ ﷻ في طريقِ النّاسِ يومَ الحسابِ، وأعطَاهُ صلاحيّةَ التّحكّمِ في مَصَائِرِهِم، فهوَ يقِفُ مزهوًّا يعترضُ طريقَ الْمَحْشُورِينَ؛ وكلَّمَا مَرَّتْ بهِ طائفةٌ وَجَّهَهُمْ حَسَبَ رَأْيِهِ فيهِمْ حيثُ

---

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص ٣٦ – ٣٨.

[2] - المصدر نفسه، ص٤٣.

يُريدُ! أوْ صَاحَ: أيُّها الطّائفةُ، أنتمْ مِنْ أهلِ السنّةِ مغفورٌ لكمْ، اسْلُكُوا هذا الطّريقَ إلى الجنّةِ. فإذَا جَاءَتْ طائفةٌ أُخْرَى صاحَ بهمْ: أنتمْ مِنْ أهلِ الأهواءِ اذْهَبُوا معَ هذا الطّريقِ إلى الجحيمِ. وتَبْدُو لهُ طائفةٌ مُقبلةٌ فَيَصِيحُ بهَا بأعلَى صوتِهِ: أنتمْ يا مَنْ تَسِيرُونَ هنالكَ إنَّكُم معتزلةٌ، فأنتمْ فِرقةٌ ضالّةٌ، ادْخُلُوا النّارَ؛ أمَّا أنتمْ أيَّتُهَا الفِرقةُ التّعِسةُ فقدْ قيلَ إنَّكُم خَرَجْتُمْ مِنَ الإسلامِ فَادْخُلُوا النّارَ وَبِئْسَ الْقَرَارُ"[1]. يقولُ ناصرُ بنُ مطرٍ المسقريُّ: "لَقَدْ سَلَكَ البغداديُّ في كِتابَتِهِ عنِ الإباضيّةِ مَسْلَكَ الأشعريِّ في التضليلِ وعدمِ الرّجوعِ إلى مصادرَ إباضيةٍ"[2].

"وقدْ كَتَبَ البغداديُّ عنِ الإباضيّةِ فيمَنْ كَتَبَ في الفِرَقِ، وِمِنَ المؤسِفِ أنَّ هذا المؤلّفَ أيضًا لمْ يَهْتَمَّ مُطلقًا بأنْ يتّصلَ بأئمّةِ الإباضيّةِ الحقيقيّينَ وعلمائِهِم، ولاَ بأنْ يَطّلِعَ على عَقَائِدِهِمْ ومقالاتِهِم في كُتُبِهِم، وإنَّمَا رَجَعَ إلى ما كَتَبَهُ وقالَهُ عنهمْ غَيْرُهُمْ، وَيَبْدُو أنَّهُ اعْتَمَدَ على أبي الحسنِ الأشعريِّ كثيرًا، فنَقَلَ ما قالَهُ عنهمْ تَارَةً بِنَفْسِ العبارةِ، وتارةً بِتَصَرُّفٍ قليلٍ، على أنَّهُ لمْ يذكرْ أنَّهُ نَقَلَ عنهُ أوِ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ"[3].

---

[1] - المصدر نفسه، ص٤٤.

[2] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٦١.

[3] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٤٦.

والذّي يَدْعُو إلى التأمّلِ هوَ أنَّ البغداديَّ قدِ اعتبرَ الإباضيّةَ مِنَ الخوارجِ، وأنَّهُم لذلكَ فِرقةٌ ضالَّةٌ ويَجبُ أنْ يُقالَ عَنْهُمْ فَضائحُ ويَلتمسَ لها شَنَائِعَ، وذَهَبَ يُورِدُ تلكَ الفضائحَ أوِ الشّنائعَ حينًا بِدَعْوَى أنّها مقالةُ الإباضيّةِ جميعًا، وحينًا آخرَ بِدَعْوَى أنَّهَا قولُ بَعْضِهِمْ أوْ قومٍ مِنْهُمْ.

إنَّ البغداديَّ كانَ يعيشُ في القرنَيْنِ الرّابعِ والخامسِ، وفي هذا العصرِ كانَ الإباضيّةُ قدْ عُرِفُوا في أغلبِ البلادِ الإسلاميّةِ مِنْ خُراسانَ إلى الأندلسِ، وَاشْتُهِرَتْ لهمْ مؤلّفاتٌ في أغلبِ فُروعِ الثّقافةِ الإسلاميّةِ - لاَ سِيَّمَا علمَ الكلامِ - وَدُوِّنَتْ تَوَارِيخُهُمْ وَسِيَرُهُمْ وعُرِفَ علماؤُهُم وأئمَّتُهُم في طبقاتٍ يَأْخُذُ بَعْضُهَا عنْ بَعْضٍ إلى أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ[1].

كمَا أنَّ المذاهبَ الإسلاميّةَ قدْ تَمَيَّزَ بَعْضُهَا عنْ بعضٍ في أصولِهَا وَفُرُوعِهَا، وآرائِهَا ومقالاتِهَا وأئمّتِهَا وعلمائِهَا. ومعَ ذلكَ فإنَّ أولئكَ الذّينَ ذَكَرَهُمُ البغداديُّ همْ أولئكَ الذّينَ ذَكَرَهُمُ الأشعريُّ مِنْ قَبْلِه، حَاشِرِينَ إيَّاهُمْ في الإباضيّةِ، والإباضيّةُ لاَ يَعْرِفُونَ عنهمْ شيئًا ولمْ يَذْكُرُوهُمْ لاَ في كُتُبِهِم ولاَ في طبقاتِ عُلمائِهِمْ.

إنَّ البغداديَّ قدْ سَلَكَ المسلكَ الذّي سَلَكَهُ مِنْ قبلِهِ الأشعريُّ، وقدْ رَأَيْنَا أنَّ أغلبَ مَا كتَبَهُ عنِ الإباضيّةِ ونسَبَهُ إليهمْ لا يمُتُّ إليهمْ بِصِلةٍ، وأنَّ

[1] - المصدر نفسه، ص٤٩.

البغداديَّ - وهوَ يسلُكُ نفسَ المسلكِ وَيَعْتَمِدُ نفسَ المصادرِ - هوَ الآخرُ لاَ يَعْرِفُ شيئًا عنِ الإباضيّةِ، وأنَّ كلَّ مَا كَتَبَهُ عَنْهُمْ سَوَاءٌ أَكَانَ حقًّا أوْ باطلاً فَإِنَّمَا هوَ تَشْنِيعَاتٌ وَتَلْفِيقَاتٌ نُقِلَتْ إليْهِ عنْ ناسٍ يُريدونَ أنْ يُوقِدُوا نارَ الفِتنةِ ضِدَّ الإباضيّةِ، وأنْ يَجْعَلُوهُمْ مَكْرُوهِينَ مِنْ بقيَّةِ إخوانِهِم المُسلمينَ، فَيَنْسِبُونَ إليهمْ عقائدَ ومقالاتٍ يَبْرَؤُونَ مِنْهَا ومِمَّنْ يَقُولُ بها، وَيَسُوقُونَ عَنْهُمْ أقوالاً في غايةِ الغُموضِ والإبهامِ؛ لإثارةِ الرَّأيِ العامِّ ضِدَّهُم، وقدْ يُفَسِّرُونَ بعضَ الجُملِ أوِ الكَلِماتِ تَفْسِيرًا غيرَ صحيحٍ وغيرَ مَقْصُودٍ عندَ الإباضيّةِ لِزَرْعِ وَهْمٍ في نُفوسِ الآخرينَ[1].

ولاَ شكَّ أنَّ أصابعَ السّياسةِ الماكِرةِ وراءَ كلِّ ذلكَ، وأنَّ هؤلاءِ العُلماءَ الذّينَ يَكْتُبُونَ إنَّمَا تَلَقَّوْا مَعْلُومَاتِهِمْ عنْ مصادرَ مستغَلَّةٍ أوْ مستغفلةٍ، معَ العِلْمِ أنَّ لَدَيْهِمُ الاستعدادَ الكافيَ لِتلَقِّي أوْ تَصْدِيقِ كلِّ ما يُقالُ لهمْ عنْ تلكَ الفِرَقِ التّي حَكَمُوا عليها بالضّلالِ مُسْبَقًا.

والبغداديُّ قدْ زَعَمَ كمَا زَعَمَ غيرُه أنَّ الإباضيّةَ مِنَ الخوارجِ، وأنَّ هذِهِ الفِرقةَ مِنَ الفِرَقِ التّي لاَ يجوزُ للسُّنِّيِّ أنْ يُصلِّيَ عليهَا ولاَ أنْ يُصلِّيَ وَرَاءَهَا، وأنَّهُ لاَ يجوزُ للسُّنِّيِّ حَسَبَ زَعْمِهِ أنْ يَتَزَوَّجَ منها، ولاَ أنْ يأكُلَ مِنْ ذَبَائِحِهَا.

---

[1] - المصدر نفسه، ص٥٠.

ويُكمِلُ الشَّيخُ عليّ يحي معمّر كلامَهُ فيقولُ: "وَأَحْسَبُ أنّهُ لاَ دعوةَ أشدُّ إيقادًا لِنارِ الفِتنةِ، وشقًّا لِصفوفِ الأمّةِ، وتفريقًا لوَحْدةِ الكَلِمةِ، وَتَمْزِيقًا لِشَمْلِ المُسلمينَ؛ مِنْ هذِهِ الدّعوةِ[1].

أمَّا قولُهُ عنِ افتراقِ الإباضيّةِ فيمَا بَيْنَهَا فهوَ مُجانِبٌ للصّوابِ لعدّةِ أسبابٍ:

- إنَّ الإباضيّةَ لمْ تفترقْ بأنَّ الفِرقةَ تخرجُ عنِ الفِرقةِ الأصلِ إذا خالفتْ في العقائدِ، وليسَ في المسائلِ الاجتهاديّةِ، وعقائدُ الإباضيّةِ ثابتةٌ مدوّنةٌ في كُتُبِهِمْ مِنْ قَبلِ البغداديِّ والأشعريِّ وإلى يَوْمِنَا هذَا لمْ تختلفْ، بلْ ليسَ عندَهُم سلفٌ وخلفٌ كَمَا عِنْدَ غَيْرِهِمْ.

- إنَّ الفِرَقَ التّي ذكَرَهَا مجهولةٌ لدَى الإباضيّةِ تمامًا، وليسَ ذِكرٌ لها ولاَ لِعَقَائِدِهَا عندَهُم.

- إنَّ هذِه الفِرَقَ نَسَبَ إليها عقائدَ شِرْكٍ - إنْ كانَ لها وُجودٌ أصلاً - وَمَا في كُتُبِ الإباضيّةِ مُخالفٌ لها تمامًا سواءٌ الكُتُبُ القديمةُ أوِ الحديثةُ.

أمّا قولُ البغداديِّ: حرَّمُوا دماءَهُم في السِّرِّ وَاسْتَحَلُّوهَا في العلَنِ، قُصِدَ بهِ التّضليلُ أيضًا؛ لأنَّ الإباضيّةَ لاَ يَسْتَحِلُّونَ دِماءَ المُسلمينَ مِنْ أيِّ فِرقةٍ

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٥١.

بِسببِ خلافِهِم للإباضيّةِ لاَ في السِّرِّ ولاَ في العَلانيةِ، يقولُ السّالميُّ:

وأوّلُ الفَرْضِ من تأصيلِهِ جُمَـل ثلاثةٌ فزت إنْ تَسْتَحْضِرِ الجملا

وإنْ أَتَيْتَ بِهَا نُطْقًا حفظْتَ بِها للنّفسِ والمالِ والسّبْيِ بهَا حَظلا [1]

أمَّا قَوْلُهُ: وَزَعَمَتِ الإباضيّةُ كلُّها أنَّ دارَ مُخالفِيهِم مِنْ أهلِ مكّةَ دارُ توحيدٍ إلاَّ معسكرَ السّلطانِ فإنّهُ دارُ بَغْيٍ عندَهُم. فهذا القولُ فيهِ تضليلٌ ومجانبةٌ للحقِّ في نقطتَيْنِ:

- تخصيصُ المُخالفينَ مِنْ أهلِ مكّةَ، فإنَّ الإباضيّةَ يَعْتَبِرُونَ أيَّ بلادٍ يَنْطِقُ أهلُها بالشّهادتَيْنِ فَهِيَ دارُ توحيدٍ، مِنْ أيِّ فِرقةٍ مِنَ الفِرقِ الإسلاميّةِ كانتْ وأيِّ بلادٍ.

- قولُهُ دارُ السّلطانِ دارُ بَغْيٍ؛ لأنَّ الإباضيّةَ يَعْتَبِرُونَ دارَ السّلطانِ العادلِ دارَ توحيدٍ وعدلٍ مِنْ أيِّ فِرقةٍ إسلاميّةٍ كانَ، وإذَا كانَ غيرَ عادلٍ فهيَ دارُ ظُلْمٍ مِنْ أيِّ فِرقةٍ كانَ [2].

وفي الختامِ نَسْتَطِيعُ أنْ نقولَ إنَّ البغداديَّ أخذَ عنِ الأشعريِّ أغلبَ آرائِهِ عنِ الإباضيةِ، فهوَ صورةٌ عنهُ وَمُتَكَلِّمٌ باسمِه. وإنَّ بعضَ الأقوالِ التّي نَسَبَهَا إلى الإباضيّةِ تحمِلُ تَكْذِيبَهَا في نَفْسِهَا؛ وهيَ التّي نَسَبَهَا فيمَا زَعَمَ إلى فِرقةٍ

[1] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٦٢.

[2] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٦٣ – ٦٤.

مِنَ الفِرقِ التّي أَلْحَقَهَا بالإباضيّةِ، وكذلكَ الأقوالُ التّي زَعَمَ فيها أنَّ بعضًا مِنَ الإباضيّةِ أو قومًا منهمْ كانَ يقولُ بها، فهذهِ الأقوالُ المنسوبةُ إلى بعضِ أولئكَ أوْ إلى قومٍ لاَ تحتاجُ إلى تكذيبٍ؛ لأنّها هيَ نَفْسُهَا لمْ تَسْتَطِعْ أنْ تَنْهَضَ فَتَقِفَ، وإنَّمَا لاذَتْ بِجَنَاحٍ مِنَ الإباضيّةِ.

ثالثًا: الرّدُّ علَى ابنِ حزمٍ

يقولُ الشّيخُ علي يحي معمّر: "يُؤْسِفُنِي أنْ أقولَ إنَّ العالمَ الكبيرَ لمْ يُوَفَّقْ فيما كَتَبَ عنِ الإباضيّةِ، بلْ لقدْ تَجَنَّى عليهمْ في بعضِ الأحيانِ، وكلامُهُ أحيانًا يهدمُ بعضُهُ بعضًا هدْمًا، كمَا أنَّ بعضَ دعاوِيهِ لاَ يُمكنُ أنْ تُصدّقَ مهمَا حاولَ الإنسانُ أنْ يجدَ لهَا مبرِّراتٍ[1].

ويقولُ أيضًا: "والعجيبُ في الأمرِ أنَّ ابنَ حزمٍ يُقررُ أنَّ جميعَ الإباضيَّةِ لاَ يقولونَ بشيءٍ مِنْ آراءِ ابنِ أُنَيْسَةَ هذَا، ويحكمُونَ على مَنْ قالَ بشيءٍ مِنْ هذا بالكفرِ، وَيَسْتَحِلُّونَ دمَهُ ومالَهُ، فكيفَ سَاغَ عندَهُ إذَنْ أنْ يسوقَ هذا الرّجلَ وطائفتَهُ: أوّلاً في فِرَقِ المسلمينَ وهمْ يُنْكِرُونَ المعلومَ مِنَ الدِّينِ بالضّرورةِ، ثمَّ لَمَّا اختارَ أنْ يَجْعَلَهُمْ مِنَ الإباضيّةِ، وجميعُ الإباضيّةِ - كَمَا

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٥٢.

يُقَرِّرُ هُوَ نَفْسُهُ - يُكَفِّرونَ مَنْ يقولُ بذلكَ؟ هلْ بَيْنَهُمْ وَشِيجةُ نَسَبٍ، أوْ عَلاَقَةُ مُصاهرةٍ، أَمْ نَزْعُ عرقٍ، أمْ رابطةُ صداقةٍ بريئةٍ مجرَّدةٍ؟

إنَّهُ لاَ شيءَ مِنْ ذلكَ طبعًا، ولكنَّ بعضَ المتعصِّبينَ والمشنِّعينَ الذينَ لاَ يَزِنُونَ ما يقولونَ؛ أَطْلَقُوا هذهِ الأُكذوبةَ، فَنَقَلَهَا ناقلونَ وَمِنْهُمُ العالمُ الكبيرُ ابنُ حزمٍ؛ ولكنَّهُ اضْطَرَّ معَهَا أنْ يقرِّرَ موقفَ الإباضيَّةِ منها، فعقَّبَ بِمُلاحظتِهِ الصَّائبةِ ربَّمَا استنادًا إلى معرفتِهِ الشَّخصيّةِ أوْ إلى ما ذهبَ إليهِ مَنْ سَبقَهُ كالبغداديِّ الذي اعْتَبَرَ هذهِ الفِرقةَ خارجةً عنِ الإسلامِ.

والحقيقةُ أنَّ أمثالَ هذا التّخليطِ والتّناقضِ كانَ مِنَ المفروضِ مِنَ ابنِ حزمٍ - بِمَا اشْتُهِرَ بِهِ مِنَ الذّكاءِ، ودقّةِ المُلاحظةِ وسَعةِ الاطّلاعِ، ولَذَاعةِ النّقدِ الذّي يَبْلُغُ إلى حدِّ القسوةِ أَحْيَانًا - ألاَّ يَنْزَلِقَ فيما انْزَلَقَ فيهِ غيرُهُ، وأنْ يُنظِّفَ كتابَهُ مِنْ هذهِ التُّرَهاتِ الفارغةِ التّي تُكذِّبُ نفسَها بنفسِها، وليسَ لها مِنْ قيمةٍ، اللَّهُمَّ إلاَّ زيادةُ الصّفحاتِ في الكتابِ الذّي تُوردُ فيهِ[1].

فبالنِّسبةِ لحديثِهِ عنْ تقسيمِهِ لِفِرقِ الإباضيّةِ، يقولُ ناصرُ بنُ مطرٍ المسقريُّ: "نَرَى أنَّ ابنَ حزمٍ يأتي بالفِرقةِ الثّانيةِ التّي ذَكَرَهَا الأشعريُّ فِرقةِ

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٥٤.

حارثٍ الإباضيِّ، وقدْ قَدَّمْنَا الرَّدَّ على إلصاقِ هذهِ الفِرقةِ بالإباضيّةِ عندَ الرَّدِّ على الأشعريِّ[1].

أمَّا قولُهُ: "وَإِلَى قولِ الثَّعالبةِ رَجَعَ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ، فَبَرِئَ منهُ أصحابُهُ، فهُمْ لاَ يَعْرِفُونَهُ اليومَ، ولقدْ سَأَلْنَا مَنْ هوَ مُقَدَّمُهُم في عِلْمِهم وَمَذْهَبِهِمْ عنهُ فمَا عَرَفَهُ أحدٌ مِنْهُمْ..."[2].

فيقولُ الشّيخُ عليّ يحيى معمر: "وهذَا القولُ مِنَ ابنِ حزمٍ مِنْ أغربِ الأقوالِ وإنْ كانَ قدْ تردَّدَ على كثيرٍ مِنَ الألسنةِ والأقلامِ؛ مَنْ همُ الثّعالبةُ؟ ومَا هوَ قولُهُم الذّي رجعَ إليْهِ عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ؟ وما هيَ تلكَ الأقوالُ التّي رَجَعَ فيها ابنُ إباضٍ إلى قولِ الثّعالبةِ؟ أسئلةٌ حائرةٌ وليسَ لها جوابٌ عندَ ابنِ حزمٍ ولاَ عندَ غيرِهِ ممَّنْ أوردَ هذهِ الدّعوى مِنْ أولئكَ الكُتَّابِ الذّينَ يَخْتَطِفُونَ الإشاعاتِ دونَ تثبُّتٍ ثمّ يُرَوِّجُونَ لهَا، وهيَ مِنْ أقوَى الأدِلّةِ على أنّهُم يكتُبونَ عمَّا لاَ يعرِفونَ، أوْ على الأقلِّ عَمَّا لمْ يَتَحَقَّقُوا مِنْ صِحّتِهِ. كيفَ عَرَفَ ابنُ حزمٍ أنَّ ابنَ إباضٍ رجعَ إلى قولِ الثّعالبةِ؟ وأينَ وجدَ أنَّ أصحابَهُ بَرِئُوا منهُ؟ ومَنْ هوَ هذا المُقدّمُ الذّي قامَ معهُ ابنُ حزمٍ بالتّحقيقِ فوجدَهُ لاَ يعرفُ شيئًا عنْ إمامِهِ؟

---

[1] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٦٦.

[2] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٥٧.

إنّها سلسلةٌ مِنَ الدّعاوى والادّعاءاتِ الواهيةِ المُتداعيةِ التِي يَهْدِمُ بعضُهَا بعضًا، والمُؤَلِّفُ فيها جميعًا لا يُشيرُ إلى المصادرِ التّي اعْتَمَدَ عليها، فابنُ حزمٍ يَزْعُمُ أنّهُ سألَ مَنْ هوَ مُقَدَّمُهُم في علمِهِم ومذهبِهِم فلمْ يعرفُوا شيئًا عنِ ابنِ إباضٍ. فكيفَ عَلِمَ أنَّهُم يَبْرَؤُونَ منهُ؟ وهلْ يُعْقَلُ أنْ يَبْرَأَ ناسٌ مِنْ شخصٍ لاَ يعرفونَهُ ولاَ يعرفونَ عنهُ شيئًا؟!

هلِ اهْتَمَّ العالِمُ الكبيرُ حقًّا بالتثبُّتِ أوْ ذهبَ يسألُ عنِ الإباضيّةِ وإمامِهِم؟ أمْ هيَ صورةٌ مِنْ نسجِ الخيالِ يُقصَدُ منها التشنيعُ دونَ معرفةِ شيءٍ حقيقيٍّ؟ لوْ أرادَ ابنُ حزمٍ التّحقُّقَ لاستطاعَ الاتّصالَ بعلماءِ الإباضيّةِ بالفعلِ، وَلَذَكَرَ أسماءَ أولئكَ العلماءِ أوِ المقدَّمينَ الذينَ يَعْتَبِرُ قَوْلَهُمْ حُجَّةً في الموضوعِ، أوْ أنْ يَطَّلِعَ على كُتُبِهِمْ وَيَسْتَمِدَّ منهَا الحقائقَ التي تُناقَشُ ولاَ تُنْكَرُ. وفي الصورةِ السّابقةِ يَبْدُو لي أنَّ ابنَ حزمٍ سمعَ عمَّنْ يَنتسبُ إلى الإباضيَّةِ في الأندلسِ، وقدْ يكونُ مَنْ سَمِعَ عنهُ مِنَ العوامِّ، وقدْ يكونُ صاحبَ سطوةٍ أوْ ثروةٍ اشْتُهِرَ بِسَبَبِهَا بينَ الناسِ، فذهبَ إليهِ يسألُهُ عن إمامِهِ ابنِ إباضٍ؛ فلمْ يَجِدْ عِنْدَهُ شَيْئًا[1].

لمْ يزعُمْ أحدٌ مِنَ الإباضيّةِ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ رَجَعَ إلى قولِ الثعالبةِ، ولاَ يوجدُ أحدٌ مِنَ الإباضيّةِ يَبْرَأُ مِنْهُ، فَهُمْ مُجمِعُونَ على ولايتِهِ ويعتبرونَهُ مِنْ

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٥٨.

أئمّةِ المسلمينَ ومِنْ كِبارِ التّابعينَ، وَيَحْفَظُونَ سِيرَتَهُ، وقدْ دَوَّنُوهَا في كُتُبِهِمْ وَيَعْرِفُونَ الكثيرَ مِنْ أقوالِهِ في القضايا الشرعيّةِ، وهمْ معَ ذلكَ لاَ يرفعونَهُ إلى درجةِ التقديسِ، كمَا لاَ يَرْفَعُونَ إلى مكانةِ التقديسِ أيَّ شخصٍ غيرِ معصومٍ، وَيَرَوْنَ أنَّ في أقوالِهِ - كمَا في أقوالِ غيرِهِ مِنَ الأئمّةِ - مَأْخُوذًا وَمَتْرُوكًا، وصوابًا وخطأً، ولاَ يُتَرِّهونَ عنْ هذهِ المرتبةِ أيَّ إمامٍ، سواءٌ أكانَ مِنْ أئمَّتِهِم أوْ أئمَّةِ غَيْرِهِمْ، وَيَحْتَكِمُونَ في كلِّ شيءٍ إلى الدّليلِ، حتّى اشْتُهِرَتْ بينَهُم هذهِ العبارةُ "يُعْرَفُ الرِّجالُ بالحقِّ ولاَ يُعْرَفُ الحقُّ بالرّجالِ". فَدَعْوَى أنَّ ابنَ إباضٍ رَجَعَ إلى قولِ الثعالبةِ وأنَّ الإباضيَّةَ يَبْرَؤُونَ منهُ هيَ الأخرَى دَعْوَى تُحاولُ أنْ تَلْحَقَ بِرَكْبِ التّشنيعاتِ التي تُنْسَبُ إلى الإباضيَّةِ وَأَئِمَّتِهِمْ[1].

يقولُ السَّالميُّ عنِ ابنِ إباضٍ:

فَأَظْهَرَ الحقَّ على رَغْمِ الْعِدَى وَالكلُّ مِنْ أَعْدَائِهِ قَدْ شَهِدَا

قَدْ كانَ في أيّامِ عبدِ الْمَلِكِ معَ شدّةِ الأمرِ وَضِيقِ الْمَسْلَكِ

نَاقَشَهُ وَبَيَّنَ الصَّوابَا ولَمْ يكنْ لِبَأْسِهِ قَدْ هَابَا

وكانَ لاَ يَدْعُوهُ إلاَّ بِاسْمِهِ تَعَزُّزًا بِحَقِّهِ وَعِلْمِهِ

[1] - المصدر نفسه، ص٥٩.

فَصَارَ مَعْرُوفًا مَعَ الْجَمِيعِ لِمَا حَوَى مِنْ شَرَفٍ رَفِيعِ[1]

وأمَّا قولُهُ: "ومِنْ حَمَاقَاتِهِمْ قولُ بكرِ بنِ أُختِ عبدِ الواحدِ بنِ زيدٍ؛ فإنَّهُ كانَ يقولُ: كلُّ ذنبٍ صغيرٍ أوْ كبيرٍ، ولوْ كانَ أخذَ حبَّةٍ مِنْ خردلٍ بغيرِ حقٍّ، أوْ كذبةً خفيفةً على سبيلِ المزاحِ؛ فَهِيَ شِرْكٌ بِاللهِ".

وَيَرُدُّ عليهِ الشيخُ علي يحيى معمّرٌ: "وهذهِ ليسَ مِنْ حماقاتِ الإباضيّةِ وإنَّمَا هيَ مِنْ حماقاتِ العالمِ الكبيرِ ابنِ حزمٍ الأندلسيِّ، وللعلماءِ الكِبارِ حماقاتُهُم، مَنْ هوَ هذا البَكْرُ الذي لاَ يُعْرَفُ أَبُوهُ ولاَ أُمُّهُ ولاَ حَتَّى عصبةُ أبيهِ؟ وإنَّمَا يُنْسَبُ إلى أَخْوَالِهِ، ثمَّ يَكُونُ هذا البَكْرُ المجهولُ النسبِ إِمَامًا، لهُ أقوالٌ يُعْتَدُّ بها وتُذْكَرُ في الكُتُبِ. ثمَّ إنَّ العالِمَ الكبيرَ أبا محمّدٍ ابنَ حزمٍ - وهوَ يُصنِّفُ المسلمينَ على فِرَقٍ - يَعْثُرُ على هذا الرّجلِ فلاَ يجدُ لهُ مكانًا، ثمَّ يأتي بهِ يَسُوقُهُ حتّى يَجِدَ فراغًا بينَ صُفوفِ الإباضيّةِ فيُلْقِيهِ هناكَ ثمَّ يَنْسبهُ إليهِم، ثمَّ يُلْقِي عَلَيْهِمْ تَبِعَةَ حَمَاقَاتِهِ[2].

الواقعُ أنَّهُ لاَ أَسْخَفَ في التّشنيعِ علَى النّاسِ مِنْ هذا المستوَى، إنَّ الإباضيَّةَ لاَ يَعْرِفُونَ هذا الشّخصَ المجهولَ، ولاَ يَعْرِفُونَ أقوالَهُ، ولاَ يُسوِّدُونَ بها بياضَ صُحُفِهِمْ، ويُنزِّهونَ كُتُبَهمْ عنْ مثلِ هذهِ الأضاليلِ والدَّعَاوَى

---

[1] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٦٩.

[2] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٦٠.

الفارغةِ والمقالاتِ الشّاذّةِ، وهمْ أحرصُ على أوقاتِهم وأوقاتِ قُرَّائِهم أنْ تَضِيعَ في مثلِ هذهِ الحماقاتِ التي تَعاوَنَ على نَسْجِ خُيُوطِهَا التَّعصُّبُ والانغلاقُ والدِّعايةُ الفاجرةُ والخيالُ السَّقيمُ وعدمُ الأمانةِ في النّقلِ والشهادةِ، ثمَّ تَوْجِيهُ السياسةِ الماكرةِ بأساليبِهَا المختلفةِ، فوقعَ ضحيَّةً لذلكَ جماعةٌ مِنْ أفذاذِ العلماءِ أمثالِ ابنِ حزمٍ الذي نَتَحَدَّثُ عنهُ، وَبَعْضُ مَنْ سَبَقَهُ أوْ سوفَ نُشيرُ إليهِ، وجازَتْ عليهم تلكَ الأخطاءُ كُلُّهَا رُغْمَ ادِّعائِهِم الحذرَ والحيْطَةَ[1].

[1] - المصدر نفسه، ص٦٠ – ٦١.

رابعًا: الرَّدُّ علَى أبي المظفَّرِ الأسفراييني

يقولُ ناصرُ بنُ مطرٍ المسقريُّ: "والقارئُ لهذا الكتابِ (التَّبصيرِ) يُلاحِظُ أنَّهُ صورةٌ مِنْ كتابِ البغداديِّ في عُنْفِهِ وتَهجُّمِهِ على الفِرقِ الإسلاميَّةِ، ويُلاحِظُ انسياقَهُ خلفَ الكُتَّابِ السَّابقينَ بِنقلِ أكاذيبَ مِنْ غيرِ تمحيصٍ[1].

يقولُ علي يحيى معمّر: "بعدَ هذهِ المقدِّمةِ الصَّغيرةِ - مقدِّمةِ تعريفِهِ للإباضيَّةِ - التي سَبَقَهُ إليها البغداديُّ وأبو الحسنِ، انْتَقَلَ إلى ذِكرِ الفِرَقِ السَّابقةِ التي ذَكَرَهَا مِنْ قَبْلِهِ أبو الحسنِ والبغداديُّ، والعبارةُ في الغالبِ عبارةُ البغداديِّ معَ تصرّفٍ بسيطٍ واضحِ التَّصنُّعِ. وَبَعْدَ أنْ ذكرَ تلكَ الفِرَقَ ومقالاتِ كلٍّ منْهَا بِمَا فِيهَا مِنْ شناعاتٍ وأباطيلَ كمَا ذكرْنَاهَا مِنْ قبلُ، عَرَضَ إلى قصّةِ الجاريةِ، وقدِ اخْتَصَرَهَا الأسفراييني ولمْ يَهْتَمَّ بها اهتمامَ الأشعريِّ والبغداديِّ.

والأسفراييني فِيمَا كَتَبَهُ عنِ الإباضيَّةِ في هذا الكتابِ لمْ يَبْذُلْ هوَ الآخرُ أيَّ مجهودٍ لمعرفةِ أيِّ شيءٍ حقيقيٍّ عن الإباضيَّةِ، وإنَّما انْساقَ معَ تيّارِ مَنْ سَبَقَهُ مِمَّنْ كَتَبَ عنْهُم مِنْ غَيْرِهِمْ، فَاعْتَبَرَهُمْ فِرقةً مِنْ فِرَقِ الخوارجِ، كما فعلَ الأشعريُّ والبغداديُّ وابنُ حزمٍ مِنْ قَبْلِهِ، ثمَّ نَسَبَ إليهمْ تلكَ المقالاتِ التي رَأَيْتَهَا عندَ الأشعريِّ، وَجَعَلَ مِنْ أئمَّتِهِم أولئكَ الأشخاصَ الذين نَسَبَهُم

[1] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٧٣.

إليهم مَنْ سبقَ دونَ تحقيقٍ أوْ تمحيصٍ أوْ تعليقٍ، وكُلُّ ما امْتَازَ بهِ عنْ سَابِقِيهِ أنَّهُ تَتَمَلَّكُهُ أثناءَ كتابتِهِ مِنْ حينٍ إلى آخرَ ثورةُ غضبٍ عارِمةٌ، فَيَصبُّ على تلكَ الفِرَقِ وأصحابِهَا سيلاً مِنَ الشَّتائمِ واللّعناتِ[1].

وقدْ لاحظَ مُحقِّقُ الكتابِ محمّدٌ الكوثريُّ مُلاَحَظَتَيْنِ همَا: العنفُ، وعدمُ عَزْوِ الأقوالِ.

- فَذَكَرَ عنِ الإباضيّةِ أنَّهم يَسْتَبِيحُونَ دماءَ مُخالفِيهِم في العلانيةِ.

- وقدْ عرضَ لمسرحيةِ بَيْعِ الجاريةِ التي اسْتَخْرَجَ منها أئمّةَ فِرَقٍ وَتَكْفِيرًا ولكنَّهُ اخْتَصَرَهَا.

يقولُ ناصرُ بنُ مطرٍ المسقريُّ: "وهذهِ كلُّها أكاذيبُ قِيلَتْ عنِ الإباضيّةِ مِمَّا يدلُّ على أنَّ المؤلّفَ لمْ يُثبتْ شيئًا مِمَّا قالَهُ، وَرُبَّما حِقْدُهُ وبُغضُهُ لهذا المذهبِ دَفَعَهُ لذلكَ، ولكنَّ اللهَ ﷻ يقولُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾[2]. وربَّما أنَّهُ جرَى خلفَ السياسةِ حيثُ إنَّنا نراهُ يَتَهَجَّمُ تهجُّمًا شديدًا على الفِرَقِ

---

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٦٣.

[2] - سورة المائدة، الآية: ٨.

المُعاديةِ للظالِمِينَ، وَيَفْتَخِرُ بالملوكِ الظالمينَ، مِمَّا يدلُّ على أنَّ الهوَى يَسُوقُهُ وليسَ الحقّ[1].

خامسًا: الرَّدُّ علَى أبي الفتحِ الشهرستانيِّ

يقولُ الشيخُ علي يحيي معمّر: "وَعَدَ أبو الفتحِ أنَّهُ سَيَذْكُرُ الفِرَقَ بِتَجَرُّدٍ، وأنَّهُ لاَ يُصحِّحُ ولا يَنْتَقِلُ، ولاَ يُصوِّبُ ولا يُخطِّئُ، ولا يُميِّزُ بينَ الصحيحِ والفاسدِ، والحقِّ والباطلِ؛ ولكنَّهُ نَاقَضَ نَفْسَهُ مِنَ الخطوةِ الأولى. ومِنْ مقدّمةِ الكتابِ جرَّدَ سيفَهُ وجَعَلَ يُنظِّمُ صفوفَ الفِرَقِ ويُصفِّفُها في طوابيرَ طويلةٍ، تَمْتَدُّ جُذُورُهَا في أعماقِ التّاريخِ مِنْ عَصْرِهِ إلى عهدِ إبليسَ، مُتَّخذةً في كلِّ عصرٍ مَظْهَرًا مناسبًا مِنْ موقفِ إبليسَ إلى موقفِ المشركينَ المنافقينَ إلى موقفِ الفِرَقِ الضَّالّةِ، وَيُحَاوِلُ أنْ يربطَ العلائقَ الوثيقةَ بينَ هذهِ الفِرَقِ الضَّالّةِ وأسلافِهَا في نَظَرِهِ مِنَ المنافقينَ أوِ المشركينَ أوِ الشياطينِ"[2].

"وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بوَعْدِهِ ألاَّ يَكْتُبَ عنْ أيَّةِ فِرقةٍ إلاَّ بناءً على ما يَجِدُهُ في كُتُبِ علماءِ تلكَ الفِرقةِ، فَيُؤْسِفُنِي أنْ أقولَ إنَّ الإمامَ الشهرستانيَّ قدْ أَخَلَّ بِوَعْدِهِ ولمْ يُوَفِّ بهِ، ولمْ يَعْمَلْ بالشّرطِ الذي شَرَطَهُ على نَفْسِهِ، هذا على الأقلِّ

---

[1] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٧٣.

[2] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٦٩.

بالنسبةِ إلى الإباضيَّةِ، وَلَسْتُ أَدْرِي مَوْقِفَهُ مِنْ كُتُبِ الفِرَقِ الأخرى، وإنْ كنتُ أحسبُ أنَّهُ لاَ يَخْتَلِفُ".

"والحقيقة أنَّ هذا الموقفَ مِنْ نسبةِ الآراءِ والعقائدِ إلى مصادرِ أَصْحَابِهَا موقفٌ خطيرٌ؛ فالكاتبُ حينَ يَعِدُ قُرَّاءَهُ بأنَّهُ يَعْتَمِدُ في نسبةِ الأقوالِ على مصادرِ أصحابِهَا؛ يَضَعُ الثِّقةَ بهِ في الميزانِ، فإنْ وَفَّى كانَ أهلاً للثقةِ والتصديقِ في كلِّ شيءٍ، وإنْ أخلَّ بِوَعْدِهِ كانَ مَوْضِعًا للشكِّ"[1].

فقَوْلُ الشهرستانيِّ: "إنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ خَرَجَ في عهدِ مروانَ بنِ محمّدٍ وقُتِلَ بتُبالة". وهذا خطأٌ؛ لأنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ كانَ في زمنِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ، ومُكاتباتُهُ لهُ موجودةٌ، وقدْ تُوُفِّيَ في أواخرِ أيّامِ عبدِ الملكِ. وعدمُ ذِكرِهِ عقائدَ الإباضيَّةِ الصّحيحةَ، وذِكْرُ ما تَنَاقَلَتْهُ كُتُبُ المقالاتِ دليلٌ على أنَّهُ لمْ يرجعْ إلى كتبِ الإباضيَّةِ، ولكنَّ الذي يَسْتَحِقُّ عليهِ الثناءَ أنَّهُ لمْ يَذْكُرْ مسرحيّةَ الأَمَةِ، وَحَسَبَ الفِرَقَ المزعومةَ مِنَ الإباضيّةِ كالحفصيّةِ واليزيديّةِ والحارثيّةِ فِرقًا مستقلّةً، وهذا يُعْتَبَرُ في حدِّ ذاتِهِ ردًّا على كُتَّابِ المقالاتِ[2].

---

[1] - المصدر نفسه، ص٧١.

[2] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص٧٦.

"ويتَّضحُ مِنْ هذَا أنَّ أبَا الفتحِ وإنْ سَلَكَ طريقَ الآخرينَ في تَقْسِيمِ الفِرَقِ والحكمِ عليها إلاَّ أنَّهُ كانَ أكثرَ دقَّةً واجتهادًا وتحرِّيًا مِنْ سَابِقِيهِ، وَخَالَفَهُمْ في عددٍ مِنَ المواقفِ تُقَدَّرُ لَهُ، ولاَ نأخذُ عليهِ شيئًا غيرَ ما ذكرْنَاهُ سَابِقًا في تورُّطِهِ كمَا تَوَرَّطَ غيرُهُ في حُكْمِهِ على مجموعةٍ مِنَ الفِرقِ بالضَّلالِ مُسبقًا معَ شَرْطِهِ على نفسِهِ أنَّهُ سَيَقِفُ مِنَ الجميعِ موقفًا سلبيًّا لاَ يُصوِّبُ ولاَ يُخطِّئُ، ثمَّ وَعْدِهِ بالرجوعِ إلى مصادرِ الفِرَقِ في نسبةِ الأقوالِ وعدمِ وفائِهِ بذلكَ".

"وبالنِّسبةِ إلى الإباضيّةِ بدلاً مِنْ أنْ يَرْجِعَ إلى علمائِهِم أو كُتُبِهِمُ الْتَجَأَ إلى الكعبيِّ وغيرِهِ مِمَّنْ لمْ يَذْكُرْهُ، فَوَقَعَ في أخطاءٍ كانَ حَرِيًّا ألاَّ يقعَ فيها، أمَّا خَطَؤُهُ في تاريخِ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ فهذَا خطأٌ قدْ لاَ يَسْلَمُ مِنْ مِثْلِهِ الكثيرُ مِنَ الكُتَّابِ".

"وعلى كلِّ حالٍ؛ فأبو الفتحِ عندَمَا كَتَبَ عنِ الإباضيّةِ لمْ يَأْخُذْ مقالاتِهِم مِنْ مصادِرِهِم، وإنَّمَا أخَذَهَا مِنْ مصادرِ غيرِهِم، ولكنَّ ذِكْرَهُ لتلكَ المقالاتِ كانَ يَتَّسِمُ بدقَّةِ الملاحظةِ والمعرفةِ لآراءِ الفِرَقِ، ولذلكَ فقدْ نَسَبَ ما قيلَ لهُ عنِ الإباضيّةِ إلى رُوَاتِهِ، وَجَعَلَ بعضَ مَنْ كانَ يُحْسَبُ على الإباضيّةِ وليسَ مِنْهُمْ فِرَقًا مستقلّةً، وَأَغْفَلَ قصّةَ النِّزاعِ على الأَمَةِ والطّفلةِ، وهذا وَحْدَهُ

يُعْتَبَرُ مِنْهُ نَقْدًا وردًّا على كُتَّابِ المقالاتِ السّابقينَ، وهيَ خطوةٌ تَسْتَحِقُّ الثناءَ والتقديرَ"[1].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٧٣.

المطلبُ الثاني: رُدُودُ علماءِ الإباضيَّةِ علَى الكُتّاب الْمُعَاصِرِينَ

عندَ الاطّلاعِ على مَا قالَهُ بعضُ الكُتّابِ المُعاصرينَ حولَ الإباضيّةِ وإدراجِهِم في فِرَقِ الخوارجِ؛ نُلاَحِظُ أنَّ أَغْلَبَهُمْ - إنْ لمْ نَقُلْ كلَّهُم - قدِ اسْتَمَدُّوا أقوالَهُم مِنْ كُتُبِ المؤرِّخينَ القُدامَى الذينَ اعْتَمَدْتُ عليهِمْ كَنَمُوذَجٍ في المطلبِ الأوّلِ، فالرّدُّ عليهِم سيكونُ باختصارٍ؛ لأنّهُ تَقْرِيبًا في نفسِ سِيَاقِ الرّدِّ على القُدامَى، وَسَنُحَاوِلُ عَرْضَ رُدُودِ علماءِ الإباضيّةِ على ثلاثةِ مُعَاصِرِينَ فَقَط.

أوّلاً: الرّدُّ علَى محمّدِ أبي زهرةَ

يقولُ الشّيخُ عليّ يحيى معمّر: "الأستاذُ أبو زهرةَ مِنْ كِبارِ عُلماءِ هذا العَصرِ الذّينَ تَتَّجِهُ إليهمُ الأنظارُ في المسائلِ الإسلاميّةِ، وتُسْمَعُ منهُمُ الكلمةُ، وتُلْتَمَسُ عندَهُم الحُجَّةُ، وَرَغْمَ أنّهُ أَبْدَى كثيرًا مِنَ الاعتدالِ، وَاسْتَعْمَلَ الرقّةَ واللُّطْفَ، وَسَجَّلَ لهُ آراءَ جديدةً سليمةً في موضوعِ الفِرَقِ وعنِ الإباضيّةِ بالذّاتِ، إلاّ أنّهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنَ التّأثُّرِ بالأقوالِ السّابقةِ التّي يَتْقُصُهَا التّحقيقُ والتّدقيقُ في التّعبيرِ، وَجَلاءُ المعاني لِكَشْفِ الحقائقِ كشفًا لاَ يحتَملُ الإيهامَ أوِ الإبهامَ".

ويقولُ: "إلاّ أنَّ الأستاذَ أبا زهرةَ - علَى مَكانتِهِ السّامقةِ في المعارفِ الإسلاميّةِ - قدِ انْسَاقَ فيمَا يَبْدُو كمَا انساقَ غيرُهُ في تيّارٍ تاريخيٍّ جارفٍ، قدْ

كوّنَتْهُ فيما مضَى عواملُ تحكَّمتْ فيها السّياسةُ والعصبيّةُ والفِتنةُ النّاتجةُ عنهُما؛ أكثرَ مِمَّا تَحَكَّمَ فيها العقلُ والعِلمُ والدّينُ، وكانتِ الشِّفاهُ والأقلامُ التّي تَعْمَلُ بتوجيهٍ وإيحاءٍ أكثرَ سيطرةً وعلنيّةً مِنَ الأقلامِ والشِّفاهِ المستقِلّةِ"[1].

ويقولُ أيضًا: "ورُغْمَ أنَّ الأستاذَ أبا زهرةَ يَعترِفُ أنَّ الإباضيّةَ يتّسِمونَ بالاعتدالِ ويُنصِفونَ مُخالفِيهِم، وأنَّ لَهُمْ فِقهًا جيّدًا مُدوّنًا، وأنَّ لِعلمائِهِم جهودًا في تحريرِ مَذْهَبِهِمْ، فإنَّ هذا كلَّهُ لمْ يَشْفَعْ للإباضيّةِ عندَ أبي زهرةَ أنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ نِطاقِ الخوارجِ، إلاَّ أنَّ موقِفَهُ مِنَ الإباضيّةِ كانَ موقِفَ الرّجلِ الذّي يَعْرِفُ الحقَّ في قضيّةٍ مِنَ القضايا فَيَدُورُ حَوْلَهُ، وَيَصِفُهُ مِنْ بَعِيدٍ، ولاَ يجسرُ أنْ يُعلِنَهُ صراحةً؛ لأنَّ رواسبَ مُعَيَّنَةً تحُولُ دونَ ذلكَ"، "والأستاذُ أبو زهرةَ يَعِيشُ في القاهرةِ، وفي القاهرةِ يَعِيشُ معهُ عددٌ كبيرٌ مِنْ علماءِ الإباضيَّةِ الموثوقِ بهم، وَفِيهِمْ أصدقاءُ للشيخِ أبي زهرةَ، وفي القاهرةِ يوجدُ دارُ الكُتبِ، وفي دارِ الكُتبِ مجموعةٌ قَيِّمَةٌ مِنْ كُتبِ الإباضيَّةِ، ما بينَ مطبوعٍ ومخطوطٍ ومُصوَّرٍ؛ مِنْهَا في العقائدِ، ومنها في الفقهِ، ومنها في الأصولِ، ومنها في التاريخِ، ومنها في الشغبِ الحاصلِ بينَ فِرَقِ الأمَّةِ والاحتجاجِ والردِّ. ولاَ شكَّ أنَّ الأستاذَ أبا زهرةَ اطَّلَعَ على بَعْضِهَا، ومِنْ ذلكَ

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص١٠١ - ١٠٢.

الاطِّلاعِ عَرفَ أنَّ للإباضيَّةِ فِقهًا جيِّدًا مُدوَّنًا، وحَكَمَ بأنَّهُمْ مُعتدلونَ مُنْصِفُونَ لِمُخالفِيهِم. وكنَّا نتوقَّعُ منهُ عندَمَا يُريدُ أنْ يذكرَ جملةً مِنْ مقالاتِهِم أنْ يَسْلُكَ أحدَ مَنْهَجَيْنِ: إمَّا أنْ يُعبِّرَ عنْ مقالاتِهِم بِلُغَتِهِ وأسلوبِهِ هوَ، وأنْ يُقَرِّرَهَا بعباراتِهِ بعدَ أنْ يَسْتَوْعِبَهَا مِنْ مصادِرِهِم، وإمَّا أنْ يَنْقلَ نفسَ عباراتِهِم، ويُثبتَ نفسَ النصوصِ التي اسْتَعْمَلُوهَا، وهذا المنهجُ أدقُّ وأَدْعَى إلى الاطمئنانِ بالنسبةِ للقارئِ العادِي الذي لاَ يعرفُ مقالاتِهِم"[1].

"فلماذَا لمْ يَعْتَمِدِ الأستاذُ أبو زهرةَ على كُتُبِ الإباضيّةِ؟ أوْ إذا كانتِ المصادرُ التي بَيْنَ يديهِ مِنْ كُتُبِهِمْ غيرَ كافيةٍ، أَفَلاَ يكونُ مِنْ واجبِهِ - وهوَ يَقِفُ موقفَ المُحقِقِ - أنْ يَعْمَلَ على الحصولِ على ما يَكْفِيهِ منها، ولوْ نالَهُ مِنْ أجلِ ذلكَ بعضُ التعبِ المادِّي أوِ البدنيِّ؟".

"لقدْ رجعَ الأستاذُ أبو زهرةَ إلى مصادرَ قديمةٍ لمْ يَتَوَفَّرْ لها التحقيقُ، ولمْ يَتَيَسَّرْ لها الوضوحُ، ولمْ تَتَّصِفْ بالنزاهةِ إزاءَ جميعِ مَنْ تَكْتُبُ عنهُمْ؛ فَنَقَلَ كلامَ تلكَ المصادرِ دُونَ تصرُّفٍ في بعضِ الأحيانِ، أوْ بِتَصَرُّفٍ قليلٍ، كأنَّمَا يُرِيدُ هوَ الآخرُ أنْ يلجأَ إلى الغموضِ؛ لأنَّ التحقيقَ العلميَّ والتعبيرَ الواضحَ

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص١٠٣ – ١٠٤

قدْ يَكْشِفُ أنَّ الحقَّ بجانبِ فِرقةٍ يُرادُ وَضْعُهَا في إطارٍ معيّنٍ مَهْمَا كانتِ الظروفُ[1].

أمَّا قولُ أبِي زهرةَ: "فَهُمْ يُسِرُّونَ في أنفُسِهِم أنَّ دارَ المُخالفينَ وَدِمَاءَهُمْ حرامٌ"، هكذا بالحَرفِ الواحدِ. ولَيْتَ شِعْرِي إذَا كانُوا يُسِرُّونَ ذلكَ في أنفسِهِم فكيفَ اطَّلَعَ عليهِ الأستاذُ أبو زهرةَ؟ ثمَّ أيَّةُ نفسٍ هذهِ التي يَحْتَفِظُونَ فيها بهذَا السرِّ العظيمِ؟ هلْ هيَ نفسٌ فرديَّةٌ أمْ نفسٌ جماعيَّةٌ؟ ثمَّ مَنْ هذا الذي أَخْرَجَ هذا السِّرَّ وَبَاحَ بهِ؟ مَنْ هذا الذي أفشَى سرَّ الإباضيَّةِ؟ إنَّهُمْ لَوْ عَرَفُوهُ لَقَطَعُوا لِسَانَهُ!! ما كُنَّا نتوقَّعُ مِنْ قلمٍ مِثلِ قَلمِ أستاذِنَا الكبيرِ أنْ يَخُطَّ هذا الكلامَ الذي لاَ يُصدِّقُهُ عقلٌ يَحْتَرِمُ نَفْسَهُ، وَلَكِنْ ما الحيلةُ والأستاذُ يريدُ أنْ يعيشَ في تلافيقِ عصرٍ يلعبُ بالكلامِ ويُحاربُ بالإيهامِ، ويُناقشُ بالإبهامِ"[2]؟!

"لِمَاذَا يقفُ شيخُنَا أبو زهرةَ مِنَ الإباضيَّةِ هذَا الموقفَ؟ أكلُّ ذلكَ لأنَّ أقلامًا يحترمُهَا ذكرتْ أنَّ الإباضيَّةَ فِرقةٌ مِنَ الخوارجِ؟ وماذَا يَضُرُّ أبا زهرةَ لوْ بَحَثَ بِنَفْسِهِ عنْ مَعْنَى الخارجيَّةِ في عقائدِهِم وسلوكِهِم ليتحقَّقَ مِنَ الحُكْمِ عليهم، وَلَعَلَّهُ لَوْ فَعَلَ لَوَجَدَ معنَى الخارجيَّةِ بالعقيدةِ والسلوكِ أَوْضَحَ وأَظْهَرَ

[1] - المصدر نفسه، ص١٠٤.

[2] - المصدر نفسه، ص١١٠

في كثيرٍ مِمَّنْ يَرْمِي الإباضيَّةَ بذلكَ، مِصْدَاقًا للمثلِ العربيِّ القديمِ (رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ)، ولَمَا وَجَدَ في عقائدِ الإباضيَّةِ وَسُلُوكِهِمْ أيَّ أثرٍ للخارجيَّةِ"[1].

ثانيًا: الرَّدُّ علَى عليّ مصطفى الغوابي

ففِي تقسيمِهِ الإباضيَّةَ إلى فِرَقٍ يقولُ الشيخُ علي يحيى معمّر: "وقدْ سَبَقَ أنِ اطَّلَعَ القارئُ الكريمُ على هذه الفِرَقِ المزعومةِ عندَ الكُتّابِ الأقدمِينَ كأبي الحسنِ ومَنْ ذُكِرَ بَعْدَهُ بِتَفْصِيلٍ أَكْثَرَ. وَعَلِمَ هناكَ أنَّهُ لاَ أساسَ لهذهِ الفِرَقِ الفرعيّةِ إلى الإباضيّةِ، وأنَّ ما يُنْسَبُ إليها مِنَ المقالاتِ لاَ يقولُ بهِ الإباضيّةُ، ومنهُ ما يَحْكُمُونَ على قَائِلِهِ بِالْكُفْرِ"[2].

أمَّا قولُ الغوابي: "أمَّا الإباضيّةُ فقدْ تَسَاهَلُوا في كثيرٍ منَ الأحكامِ التّي كانَ يَتَشَدَّدُ فيها سَلَفُهُمْ...."، فواضحٌ أنَّهُ اسْتَقَى جميعَ معلوماتِهِ عنِ الخوارجِ عامّةً وعنِ الإباضيّةِ خاصّةً مِنْ مصادِرِ غَيْرِهِمْ، فَهُوَ لَمْ يَذْكُرْ أيَّ كِتابٍ مِنْ كُتُبِ الإباضيّةِ كمَا لَمْ يَذْكُرْ أيَّ كتابٍ للخوارجِ إنْ بَقِيَتْ لهمْ كُتُبٌ[3].

---

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص١١٢.

[2] - المصدر نفسه، ص٨٥.

[3] - المصدر نفسه، ص٨٧.

يقولُ الشَّيخُ عليّ يحيى معمَر: "ولستُ أَدْرِي على أيِّ مُسْتَنَدٍ بنَى حُكْمَهُ هذَا، فهوَ فيما يَبْدُو لاَ يعرِفُ أيَّ كتابٍ مِنْ كُتُبِ الإباضيّةِ؛ لأنّهُ لمْ يَذْكُرْ منها شيئًا في مَراجِعِهِ، ومعَ ذلكَ فأنَا أقولُ لهُ: إنَّ تَغَيُّرَ الاجتهاداتِ في غيرِ القطعياتِ مِنْ مَحَاسِنِ هذهِ الشَّريعةِ، ولمْ يَخْلُ منها مذهبٌ مِنَ المذاهبِ الإسلاميّةِ، وقدْ يَتَغَيَّرُ رأيُ عالِمٍ واحدٍ في قضيَّةٍ واحدةٍ فيكونُ لهُ فيها رأيٌ أوْ آراءُ، ولمْ يَكُنْ ذلكَ دليلاً على أنَّ صاحبَ الرَّأيِ الأوّلِ أوْ أنَّ العالِمَ في رأيِهِ الأوّلِ كانَ سَطْحِيًّا أوْ ضَيِّقَ التَّفكيرِ. ومعَ هذا فأنَا أؤكِّدُ للأستاذِ الغوابي أنَّ المسائلَ التّي أَوْرَدَهَا لمْ يتغيَّرْ فيها رأيُ خلَفِ الإباضيّةِ عنْ سَلفِهِمْ فيما عدَا مسألةً واحدةً هيَ مسألةُ أطفالِ المُشركينَ، فقدْ كانتْ عندَ السّلفِ خلافيَّةً، وَرَجَّحَ الخَلَفُ أنَّهُم مِنْ أهلِ الجنّةِ خَدَمًا للمسلِمينَ طِبقًا للأحاديثِ الواردةِ في الموضوعِ"[1].

"إنَّ أحكامَ الأستاذِ الغوابي على الإباضيّةِ كانتْ مبنيّةً على أُسُسٍ غيرِ سليمةٍ، وأَعْتَقِدُ أنَّهُ لوْ عَرَفَ تَارِيخَهُمْ مِنْ مصادرَ صادقةٍ، واطَّلَعَ على مقالاتِهِم كما قالُوهَا وَكَمَا نُسِبَتْ إليهم لَتَغَيَّرَ كثيرٌ مِنْ أحكامِهِ، ومعَ هذا كلِّه فأنَا أعتذرُ عنِ الأستاذِ الغوابي بما يُشبِهُ اعتذارَهُ عنِ الإباضيّةِ، فهوَ ولاَ شكَّ مُخلصٌ في دعوتِهِ محبٌّ لِجَمعِ كلِمةِ المُسلمينِ جميعًا، مُقَدِّرٌ لهمْ في كُلِّ فِرَقِهِمْ، مُعتَزٌّ بهمْ وبأخطائِهِمْ، وإنَّمَا وقعَ في عددٍ مِنَ الانزلاقاتِ بِسببِ جهلِهِ بحقيقةِ

[1] - المصدر نفسه، ص٩٠.

تاريخِهِم، وجهلِهِ بحقيقةِ مقالاتِهِم، وجهلِهِ بالفُروقِ الحقيقيّةِ بينَ المذاهبِ التّي تحدَّثَ عنها وَنَسَبَهَا جميعًا إلى الخوارجِ"[1].

ثالثًا: الرّدُّ علَى عبدِ العزيزِ بنِ محمّدِ بنِ عليٍّ آل عبدِ اللّطيفِ

وذلكَ عندَ قولِهِ: "والآنَ أَسْرُدُ لكَ أخي القارئ القواسمَ المُشتركةَ والأمورَ المُتَّفَقَ عليها بينَ الخوارجِ والإباضيّةِ...."، فيرُدُّ عليهِ الشيخُ ناصرُ بنُ مطرٍ المسقريُّ فيقولُ:

"وأنَا لاَ أريدُ هُنَا مناقشةَ النّقاطِ التّي ذَكَرَهَا إنَّمَا أُريدُ أنْ أُبَيِّنَ خطأَ مَا يُريدُ أنْ يُثْبِتَهُ مِنْ أنَّ التّشابهَ في هذهِ الصفاتِ يدلُّ على أنَّ الإباضيّةَ مِنَ الخوارجِ، فأقولُ: إنَّ هذا تعميمٌ فاسدٌ، السّقطاتُ الشّنيعةُ تأتِي مِنَ التعميماتِ الفاسدةِ، وإنَّ تَشَابُهَ الأسدِ معَ القِردِ في بعضِ الأشياءِ لاَ يَعْنِي أنَّ الأسدَ قِرْدٌ، وكذلكَ تَشَابُهُ بَعْضِ الفِرَقِ في بعضِ العقائدِ والآراءِ"[2].

وإلاَّ فإنَّنَا نَرَى اليهودَ يقولونَ بالرؤيةِ، قالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[3].

---

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٩٨.

[2] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص١٧٨.

[3] - سورة البقرة، الآية: ٥٥.

وقالوا بالخروجِ مِنَ النارِ، قالَ ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

وَوَصَفُوا اللهَ بصفاتِ خَلْقِهِ عِنْدَمَا أُشْكِلَتْ عليهمُ الآياتُ المتشابهةُ. ويقولونَ بالشّفاعةِ لأهلِ الكبائرِ، وقالوا بأنَّ أحبارَنَا ستشفعُ لنا، ويقولونَ إنَّ الذُّنوبَ تُغْفَرُ مِنْ غيرِ توبةٍ، يقولُ ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[2].

فَهَلِ القائلونَ مِنَ المسلمينَ بهذهِ المسائلِ نَعُدُّهُم مِنَ اليهودِ؟![3].

وختامًا لهذا المبحثِ فإنَّ ما يُحسَبُ علَى الكُتّابِ المُعاصرينَ خاصّةً والمُؤرِّخينَ القُدامَى عامّةً هوَ اعتمادُهُم في الحُكْمِ عنِ الإباضيّةِ علَى مصادرَ واحدةٍ مُتَداولةٍ بينَهُم، والأهَمُّ مِنْ ذلكَ عَدَمُ اعتِمادِهِم عَلَى المَصادرِ الإباضيّةِ.

---

[1] - سورة آل عمران، الآية: ٢٤.

[2] - سورة الأعراف، الآية: ١٦٩.

[3] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص١٧٩.

المبحثُ الخامسُ: براءةُ الإباضيَّةِ مِنَ الفِكرِ الخارجيِّ

اختلفتْ دِلالاتُ مصطلحِ الخوارجِ في كِتاباتِ الإباضيّةِ وغيرِهِم، وأبرزُهَا دلالتانِ:

الأولى: همُ الذّينَ رَفَضُوا توقيفَ القتالِ في معركةِ صفينَ سنةَ ٣٧هـ/ ٦٥٨م، ولمْ يَقْبَلُوا التّحكيمَ ومَا نَتَجَ عنهُ، ولمْ يَرْتَضُوا الانحرافَ عنْ نهجِ النّبيِّ ﷺ والحُكمِ الرّاشدِيِّ.

الثانية: همُ الذّينَ حَكَمُوا على غيرِهِم مِنَ المُسلمين بالشّركِ؛ فَاسْتَحَلُّوا دماءَهُم وأموالَهُم وسَبْيَ نسائِهِم، وأخَذُوا بِظاهرِ قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[1].

ومُتقدِّمُو الإباضيّةِ لاَ يُنْكِرونَ نِسْبَتَهُمْ إلى الخوارجِ بالمعنَى الأوّلِ بِوَصْفِهِ خروجًا سياسيًّا، وَيَرْفِضُونَ بِشِدَّةٍ حَشْرَهُمْ في زُمرةِ الخوارجِ بِمعنَى المُروقِ مِنَ الدّينِ.

أمّا أصحابُ المقالاتِ فلاَ يَعْتَبِرُونَ هذَا الفارقَ الجوهريَّ في المُصطلحِ؛ وبِسببِ هذا الخلطِ اضْطُرَّ المتأخرونَ مِنَ الإباضيّةِ إلى رَفْضِ هذِهِ النِّسبةِ مُطلقًا اتقاءً للأحكامِ الدّينيّةِ الخطيرةِ المنْجَرّةِ عَنْهَا.

---

[1] - سورة الانعام، الآية:١٢١.

وكثيرًا ما نَقْرَأُ ونَسْمَعُ ما يَبْذُلُهُ بعضُ المذاهبِ في إلصاقِ الإباضيّةِ بالخوارجِ، وذلكَ لاَ لشيءٍ إلاَّ لقصدِ التّشنيعِ عليهمْ وإظهارِهِم بالفسادِ والمروقِ مِنَ الدّينِ، بلْ إنَّهمْ عِنْدَمَا يَذْكُرُونَ الخوارجَ يقولونَ: الإباضيّةُ حاليًّا[1].

ويُفيدُ اسْتِقْصَاءُ بعضِ المصادرِ أنَّ مصطلحَ الخوارجِ لمْ يَكُنْ مُتداولاً بِلفظِهِ قبلَ سنةِ ٦٤هـ/٦٨٣م، عامَ انْقِسَامِ المُحكِّمةِ إلى قَعَدَةٍ وخوارجَ، وتُرَجِّحُ بعضُ الدّراساتِ أنّهُ تَمَّ تَوْظِيفُ هذا المُصطلحِ في بُعدِهِ الدّينيّ في العهدِ الأمويِّ استنادًا إلى رواياتٍ حديثيّةٍ لأغراضٍ سياسيّةٍ، وذلكَ لمَّا كَثُرَ الخُروجُ على دَوْلَتِهِمْ[2].

ولكنْ مَا الذِي يدلُّ على أنَّهُ لاَ يَنْبَغِي وَصْفُ الإباضيّةِ بأنَّهُمْ خَوَارِجُ؟ والجوابُ أشياءُ كثيرةٌ.

أوَّلاً: إذَا نَظَرْنَا إلى التّعريفاتِ التي أَوْرَدَهَا أصحابُ المقالاتِ للخوارجِ مثلُ الشهرستانيِّ والأشعريِّ نَجِدُهَا عامّةً تَنْطَبِقُ على الكثيرينَ مِنْ أصحابِ الفتنةِ وَغَيْرِهِمْ. فتعريفُ الشهرستانيِّ للخوارجِ: "هوَ كُلُّ مَنْ خَرَجَ علَى الإمامِ

---

[1] - مجموعة مِن الباحثين: معجم مصطلحات الإباضيّة، وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، سلطنة عُمان، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج١، أ – ش، ص٣٣١.

[2] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص١٧٤.

[3] - مجموعة مِن الباحثين: معجم مصطلحات الإباضيّة، مصدر سابق، ج١، أ – ش، ص٣٣٢.

الحقِّ الذي اتَّفَقَتِ الجماعةُ عليهِ، يُسَمَّى خارجيًّا سواءٌ كانَ الخروجُ أيّامَ الصحابةِ على الأئمّةِ الرّاشدينَ أوْ كانَ بَعْدَهُمْ مِنَ التّابعينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ والأئمّةِ في كلِّ زمانٍ".

وتعريفُ الأشعريِّ: "والسببُ الذي سُمُّوا لهُ خوارجَ خُرُوجُهُمْ على عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ".

فإذَا فَكَّرْنَا في التعريفَيْنِ وَجَدْنَاهُمَا يُؤَكِّدَانِ أنَّ سببَ التّسميةِ هوَ الخروجُ على الإمامِ، سواءٌ مَنْ خصَّهُ بالإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ أوْ مَنْ عَمَّمَ، فَمَا الذي جَعَلَ الإباضيّةَ مِنَ الخوارجِ ومعاويةَ وأتباعَهُ لَيْسُوا مِنَ الخوارجِ؟![1].

ثانيًا: إذَا كانُوا يَصِفُونَ الإباضيّةَ بأنَّهُم خوارجُ لِتَأْيِيدِهِمُ المُحكِّمةَ وَيَعْتَبِرُونَ خروجَ المحكِّمةِ مُرُوقٌ مِنَ الدّينِ، فكيفَ يَكُونُ خروجُ المحكِّمةِ عنْ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ مروقًا مِنَ الدّينِ وَخُرُوجُ معاويةَ وأتباعِهِ وَلَعْنُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ علَى المنابرِ ليسَ مروقًا مِنَ الدّينِ؟!. معَ أنَّ خروجَ المحكِّمةِ ليسَ لِطَلَبِ الدّنيا مِثْلَمَا هوَ الحالُ عِنْدَ معاويةَ وعَمرِو بنِ العاصِ، ولمْ يُنْسَبْ إليهم أيُّ قولٍ أوْ فِعْلٍ يَدُلُّ علَى مُرُوقِهِمْ مِنَ الدّينِ، وَالخوارجُ الذينَ نُسِبَتْ إليهمْ أعمالٌ وأقوالٌ تَدُلُّ على المروقِ مِنَ الدّينِ بَدَؤُوا

[1] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص١٧٤.

مِنْ نافعِ بنِ الأزرقِ بعدَ أكثرَ مِنْ ثلاثينَ سنةً، وَإِنَّمَا أَنْكَرَ المحكّمةُ علَى عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ تَوَقُّفَهُ عنْ قتالِ البُغاةِ وَتَحْكِيمَ الحَكَمَيْنِ في شيءٍ حَكَمَ اللهُ فيهِ بِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[1].

ثالثًا: إنَّ اسْمَ الخوارجِ يُطْلَقُ على الفِرَقِ التي مَرقتْ مِنَ الدّينِ لحُكْمِهِمْ علَى المسلمينَ بأحكامِ المشركينَ مثلِ جوازِ قتلِ المسلمينَ وَسَبْيِ نسائِهِم وذرّياتِهِم وغَنْمِ أَمْوَالِهِمْ، ويدلُّ على ذلكَ ما نَرَاهُ مِنْ تفسيرِ أحاديثِ المروقِ مِنَ الدّينِ فيهِم، وإنْ كانَ علماءُ الإباضيّةِ يقولونَ: ليسَ بالضرورةِ أنْ تكونَ هذهِ الأحاديثُ خاصّةً بِهِمْ؛ إذْ يُمْكِنُ أنْ تَشْمَلَ علماءَ السوءِ في كلِّ زمانٍ، فإنّهم يَتَّفِقُونَ معَ مَنْ يقولُ: إنّ هذهِ الفِرَقَ مثلَ الأزارقةِ والصّفريّةِ وغيرِهِم مَرقتْ مِنَ الدّينِ[2].

فالإباضيّةُ لَيْسُوا منهُم؛ لأنّهم لمْ يُشَارِكُوهُمْ في السببِ الذي سُمُّوا مِنْ أَجْلِهِ بهذا الاسمِ، وتسميةُ الإباضيّةِ بالخوارجِ هوَ مِنْ بابِ التّنابزِ بالألقابِ الذي نَهَى اللهُ ﷻ عنهُ، خاصّةً أنَّ المعنَى المُعوَّلَ عليهِ في عَصْرِنَا الحاضرِ هوَ المروقُ مِنَ الدّينِ؛ لأنّهُ لاَ يكادُ يُذْكَرُ أحدُ الخوارجِ إلاَّ وَيَرْبِطُهُ بِأَحَادِيثِ

---

[1] - سورة الحجرات، الآية: ٩.

[2] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص١٧٥ – ١٧٦.

المروقِ مِنَ الدّينِ. وحتَّى على فَرْضِ أَنَّ المحكّمةَ الذينَ يُؤَيِّدُهُمُ الإباضيّةُ يُسَمَّوْنَ بالخوارجِ فَلاَ يَنْطَبِقُ علَى الإباضيّةِ، فالفِرقةُ الإسلاميّةُ تُسمَّى بإمامِهَا الذي اقْتَنَعَتْ بآرائِهِ، والإباضيّةُ لهمُ اسْمٌ مُسْتَقِلٌّ وَلَهُمْ أَئِمَّةٌ.

رابعًا: إنَّ الحُجَّةَ التي يَحْتَجُّونَ بها علَى أنَّ الإباضيّةَ مِنَ الخوارجِ هيَ كَوْنُ الإباضيّةِ يَتَّفِقُونَ معَ الخوارجِ في بعضِ النقاطِ القليلةِ، ولكنْ هذهِ حُجَّةٌ واهيةٌ؛ لأنَّ الفِرَقَ الإسلاميّةَ لابدَّ أنْ تَلْتَقِيَ معَ بَعْضِهَا في بعضِ النقاطِ.

وبالرّغمِ مِنْ هذا كلِّهِ أَخَذُوا يَتَّبِعُونَ شتَّى الأساليبِ في إثباتِ هذهِ التّهمةِ لمُحَاولةِ التّلاعبِ بعقولِ النّاسِ بإظهارِ الأسلوبِ العقليِّ في بعضِ الأحيانِ[1].

وقدْ سَبَقَ إلَى أذهانِ كثيرٍ منَ النّاسِ - بِسببِ أخطاءِ المؤرّخينَ وكُتّابِ المقالاتِ - أنَّ الإباضيَّةَ فِرقةٌ مِنَ الخوارجِ، وأنَّها - في عقائدِهَا وآرائِهَا - معتدلةٌ بالقياسِ إلى الخوارجِ، ومُتطرِّفةٌ بالقياسِ إلَى أهلِ السُّنَّةِ. وهذا مَفْهُومٌ خاطئٌ يجبُ أنْ يَخْتَفِيَ؛ فالإباضيّةُ لَيْسُوا مِنَ الخوارجِ، وإنَّما نَشَؤُوا عندَمَا عَدَا الخوارجُ لمُجابهةِ الخوارجِ، وَلَيْسُوا مُتطرّفينَ بالنسبةِ إلى أهلِ السنّةِ لاَ

[1] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص١٧٧.

في السياسةِ ولاَ في العقائدِ ولاَ في الفقهِ، وإنّما يَتَّفِقُونَ معَ كلِّ مَذهبٍ في مواضعِ اعتدالِهِ[1].

وقدْ سبقَ أيضًا إلَى أذهانِ النّاسِ - بِسَبَبِ خطأِ المؤرّخينَ في رَبْطِ الأحداثِ - أنَّ المُحكِّمةَ الذينَ قَتَلَهُم أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ في "وقعةِ النهروانِ" همْ أصلُ الخوارجِ، وهوَ مَفْهُومٌ خاطئٌ، فإنَّ المُحكِّمةَ قدْ قُتِلُوا في "النهرِ" وَلَمْ يَنْجُوا مِنْهُمْ إلاَّ تسعةُ أفرادٍ، ثمَّ ثارَ علَى الحُكمِ الأمويِّ طوائفُ كثيرةٌ مِنَ الناسِ جماعاتٍ وأفرادًا، حتَّى ظَهَرَ الخوارجُ في أواخرِ ولايةِ ابنِ زيادٍ سنةَ ٦٤هـ بقيادةِ نافعِ بنِ الأزرقِ، فمعركةُ النّهروانِ هيَ فِتنةٌ بينَ الصّحابةِ وقعتْ بينَ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ والمُحكِّمةِ.

فالخُرُوجُ نَوْعَانِ:

- خروجٌ سياسيٌّ؛ كخُروجِ الحُسينِ وابنِ الزّبيرِ وبلالٍ والمختارِ وسليمانَ بنِ جردٍ وَغَيْرِهِمْ.

- وخُروجٌ سياسيٌّ دينيٌّ؛ وهوَ الخُروجُ الذّي ابْتَدَأَهُ نافعُ بنُ الأزرقِ، وَسَارَ عليهِ الخوارجُ مِنْ بَعْدِهِ[1].

---

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٤٦٢.

أَعْتَقِدُ أنَّ في الملاحظاتِ السّابقةِ الجوابَ المُقنعَ عنْ حَيْرةِ أولئكَ الّذينَ يربطونَ العلائقَ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ، كما أنّهُ يَكْفِي لإقناعِ أولئكَ الذّينَ يُرِيدُونَ أنْ يَحْسِبُوا الإباضيّةَ فِرقةً مُتفرِّعةً عنِ المعتزلةِ أوِ الأشاعرةِ، أوْ غَيْرِهِمْ مِنَ المذاهبِ الإسلاميّةِ المتعدِّدةِ.

ومِنْ هذهِ المُلاحظةِ أيضًا يَتَّضِحُ أنَّ الإباضيّةَ قدْ يَتَّفِقُونَ في بعضِ وُجهاتِ النّظرِ معَ الخوارجِ، أوْ معَ المُعتزلةِ، أوْ معَ الأشاعرةِ، ولكنّها ليستْ فِرقةً مِنْ هذهِ الفِرَقِ؛ لأنّها تختلِفُ عنْ كلِّ واحدةٍ مِنْ هذهِ الفِرقِ في بعضِ أصولِ العقائدِ، أوْ بعضِ أصولِ العملِ، إنَّهَا تَخْتَلِفُ عَنْ تلكَ الفِرقِ جميعًا في الآراءِ التّي بَعُدَتْ فيها تلكَ الفِرَقُ عنْ رُوحِ الإسلامِ[٢].

فالإباضيّةُ لاَ يُكَفِّرُونَ أحدًا مِنَ المُسلمينِ طَالَمَا أنّهُ متأوِّلٌ، لَكِنْ قدْ يُطلِقونَ على العاصِي بأنَّهُ كافرُ كُفرَ نعمةٍ بِمَعْنَى أنّهُ لمْ يَشْكُرِ النِّعمةَ وَاسْتَخْدَمَهَا في معصيةِ اللهِ، وهذَا ما يُسمَّى كُفْرًا دُونَ كُفْرٍ[٣].

---

[١] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٤٩٥.

[٢] - علي يحي معمّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص٣٩.

[٣] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص١٦٠ – ١٦١.

فالإباضيّةُ حَسَبَ أصولِهِمُ العمليّةِ، وَحَسَبَ تعامُلِهِم معَ بقيّةِ المُسلمينَ مِنْ مُخالفِيهِم، وَحَسَبَ السّيرةِ الواقعيّةِ التّي سَجَّلَهَا لهمُ التّاريخُ في مُختلفِ العُصورِ؛ يُعْتَبَرُونَ أَبْعَدَ الفِرَقِ الإسلاميّةِ جميعًا عنِ الخوارجِ[1].

الواقعُ أنَّ المصادرَ الإباضيّةَ قديمًا وحديثًا تؤكِّدُ أنَّ الخِلافَ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ بعدَ الافتراقِ الحاصلِ سنةَ ٦٤هـ خِلافٌ جوهريٌّ؛ لأنّهُ خِلافٌ عقديٌّ كمَا ذَكَرْنَا، ومِنْ ثَمَّ فإنَّ كلَّ ما يُقالُ مِنْ تقارُبٍ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ - إذَا مَا نَظَرْنَا إليهِ مِنْ هذهِ الزاويةِ الأساسيةِ - يَغْدُو باطلاً، وإذَا حَصَلَ في بعضِ المسائلِ الأخرَى تقارُبٌ، فإنّهُ يَغْدُو تقاربًا سياسيًّا أَمْلَتْهُ ظروفٌ زمانيّةٌ أوْ مكانيّةٌ، ولاَ علاقةَ لهُ بالعقيدةِ أوِ المذهبِ، وليسَ أدلَّ على ذلكَ مِنْ موقفِ أئمّةِ الإباضيّةِ وعلمائِهِم وفتاواهُم ضدَّ الخوارجِ عبرَ العصورِ[2]، مِنْ ذلكَ موقفُ الإمامِ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ في رسالتِهِ إلى عبدِ الملكِ بنِ مروانَ - وقدْ سَبَقَ ذِكْرُهَا في مبحثِ موقفِ الإباضيّةِ مِنَ الخوارجِ - حيثُ حَدَّدَ موقفَ أتباعِهِ وبراءَتَهُ مِنَ الأزارقةِ قائلاً: "إنَّا نَبْرَأُ إلى اللهِ مِنَ ابنِ الأزرقِ وأتباعِهِ منَ النّاسِ، لَقَدْ كَانُوا خَرَجُوا حينَ خَرَجُوا على الإسلامِ

[1] - علي يحي معمّر: الإباضيّة في موكب التّاريخ، الحلقة الأولى، نشأة المذهب الإباضي، مصدر سابق، ص٣٩.

[2] - محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، مصدر سابق، ص٥١.

فِيمَا ظَهَرَ لَنَا، ولكنَّهُم ارْتَدُّوا عنهُ، وَكَفَرُوا بعدَ إيمانِهِم، فنبرأُ إلى اللهِ منهُمْ"[1].

وسبقَ الإمامُ ابنُ إباضٍ موقفَ أبي بلالٍ الذي حرَّمَ على أتباعِهِ الخروجَ واستعراضَ النَاسِ بالسّيفِ، وَاعْتَبَرَ ذلكَ ظلمًا وعُدوانًا، وَدَعَا إلى التّقيّةِ، وَحَرَّمَ خُرُوجَ النساءِ وتبرَّأَ مِنْ قُريبٍ وزحافٍ وَحَرَكَتِهِمَا عِنْدَمَا خَرَجَا في البصرةِ[2].

أمَّا فِعْلُ أبِي بلالٍ مرداسِ بنِ حُديْرٍ، وهوَ مِنَ المحكّمةِ الأولَى فَهُوَ فِعْلُ المُعارِضِ الواعِي الخارجِ على السّلطانِ الجائرِ؛ لأنَّهُ يَرَى أنَّ الإقامةَ: "على

---

[1] - سرحان بن سعيد الازوكي، كشف الغُمّة الجامع لأخبار الأمّة، مصدر سابق، ج١، ص٥٩٨.
- أبو الرّبيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الإباضيّة، مصدر سابق، ص٢٥.
- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي: الجواهر المنتقاة، مصدر سابق، ص١٦٥.
- مخطوط في مكتبة الشيخ ناصر بن راشد الخروصي، عُمان، تصوير من نسخة مصوّرة في مكتبة عمّي سعيد، غرداية، الجزائر، مصدر سابق، ص٢٧٤.
- عدّون جهلان: الفكر السّياسي عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٩٣.
- صالح بن محمد الشيخ صالح: دور التعليم المفتوح في انتشار المنهج التربوي لأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي، مصدر سابق، ص٢٠٩.

[2] - زاهر بن سعود بن سيف السّيابي: الخوارج، الإمتداد الفكري بين الأزارقة والوهابيّة، مصدر سابق، ص٢٧.
- محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، مصدر سابق، ص٥١ – ٥٢.

الرِّضَا بالجورِ ذَنْبٌ، وأنَّ تجريدَ السّيفِ وإخافةَ النّاسِ عظيمٌ". لذلكَ اختارَ السّيرَ في أرضِ اللهِ وعدمَ تجريدِ السّيفِ ما دامَ السّلطانُ وجنودُهُ لمْ يُلاحِقُوهُمْ بِأَذًى، فإنْ أَرَادَهُمُ السّلطانُ وقومُهُ بِظلمٍ حَقَّ لَهُمُ الامتناعُ عَنْهُمْ دِفَاعًا عنِ النّفسِ[1].

يَكْفِي دليلاً موقفُ الإمامِ جابرٍ الذي كانَ يُجَادِلُهُمْ بالحجّةِ والبرهانِ في مناسباتٍ عديدةٍ، وبالعودةِ إلى سيرةِ سالمِ بنِ ذكوانَ[2] المعاصرِ للإمامِ جابرٍ، وَأَحَدِ أعلامِ الإباضيّةِ الأوائلِ، نَلْحَظُ مِنْ خلالِ المسائلِ التّي نَاقَشَهَا وجادلَ

---

[1] - مجموعة مِن الباحثين: معجم مصطلحات الإباضيّة، مصدر سابق، ج١، أ – ش، ص٣٣٢.

[2] - سالم بن ذكوان: هو سالم بن ذكوان الهلالي (حي بين: ٩٩ – ١٠١هـ/٧١٧ – ٧١٩م)، من مواليد "توأم" بعُمان، أحد التّابعين، ومن أركان الحركة الإباضيّة في عهد نشأتها، فقد كانَف الإمام جابر بن زيد، وخليفته أبا عبيدة مسلم، ولكفاءته العلميّة والسّياسيّة، اختاره أبو عبيدة ليكون ضمن الوفد الذي يتفاوض مع الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ﷺ، لمّا رأوْا فيه من حسن نيّة في إصلاح الأوضاع، من إماتة البدع والظّلم الذّي تفشّى في المجتمع، وإحياء السّنن المهجورة. فتوصّلوا إلى نتائج إيجابيّة. له سيرة تُعرف بـ: (سيرة سالم بن ذكوان)، يعرض فيها المبادئ الأساسيّة التّي يقوم عليها مذهب أهل الاستقامة؛ وهو أحد القُرّاء المشهود لهم بالعلم، وقد روى عن عبد الله بن عامر الشّامي.

– مجموعة من الباحثين: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، قسم المغرب، ج٣، من حرف السين إلى الغين، ص٣٤٧.

الخوارجَ فيها رَفْضًا صريحًا وحاسمًا لكلِّ آرائِهِم ومواقِفِهِم، وَرُدُودُهُ فيمَا نَحسبُ مِنْ أَقْوَى ما كتَبَهُ المُخَاصِمُونَ للأزارقةِ والنّجداتِ وغيرِهِم[1].

وجعفرُ بنُ السّماكِ[2] الذّي قاتَلَهُم معَ الحبيبِ بنِ المُلهبِ وحتَّاتِ بنِ كاتبٍ[3]، فقُتِلاَ في حَرْبِهِمْ، فَتَكَلَّمَ النّاسُ فيهما، لكنَّ أبا عبيدةَ أَظْهَرَ ولاَيَتَهُمَا وَاعْتَبَرَ جهادَ الخوارجِ طاعةً لاستحلالِهِم مَا حَرَّمَ اللهُ مِنْ دماءِ المسلمينَ وأموالِهِم[1].

---

[1] - محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، مصدر سابق، ص ٥٢.

- سيف بن أحمد البوسعيدي: حَمَلة العِلم إلى المَغرب، ودورهم في الدّعوة الإسلاميّة، مصدر سابق، ص٢٩.

[2] - جعفر بن السماك "العبدي" (حي بين: ٩٩ – ١٠١هـ/٧١٧ – ٧١٩): تابعيٌّ عالم، وشيخٌ نبيه. أخذ العلم عن جابر بن زيد بالبصرة، وغير بعيد ان يكون أخذ عن مجموعة من الصّحابة خاصّة أنس بن مالك ﷺ، قال الدّرجيني: "هو شيخ أبي عبيدة، وكان ما حفظ عنه أبو عبيدة أكثر ممّا حفظه عن جابر"، وهو من أبرز المُحكّمة المُنكرين لجور الأمويّين، وكان ضمن الوفد الإباضي الذي وفد على الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز، للنّظر معه في شؤون الأمّة الإسلاميّة، وللاعتراف بإمامته وتقديم الولاء له، وكان له الفضل في منع سبّ الأمويّين للإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ علَى المنابر.

- مجموعة من الباحثين: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، قسم المغرب، ج٢، من حرف الألف إلى الزّاي، ص٢٢٦.

[3] - الحتّات بن كاتب "أبو عبد الله"(حي بين ٩٩ – ١٠١هـ/٧١٧ – ٧١٩م): عراقي من بني تميم، سكن توَامْ أو تواثمْ، واسمها اليوم البُريمي (واحة بدولة الإمارات، تابعة لسلطنة عمان)، وقيل إنّه كان ينزل بسدّ نزوى من عمان. اشتهر بالفقه والعلم، وهو من الأوائل الذين

وَنَذْكُرُ أيضًا موقفَ الإمامِ الربيعِ بنِ حبيبٍ الفراهيديِّ صاحبِ المسندِ الصحيحِ الذي كانَ يَبْرَأُ منَ الخوارجِ[2]، فحينَ تَحَدَّثَ الناسُ إليهِ عَنْهُمْ وعنْ مُعْتَقَدَاتِهِمْ قالَ: "دَعُوهُمْ حَتَّى يَتَجَاوَزُوا القَوْلَ إلى الفعلِ، فإنْ بَقَوْا على قولِهِمْ فَخَطَؤُهُمْ مَحْمُولٌ عليهمْ، وَإِنْ تَجَاوَزُوهُ إلى الفعلِ حَكَمْنَا فيهمْ بِحُكْمِ اللهِ"[3].

سعَوا لنشر مبادئ حركة أهل الدّعوة والاستقامة. وكان ضمن الوفد الذي قاده أبو الحرّ عليّ بن الحصين، للتّفاوض مع الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ﷺ، في قضايا الأمّة الإسلاميّة؛ وكان لهم الفضل في منع سبّ الأمويّين للإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ علَى المنابر. وكانت له علاقة طيّبة وصداقة مع الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز.

- مجموعة من الباحثين: معجم أعلام الإباضيّة، مصدر سابق، قسم المغرب، ج٢، من حرف الألف إلى الزاي، ص٢٤٣ – ٢٤٤.

[1] - محمد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضية، مصدر سابق، ص ٥٢.

[2] - عامر النّجّار: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، مصدر سابق، ص٨٧.

- عامر النّجّار: في مذاهب الإسلاميّين، الخوارج، الإباضيّة، الشّيعة، مصدر سابق، ص١٠٢.

[3] - أبو اسحاق ابراهيم اطفيّش: الفرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص ٠٢.

- محمّد ناصر بوحجّام: توضيح مكانة الإباضيّة من الخوارج، مصدر سابق، ص١١.

- سيف بن سالم الهادي: الإباضيّة والمالكيّة في الغرب الإسلامي، علاقة فكريّة وتاريخيّة، مصدر سابق، ص٧٥- ٧٦.

- محمّد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص ٥٢.

وبناءً على ما سَبَقَ يَتَّضِحُ لنَا بصورةٍ جليّةٍ أنَّ ما احْتَوَتْ عليهِ المؤلّفاتُ والمقالاتُ الإباضيّةُ القديمةُ هوَ نَفْيٌ قَوِيٌّ لكلِّ نقطةِ اتّفاقٍ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ، وَلاَ سِيَّمَا في القضايا ذاتِ الطَّابعِ العقديِّ، وَنُقْطَةُ الاتّفاقِ الوحيدةِ بينَ الطّرفَيْنِ هيَ توافُقُ رَأْيِهِمَا حولَ التّحكيمِ وعدمِ اشتراطِ القُرشيّةِ في الإمامِ، وهيَ قضايَا سياسيّةٌ، وبالتالِي نَرَى الْمُؤَرِّخِينَ الإباضيّةَ - إلاَّ مَنْ شَذَّ - يُصِرُّونَ علَى تأكيدِ هذهِ الحقيقةِ التاريخيّةِ الهامّةِ التي قدْ يَغْفَلُ عنها المؤرخونَ مِنْ غيرِ الإباضيّةِ، أوْ هُمْ لاَ يُولُونَهَا مَا تَسْتَحِقُّ مِنَ الدراسةِ والاهتمامِ، على أنَّنَا نَجِدُ في بعضِ كُتبِ التاريخِ القديمةِ مِنَ المواقفِ والأحداثِ التّاريخيّةِ ما يَدُلُّ دلالةً قطعيّةً على اختلافِ منهجِ الإباضيّةِ عنِ الخوارجِ، بلْ عنْ حروب ووقائعَ بَعْضُهَا في عُمانَ وَبَعْضُهَا الآخرُ في المغربِ الأوسطِ، تُؤَكِّدُ العداءَ المُستَحكَمَ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ[1].

وهوَ ما يُلَخِّصُهُ الشيخُ أبو إسحاقَ - مِنْ مُفَكِّرِي الإباضيّةِ المعاصرينَ - حيثُ يقولُ: "فَلَمَّا ظَهَرَتْ بِدْعَتُهُمْ طَرَدَهُمْ أصحابُنا مِنْ مجالسِهِم وَطَارَدُوهُمْ في كلِّ صوبٍ مُعْلِنِينَ البراءةَ منْهُمْ، فَلَمَّا تَجَاوَزُوا القولَ إلى الفِعْلِ أَعْلَنُوا الحُكمَ بِكُفْرِهِمْ؛ لأنَّ الكُفرَ في استحلالِ ما حرَّمَ اللهُ نصٌّ في كتابٍ

[1] - محمّد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٥٣.

قَطْعِيٍّ، وَقَدِ اسْتَشْرَى فِعلُهُم يومَئذٍ، فاشتدُّوا على أهلِ التوحيدِ بِفِتْنَتِهِمْ فَسَلُّوا السَّيُوفَ علَى الرّقابِ بغيرِ ما أَنْزَلَ اللهُ فعَظُمَتْ مِحْنَتُهُمْ، فكانَ بلاءً عَظِيمًا[1].

يقولُ الشيخُ عليّ يحيى معمَر وهوَ إباضيٌّ معاصِرٌ حريصٌ علَى إظهارِ هذهِ الحقيقةِ في كتابِهِ: "إنَّ الإباضيّةَ لاَ يُرِيدُونَ أنْ يَنْتَسِبُوا إلى الخوارجِ، ولاَ يَحْسِبُونَ أنفسَهُم كذلكَ، ولاَ يَعْتَزُّونَ بالخارجيّةِ بِسَبَبٍ بسيطٍ؛ لأنَّهُمْ لاَ يَحْكُمُونَ على غَيْرِهِمْ مِنَ المسلمينَ بأحكامِ المشركينَ، ولاَ يُنفِّذونَ فيهم تِلْكَ الأحكامَ[2].

ويقولُ أيضًا: "لَيْسَتِ الخارجيّةُ نَسَبًا ولاَ صِهْرًا، ولوْ وَجَدْنَا اليومَ واحدًا مِنْ سُلالةِ نافعِ بنِ الأزرقِ أوْ شبيبٍ[3] وغزالةَ، وَلَيْسَتْ لَدَيْهِ العقائدُ

---

[1] - أبو اسحاق ابراهيم اطفيّش: الفرق بين الإباضيّة والخوارج، مصدر سابق، ص٥ – ٦.
- محمّد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٥٣.

[2] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٥٤٦.
- محمّد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٥٤.

[3] - هو شبيب الخارجي، أبو الضحّاك شبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمر بن الصّلب بن قيس بن شراحيل بن مرّة ين همّام بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة الشّيباني الخارجي؛ كان خروجه في خلافة عبد الملك بن مروان، والحجّاج بن يوسف الثّقفي بالعراق يومئذٍ، وخرج بالموصل، فبعث إليه الحجّاج خمسة قوّاد، فقتلهم واحداً بعد واحد، وكان شبيب قد ادّعى الخلافة، ولمّا عجز الحجّاج عن شبيب بعثَ عبد الملك إليه عساكر كثيرة مِن الشّام

التي تُنْسَبُ إلى الخوارجِ لَمَا قُلْنَا إنَّهُ خارجيٌّ، ولَمَا حَكَمْنَا عليهِ بِحُكمِ الخوارجِ"[1].

ويقولُ الدكتورُ عليّ العشي: "وحقيقةً إنَّ ما يَجْمَعُنَا أكثرَ مِمَّا يُفَرِّقُنَا، فالاختلافُ اليومَ بينَ الإباضيّةِ وَبَيْنَنَا لاَ يَعْدُو بضعةَ مسائلَ أكثرُهَا إمَّا في الفروعِ، وليسَ هذا باختلافٍ، وإنَّمَا هوَ تخيُّرٌ وتوسعةٌ وتخفيفٌ مِنَ المحنةِ، وَبَعْضُ اختلافاتٍ في عِلْمِ العقيدةِ وَلَيْسَ في العقيدةِ، فَنَحْنُ وإيَّاهُم مُتّحِدُونَ مُتّفِقُونَ في أركانِ الإيمانِ الستَّةِ وأركانِ الإسلامِ الخمسةِ وكلِّ مَا هُوَ مَعْلُومٌ مِنَ الدّينِ بالضّرورةِ، وعندَ تَحْرِيرِ محلِّ النّزاعِ في بعضِ الخلافاتِ التّي تُدْرَجُ ضِمْنَ مسائلِ العقيدةِ نَجِدُهَا تَنْدَرِجُ ضِمْنَ اختلافاتٍ كانَ مَنْشَؤُهَا سِيَاسِيًا مثلِ الاختلافِ في حُكْمِ مُرتكِبِ الكبيرةِ، وَمَسْأَلَةِ خَلْقِ القرآنِ، أوِ

عليها سفيان بن الأبرد الكلبي، فوصل إلى الكوفة، وخرج الحجّاج أيضا، وتكاثروا على شبيب، فانهزم. وكان مولده يوم عيد النّحر سنة ستّ وعشرين للهجرة، وغرق بدجيل سنة سبع وسبعين للهجرة.

- أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، ج٢، ص٤٥٤ – ٤٥٥.

[1] - عليّ يحي معمّر: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة، عند كُتّاب المَقالات في القديم والحديث، مصدر سابق، ص٥٤٨.

الاختلافِ فيمَا شَجَرَ بينَ الصّحابةِ ومَوقِعةِ النهروانِ، وهيَ قضايَا كمَا تَرَى غَلَبَ عليها الجانبُ السياسيُّ"[1].

ويقولُ أيضًا: "ولكنْ ما أُنَبِّهُ إليهِ أحبَّتَنَا مِنَ الإباضيّةِ هُوَ إصرارُهُم علَى قولِ الكَلمةِ الفَصلِ بِتولِّي أهلِ النّهروانِ، والحالُ أنَّهُم يُقِرُّونَ أنَّ أحداثَ تلكَ الفترةِ كانتْ غامضةً، وأنّها كانتْ فتنةً عمياءَ، والمعلوماتُ حولَهَا شحيحةٌ جدًّا، فإذا كانَ الحالُ كذلكَ فأَرَى مِنْ غيرِ الإنصافِ موالاةَ مَنْ حَارَبُوا عليًّا ﷺ، إذِ الأَوْلَى موالاةُ مَنْ شَهِدَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ بالجنَّةِ، فَلَوْ قالَ الشّيخُ السّالميُّ رحمَهُ اللهُ (وابنُ أبي طالبٍ أَتَوَلَّى....) لكانَ أَسْلَمَ، ولَوْ تَوَقَّفَ في هذهِ المسألةِ لكانَ أَوْفَقَ لهُ ولإخوانِنَا مِنَ الإباضيّةِ"[2].

ثمَّ إنَّ البيعةَ التي بَايَعَهَا أهلُ النّهروانِ لعبدِ اللهِ بنِ وهبٍ الرّاسبيِّ بيعةٌ باطلةٌ؛ لأنّها بَيْعَةٌ تمَّتْ لهُ ولا زالَ الخليفةُ الْمُبَايَعُ وهوَ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ حيًّا، ولمْ يَتَنَازَلْ عنْ مَنْصِبِهِ، ومسألةُ التّحكيمِ ليسَ فيها ما يُشيرُ إلى تَنازُلِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وقدْ دَعَا المحكِّمةَ مِرارًا إلى أنْ يُعِينُوهُ في استئنافِ الحربِ ضدَّ معاويةَ فَرَفَضُوا، وَبِقَطْعِ النَّظرِ عنْ مسألةِ ثبوتِ استعراضِهِم للناسِ أوْ أنَّ

---

[1] - علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفِرق الإسلاميّة، الرؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٦٤.

[2] - المصدر نفسه، ص١٦٥.

ذلكَ كانَ مِنْ (فِرقةٍ انْفَصَلَتْ عنْ أهلِ النهروانِ فأخذتْ تُهَدِّدُ الناسَ قَتْلاً، فمَا كانَ مِنْ أهلِ النهروانِ إلاَّ أنْ نَبَذُوهُمْ وَدَعَوْا عليهمْ بِالْوَيْلِ)[1].

وهذَا ما يُقرِّرُهُ علماءُ الإباضيّةِ، فالسؤالُ المطروحُ: هلْ قَاتَلَهُمْ عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وهوَ ظالمٌ لَهُمْ؟ هذا هوَ المسكوتُ عنهُ في كلِّ كُتبِ الإباضيّةِ التي اطَّلَعْتُ عليهَا، ولكنَّ إعلانَ تَوَلِّيهِمْ معناهُ اعتبارُهُمْ علَى الحقِّ وأنَّ مَنْ قَاتَلَهُمْ كانَ علَى الباطلِ[2].

وَإِحْقَاقًا لِلحقِّ فإنَّهُ مِمَّا لاَ شكَّ فيهِ أنَّ الإباضيّةَ يَعْتَرِفُونَ بِخلافةِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، وأنَّهُ علَى حقٍّ في قِتالِهِ مُعاويةَ بنَ أبي سفيانَ، وأمَّا تَخْطِئَتُهُمْ لهُ في قُبولِ التحكيمِ فَلَيْسَتْ نابعةً مِنْ هَوَى نَفْسٍ أوْ مُحَاباةٍ لأَحَدٍ، وإنَّمَا مِنَ الأدلّةِ القاطعةِ التي تُثْبِتُ أنَّ مُعاويةَ كانَ باغيًا، واللهُ سبحانَهُ حَكَمَ على الفِئةِ الباغيةِ بأنْ تُقاتَلَ حتَّى تَفِيءَ إلى أمرِ اللهِ بقولِهِ ﷻ: ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾[3]. ومعَ هذا فَهُمْ يَلْتَزِمُونَ بالاحترامِ الكاملِ عندَ ذِكْرِ مَا أَخْطَأَ فيهِ مِنْ قَبُولِ التحكيمِ، أمَّا

---

[1] - علي بن محمد بن عامر الحجري: الإباضيّة ومنهجيّة البحث عند المؤرّخين وأصحاب المقالات، مطابع النهضة، مسقط، سلطنة عُمان، د ط، ١٩٩٩م، ص٢١١.

[2] - علي بن العجمي العشّي: مباحث في الفِرق الإسلاميّة، الرؤى والمرجعيات، مصدر سابق، ص١٦٦.

[3] - سورة الحجرات، الآية: ٩.

القولُ بأنَّ الإباضيّةَ يقولونَ عنْ عثمانَ بأنَّهُ صاحبُ بِدَعٍ فَيُقْصَدُ بِهِ التّشنيعُ على الإباضيّةِ، وإلاَّ فإنَّ الإباضيّةَ لمْ يَزِيدُوا حرفًا واحدًا عمَّا قالَهُ مُنْتَقِدُوهُمْ في كُتُبِهِمْ، فَلِمَاذَا يُجْعَلُ هذا القولُ منْ خصائصِ المذهبِ الإباضيِّ؟!.

كمَا أنَّ الإباضيّةَ يُكِنُّونَ للصّحابةِ الكرامِ الاحترامَ والتّقديرَ، وَيَعْتَبِرُونَهُمْ الحُجّةَ والقدوةَ، وَيَعْتَرِفُونَ لهمْ بالفضلِ في أشياءَ عديدةٍ، وهمْ يَتَوَلَّوْنَ الصّحابةَ، بدليلِ أنَّهُم يَترَضَّوْنَ عنْهُم وَيَتَرَحَّمُونَ لهمْ، والتّرضِّي والتّراحُمُ هُمَا عَيْنُ الولايةِ[1]، فليسَ مِنْ أخلاقِهِم الشّتمُ ولاَ اللّعنُ ولاَ التّشهيرُ، هذا إذَا كانَ في غيرِ الصّحابةِ فكيفَ بصحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ[2]؟!

إنَّ الإباضيّةَ يَبْرَؤُونَ مِنَ الخوارجِ، ويُخَالِفُونَهُمْ ويُنْكِرُونَ عليهِمْ مَبَادِئَهُمْ الهدّامةَ قديمًا وحديثًا، وتسميةُ الخوارجِ ليسَ المقصودُ منها مَنْ خَرَجَ عنْ حاكمٍ أوْ أميرٍ، إنّمَا المقصودُ منها مَنْ خَرَجَ عمَّا يُؤْمِنُ بهِ المُسلمونَ وَيَدْعُو إليهِ الشَّرْعُ، فَلاَ يَلِيقُ أبدًا بالمُسلمينَ مَهْمَا كانتْ مَذَاهِبُهُمْ أنْ يَرْمُوا بِهَا مَنِ اخْتَلَفَ مَعَهُمْ في رأيٍ أوِ اجتهادٍ، وَلاَ سِيَّمَا وَنَحْنُ في عصرٍ أَشَدَّ مَا نَكُونُ فيهِ إلى الوَحْدةِ والتّقاربِ والتّسامحِ[3].

---

[1] - ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص١٦٨.

[2] - المصدر نفسه، ص١٧٠.

[3] - إبراهيم محمّد طلاي: الإباضيّة ليسوا مِن الخوارج، د د، د ط، الذّكرى الألفيّة لتأسيس مدينة العطف، مزاب، ولاية غرداية، ٢٨-١٩٩٦/١٢/٣١م، ص١٢.

وبالرّغمِ مِنْ كلِّ هذَا؛ فإنَّ هناكَ بعضَ الأقلامِ غيرِ الإباضيّةِ، قدْ أَدْرَكَتْ هذَا الخطأَ الجسيمَ الذي وَقَعَ فيهِ أصحابُ المقالاتِ القديمةِ تحتَ تأثيرِ السلطةِ السياسيّةِ الجائرةِ عنْ فِطرةِ الإنسانِ وعدالةِ الإسلامِ القائمةِ على فضيلةِ التقوَى لاَ أكثرَ، قَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]. وفي ضَوءِ هذا يُمْكِنُنَا أنْ نُشيرَ إلى بعضِ هؤلاءِ الأعلامِ، يقولُ الدكتورُ عبدُ الرحمنِ الصابونيُّ في كتابِهِ تاريخُ التشريعِ: "بمَا أنَّ الدولةَ الأمويّةَ تُراقِبُ جابرًا وغيرَهُ سَمَّتْهُمْ كمَا سَمَّتْ أكثرَ مُعارِضِيهَا بالخوارجِ، وذلكَ للتَّنكيلِ بِهِمْ، والتَّخلّصِ مِنْهُمْ، والقضاءِ عَلَيْهِمْ"[2].

يقولُ الدكتورُ الأُردنيُّ عوض محمّد خليفات الذي دَرَسَ المذهبَ الإباضيَّ دراسةً جامعيّةً عدّةَ سنواتٍ متخصّصًا فيهِ: "إنَّ الإباضيّةَ لَيْسُوا خوارجَ كمَا تَزْعُمُ بعضُ كُتُبِ المقالاتِ والمِلَلِ والنِّحَلِ، وَكَمَا يَدَّعِي بعضُ الكُتّابِ المُحدثينَ الذّينَ قَلَّدُوا هذهِ المؤلّفاتِ دونَ تدقيقٍ وتمحيصٍ، والواقعُ أنَّ الإباضيّةَ لاَ يَجْمَعُهُمْ بالخوارجِ سِوَى إنكارِ التَّحكيمِ، والإباضيّةُ حَرَّمُوا قَتْلَ الموحِّدِينَ وَاسْتِحْلاَلَ دِمَائِهِمْ، وحَرَّمُوا استعراضَ النّاسِ وَامْتِحَانَهُمْ كما فَعَلَ مُتَطَرِّفُو الخوارجِ مثلُ الأزارقةِ والنّجديةِ، والمدقِّقُ في المصادرِ الفقهيّةِ

---

[1] - سورة الحجرات، الآية: ١٣.

[2] - بكير بن سعيد أعوشت: ميزاب يتكلّم، تارخيًا، عقائديًا، اجتماعيًا، د د، د ط، د ت، ص١٥.

الإباضيّةِ كَمَا عَرَفْنَا سابقًا يَجِدُ أنَّ أصحابَ المذهبِ الإباضيِّ مِنْ أكثرِ المسلمينَ اتِّباعًا للسنّةِ الشّريفةِ والاقتداءِ بها. أمَّا مَا تُلْصِقُهُ بهمْ بَعْضُ المصادرِ مِنْ تُهَمٍ فإنَّمَا هوَ نَاتِجٌ عَنْ أحدِ أَمْرَيْنِ: الجهلِ أوِ التَّعصُّبِ"[1].

يقولُ الدّكتورُ عمرُ بنُ الحاج محمّد صالح با: "فرُغْمَ حِرْصِي البالغِ علَى إعطاءِ الفِرَقِ حَقَّهَا، وَخَاصَّةً الإباضيةَ، في هذا المجالِ، فإنّهُ لاَ يَسَعُنِي إلاَّ إبداءُ مخالَفَتِي لَهُمْ، فَأَنَا أَرَى أنَّ الإباضيينَ قدْ بَالَغُوا في لَصْقِ جابرٍ إليهم، وفي زَعْمِي أنَّهَا محاولةٌ - بِوَعْيٍ تاريخيٍّ - لإزالةِ شيخِ الخوارجِ عَنْهُمْ لِعِلْمِهِمْ في أَعْمَاقِهِمْ أنَّ ابنَ إباضٍ كانَ أحدَ الخوارجِ، وَلِعِلْمِهِمْ أيضًا أنَّ النّاسَ مِنْ غَيْرِهِمْ يَعْلَمُونَ ذلكَ ولاَ يُمْكِنُ مَحْوُهُ - كحقيقةٍ واقعةٍ - مِنْ ذَاكِرَةِ التّاريخِ. غيرَ أنِّي أعودُ فأقولُ: إنَّ التّاريخَ وإنْ ذَكَرَ خارجيّةَ ابنِ إباضٍ، إلاَّ أنّهُ هوَ نفسُ التاريخِ الذي ذَكَرَ بأنَّهُ خالَفَهُم بالرَّأْيِ أخيرًا، فَانْفَصَلَ عَنْهُمْ وَبَيَّنَ فسادَ رَأْيِهِمْ، إذًا لَمْ يَعُدْ خَارِجِيًّا"[2].

ويقولُ: "إنَّ كلَّ المسلمينَ الذينَ أَتَاحَ لهُمُ الحَظُّ الاتصالَ بالإباضيّةِ يَجِدونَ أنَّ ما يُقالُ عَنْهُمْ غيرُ صحيحٍ، بلْ إنّهمْ مُسلمونَ كَبَاقِي المسلمينَ، قدْ

---

[1] - عوض محمّد خليفات: الأصول التّاريخيّة للفِرقة الإباضيّة، مصدر سابق، ص٩٥ – ٩٦.

[2] - عمر بن الحاج محمّد صالح با (السنغالي): دراسة في الفكر الإباضي، تعليق أحمد بن سعود السيابي، مؤسسة الشيخ الناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط ٢، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص٦١ – ٦٢.

يُخْطِئُونَ في اجتهاداتِهِم حينًا، وَيُصِيبُونَ في أكثرِهَا كغيرِهِمْ تَمَامًا؛ لأنَّ المصدرَ واحدٌ، وهوَ كتابُ اللهِ وسنَّةُ رسولِهِ بلاَ أدنَى تَمْيِيزٍ بينَ هذا المذهبِ أوْ ذَاكَ[1].

فأنَا أُوَافِقُ رَأْيَ الدكتورِ عمرَ بنِ الحاج محمّد صالح با، فقدْ دَرَسْتُ معَ الإباضيّةِ وتعاملْتُ مَعَهُمْ في السّوقِ بيعًا وشراءً، فلمْ أَجِدْ فِيهِمْ مَا كُنتُ أَسْمَعُ عنْهُمْ، فَهُمْ يُسَامِحُونَ ويَعْفُونَ وَيَتَعَامَلُونَ معَ أيِّ مُسلمٍ كانَ بِغضِّ النّظرِ عنْ مَذْهَبِهِ أوِ اتّجاهِهِ أوْ تَفْكِيرِهِ.

ويقولُ الدّكتورُ محمّد نعيم محمّد هاني ساعي؛ أستاذُ الفقهِ وأصولِهِ بالجامعةِ الأمريكيّةِ المفتوحةِ الولاياتِ المتّحدةِ الأمريكيّةِ في كِتابِهِ "القانونُ في عقائدِ الفِرَقِ والمذاهبِ الإسلاميّةِ"، وتحتَ عنوانِ "الإباضيّةُ وتُهْمَةُ الخارجيّةِ" فيقولُ: "قدْ ذكرْنَا في أوّلِ كَلامِنَا عنْ هذهِ الطّائفةِ أنَّ الأصحَّ عندَنا أنْ تُنْسَبَ إلى جابرِ بنِ زيدٍ؛ لأنَّ المذهبَ الاعتقاديَّ لاَ يُمْكِنُ أنْ يَحْوِيَهُ أوْ يُعبِّرَ عنهُ أوْ ينطِقَ بلِسانِه رَأْيٌ سياسيٌّ أوْ حركةٌ سياسيّةٌ في عصرٍ مُعيّنٍ مضَى أَوْ غَيْرُهُ، وإنَّمَا يَحْوِيهِ وَيُعَبِّرُ عنهُ جملةُ اعتقاداتِهِ وأصولِهِ الفِكريّةِ ومدرستُهُ الفقهيّةُ". وَوَاصَلَ قولَهُ قائلاً: "لمَّا اسْتَعْرَضْنَا مقالاتِ الإباضيّةِ والمعاصرةَ خاصّةً لمْ نَجِدْ فِيهَا أصولَ الفِكرِ الخارجيِّ، فالإباضيّةُ لاَ

[1] - المصدر نفسه، ص١٠٠.

تقولُ بِتكفيرِ المُخالفينَ ولاَ باستحلالِ الدّماءِ والأموالِ، ولاَ تَجْعَلُ دارَ السّلطانِ الفاجر دارَ كُفْرٍ، ولاَ تقولُ بِتكفيرِ مَنْ قَعَدَ عنِ الخروجِ على سلاطينِ الجُورِ، وإذَا سَمَّى بَعْضُهُمْ مَنْ وقعَ في الكَبائرِ كافرًا فَهُوَ عِنْدَهُمْ كُفْرُ نِعمةٍ لاَ كُفرُ اعتقادٍ، بدليلِ أنَّهُم يعتبِرونَهُ مُسلِمًا في الدّنيا تَجري عليهِ أحكامُ المُسلمينَ"[1].

ويقولُ الدكتورُ فاروق عمر: "إنَّ الحركةَ الإباضيّةَ مثَّلَتْ مُنعطفًا نوعيًّا بارزًا في تاريخِ الحركةِ الخارجيّةِ لثلاثةِ أمورٍ جوهريّةٍ، هيَ:

- الاعتدالُ الذي مَيَّزَ مَوقفَ الإباضيّةِ عنْ غيرِهَا مِنَ الفِرقِ الأُخرى، والواقعيّةُ التي أَبْعَدَتْهَا عنِ المثاليّةِ والحماسِ الدّينيِّ.

- مَثَّلَتِ الإباضيّةُ تحوّلاً واضحًا في ثوراتِ الخوارجِ مِنْ حركاتٍ هوجاءَ غيرِ مُخَطَّطٍ لهَا إلى دعوةٍ سِرِّيّةٍ مُنظّمةٍ مخطّطٍ لهَا، تَتَمَيَّزُ بِتَنْظِيمَاتِهَا الدّقيقةِ التّي تُشبِهُ تنظيماتِ الأحزابِ السِّرِّيةِ المُعاصرةِ، وبذلكَ تكونُ إمكاناتُ نجاحِهَا أكثرَ بِكَثِيرٍ مِنْ إمكاناتِ نجاحاتِ الفِرقِ الأخرى، وهذَا ما أَثْبَتَتْهُ الوقائعُ التّاريخيّةُ.

---

[1] - محمّد نعيم محمّد هاني ساعي: القانون في عقائد الفِرق والمذاهب الإسلاميّة، دار السّلام، القاهرة، د ط، د ت، ص٣٧٢. (نقلاً عن: ناصر بن مطر المسقري: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مصدر سابق، ص١١٧).

- إنَّهَا حركةٌ حَاوَلَتِ التّغييرَ والتّبديلَ نحوَ الأفضلِ، وَعَارَضَتِ النظامَ القائمَ ضِمْنَ مفاهيمَ ومبادئَ وأهدافٍ داخلَ إطارِ الإسلامِ وقِيَمِ العروبةِ، وهيَ بذلكَ تختلفُ عنِ العديدِ مِنْ حركاتِ المعارَضةِ الأُخْرَى التي تَبَرْقَعَتْ بالإسلامِ، وأَضْفَتْ عقائدَ بعيدةً عنهُ وعنِ الإرثِ العربيِّ المعروفِ"[1].

فالإباضيَّةُ - علَى ضَوْءِ ما تَقَدَّمَ - لَيْسُوا بِخَوَارِجَ، بَلْ هُمْ مَذْهَبٌ كَأَيِّ مذهبٍ إسلاميٍّ آخَرَ، وإنْ كانَ هناكَ قاسمٌ مشتركٌ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ فهوَ ظُهُورُهُمَا إلى حيِّزِ الوُجودِ في وقتٍ واحدٍ تقريبًا، وَظُهُورُهُمَا إلى النّورِ انبثاقًا مِنْ قضيّةٍ واحدةٍ وَقَاسِمٍ مشتركٍ ألاَ وهوَ "رَفْضُ التّحكيمِ"؛ وعدمُ إقرارِ شرعيّةِ الحُكمِ الأمويِّ، غيرَ أنَّهما مُخْتَلِفَانِ باختلافِ آرائِهِمَا ومبادئِهِمَا، بلْ لَقَدْ حَارَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا[2].

ومُجملُ القولِ: إنَّ الإباضيّةَ الذينَ ارْتَضَوْا لأَنْفُسِهِمْ تَسْمِيَاتٍ مِثْلَ: أهلِ الدعوةِ والاستقامةِ، وأهلِ الحقِّ والاستقامةِ؛ يَرْفُضُونَ لفظَ الخوارجِ تسميةً وَلَقَبًا لهُمْ، وَيَعْتَبِرُونَ ذلكَ مِنَ التّنابُزِ بالألقابِ. فإذَا اتَّضَحَتِ اليومَ مَدْلُولاتُ

---

[1] - فاروق عمر: التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين، دار اقرأ، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٨٥م، ص٤٠. (نقلاً عن: محمّد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٦١-٦٢).

[2] - عمر بن الحاج محمّد صالح با (السنغالي): دراسة في الفكر الإباضي، مصدر سابق، ص١١٠.

الخوارجِ عندَ الإباضيّةِ وَمَوْقِفُهُمْ مِنْ هذهِ الطائفةِ، وعلَى مَنْ يُطْلِقُونَهَا، لمْ يَعُدْ مَقْبُولاً دينيًّا ولاَ علميًّا إطلاقُ هذهِ اللفظةِ عليهِمْ[1].

ومِنْ هنا نَسْتَطِيعُ القولَ إنَّ الفضلَ في بقاءِ الإباضيّةِ إلى يَوْمِنَا هذَا يعودُ إلَى أنَّهُم يَمْلِكونَ فِكرًا منهجيًّا واضحًا مُسْتَخْدِمِينَ القرآنَ والسُّنَّةَ، يُخَطِّطُ للمُستقبلِ وَيَسْتَمِدُّ مِنَ الماضِي، ويَتَكيَّفُ معَ الحاضرِ[2].

وَرُبَّمَا اجْتِمَاعُ الصومعةِ سنةَ ٦٤هـ بينَ نافعِ بنِ الأزرقِ ونجدةَ بنِ عامرٍ وعبدِ اللهِ بنِ إباضٍ هوَ الذي جَعَلَ المؤرّخينَ يَحْكُمُونَ بأنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ خَارجيٌّ، وَمِنْهُ فالإباضيّةُ خوارجُ، ولكنَّ الشّيءَ الذي يَتَّفِقُ عليهِ الجميعُ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ عِنْدَمَا سَمِعَ دَوِيَّ القرّاءِ قالَ قَوْلَتَهُ المشهورةَ: أَعَلَى هؤلاءِ أَخْرُجُ؟ وَقَدْ تَطَرَّقْتُ إلى هذَا في ثنايَا البحثِ - فَتَبَرَّأَ مِنْ نافعِ بنِ الأزرقِ، وَانْطَلَقَ إلى الدّعوةِ إلى اللهِ[3].

صحيحٌ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ في البدايةِ خَرَجَ معَ نافعِ بنِ الأزرقِ في اجتماعِ الصّومعةِ، وهذهِ هيَ النّقطةُ التّي حَكَمَ بها المؤرّخونَ بخروجِ الإباضيّةِ، ولكنْ لاَ أَحَدَ يُنْكِرُ أنهُ في النّهايةِ تَبَرَّأَ منهُ ومِنَ الخوارجِ،

---

[1] - مجموعة مِن الباحثين: معجم مصطلحات الإباضيّة، مصدر سابق، ج١، أ – ش، ص٣٣٢.

[2] - محمّد صالح ناصر: منهج الدعوة عند الإباضيّة، مصدر سابق، ص٦٢.

[3] ـــــ للإطلاع أكثر انظر: عليّ العسّي: مباحث في الفِرق الإسلاميّة، مصدر سابق، ص١٥٩.

ـــــ فرحات الجعبيري، شخصيات إباضيّة، مصدر سابق، ص١٢.

فالمؤرِّخونَ حَكَمُوا علَى البدايةِ، ولمْ يَحْكُمُوا علَى النّهايةِ، فَالْعِبْرَةُ ليستْ بِالبداياتِ، وإنَّمَا بالنّهاياتِ والنّتائِجِ، والنّهايةُ تقولُ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ تَبَرَّأَ مِنَ الخوارجِ وانْطَلَقَ للدّعوةِ إلى اللهِ، فالإباضيّةُ بهذَا المفهومِ لَيْسُوا خَوَارِجَ.

فلوْ قَرَأَ أحدٌ أنَّ الإباضيّةَ نَشَأُوا معَ الخوارجِ في وقتٍ واحدٍ، وأنَّهُمُ اتَّفَقُوا مَعَهُمْ في مسألةِ رَفْضِ التّحكيمِ، فهذَا لاَ يَعْنِي أنَّهُم يُوَافِقُونَهُمْ في تَفْكيرِهِم أوْ مَنْهَجِهِمْ! ولوْ قَرَأَ أحدٌ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ خَرجَ معَ نافعِ بنِ الأزرقِ في وقتٍ واحدٍ، فَهَذَا لاَ يَعْنِي أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ يوافِقُ ابنَ الأزرقِ في تفكيرِهِ ومنهجِهِ! أوْ أنَّهُ معَ الخوارجِ! فالتّاريخُ الذي كَتَبَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ خَرَجَ معَ نافعِ بنِ الأزرقِ؛ هُوَ نَفْسُهُ التّاريخُ الذي كتَبَ أنَّ عبدَ اللهِ بنَ إباضٍ تَبَرَّأَ مِنَ ابنِ الأزرقِ، فالبراءةُ نَسَخَتِ الخُروجَ، والتّاريخُ يُثبِتُ ذلكَ، وَلَوْ دَرسْنَا فِكْرَ ومَنْهَجَ ابنِ الأزرقِ وَفِكْرَ وَمَنْهَجَ ابنِ إباضٍ لَوَجَدْنَا اختلافًا كبيرًا بينَ الرَّجُلَيْنِ.

وأخيرًا أَجِدُ نَفْسِي مُقِرًّا بكلمةِ حقٍّ، وَكَرَأْيٍ شخصيٍّ، فإنَّ الإباضيّةَ أَبْعَدُ النّاسِ عنِ الخروجِ والخوارجِ، فَهُمْ مِنْ أكثرِ المسلمينَ اعتدالاً ووسطيّةً، وَأَحْرَصُ النّاسِ تطبيقًا لِمنهجِ القرآنِ، واقتداءً بسنّةِ النّبيِّ ﷺ، إذْ تَجِدُهُمْ يَتَّسِمُونَ بأخلاقٍ راقيةٍ وهِممٍ عاليةٍ، حيثُ نَلمَسُ فيهم النُّبْلَ والمُسالمةَ

والمُسامحَةَ في تَعَامُلِهِمْ معَ غَيْرِهِمْ.. وهذهِ السّطورُ لَيْسَتْ نَقْلاً عَنْ كتاباتِ غَيْرِي، وإنَّمَا هيَ تجربةٌ ملموسةٌ عِشْتُهَا مَعَهُمْ.

فلوْ كانَ لهمْ تفكيرٌ كتفْكيرِ الخوارجِ لانْدَثَرُوا منذُ زَمَنٍ كمَا انْدَثَرَ الخوارجُ، ولَمَا كانَ لهمْ وُجودٌ في وَقْتِنَا الحاضرِ، ولكنَّ إِخْوَانَنَا الإباضيَّةَ يَعِيشُونَ حَيَاتَهُمُ اليوميَّةَ بِشَكْلٍ طبيعيٍّ معَ غَيْرِهِمْ مِنَ المذاهبِ الأخرى، وهذا إنْ دَلَّ علَى شيءٍ فإنَّمَا يدلُّ علَى سلامةِ تفكيرِهِم وحُسْنِ تَعَامُلِهِمْ وبُعْدِهِمْ عنِ الخوارجِ والفكرِ الخارجيِّ قولاً وعَمَلاً.

الْخَاتِمَةُ

بعدَ هذهِ الجولةِ المتواضعةِ التي رَكِبْنَا فيها بِساطَ البحثِ، الذي رَجَعَ بِنَا مِئاتِ السّنينَ إلى الوراءِ، لكيْ نَعِيشَ وقائعَ وأحداثًا سَطَّرَتْهَا أَحْرُفُ التّاريخِ بعباراتٍ مِنْ نورٍ علَى رجالٍ كَرَّسُوا حياتَهُم خِدمةً للدّينِ وقِيامًا بالمسؤوليّةِ التي مِنْ أَجْلِهَا خُلِقَ الإنسانُ.

ولقدْ خَلصْتُ في بَحْثِي هذا إلى نتائجَ يُمْكِنُ إجمالُهَا في النّقاطِ الآتيةِ:

١ - بَدَأَتِ الفُرقَةُ تدُبُّ بينَ المسلمينَ بِمقتلِ عثمانَ، ثمَّ بِمعركةِ الجملِ، ثمَّ زادَتْ حينَ اقترحَ معاويةُ بنُ أبي سفيانَ على عليِّ بنِ أبي طالبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ إبّانَ وقعةِ صفّينَ ٣٧هـ/٦٥٧م أنْ يَحْتَكِمَا إلى حَكَمَيْنِ يَعْتَمِدَانِ في حُكْمِهِمَا علَى كتابِ اللهِ حسمًا للخلافِ الذي أدَّى إلى مقتلِ عثمانَ بنِ عفانَ.

٢ - إنَّ فِرقةَ الخوارجِ نشأتْ - في أرجحِ الآراءِ - بِسَبَبِ التّحكيمِ في الخلافِ بينَ الإمامِ عليٍّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ومعاويةَ في موقعةِ صفّين.

٣ - تعودُ الإباضيّةُ في نشأتِهَا إلى الظُّروفِ السّياسيّةِ بالدّرجةِ الأولَى حِينَمَا اشْتَدَّتْ أَزْمَتُهَا في الثُّلُثَيْنِ الأخيرَيْنِ مِنَ القرنِ الأوّلِ للهجرةِ بالإضافةِ إلى الوضعِ الاجتماعيِّ.

٤ - إنَّ المذهبَ الإباضيَّ لَيْسَ مذهبًا سرّيًّا، وليستْ أصولُهُ التي يَنْبَنِي عليها خافيةً أوْ مجهولةً، وليسَ أتباعُهُ ممَّنْ يَسْتَتِرُونَ أوْ يَخْتَفُونَ.

٥ - الإباضيَّةُ إِحْدَى المذاهبِ الإسلاميَّةِ العريقةِ وإنْ لمْ تنَلْ شُهرةَ باقي المذاهبِ، وَيُنْسَبُ المذهبُ الإباضيُّ إلى التّابعيِّ عبدِ اللهِ بنِ إباضٍ، فيُقالُ لهُمْ: الإباضيُّونَ، كَمَا يُنْسَبُ أتباعُ المذهبِ المالكيِّ إلى مالكٍ ويُقالُ لهمُ: المالكيُّونَ، غَيْرَ أنَّ الإمامَ الفِعليَّ للإباضيَّةِ هوَ التّابعيُّ الكبيرُ والمحدّثُ المعروفُ جابرُ بنُ زيدٍ الأزديُّ البصريُّ العُمانيُّ.

٦ - وَقَدَ بَدَا وَاضِحًا بعدَ تعمُّقِنَا في البحثِ أنَّ الإباضيَّةَ همْ أهلُ الحقِّ والاستقامةِ، وأنَّ ما قِيلَ عَنْهُمْ بِأنّهم خوارجُ وأهلُ ضلالٍ؛ لَيْسَ إلاَّ ضبابًا مِنَ الوهمِ يَتَلاَشَى معَ ظهورِ الحقيقةِ.

٧ – إنّهُمْ - عنْ شيءٍ مِنْ عَدمِ التَّبَيُّنِ كَمَا رَأَيْنَا في ثَنَايَا البحثِ - نُسِبُوا إلى الخوارجِ، ولكنَّ قِراءةً دقيقةً في التّاريخِ الإباضيِّ مِنْ شَأْنِها أنْ تُخْرِجَ الإنسانَ مِنْ هذا المفهومِ وتُصَحِّحَ كثيرًا مِنَ المعلوماتِ.

٨ - الواقعُ أنَّ كُلَّ مَنْ يَعرِفُ وعَرَفَ الإباضيَّةَ حقَّ المعرفةِ يُدْرِكُ أنَّهُم أَبْعدُ النّاسِ عنِ الخوارجِ قَولاً وعملاً. فالإباضيَّةُ لَيْسُوا خوارجَ كَمَا تَزْعُمُ بعضُ كُتُبِ المقالاتِ، وكَمَا يَدَّعِي بعضُ الكُتَّابِ المحدثينَ الذّينَ قَلَّدُوا هذهِ

المؤلّفاتِ دونَ تدقيقٍ وتمحيصٍ؛ والواقعُ أنَّ الإباضيّةَ لاَ يَجْمَعُهُمْ بالخوارجِ سِوَى إنكارِ التّحكيمِ، وهذَا لَيْسَ دليلاً لإدخالِهِمْ في عِدادِ الخارجيّةِ.

٩ - إنَّ المُتَتَبِّعَ لِلمصادرِ الفِقهيّةِ الإباضيّةِ وبِدقّةٍ يَجِدُ أنَّهُم مِنْ أكثرِ المسلمينَ وسطيّةً واعتدالاً، وَأَحْرَصِهِمُ اتّباعًا لهَدْيِ القرآنِ وسنّةِ المصطفَى الكريمِ، وَأَمَّا مَا تُلْصِقُهُ بهمْ بعضُ المصادرِ مِنْ تُهَمٍ فَإِنَّمَا هوَ ناتجٌ عنْ جهلٍ أوْ تَعَصُّبٍ.

وَأَخِيرًا إنَّ القارئَ لهذهِ الرِّسالةِ سَيَجِدُ أنَّنِي لَسْتُ مِنْ دُعاةِ الطّائفيّةِ في الإسلامِ، ولاَ مِنْ مُشجِّعِي الخِلافاتِ بينَ أبنائِهِ، وإنْ وَقَعَ شيءٌ مِنْ ذلكَ فالقَلمُ هوَ المسؤولُ لاَ الفُؤادُ، حَيْثُ حاولتُ دومًا الإنصافَ والابتعادَ عنِ التّحاملِ بدونِ مُبرِّرٍ، فَأَسْوَأُ أنواعِ التّحاملِ مَا جاءَ وليدَ الجهلِ أوِ الحقدِ الدّفينِ، عَلَى أنِّي اجْتَهَدْتُ طَاقَتِي لأعكسَ آراءَهُم سالمةً، ولذلكَ لمْ أَعْتَمِدْ - إلاَّ ما نَدَرَ - على آراءِ غيرِهِم عنْهُم إنصافًا للعِلمِ وإيمانًا بأنَّ البقاءَ للحقِّ والعاقبةَ للحقائقِ الصّادقةِ.

ولقدْ سَعَيْتُ كثيرًا في دِرَاسَتِي هذهِ إلى إلقاءِ الضوءِ حوْلَ هذهِ المسألةِ وناقَشْتُ الآراءَ الواردةَ فيها، وَأَتْرُكُ الحُكمَ للقارئِ ولهُ حَسَبَ اقتناعِهِ أنْ يُوَافِقَ أَوْ يُخَالِفَ.

وخِتامًا وَكَتَوْصِيَاتٍ لِمَنْ بَعْدِي لاَ بُدَّ مِنَ القولِ إنَّ الوَحْدةَ العربيّةَ والتّضامنَ الإسلاميَّ يَسْتَدْعِيَانِ منَّا أنْ نُحَكِّمَ العقلَ والعدلَ في علاقاتِنَا جماعاتٍ وأفرادًا. وإنَّ زَوَالَ الفُرقةِ بينَ أتباعِ المذاهبِ الإسلاميّةِ أمرٌ هامٌّ وَضَرُورِيٌّ لتحقيقِ حُرِّيَّتِنَا وَوَحْدَتِنَا وَمُسْتَقْبَلِ أَجْيَالِنَا؛ إنَّ الدّينَ واحدٌ والمصدرَ واحدٌ، ولاَ مُبَرِّرَ للفُرقةِ والاختلافِ بينَ المسلمينَ. وَلَيْسَ لِي مِنْ رجاءٍ إلاَّ أنْ أكونَ قدْ سَاهَمْتُ قَدْرَ استطاعتِي في إضافةِ شيءٍ ولوْ هَزِيلٍ إلى المكتبةِ الإسلاميّةِ، ومَنْ جَادَ بِمَا في اليدِ لاَ يُعَدُّ بَخِيلاً.

هيَ جوانبُ مُهِمَّةٌ أَرَادَ الباحثُ إلقاءَ الأضواءِ عليهَا مِنْ خلالِ هذهِ الدِّراسةِ القصيرةِ والمُتواضعةِ، فإنْ أصابَ فبتوفيقٍ مِنَ اللهِ تعالَى، وإنْ أَخْطَأَ فمِنْ نَفْسِهِ والشّيطانِ، واللهُ ﷻ مِنْ وراءِ القصدِ. وهوَ وَحْدَهُ الهادِي إلى سواءِ السّبيلِ... وصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ علَى نبيِّكَ محمّدٍ وعلَى آلِهِ وأصحابِهِ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ.

فهارس البحث

- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الأحاديث النّبوية
- فهرس الأعلام
- فهرس المصطلحات
- فهرس الأماكن والبدان
- فهرس الفِرق والمذاهب والأديان
- فهرس الموضوعات

فهرس المصادر والمراجع

أوّلاً: القرآن الكريم

١- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

ثانيًا: الكُتب

٢- ابن أبو ستة، محمد بن عَمرو: حاشية التّرتيب علَى الجامع الصّحيح، ترتيب الشّيخ أبي يعقوب بن إبراهيم الوارجلاني لمسند الحافظ الثقة الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري، تحقيق: إبراهيم محمد طلاي، د د، د ط، د ت.

٣- ابن إدريسو، مصطفى بن محمد: الفكر العقدي عند الإباضيّة حتى نهاية القرن الثالث الهجري، تقديم: وينتن مصطفى بن النّاصر، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيب، سلطنة عُمان، د ط، ٢٠١٣م.

٤- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، عُنِيَ بمراجعة أصوله والتعليق عليه: نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

٥- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٦- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٦٥م.

٧- ابن الأثير، بن الحسن عليّ بن محمّد الجزريّ عزّ الدّين(٥٥٥/٦٣٠هـ): أُسُد الغابة في معرفة الصّحابة، تحقيق: محمّد إبراهيم البنا، محمّد أحمد عاشور، محمّد عبد الوهاب فايد، دار الشّعب، د ط، د ت.

٨- ابن الجوزي البغداي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن: تلبيس إبليس، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ.

٩- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: السياسة الشرعية في إصلاح الرّاعي والرّعية، دار الزّهراء للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ١٩٩٠م.

١٠- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي، جدّة، السعودية، ١٩٩٦م.

١١- ابن حبيب، الرّبيع: الجامع الصحيح، مسند الإمام الربيع بن حبيب، ضبطه وخرج أحاديثه: محمد إدريس، وراجعه وقدم له: عاشور بن يوسف، دار الحكمة، بيروت، لبنان، مكتبة الاستقامة، سلطنة عُمان، د ط، د ت.

١٢- ابن حزم، محمد: جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د ط، ٢٠٠٣م.

١٣- ابن حميد الحارثي العُماني الإباضي، أبو عبد الله سالم بن حمد بن سليمان: العقود الفضية في أصول الإباضيّة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، د ط، د ت.

١٤- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمّد أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

١٥- ابن شامس، سالم بن حمود: إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان، د ط، ١٩٧٩م.

١٦- ابن شامس، سالم بن حمّود: الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية في اليمن والحجاز، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، د ط، ١٩٨٠م.

١٧- ابن شامس، سالم بن حمود: طلقات المعهد الرياضي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عُمان، د ط، د ت.

١٨ - ابن عبد البّر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمّد: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: عليّ محمّد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، الفُجالة، القاهرة، د ط، دت.

١٩ - ابن فارس، بن زكريّا أبو الحَسن أحمد(ت٣٩٥هـ): مُعجم مقاييس اللّغة، تحقيق وضبط: عبد السّلام محمّد هارون، دار إحياء الكُتُب العربيّة، عيسى الباي الحلبي وشُركاؤه، ط١، ١٣٦٦هـ.

٢٠- ابن محكم، هود الهواري: تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق وتعليق: بالحاج بن سعيد شريفي دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٠م.

٢١ - ابن منظور الإفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم:(ت٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٦، ٢٠٠٨م.

٢٢- أبو زهرة، محمد: تاريخ المذاهب الإسلاميّة، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، ١٩٨٦م.

٢٣- أبو نعيم، أحمد بن عبد الله: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

٢٤- آتش، أورهان: الإباضيّة مِن مصادرها، بحث في النّشأة والمفاهيم، والعلاقات، والواقع اليوم، تقديم: محمد بابا عمي، المناهج، مؤسّسة علمية تُعنَى بالتكوين والبحث العلمي، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ المذاهب، تمّت المناقشة

بتاريخ: ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٧، جامعة أولوداغ، العلوم الإسلاميّة الأساسيّة، فرع: تاريخ المذاهب بورصا، تركيا.

٢٥- اطفيّش، أبو إسحاق إبراهيم: الفَرق بين الإباضيّة والخوارج، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عُمان، د ط، د ت.

٢٦- اطفيش، محمد بن يوسف: الرسالة الشافية، غرداية، الجزائر، د ط، د ت.

٢٧- اطفيّش، محمد بن يوسف: الذّهب الخالص المنوّه بالعلم الخالص، المطبعة العالمية، سلطنة عُمان، د ط، د ت.

٢٨- اطفيّش، محمد بن يوسف: شرح عقيدة التّوحيد، تحقيق: مصطفى بن الناصر وينتن، المطبعة العربية، غرداية، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢٩- أعوشت، بكير بن سعد، ميزاب يتكلّم، تاريخيًا، عقائديًا، اجتماعيًا، د د، د ط، د ت.

٣٠- أعوشت، بكير بن سعيد: أضواء إسلاميّة على المعالم الإباضيّة، بيانها حقائقها تاريخها، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد غرداية، د ط، د ت.

٣١- أعوشت، بكير بن سعيد: الإباضيّة في مرآة علماء الإسلام قديمًا وحديثًا، المطبعة العربية، نهج طالب أحمد، غرداية، د ط، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٣٢- أعوشت، بكير بن سعيد: دراسات إسلاميّة في الأصول الإباضيّة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٣٣- أغوشت، بكير بن سعيد: قطب الأئمة العلاّمة محمد بن يوسف اطفيش، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ١٩٨٩م.

٣٤- آل عبد اللّطيف، عبد العزيز بن محمّد: الإباضيّة وهل هم خوارج، المديريّة العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام، تبوك، ط١، ١٤١٢م.

٣٥- الأزوكي، سرحان بن سعيد: كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمّة، تحقيق: حسن محمد عبد الله النّابودة، دار البارودي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٣٦- الأسفراييني، أبو المظفّر طاهر بن محمد: التّبصير في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفِرَق الهالكين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٨٨م.

٣٧- الأسفراييني، أبو المظفّر طاهر بن محمد: التبصير في الدّين وتمييز الفرقة النّاجية عن الفِرَق الهالكين، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣٨ـ الأشعري، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل (ت٣٢٤هـ): مقالات الإسلاميّين واختلاف المُصلّين، تحقيق: هلموت ريتر، دار فرانز شتايتر بقيسبادن، ط٣، ١٤٠٠هـ/١٨٩٠م.

٣٩- الأشعري، أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق: مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصريّة، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٤٠- الأندلسي القرطبي الظاهري، أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنّحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمان عميرة، دار الجيل، بيروت، د ط، ١٩٨٥م.

٤١- الأندلسي القرطبي الظاهري، أبو محمّد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنّحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت.

٤٢- الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٤٣- الباروني، أبو الربيع سليمان: مختصر تاريخ الإباضيّة، مكتبة الاستقامة، عمان، مسقط، ط٢، د ت.

٤٤- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطّيب: التمهيد في الرّد على الملحدة المعطّلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، تحقيق: محمود محمد الخضيري، ومحمد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

٤٥- البحراوي، عبد القادر: عقيدة الإباضيّة في ميزان أهل السنّة، مكتبة النور، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٦- البخاري، محمد بن إسماعيل: التّاريخ الكبير، حيدر آباد، د ط، ١٣٨٢هـ.

٤٧- البرادي، أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم: الجواهر المنتقاة في ما أخلّ به كتاب الطبقات، المطبعة الحجرية البارونية، القاهرة، د ط، د ت، ١٣٠٠هـ.

٤٨- البرادي، أبو الفضل أبو القاسم بن إبراهيم: دراسة في تاريخ الإباضيّة وعقيدتها مع رسالة في كتب الإباضيّة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب وأحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، د ت.

٤٩- البرمكي الإربلي، أبو العبّاس شمس الدّين أحمد بن محمّد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٠٠م.

٥٠- البسياني، أبو الحسن علي بن محمد: مختصر البسيوي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، د ط، ١٣٩٧هـ.

٥١- البغدادي التّميمي الأسفراييني، عبد القاهر بن طاهر بن محمّد بن عبد الله: الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفِرْقة النّاجية منهم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط٥، ١٩٨٢م.

٥٢- البغدادي التّميمي الأسفراييني، عبد القاهر بن طاهر بن محمّد بن عبد الله: الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفِرقة النّاجية، دار المعرفة، بيروت، لبنان،د ط، د ت.

٥٣- البغدادي التّميمي الأسفراييني، عبد القاهر بن طاهر بن محمّد بن عبد الله: الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفِرقَة النّاجيَة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٧م.

٥٤- البغدادي، عبد القادر بن طاهر: الفَرْق بين الفِرَق وبيان الفِرقة النّاجية منهم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، ٢٠٠٥م.

٥٥- البوسعيدي، سيف بن أحمد: حَمَلة العِلم إلى المَغرب، ودورهم في الدّعوة الإسلاميّة، مؤسّسة الشّيخ ناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٥٦- الجعبيري، فرحات بن علي: شخصيات إباضيّة، د د، د ط، د ت.

٥٧- الجناوي، أبو زكريا: كتاب الوضع، مطبعة الاستقامة، سلطنة عمان، د ط، د ت.

٥٨ ــ الجوهري، إسماعيل بن حمّاد(ت٣٨٥هـ): الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، د د، طُبِع على نفقة: حسن عبّاس الشّربتلي، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٥٩- الجيطالي، أبو طاهر إسماعيل بن موسى: قناطر الخيرات، تحقيق: عمر بن خليفة النامي، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م.

٦٠- الحاج سعيد، يوسف بن بكير: تاريخ الإباضيّة في المغرب الإسلامي، مِن القرن الثاني إلى القرن السابع الهجري، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد غرداية، د ط، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٦١- الحارثي، سالم بن حميد: العقود الفضّية في أصول الإباضيّة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط، د ط، د ت.

٦٢- الحجري، عليّ بن محمد بن عامر: الإباضيّة ومنهجيّة البحث عند المؤرّخين وأصحاب المقالات، مطابع النهضة، مسقط، سلطنة عُمان، د ط، ١٩٩٩م.

٦٣ ــ الحموي الرّومي البغدادي، شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦ه): مُعجم البُلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٠ه/١٩٩٠م.

٦٤- الخليلي، أبو محمد سعيد بن خلفان بن أحمد: تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.

٦٥- الخليلي، أحمد بن حمد: الحقّ الدّامغ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، د ط، د ت.

٦٦- الخليلي، أحمد بن حمد: تعليق عن كتاب مشارق أنوار العقول، مطبعة العقيدة، مسقط، سلطنة عُمان، ط٢، ١٩٧٨م.

٦٧- الخليلي، أحمد بن حَمد: شرح منظومة غاية المراد في نظم الاعتقاد للإمام نور الدّين السّالمي، مكتبة الجيل الواعد، سلطنة عُمان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٦٨- الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد: كتاب طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط٢، د ت.

٦٩- الذهبي، محمد بن أحمد: تذكرة الحفّاظ، حيدر آباد، د ط، ١٣٣٤هـ.

٧٠- الرّازي التّيمي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الملقّب بفخر الدّين الرّازي: اعتقادات فِرق المسلمين والمشركين، تحقيق: سامي النشار، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

٧١- الرّازي، أبو بكر بن عبد القادر: مختار الصّحاح، د د، ط١، ١٩٦٧م.

٧٢- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس مِن جواهر القاموس، تحقيق: نواف الجرّاح، دار الأبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠١١م.

٧٣- الزّركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٨٠م.

٧٤- السّابعي، ناصر بن سليمان بن سعيد: الخوارج والحقيقة الغائبة، دار المنتظر، بيروت، لبنان، دط، ٢٠٠٠م/١٤٢٠هـ.

٧٥- السالمي، عبد الله بن حميد: بهجة الأنوار شرح أنوار العقول في التوحيد، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، عمان، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٧٦- السالمي، عبد الله بن حميد: كتاب تلقين الصّبيان ما يلزم الإنسان، المطبعة العصرية، الكويت، د ط، ١٩٧٠م.

٧٧- السالمي، عبد الله بن حميد: مشارق أنوار العقول، تحقيق الدكتور: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧٨- السعدي، جميل بن خميس: قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان،د ط، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٧٩- السهيل، نايف عيد جابر: الإباضيّة في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين، مكتبة الاستقامة، مسقط، عمان، ط٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٨٠ - السواح، فراس: طريق إخوان الصفا، المدخل إلى الغنّوصية الإسلاميّة، منشورات دار علاء الدين، د ط، د ت.

٨١ - السواح، فراس، الوجه الآخر للمسيح، موقف يسوع مِن اليهود واليهوديّة وإله العهد القديم، ومقدمّة في المسيحيّة الغنوصيّة، دار علاء الدين للنّشر والتّوزيع والتّرجمة، سوريّة، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.

٨٢- السيّابي، زاهر بن سعود بن سيف: الخوارج، الامتداد الفكري بين الأزارقة والوهابية، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيّب، سلطنة عمان، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٨٣- الشقصي الرستاقي، خميس بن سعيد بن علي بن مسعود: منهج الطالبين وبلاغ الراغبين، تحقيق: سالم بن حمد بن سليمان الحارثي، مكتبة مسقط، مسقط عمان، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٨٤- الشكعة، مصطفى: إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، د ط، د ت.

٨٥- الشماخي، أبو العباس أحمد بن سعيد: كتاب السير، طبعة حجرية، القاهرة، د ط، ١٨٨٤م.

٨٦- الشّهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: المِلَل والنِّحل، مؤسّسة الحلبي، د ط، د ت.

٨٧- الشّهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد: المِلل والنِّحل، مؤسسة الحلبي، د ط، د ت.

٨٨- الصّريفينيّ الحنبلي، تقيّ الدّين، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد بن الأزهر بن أحمد بن محمّد العراقي: المنتخب مِن كتاب السّياق لتاريخ نيسابور، تحقيق: خالد حيدر، دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، د ط، ١٤١٤هـ.

٨٩- الصّلاّبي، عليّ محمّد محمّد: أسمَى المطالب في سيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، شخصيته وعصره، دار بن كثير للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٩٠ـ الطّبري، أبو جعفر محمّد بن جرير(٢٢٤/٣١٠هـ): تاريخ الطّبري، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٩١- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر: تاريخ الأمم والملوك، مطبعة الحسينيّة، القاهرة، د ط، ١٣٣٦هـ.

٩٢- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر: تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي)، دار التراث بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

٩٣ ــ العسقلاني، أحمد بن عليّ بن حجر(٧٧٣/٨٥٢هـ): الإصابة في تمييز الصّحابة، تحقيق: عليّ محمّد البجاوي، دار نهضة مصر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الفُجالة، القاهرة، د ط، د ت.

٩٤- العسقلاني، أحمد بن عليّ بن حجر: تهذيب التّهذيب، طبعة حيدر آباد، د ط، ١٣٢٩هـ.

٩٥- العسقلاني، أحمد بن عليّ بن حجر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٩٦- العسقلاني، أحمد بن عليّ بن محمّد بن أحمد بن حجر (ت٨٥٢هـ): تهذيب التّهذيب، مطبعة دائرة المعارف النّظاميّة، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.

٩٧- العشي، عليّ بن العجمي: مباحث في الفرق الإسلامية الرؤى والمرجعيّات، مطبعة تونس قرطاج، تونس، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٩٨- العقل، ناصر بن عبد الكريم: الخوارج، مناهجهم وأصولهم وسماتهم - قديما وحديثا - وموقف السلف منهم، دار القاسم، طبعة جديدة، د ت.

٩٩ - الفيروزآباذي، مجد الدّين(٨١٠هـ): القاموس المُحيط، مؤسّسة فنّ الطّباعة، مصر، د ط، د ت.

١٠٠- القحطاني، محمد بن سعيد: مِن مفاهيم عقيدة السّلف الصّالح، الولاء والبراء في الإسلام، تقديم: عبد الرزاق عفيفي، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط٧، ١٤١٧هـ.

١٠١- القرشي الدّمشقي، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير: البداية والنّهاية، مكتبة الصّفا، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٠٢- المبرّد، الإمام أبو العبّاس: أخبار الخوارج مِن كتاب الكامل في اللغة والأدب والنّحو والتّصريف، دار الفكر، د ط، د ت.

١٠٣- المبرّد، محمد بن يزيد: الكامل في اللّغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٩٩م.

١٠٤- المسقري، ناصر بن مطر: الإباضيّة في ميدان الحقّ، مؤسّسة الشّيخ ناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط٧، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

١٠٥ - المسيري، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مرفق بملحق للمصطلحات والمفاهيم، دار الشروق، د ط، د ت.

١٠٦- المعولي، عبد العزيز بن سعود: مذهب الإسلام الأوّل، راجعه الشيخ: إبراهيم بن ناصر الصّوافي، الباحث بمكتب الإفتاء، مؤسّسة الشّيخ النّاصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط٥، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

١٠٧- المغربي، عبد الفتّاح، الفِرَق الكلامية الإسلامية، مدخل ودراسة، دار التوفيق، القاهرة، د ط، ١٩٨٦م.

١٠٨- المفتاح، قاموس عربي أبجدي مبسّط، مع ملاحق في النحو والصرف، إنجاز شركة دار الأمّة، برج الكيفان، الجزائر، طبعة جديدة، د ط، ١٩٩٦م.

١٠٩- المقريزي، أبو العباس أحمد بن علي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة دار صابر، بيروت، د ط، د ت.

١١٠- المُنجِد الأبجدي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط٨، ١٩٨٦م.

١١١- النامي، عمرو خليفة: دراسات عن الإباضيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

١١٢- النّجار، عامر: الإباضيّة ومدى صلتها بالخوارج، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م.

١١٣- النّجار، عامر: في مذاهب الإسلاميّين الخوارج الإباضيّة الشيعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، ٢٠٠٥م.

١١٤- النّووي، محْيي الدّين أبو زكريّا يحي بن شرف: صحيح مُسلم بشرح النّووي، تحقيق: أبو صهيب محمّد بن سامح، دار بن الجوزي، جمهوريّة مصر العربيّة، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١١٥- الهادي، سيف بن سالم: الإباضيّة والمالكيّة في الغرب الإسلامي، علاقة فكريّة وتاريخيّة، مختصر البسيوي ورسالة ابن أبي زيد نموذجًا، منشورات موقع بصيرة الإلكتروني، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

١١٦- اليحمدي الإباضي، بدر الدين هلال حمود: الأدلّة المرضيّة في دحض ما نُسب إلى الإباضيّة، طبعة مطابع النهضة، مسقط، عُمان، ١٩٨٨م.

١١٧- أمين، أحمد: فجر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، ٢٠٠٦م.

١١٨- أنيس، إبراهيم، عبد الحليم منتصر، عطيّة الصّوالحي، محمد خلف الله أحمد: المعجم الوسيط، مَجمع اللغة العربية، مطابع دار المعارف بمصر، ط٢، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

١١٩- با(السنغالي)، عمر بن الحاج محمّد صالح: دراسة في الفكر الإباضي، تعليق أحمد بن سعود السيابي، مؤسسة الشيخ الناصر للكتاب، غرداية، الجزائر، ط٢، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

١٢٠- بافولولو، صالح بن داود يوسف: من لا يعرف الإباضيّة، للمَعرفة.. والتّعارف.. والاعتراف، تقديم: الشّيخ محمّد أيّوب صدقي، الدّكتور: إبراهيم بحّاز، دار نزهة الألباب، مطبعة الواحات، غرداية، ط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٢١- بِالحاج، قاسم بن أحمد الشيخ: الشيخ عليّ يحيى معمّر أضواء على شخصيته وفِكره، تقديم الدكتور: محمّد بن قاسم ناصر بوحجّام، نشر جمعية التراث، القرارة، ولاية غرداية، الجزائر، المطبعة العربية، نهج طالبي أحمد، د ت.

١٢٢- بِالحاج، قاسم بن أحمد الشيخ: الظّروف السّياسيّة لنشأة الحركة الإباضيّة، المطبعة العربية، غرداية، د ط، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٢٣- بلحاج، قاسم عيسى: صفحات من تاريخ جربة، د د، د ط، د ت.

١٢٤- بوحجّام، محمّد ناصر: توضيح مكانة الإباضيّة مِن الخوارج، مكتبة الضّامري للنّشر والتّوزيع، السّيب، سلطنة عُمان، ط٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٢٥- جلي، أحمد محمّد أحمد: دراسة عن الفِرق في تاريخ المسلمين، الخوارج والشيعة، د د، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٢٦- جهلان، عدّون: الفكر السّياسي عند الإباضيّة من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيّش (١٢٣٦-١٣٣٢هـ/١٨١٨-١٩١٤م)، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، السيّب، سلطنة عمان، ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١٢٧- حجازي، عبد الرّحمان عثمان: تطور الفكر التربوي الإباضي في الشّمال الإفريقي مِن القرن الأوّل حتى القرن العاشر هجري، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

١٢٨- حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السّياسي والدّيني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٧، ١٩٦٦م.

١٢٩- خليفات، عوض محمد: الأصول التّاريخية للفِرْقة الإباضّية، مؤسّسة الشيخ النّاصر للكتاب، غرداية، الجزائر، د ط، ١٤٣٧هـ/٢٠١٥م.

١٣٠- خليفات، عوض محمد: النّظم الاجتماعية والتّربوية عند الإباضيّة في شمال إفريقية في مرحلة الكتمان، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط١، ١٩٨٢م.

١٣١- خليفات، عوض محمد: نشأة الحركة الإباضيّة، وزارة التراث القومي والثقافة، عمان، مسقط، د ط، ١٩٧٨م.

١٣٢- دبّوز، محمّد عليّ: تاريخ المغرب الكبير، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م.

١٣٣- دبّوز، محمد عليّ: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، المطبعة التعاونية، الجزائر، د ط، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

١٣٤- ساعي، محمّد نعيم محمّد هاني: القانون في عقائد الفِرق والمذاهب الإسلاميّة، دار السّلام، القاهرة، د ط، د ت.

١٣٥- صادق، حسن: جذور الفتنة في الفِرق الإسلاميّة منذ عهد الرسول حتى اغتيال السّادات، مكتبة مدبولي، القاهرة، د ط، د ت.

١٣٦- طالبي، عمّار: آراءُ الخوارج الكلامية، الموجز لأبي عمّار عبد الكافي الإباضي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

١٣٧- طعيمة، صابر: الإباضيّة عقيدةً ومذهبًا، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٣٨- طلاي، إبراهيم محمّد: الإباضيّة ليسوا مِن الخوارج، د د، د ط، الذّكرى الألفيّة لتأسيس مدينة العطف، مزاب، ولاية غرداية، ٢٨ - ٣١ / ١٢ / ١٩٩٦م.

١٣٩- عبّاس، إحسان: شعر الخوارج، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٧٤م.

١٤٠- عبد الرزاق، محمود إسماعيل: الخوارج في بلاد المغرب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م.

١٤١- عبد الكافي، أبو عمار: الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف، تحقيق: عمار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٩٨هـ.

١٤٢- عبد ربه، السيد عبد الحافظ: الإباضيّة مذهب وسلوك، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.

١٤٣- عبيدات، محمد سالم: تاريخ الفِرَق وعقائدها، دار الفرقان، د ط، د ت.

١٤٤- عليان، محمّد عبد الفتّاح: نشأة الحركة الإباضيّة في البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد، وعلاقتها بالخوارج، دار الهداية للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط١، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

١٤٥- عمر، فاروق: التّاريخ الإسلامي وفِكر القرن العشرين، دار اقرأ، بيروت، لبنان، د ط، ١٩٨٥م.

١٤٦- عواجي، غالب بن علي: الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقادية وموقف الإسلام منها، د د، د ط، د ت.

١٤٧- عواجي، غالب بن علي: فِرَقٌ معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، المكتبة العصرية الذهبية للطباعة والنّشر والتسويق، جدّة، ط٤، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٤٨- كاشف، سيدة إسماعيل: عُمان في فجر الإسلام، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان، مسقط، ط٣، ١٩٨٩م.

١٤٩- مجموعة من الباحثين: الجامع الفريد، يحتوي على كُتب ورسائل لأئمّة الدّعوة الإسلامية، طُبع على نفقة محمد بن إبراهيم النّعمان، دار الأصفهاني للطباعة، جدّة، د ط، ١٣٩٣هـ.

١٥٠- مجموعة مِن الباحثين: معجم مصطلحات الإباضيّة، وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، سلطنة عُمان، ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٥١- مجموعة من الباحثين، لجنة البحث العلمي: معجم أعلام الإباضيّة، مدخل إلى التّاريخ والفكر الإباضي من خلال تراجم لأكثر من ألف عَلَم من أعلام المغرب الإسلامي منذ القرن الأوّل الهجري إلى العصر الحاضر، نشر جمعيّة التراث، القرارة - غرداية - الجزائر، قسم المغرب، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

١٥٢- معمّر، عليّ يحي: الإباضيّة بين الفِرَق الإسلاميّة عند كُتّاب المقالات في القديم والحديث، مراجعة: بكّير بن محمّد الشّيخ بالحاج، المطبعة العربيّة، نهج طالبي أحمد غرداية، نشر جمعيّة التّراث، القرارة - غرداية - الجزائر، ط٣، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

١٥٣- معمر، عليّ يحي: الإباضيّة في موكب التاريخ، مراجعة: الحاج سليمان بن الحاج ابراهيم بابزبز، مكتبة الضّامري للنشر والتوزيع، السيّب، سلطنة عمان، ط٣، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

١٥٤- معيطة، أحمد: الإسلام الخوارجي، قراءة في الفكر والفن ونصوص مختارة، دار الحوار، د ط، د ت.

١٥٥- مهدي، محمد حسن: الإباضيّة نشأتها وعقائدها، دار الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمّان، الأردن، ط١، ٢٠١١م.

١٥٦- ناصر، محمّد صالح: مكانة الإباضيّة في الحضارة الإسلامية، مطبعة المنار، بني يزقن، غرداية، نشر وتوزيع، مركّب المنار، الحميز، الجزائر، ط٣، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

١٥٧- ناصر، محمد صالح: منهج الدّعوة عند الإباضيّة، تقديم الشيخ: أحمد بن حمد الخليلي، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٥، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

١٥٨- وجدي، محمّد فريد: دائرة معارف القرن العشرين، الرابع عشر - العشرين، دار الفكر، بيروت، د ط، د ت.

١٥٩- وينتن، مصطفى: آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيّش العقدية (١٢٣٨ - ١٣٣٢هـ/١٨٢١ - ١٩١٤م)، جمعية التراث، القرارة، غرداية، الجزائر، د ط، ١٩٩٦م.

ثالثًا: المخطوطات

١٦٠- مخطوط مصوَّر في مكتبة عمّي سعيد غرداية، الجزائر، والمخطوط الأصلي موجود في مكتبة الشّيخ ناصر بن راشد الخرّوصي في مكتبة وزارة التراث القومي والثّقافة بعُمان.

رابعًا: الرّسائل الجامعيّة

١٦١- الشيخ صالح، صالح بن محمد: دور التعليم المفتوح في انتشار المنهج التربوي لأبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة التميمي خلال القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، دراسة مقدّمة إلى قسم العلوم التربوية في كلّية العلوم التربوية والصّحة النفسية بالجامعة الحرّة في هولندا لنيل درجة الماجستير، المملكة الهولندية، الجامعة الحرّة في هولندا، كلّية العلوم التربوية والصّحة النفسيّة، لاهاي، نوفمبر٢٠١٠.

فِهْرِسُ الأحاديثِ النّبويّةِ

الحديـــــــث	الصّفحة
"ألاَ تأمنوني وأنا أمين مَن في السّماء، يأتيني خبر السّماء صباحًا ومساءً"	٢٦، ٧٠
"السّمع والطاعة حقٌّ، ما لم يُؤمر بمعصية، فإذا أُمِرَ بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعةِ"	٩٥
"اللّهُمَّ إنّي أعوذ بك من عذاب القبر..... وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات"	٢٣٦
"أمّا في ثلاثة مواطن..... وعند الصّراط إذا وُضعَ بيْن ظَهْرَيْ جهنّمَ".	٢٣٨
"إنَّ أَحَدَكُم إذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْه مَقْعَدَهُ..... حَتّى يَبْعَثَكَ الله يَوْمَ القيَامَة"	٢٣٥
"إنّه يخرج من ضِئْضِئ هذا..... لئِن أدركتُهم لأقتلنّهم قَتْلَ ثمود"	٧١

"إنّي لمْ أُومَرْ أنْ أنقُبَ قلوب النّاس ولا أشقَّ بطونهم"	٢٧، ٧٠
"أيّكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نِصْفِ أجر الخارج"	٤٣
"خمس صلوات كتبهُنّ الله على عباده..... عند الله عَهْدٌ أن يُدخله النّار"	٢٢٩
"دعه فإنّ له أصحابًا..... يخرجون على حين فُرقةٍ من النّاس"	٦٩
"دعه فإنّ له أصحابًا يحقر أحدُكم..... كما يمرُق السّهم من الرّمية"	١٠٦
"سبحان الله وأنّى أراه"	٢٢١
"ستقتُلك الفِئة الباغية"	٢٧٨
"سيخرج قوم في آخر الزمان..... أجرًا لمن قَتَلَهم يوم القيامة"	٥٢
"لا تتّهم الله في شيء قضى لك"	٢٤٠
"لعلّه أنْ يكون يصلّي"	٢٦/٧٠
"مَن زعم أنّ محمدًا ﷺ رأى ربّه فقد أعظم على الله ﷻ الفريّة"	٢٢١

"ويلك من يعدلُ إذا لم أعدل"	٢٥،٦٨،٧١
"ويلك! أوَ لستُ أهلِ الأرض أنْ يتّقي اللّهَ"	٧٠،٢٦
"يُعَذَّبَان وَمَا يُعَذَّبَان بكَبيرَة..... وأَمَّا الآخَر فَقَد كَانَ يَمْشي بَيْنَ النَّاس بالنَّميمَة"	٢٣٥
"يمرقون من الدّين..... فإنّي أراه فيهم، فالتَمَسُوه"	٣٠
آيتهم رجلٌ أسود..... يَخْرُجون علَى حين فُرْقَةٍ مِن النّاس	١٠٥

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فِهْرِسُ الأعلامِ

العَلَـــــــــم	الصّفحة
أبو الحسن الأشعري	٣٢٢، ٣٣٠
أبو الفتح الشهرستاني	٢٦٦
أبو المَظَفّر الأسفراييني	٢٦٣
أبو بلال مرداس بن حُدَيْر التميمي	٤٠٢
أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة	١٩٨
أبو فديك	١٢٥
أبو محمّد عليّ بن حزم	٢٦٠
الأحنف بن قيس السّعدي التميميّ	١٤٣
بَكّار بن محَمَّد الفزّاني	٢٠٧
جابر بن زيد الأزدي	١٤٥/١٤٩/١٥٠/١٧٥/٢٠١/٢٩٩/٣٨٥

جعفر بن السّماك	٢٨٣، ٣٨٦
الجلندى بن مسعود	٢٠١، ٣٠١، ٣٠٢، ٣١٥، ٣٢٦
حتّات بن كاتب	٣٦٨
الحجّاج بن يوسف الثّقفي	١٨٩/١٩٤/٢٠١
الربيع بن حبيب	٥٥/٦٣/١٨٨/٢٠٠/٢١٩/٢٢٠/٢٣٧/٣٠٠/٣٢٦/٣٦٩
زياد بن الأصفر	١٢٩
سالم بن ذكوان	٢٨٣/٣١٢/٣٦٧
سعد بن أبي وقّاص	١٤١
شبيب الخارجي	٣٧١
عبد القاهر البغدادي	٢٥٦
عبد الله بن إباض	٥٨/٦٤/١٤٦/١٥٨/٢٨٤/٢٩٥/٣٠٧/٣٤٠/٣٤٧/٣٨١/
عبد الله بن عباس	٧٢/١٠٧/١٧٧/١٧٨
عبد الله بن وهب الرّاسبي	٧٥/٧٨/٩٣/١١٨/١٣١/١٣٨/١٤٧/١٨٤/٢٧٧/٣٠١/٣٧٣

عبيد الله بن زياد الأموي	١٨٧
عطيّة بن الأسود الحنفيّ	١٢٥
محمد بن يوسف اطفيّش	٢٠٩/١٦١/١٥٣
نَافع بن الأَزرق	١٦٥/١١٩
نجدة بن عامر الحنفيّ	٣٠٨/١٥٠/١٢٨/١٢٥

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فهرس المُصطلحات

المُصطلـــح	الصّفحة
تَحكيم	٣٧٦/٣٦١/١٢٣/١١٣/٩٠/٧٩
التقيّة	٣٦٦/٣٠٦/١٩٠/١٣٠//١٢٤
ثفنٌ	١٠٨
حروراء	٧٤/٧٢/٥٣/٥١/٤٨/٣٤/٣٠/٢٨ ٢٧٧/١٣٩/١١٥/١١١/١٠٦/٧٩/٧٧/٧٥
حروريّة	١١٥/٧٧/٣٣
خارجيّ	٢٤٨/٩٩/٧١/٦٩/٤٦/٣٦/٢٣
خُروج	٣٩/٢٩
الشّراء	١٤٥/١٣
الشُّرَاة	١٩٢/١٤٠/١١٦/٦٢/٣٤

ضِئْضِئ	٢٧/٧٠/١٠٦
العاذريّة	١٢٨/١٢٩
القَعَدة	٦٠/١٢٣/١٢٦/١٣٠/١٤٠/١٤٤/١٦٤/١٨٦/٣٠٨
مجلس العزّابة	٢٤٦
المُحَكِّمة	٥٤/٥٥/٦١/٧٥/٨٢/١١٣/١٢٣/١٤٠/١٧٥/١٨٥/٢٥٧
مقروظ	٢٦/٧٠

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فِهْرِسُ الأماكِنِ والبلدانِ

المَكَـان	الصَفحة
تُبَالة	٢٦٧
تونس	١٥١/٢٠٣/٢٤٦
جبل نفوسة	١٨٣/٢٤٥/٢٤٨
الجزائر	٢٢/١٥٠/٢٠٣/٢٤٧/٢٤٨/٣١٥
حروراء	٢٨/٣٠/٣٤/٣٥/٤٨/٥٣/٧٢/٧٤/٧٥/٧٧/٧٩/١٠٦/١١١/١١٥
زنجبار	١٥٤/٢٤٣/٢٤٤/٢٧٣/٢٧٦
صفّين	٢٨/٢٩/٤٦/٧٣/٧٧/٧٨/١١٤/١١٥/١٣٦/١٣٨/١٦٠/٢٨١/٢٩١/٣٨٤
عُمان	١٥٠/١٥٣/١٥٧/١٨٩/١٩٣/٢٧٦/٣٠١/٣٧٠
ليبيا	١٥٠/٢٠٢/٢٤٤/٢٤٥/٣١٥
النّخيلة	١٤٠
النّهروان	٢٩/٥٠/٥٤٥١//٥٧/٧٦/١٠٤/١١١/١١٤/١٣٢/١٣٨/ ١٣٩/١٤٠/١٨٥/٢٧٧/٢٧٩/٢٨٦/٢٩١/٣١٢/٣٦٣/٣٧٣
وادي ميزاب	٢٤٧/٢٤٨

فِهْرِسُ الْفِرَقِ والمذاهبِ والأديانِ

الفِرقة أو المذهب أو الدين	الصّفحة
الإباضيّة	٦٩
الأزارقة	١١٩
الخوارج	١١٩
الشّيعة	٤٣
الصفريّة	١٢٩
الغنّوصيّة	٤٢
المالكيّة	٢٠٣
النّجدات	٦٣

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الموضـــــــوع	الصّفحة
الإِهْدَاءُ	٥
المقدّمةُ	١٣
الفصلُ الأوّلُ: الفِكرُ الخارجيُّ النّشأةُ والتّطوّرُ	٢٣
تَمْهِيدٌ	٢٤
المبحثُ الأوّلُ: ظهورُ مصطلحِ الخوارجِ	٢٥
المطلبُ الأوّلُ: في عَهْدِ النّبيِّ ﷺ	٢٥
المطلبُ الثّاني: في عهدِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ	٢٨
المطلبُ الثّالثُ: تَرَادُفُ مُصْطَلَحَيِ الخوارجِ والحروريّةِ	٣٣
المبحثُ الثّاني: التعريفُ بالخوارجِ	٣٦
المطلبُ الأوّلُ: تعريفُ الخوارجِ والخروجِ لُغَةً	٣٦
المطلبُ الثّاني: تعريفُ الخوارجِ اصْطِلاَحًا	٤٦
أوّلاً: تعريفُ الخوارجِ في نَظَرِ غيرِ الإباضيةِ	٤٦

ثانيًا: تعريفُ الخوارجِ في نظرِ الإباضيةِ	٦١
المبحثُ الثّالثُ: نشأةُ الخوارجِ وأسبابُ خُرُوجِهِمْ	٦٨
المطلبُ الأوّلُ: نشأةُ الخوارجِ	٦٨
المطلبُ الثّاني: أسبابُ خروجِ الخوارجِ	٨٤
أوّلاً: النّزاعُ حولَ الخلافةِ	٨٧
ثانيًا: قضيّةُ التّحكيمِ	٩٠
ثالثًا: جورُ الحكّامِ وظهورُ المنكراتِ بينَ النّاسِ	٩٢
رابعًا: العصبيّةُ القبليّةُ	٩٦
خامسًا: العاملُ الاقتصاديُّ	٩٩
سادسًا: الحماسُ الدّينيُّ	١٠٢
أوّلاً: الخُروجُ العقديُّ	١٠٤
ثانيًا: الخُروجُ السّياسيُّ	١٠٦
المبحثُ الرّابعُ: تَسْمِيَاتِ الخوارجِ وَفِرَقُهُمْ	١١٣
المطلبُ الأوّلُ: تَسْمِيَاتُ الخَوَارِجِ وَأَلْقَابُهُمْ	١١٣

أوّلاً: المُحَكِّمَةُ	١١٣
ثانيًا: الحَرُوريّةُ	١١٥
ثالثًا: الشُّرَاةُ	١١٦
رابعًا: الخوارجُ	١١٧
المطلبُ الثّاني: فِرَقُ الْخَوَارِجِ	١١٩
أوّلاً: الأزارِقَةُ	١١٩
ثانيًا: النَّجدَاتُ	١٢٤
ثالثًا: الصّفريةُ	١٢٩
الفصلُ الثّاني: المَدرسةُ الإباضيّةُ وَتَطَوُّرُهَا	١٣٥
المبحثُ الأوّلُ: نشأةُ الإباضيّةِ	١٣٦
المبحثُ الثّاني: نسبةُ الإباضيّةِ وَتَأْسِيسُهَا	١٥٣
المطلبُ الأوّلُ: عبدُ اللهِ بنُ إباضٍ الزّعيمُ السّياسيُّ	١٥٩
المطلبُ الثّاني: جابرُ بنُ زيدٍ الأزديُّ العالِمُ الْمُؤَسِّسُ	١٧٥
المطلبُ الثّالثُ: أبُو عُبَيْدَةَ مسلمُ بنُ أبي كريمةَ المخطَّطُ	١٩٨

المبحثُ الثّالثُ: أَهَمُّ الآراءِ العقديّةِ عندَ الإباضيّةِ	٢٠٧
أوّلاً: التّوحيدُ	٢٠٧
التّوحيدُ لغةً	٢٠٩
التّوحيدُ اصْطِلاَحًا	٢٠٩
أ: تَنْزِيهُ اللهِ ﷻ عنِ الشّبِيهِ	٢١٢
ب: العبوديّةُ وَالربوبيّةُ	٢١٣
ج: التّوَكُّلُ على اللهِ)	٢١٤
وَصِفاتُهُ) اللهِ أسماءُ :ثانيًا	٢١٥
الصِّفَةُ لُغَةً	٢١٥
الصِّفَةُ اصْطِلاَحًا	٢١٥
١ - الصّفاتُ الذّاتيّةُ	٢١٧
٢ - الصّفاتُ الفعليّةُ	٢١٧
ثالثًا: الاستواءُ وَالْعُلُوُّ	٢١٨
رابعًا: مسألةُ رؤيةِ اللهِ ﷻ	٢٢٠

خامسًا: مسألةُ خَلْقِ القرآنِ	٢٢٤
الخَلْقُ لُغَةً	٢٢٤
سادسًا: حُكْمُ مُرْتَكِبِ الْكَبِيرَةِ	٢٢٧
سابعًا: عَذَابُ الْقَبْرِ	٢٣٤
ثامنًا: الصِّرَاطُ	٢٣٧
تاسِعًا: مسألةُ القضاءِ والقَدَرِ	٢٣٩
عاشرًا: الإِمَامَةُ	٢٤٢
المبحثُ الرَّابعُ: أماكنُ تَوَاجُدِ الإباضيّةِ	٢٤٤
المطلبُ الأوَّلُ: عُمَانُ	٢٤٤
المطلبُ الثّاني: زنْجبَارُ	٢٤٤
المطلبُ الثّالثُ: لِيبيا	٢٤٥
المطلبُ الرَّابعُ: تُونسُ	٢٤٦
المطلبُ الخامسُ: الجزائِرُ	٢٤٧
الفصلُ الثّالثُ: جَدَلِيَّةُ العلاقةِ بينَ الإباضيّةِ والخوارجِ	٢٤٩

تَمْهِيدٌ	٢٥٠
المبحثُ الأوَّلُ: إدراجُ المؤرِّخِينَ فِرقةَ الإباضيّةِ ضِمْنَ فِرَقِ	٢٥١
المطلبُ الأوَّلُ: المُؤرِّخونَ والكُتَّابُ القُدَماءُ	٢٥١
أوَّلاً: أبُو الحسنِ الأشعريُّ	٢٥٢
ثانيًا: عبدُ القاهرِ البغداديُّ	٢٥٦
ثالثًا: أبو محمّدٍ عليُّ بنُ حزمٍ	٢٦٠
رابعًا: أبو المَظَفَرِ الاسفراييِنيُّ	٢٦٣
خامسًا: أبو الفتحِ الشهرستانيُّ	٢٦٦
المطلبُ الثّاني: الكُتَّابُ الْمُعَاصِرُونَ	٢٧٠
أوَّلاً: غالبُ بنُ عليّ عوّاجي	٢٧٠
ثانيًا: محمّد أبُو زهْرَة	٢٧٢
ثالثًا: عليّ مصطفى الغوابي	٢٧٣
رابعًا: عبدُ العزيز بنُ محمّدِ بنِ عليّ آل عبدِ اللَّطِيفِ	٢٧٣
خامسًا: حسن إبراهيم حسن	٢٧٥

سادسًا: مصطفى الشّكعة	٢٧٦
المبحثُ الثّاني: أسبابُ عَدِّ الإباضيّةِ مِنْ فِرَقِ الخوارجِ	٢٧٧
المبحثُ الثّالثُ: موقفُ الإباضيّةِ منَ الخوارجِ	٢٩٧
المبحثُ الرّابعُ: رُدُودُ علماءِ الإباضيّةِ على كُتَّابِ المقالاتِ	٣١٣
المطلبُ الأوّلُ: رُدُودُ علماءِ الإباضيّةِ على المُؤرّخينَ القدماءِ	٣١٨
أوّلاً: الرّدُّ على أبي الحسنِ الأشعريِّ	٣١٨
ثانيًا: الرّدُّ على البغداديِّ	٣٣١
ثالثًا: الرّدُّ علَى ابنِ حزمٍ	٣٣٧
رابعًا: الرّدُّ علَى أبي المظفّرِ الاسفراييِنيِّ	٣٤٤
خامسًا: الرّدُّ علَى أبي الفتحِ الشهرستانيِّ	٣٤٦
المطلبُ الثّاني: رُدُودُ علماءِ الإباضيّةِ علَى الكُتّابِ المعاصرِينَ	٣٥٠
أوّلاً: الرّدُّ علَى محمّد أبي زهرة	٣٥٠
ثانيًا: الرّدُّ علَى عليّ مصطفى الغوابي	٣٥٤
ثالثًا: الرّدُّ علَى عبدِ العزيزِ بنِ محمّدِ بنِ عليّ آل عبدِ اللّطيفِ	٣٥٦

المبحثُ الخامسُ: براءةُ الإباضيَّةِ مِنَ الفِكْرِ الخارجيِّ	٣٥٨
الخاتِمَةُ	٣٨٥
فهارِسُ الْبَحْثِ	٣٨٩
فِهْرِسُ المصادرِ والمراجعِ	٣٩٠
فِهْرِسُ الأحاديثِ النَّبويَةِ	٤١٨
فِهْرِسُ الأعلامِ	٤٢١
فِهْرِسُ المصطلحاتِ	٤٢٤
فِهْرِسُ الأماكِنِ والبلدانِ	٤٢٢
فِهْرِسُ الْفِرَقِ والمذاهبِ والأديانِ	٤٢٧
فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ	٤٢٨



المؤلف في سطور

- البشير مسعي محمد جزائري الجنسيّة، من مواليد مدينة الوادي ١٩ /٠٩/ ١٩٨٢م، بالوادي، نشأ وترعرع في عائلة محافظة، وتلقّى تعليمه الأولي بمسقط رأسه.
- حفظ القرآن الكريم وحصّل على إجازة في رواية ورش عن نافع .
- حاصل على شهادة البكالوريا بمتقن كركوبيّة خليفة، الرّباح عام ٢٠٠٣ .
- حاصل على شهادة الليسانس علوم إسلاميّة، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة عام ٢٠٠٧م.
- حاصل على شهادة الماجستير في التّاريخ والفكر الإسلامي بمعهد الدعوة الجامعي بيروت لبنان، عام ٢٠١٠م .
- حاصل على شهادة الماجستير في العقيدة ومقارنة الأديان، من جامعة الزّيتونة، تونس عام ٢٠١٦م.
- حاصل على شهادة الماستر دعوة وإعلام بجامعة الشهيد حمّه لخضر الوادي عام٢٠١٧م.
- أستاذ تعليم ثانوي علوم إسلاميّة بمتقن العلاّمة عبد القادر الياجوري قمار، الوادي.
- إمام وخطيب مسجد عثمان بن عفّان بالدّبيلة، ولاية الوادي.
- عمل أستاذًا مؤقّتا بجامعة الوادي، بمعهد الآداب، من سنة ٢٠١٠ إلى سنة ٢٠١٣م.
- عمل أستاذًا مؤقّتا بمعهد العلوم الإسلاميّة بنفس الجامعة، من سنة ٢٠١٣ إلى ٢٠١٥م. - وهو الآن يواصل أطروحة الدكتوراه بجامعة الزّيتونة بتونس، في العقيدة ومقارنة الأديان.

نشر وتوزيع
مكتبة الضامري للنشر والتوزيع
هاتف، 0096896444669
t.k.aldhamri@gmail.com
ص.ب: 2 السيب، الرمز البريدي، 121 سلطنة